


فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الثالث

تحقيق

عبد الله محمد الكندري

دار النوادر ®







بسم الله الرحمن الرحيم







دار النوادر®

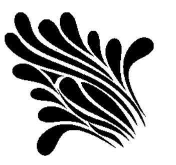
فوائد الارتحال ونتائج السفر

في

أخبار القرن الحادي عشر

(٣)




الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

ردمك: ٦ ـ ٩٤ ـ ٤١٨ ـ ٩٩٣٣ ـ ٩٧٨ ISBN :



9789933418946



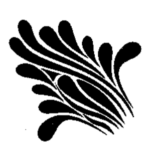
سورية ـ لبنان ـ الكويت

مُؤَسَّسَة دَارُ النَّوَادِر م. ف ـ سُورِيَة * شَرِكَة دَارُ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م ـ لُبْنَان * شَرِكَة دَارُ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة ذ. م. م ـ الكُوَيْت

سورية ـ دمشق ـ ص. ب: ٣٤٣٠٦ ـ هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ ـ فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان ـ بيروت ـ ص. ب: ١٤/٥١٨٠ ـ هاتف: ٦٥٢٥٢٨ ـ فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت ـ الصالحية ـ برج السحاب ـ ص. ب: ٤٣١٦ حولي ـ الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ ـ فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أَسَّسَهَا سَنَة: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م نُورُ الدِّين طَالِب المُدِيرُ العَام وَالرَّئِيسُ التَّنفِيذِي





وَبِهِ ثِقَتِي

حَرْفُ الهَمْزَة

[٦٣٦] إبراهيم بن محمد بن مشعل العبدلي السالمي المكي[1].

كان شاعراً ماهراً، لـه القصائد الطويلة، يمتدح بها الشريف حسن بن أبي نمي أمير مكة، وغيره من أكابر الأشراف الحسنيين، وغيرهم.

ومن شعره في مليحٍ يهوى الراح، وهو يهواه قوله:

شمس الطلا بدر غدا ... لم يصحُ من تعليلها

فالراحُ قتلة قاتلي ... وأنا قتيلُ قتيلها

ومثله قول الأديب محمد البوني المكي، وسبكه في قالب آخر وأجاد:

يا لَقومي إني قتيلٌ ببدرٍ ... هو أضحى قتيلَ شمسِ العُقارِ

علمَ الله أن قتلي حرامٌ ... فشغله بها لتأخذَ ثاري

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

لا أَرَّقَ اللهُ مَنْ بالسُّقمِ أَرَّقَني ... ولا شفى سُقْمَ لحظٍ منه أَسقمَني

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢١٩) (٣٠٢).

ولا طفى جمرَ خدٍّ منه ملتهباً ... وإن يكنْ بالجفا والصدِّ أحرقَني

وزادَ في ضيق خصرٍ منه ضقتُ به ... ذرعاً وأنحلَه حسناً كما آنحلَني

ولا غدا آلْعَس هاتيك الشفاه لما ... وإن حَمَى رشفَها عني وأَعطَشَني

ولا اختفتْ من ثناياه بوارقُها ... وإن بكيتُ لها بالعارِضِ الهَتِنِ

وشدَّ أقواسَ تلكَ الحاجبينِ وإنْ ... غدتْ بنبل العيونِ السودِ ترشُقُني

ولم تزلْ شمسُ ذاكَ الحسنِ مشرقةً ... في وجهه لو بدمعِ العين أشرقَني

ودأم أهيف ذاك القدِّ في ميدٍ ... ولو أطارَ الحشا إذ سار كالغُصُنِ

وضاعفَ الله ذاكَ الحسنَ أجمعَه ... ولو رماني بضعفِ الدرِّ في البدنِ

وأبقاه في دولة بالحسنِ زاهرةٍ ... ولو جميلُ اصطباري عن لقاه فَني

وزاد ذاك المحيا بهجةً وسَنًا ... وإن حمى عن جفوني لذةَ الوَسَنِ

يا من جميعُ معانيه فُتنتُ بها ... لا أحمد الله يا محبوب ذي الفتن

بوجهك الحسن أحسن فيّ يا أملي ... فإنه لائقٌ من وجهك الحسنِ

توفي سنة أربع وعشرين بعد الألف بالطائف، وقد جاوز السبعين ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

كم مهجةٍ بالغرام مُنْسَبِيَهْ ... وما لمن يُقتل بالغرام دِيَهْ

فليحذرِ الحبُّ كلَّ محترس ... به ففيه الحتوفُ مُنْطَوِيَهْ

وفي رُبى شعبِ عامرٍ رَشَأٌ ... له عيونٌ بالسحر مُمتليَهْ

في حسنهِ والجمال منتهياً ... وعشقتي فيه غيرُ مُنتهيَهْ

كـم حـسنِ شـمسٍ عليـه مـشرقةٌ ... منهــا بــدورُ التمــام مُختفيَــهْ
إذا بــــدا مقــــبلاً ولاحَ لـيـــهْ ... جعلـــتُ منـــه الجبـــينَ قِبْلَتِيَـــهْ
مــا قلــتُ فيــه انتهــتُ صــبابتيَهْ ... إلاَّ وعــادَتْ إلــيَّ وَهْــيَ مُبتدِيَــهْ
لــــي مهجـــةٌ غَرَّهـــا بغرَّتـــهِ ... أهالـــه عـــن صـــياد غُرَّتَيـــهْ
ومـــا هَــداني بــصبحِ طَلعتِــهِ ... إلا بليـــلِ الـــشعورِ ضَـــلَّنيَهْ
فحبـــذا ذاكَ الـــضلالُ بـــه ... لمهجـــةٍ بالـــضلالِ مُهتديَـــهْ
أَهُـــمُّ بالانْثِنـــا عنـــهُ إلــى أن ... تبـــدَّى بِعِطْفيـــهِ مُنْثَنِيَـــهْ
ويرجــعُ الوجــدُ لــي بأجمعِــهِ ... أضــلَّ فــي صَــبوتي وحَيْرَتِيَــهْ
وأغيـــدٍ ذُبْـــتُ مـــن مَحبتِـــهِ ... ونفـــسُه بالجمـــالِ مُنتهيَـــهْ
لُجَيْنـــيُ اللَّـــونِ أحـــورٌ تَـــرِفٌ ... خِلقتُـــه بالجمـــالِ مـــستويَهْ
عيـــونٌ بـــالجلا مكحَّلَـــةٌ ... وذاتُـــه بالجمـــال مُكتَـــسِيَهْ
قــد اعتنــى بالهــا وروحــي عــن ... وصـــالهِ الحلـــوِ غيـــرُ مُعتنيَـــهْ
للحـسن فـي وجنتيـه كـلُّ حلـى ... مـــاءٌ ونـــارٌ أحـــار فِكْرَتِيَـــهْ
فلـــم أَنَـــلْ مـــاءَ وردِ وجنتِـــهِ ... ومـــن لَظاهـــا حـــشايَ ملتظِيَـــهْ
لا تعجبــوا إن فنيــتُ فيــه هَــوًى ... فذاتُـــه بـــالغرام مقتـــضِيَهْ
ووجنـــة بالجمـــالِ زاهـــرة ... بنـــرجسِ المقلتـــين مُحْتَمِيَـــهْ
وربَّ خِـــدرٍ طَرقْـــتُ بيـــضَتَهُ ... والليـــلُ ظَلمـــاهُ غيـــرُ مُنجليَـــهْ
وحولهـــا مـــن حُماتهـــا أُسُـــدٌ ... علــى اضــطرام الحــروب منجليَــهْ
فانتبهـــتْ مـــن لذيـــذِ نومتهـــا ... تقـــول مـــن ذا يحـــلُّ غرزتيَـــهْ

فقلـتُ صـبٌّ أذبـتَ مهجتَـهُ بالحـسن يـا بغيتـي ومُنْيتيَـهْ

قالـت لقـد رُمـتَ مطلبـاً خطـرًا مـن دونـه المـوتُ يـا مُتيَّمِيَـهْ

أمـا رأيـتَ الأسـودَ رابـضةً أمـا رأيـتَ الـسيوفَ مُنتـضيَهْ

فقلـتُ إن المحـبَّ مهجتُـهُ بـالموت فيمـا يحـبُّ مرتَـضِيَهْ

وحبـذا يـا بنـةَ الكـرامِ إذا بلغـتُ فـي مُنيتـي مَنِيَّتيَـهْ

فيـا حيـاةَ النفـوسِ إنـي مـن أعـشقُ فـي الغانيـاتِ مُنْيتيَـهْ

فقالـت اهـلاً ومرحبـاً بفتًـى يعـشق المـوتَ فـي مَحَبَّتِيَـهْ

وأرشـفَتْني رحيـقَ ريقَتِهـا والـنفسُ منـي لـذاكَ مُـشتهيَهْ

فرحـتُ نـشوانَ مـن مُقَبَّلِهـا وريقِهـا مـا ألـذَّ سَـكْرَتِيَهْ

وفـي ثنايـا نقـي مبـسمِها شـهدٌ عليـه النفـوسُ محتويَـهْ

وما اجتنـي الـشهدَ قَـطُّ مـن بَـرَدٍ غيـري فيـا مـا ألـذّ جنبيَـهْ

فعنـد ذا أنعمَـتْ ومـا بخلَـتْ بوصـلِها وهـي غيـرُ مـستحيَهْ

وهي عروضُ قصيدة الأديب إبراهيم، التي مطلعها:

جَفَـت حـلالَ المنـام مُقلتيَـهْ مُـذْ حـلّ حـبُّ المِـلاحِ مُهجتيَـهْ

وقد ذكرتها في ترجمته.

[٦٣٧] إبراهيم بن محمد الهمداني(١).

قال الشيخ علي في «سلافتـه»: جامـعُ شمل العلوم، المقتني نفـائس

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٨٠).

جواهرها، والمجتني أزاهر بواطنها وظواهرها، ملكَ أعنَّة الفضائل وتصرّف، وبيَّنَ غوامضَ المسائل، فأفهمَ وعرّف، وكان الشيخ محمد بهاء الدين بن حسين العاملي يشهد بفضله، ويعترف بسمو مقداره ونبله.

واتفق أن سلطان العجم عباس شاه قصد يوماً زيارته، فرأى بين يديه من الكتب ما ينوف على الألوف، فقال له السلطان: هل في العالم عَالمٌ يحفظ جميع ما في هذه الكتب؟ فقال له الشيخ: لا، وإن يكن، فهو المسؤول إبراهيم، وكانت وفاته سنة ست وعشرين بعد الألف.

ومن إنشائه قوله: نسأل الله فتح أبواب السرور، بقطع علائق عالم الزور، وحسم عوائق دار الغرور، وتبديل الأصدقاء المجازيين، بالأخلاء الروحانيين، والانزواء في زاوية العزلة، والانفراد عن جلساء السوء والزلة، وصرف الأوقات في تلافي ما فات، وإعداد الزاد ليوم المعاد؛ فإن ذلك أعظم المقاصد وأعلاها، وأهم المطالب وأولاها. انتهى.

[٦٣٨] السيد إبراهيم بن محمد بن عز الدين المؤيدي، المعروف بابن حُوريّة[١].

كان من أكابر العلماء، دعا إلى الإمامة في دولة الإمام المتوكل، وأجابه جماعةٌ من السادة وغيرهم، بسبب اختلال الشام، وتناظر هو والإمام المتوكل، ثم تنحى عن الإمامة وتابع، ثم استأذن الإمام في الرجوع، فتوجه إلى بَرَط، وأجابه قضاة بَرَط، ثم توجه إلى الشام، فجهز عليه الإمام المتوكل ابن أخيه

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٧٣) (١٦)، وذكر وفاته في ١٠٨٣هـ، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

أحمـد بن الحسن، فأصلحه على أن يبقى آمناً مطمئناً، متنحياً عن الإمامة، وشرط الكفاية ولمن معه (١).

[٦٣٩] إبراهيم بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات بن المحب بن محمد بن الرضي محمد بن محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري(٢).

ذكره الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين، الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال: كان فاضلاً مجيداً، وذكياً حميداً، **مولده في** سنة خمس وأربعين وتسع مئة، قرأ واشتغل بالعلم والآداب، وحفظ في صغره «الأربعين النووية»، و«عقائد النسفي»، و«بهجة الحاوي» لابن الوردي، و«حدود النحو» للفاكهي، وعرضها على الشيخ العلامة عز الدين عبد العزيز بن علي الزمزمي، وكتب له إجازةً منظومةً ستأتي في آخر الترجمة.

وأخذ عن شيخ الإسلام أحمـد بن حجر الهيتمي، وغيـره من علمـاء عصره، وبرع في الفضل والأدب، وولي قضاء الشافعيـة بمكة مدةً خلافةً، وكانت لـه بين الناس جلالةٌ ورفعةٌ، وله نظمٌ فائقٌ جداً، ونكاتٌ مستملحةٌ، ورعايةٌ وافرةٌ من ولاة مكة وأشرافها، واتصالٌ تامٌ بهم.

وكان في شبيبته سافر إلى الدكن من ديار الهند، فنال من ملكها نظـام شاه ألف دينار، وكان ذلك مصداق ما يقال مما هو مشتهر بين الناس: إن من يحفظ «بهجة ابن الوردي» لا بد له أن يملك ألف دينار، أو يلي القضاء، وقد

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض بالأصل».

(٢) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ٨.

حصلا معاً للمذكور، ورحل إلى «تريم» من بلاد حضرموت.

واجتمع بمدينة «عينات» بقطب ذلك الوقت، السيد أبي بكر بن سالم، وأنزله في داره، وكان نزوله عليه في شهر رمضان، فاتفقت له معه واقعة، كانت كرامةً باهرةً للسيد المذكور، وهي كما أخبر صاحب الترجمة، فقال: لما أنزلني السيد في داره، وكانت له غرفةٌ صغيرةٌ في أعلى الدار، طلبني وقت المغرب للإفطار، فصعدت إليه، فوجدته على حصير، وبجانبه سريرٌ مفروشٌ بجوخٍ أحمر، وكان القاضي حسين المالكي، والسيد علي خَرِد أوصياني عند إرادتي السفر من مكة أن أبلغ السيد السلام عنهما، إن اتفق اجتماعي بـه، فأبلغتـه سلام الأول، فرد عليه السلام، وسأل عن حاله، وأفاد أن ذلك الجوخ الأحمر المفروش على السرير من هديته له، وأُنسيت سلام الثاني، فقال لي: يا فقيه إبراهيم! بقي إبلاغ سلام شخصٍ آخر، فتذكرت، فقلت لـه: نعم، وأبلغته سلام الآخر، فرد السلام.

ثم فكر فقال: الله ما هذه همـة لذلك الشاب، ونبيك إنه ما هو متطلع وناظر إلا إلى هذا الملك الذي نحن فيه، وما هو قانع بغيره، فحضرت القهوة، ولما أردت شربها، داخلني فكرة في حال زوجتي وبيتي بمكة، فتكدر بالي، فذكرت ذلك له، وزبدية القهوة في يديه، فلبسه حالٌ شديد، بحيث غاب عن مخاطبتي، فإذا هو قـد ناولني الزبديـة التي بيده، وقال لي: زوجتك طيبةٌ، وهذه زبدية قهوتها، الله يا فقيه! ما هذا الجمال البارع لها؟!.

قال: فشربت القهوة، وحفظت الزبدية معي إلى أن وصلت إلى مكة، فسألت زوجتي عن القصة، فقالت: كنت جالسةً في الدهليز على السرير بعد المغرب، وبعض الباب مفتوح، والجاريـة تصب في القهوة، وأنـا أشرب،

فسمعت فقيراً على الباب يقول: من يفطر الصائم بزبدية قهوة؟ فأمرت الجارية، فملأت له زبديةً، وطلبته لمناولتها، فأدخل رأسه من فتح الباب، فرآني ورأيته، فرفعت ردائي إلى ستر وجهي عنه، فأخذ الزبدية، وانتظرت أن يعيدها، فخرجت الجارية إليه فلم تجده[1].

قال: فقلت لها: ذاك السيد أبو بكر بن سالم، وهذه الزبدية، وأخبرتها بالقصة، فنظرت إلى الزبدية، فعرفتها.

وذكر لي عنه: أنه قال له: إذا أصابتك شدةٌ، فاستهد بي، قال: فمرضت مرضاً شفيت منه، فرأيته يقظةً ثلاث مرات، على ثلاث صور مختلفة، الأولى: على الصورة التي رأيته عليها عند اجتماعي به، الثانية: على صورة الفقهاء؛ من جهة الثياب والعمامة الكبيرة، الثالثة: على صورة التجار، في ملابسهم وعمائمهم، فما مضت ساعةٌ إلا وقد أفقت مما كنت فيه من كرب المرض، كأنما نشطت من عقال.

وكانت له مراسلاتٌ مع الفضلاء من أصحابه، مشحونةٌ باللطائف، ويراسلونه بمثلها، ومما وقفت عليه: بعض مراسلةٍ وصلت من ديار الهند إليه، من صاحبه الشيخ محمد بن عبد اللطيف، عرف بمخدوم زاده، وذلك قوله:

إمام المسلمين ومُقتداهم ... ومن بعلاهُ تفتخر المعالي

أيجهل قدره حاشا وكَلاَّ ... وقدرُ مقامِ إبراهيمَ عالي

---

(١) إذا لم تكن هذه الحكايات من صناعة أدعياء التصوف وأهل الكشوف، أو أنها تعامل مع الجن، وإلا فهي من تطاول على العقول، وخروج من الدين الصحيح نسأل الله السلامة.

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين بعد الألف، صلى عليه قريبه الإمام محمد ابن عبدالله الطبري، في ساباط مقام إبراهيم، على عوائد سلفه الطبريين، بعد أن نادى له الرئيس على ظلة زمزم، وكانت جنازته حافلةً، ودفن في قبر المحب الطبري ـ رحمه الله ـ.

وصورة إجازة الشيخ عبد العزيز الزمزمي، الموعود بها، وأثبتها لحسنها، وبديع ألفاظها، وهي:

حمـــداً لمـــن بَـــوَّأَ إبراهيمـــا	بيتـــاً شــــريفًا زاده تعظيمـــا
أول بيـــتٍ ثابـــتِ الأســـاسِ	ببكـــــةٍ أشـــــاده للنـــــاسِ
مباركًـــا ســـؤددُه قـــديمُ	ويُمنُـــــه وخيـــــرُه عظـــيمُ
عـالٍ علـى كـلِّ البيـوت سـامي	بمـــا لَـــهُ مـــن رفعـــةِ المقـــامِ
أحمـــدُه ســبحانه وأشـــكرُهُ	وبالجميـــل مـــن ثنـــائي أذكـــرُهُ
فكـــم أيـــادٍ جمـــةٍ جزيلَـــهْ	لــــه علينـــا كلُّهـــا جليلَـــهْ
منهـــا امتنانُـــه علـــى الآبـــاءِ	بعـد الفنـاءِ بـالحفظِ فـي الأبنـاءِ
حتـى نحـا نحـوَهم علـى سَـنَنْ	وصار في النـاس حـديثُهم حَسَنْ
وأَمَّ كـــلٌّ مـــنهم المحجَّـــهْ	وصـــار فـــيهم حاويـــاً للبهجَـــهْ
وأحـــسنوا نهايـــةَ الإحـــسانِ	بحفظهـــم عقائـــدَ الإيمـــانِ
واســتكملوا معـــارجَ الـــصعودِ	حتـــى انتهـــوا لمنتهـــى الحـــدودِ
وبعـــد حمـــدي للإلـــه أشـــهدُ	أن إلهـــاً غيـــرَه لا يُعبـــدُ
وأن خيـــرَ الأنبيـــا محمـــدًا	رسولُه الـداعي إلـى نهـجِ الهـدى

أفصحُ من أعربَ باللسانِ ... وشادَ باللفظ بنا المعاني

إرشادُه لأوضحِ المسالكْ ... دلَّ على التسهيلِ كلَّ سالكْ

صلَّى عليه ربُّنا وسلَّما ... وآلهِ والصحبِ أنجمِ السما

ما زين الحفاظ أفقَ العلم ... ولاحَ منهم نجمُ فهمِ

وبعدُ فالعلمُ له مقامُ ... تعرفُه الخواصُّ والعوامُّ

دل على تفضيله البرهانُ ... وسنةُ النبي والقرآنُ

هل يستوي الذينَ يعلمونَ ... وعصبةٌ بالعلم جهلونا(1)

لا تدعُ إلا العُلَما أُناسا ... بغيرِهم لا ترفعَنَّ راسا

هم وارثو ما خَلَّفته الأنبيا ... فهم بذاك الإرثِ أَغنى الأغنيا

صغيرُهم حازَ التقى والدِّينا ... كيف الذي أكملَ أربعينا

طريقُهم إلى الجنان سالكَهْ ... مهادُها أجنحةُ الملائكَهْ

تدعو لهم صوامتُ الحيتانِ ... وسائرُ الوحوشِ بالغفرانِ

فكلُّ مَنْ بالعلم قد تزَيَّنا ... قد عَمَّه وخصَّه هذا الهنا

وأنَّ مِمَّنْ سامَ هذي الرتبهْ ... ونحوَها سار أمامَ الحَلْبَهْ

مقتفياً له أباً وجدَّا ... إلى المعالي شَمَّرا وجَدَّا

الولدَ الموفَّقْ النجيبْ ... اللوذعيَّ الفَطِنَ اللبيبْ

وهو الذي قد عُرفت حقائقُهْ ... في عينه وشيم منه بارقُهْ

نَما هلالُه نموًّا قائلا ... سوف ترون البدرَ مني كاملا

---

(1) في الأصل: يجهلون، وكتب على الهامش: جهلونا.

قــد فــاقَ فــي ابتدائــه الأبنــاءَ لمــا اقتفــى فــي ســره الآبــاءَ

ســـــلالةُ الأئمـــــةِ العظـــــامِ قــدوةُ أهــلِ المــسجدِ الحــرامِ

بهــم قــديماً أشــرقَتْ أقطــارُهُ هــم خطبــاؤه وهــم نُظَّــارُهُ

وهــم قــضاتُه وهــو مفتــوه وعـــالموه ومدرِّســـوهُ

مقـــامُهم رفعتُـــه معلومَـــهْ وبيـــنَهم شـــهرتُه عظيمـــهْ

كــلُّ رياســـةٍ بـــه فعـــنهمُ مـــأخوذةٌ وتُـــستفاد مـــنهمُ

شــيد هــذا البيــتَ إبــراهيمُ وهــو الــذي بَــشَّره العلــيمُ

بأنــــه جاعلُــــه إمامـــا ينـوي بــه أهــلُ التقــى إئتمامـا

مقتــديًا فــي هـــذه الإمامَـــهْ بالقـــدوة العَلاَّمـــة الفهَّامَـــهْ

أبيـــه ذي الهمـــةِ والمـــروَّهْ والعـــزمِ والنجـــدةِ والفتـــوَّهْ

واسـطةِ العقـدِ الـذي قـد انـتظَمْ ممـن لـه فـي العلـم بـاعٌ وقَـدَمْ

صـدرِ المدرِّسـين رأسِ الفُـضَلا إنـسانِ عـينِ النـبلاءِ العُقَـلا

قـد كـان عمْـر الله فـي الحجـازِ بقيـــةٌ مـــن ذلـــك الطـــرازِ

مرجـعَ أهــلِ البلــدِ الأمــينِ أعنــي أبــا الــيُمْنِ أمـينَ الـدينِ

إمــامَ بيــتِ ربِّــنا الجليــلِ خلــفَ مقــامِ الــسيدِ الخليــلِ

الـــشافعيِّ الأشـــعريِّ المَكِّـــي الطبـــريِّ ذي الثنـــاء المِـــسْكي

يرحمـــه اللهُ ويُبقـــي نجلَـــهُ فرعًـا يُـضاهي فـي النمـو أصـلَهُ

وإننـي أرجـوه يُحيـى المَيْتـا مـــن أقدميـــه ويُـــشيد البيتـــا

ومـــا أشـــكُّ أنـــه قـــد لُحِظـــا فإنـــه أتقـــنَ مـــا قـــد حُفِظـــا

مــن كتــب نفيــسةٍ مفيــدةِ ... جامعـــةٍ مـــوجزةٍ فريـــدةِ

«الأربعين» فـي الحـديث النبوي ... جمـعِ محقِّـقِ العلـوم النـووي

ثــم «عقائــد الإمــام النــسفي» ... خاتمـــةِ المحققـــين الحنفـــي

والثالث «البهجـةُ لابـن الـوردي» ... نــادرةِ العــصرِ الإمــامِ الفــردِ

وبعدَها «الحدود في النحو» لمـن ... جَمَّــلَ قطرَنــا وزَيَّــنَ الــزمنْ

صدرِ الدروسِ ذي التصانيفِ التي ... ســارت مــسيرَ الــشمسِ المنيــرةِ

صاحبِنا الـسامي عـن المُضاهي ... الفــاكهيِّ الــشيخِ عبــدِالله

جُوزوا جميعاً أحسنَ الجـزاء عـن ... مـا قَلَّـدوا بـه الرقـابَ مـن مِـنَنْ

وقــد بلــوتُ حفظَــه إذ عَرَضــا ... علـيَّ منهـا مـا أصـابَ الغرضـا

وكــان حفظًــا جيــدًا أو عَرْضــا ... عنــه جميـعُ الـسامعين يرضـى

أداّه عــن رويّــةٍ وعارضَــهْ ... لكــل تحريــفٍ ولحــنٍ رافـضَهْ

بمنطِــقٍ عــذبٍ ولفــظٍ جَــزْلِ ... وحُــسْنِ ســمتٍ ووُفــور عقــلِ

فــي طلــقٍ طــال امتــدادُ ركــضهِ ... فلم يقصِّرْ بل جرى فـي عرضِــهِ

وانـصبَّ كـالجوادِ فـي مـضمارِه ... وانسابَ مثلَ السيل فـي انحـدارِهِ

دلنــي العــرضُ بهــذي الــصورهْ ... لجملــةِ المواضــعِ المــذكورَهْ

أنَّ جميــعَ الكتــبِ المــسميّهْ ... فــي ذهنــه محفوظــةُ البقيــهْ

وقـــد أجزتُـــه أَقَـــرَّ اللهُ ... بــه عيــونَ أســرةٍ تهــواهُ

عَنِّـيَ يـروي الكتبَ الزهـرَ التـي ... بحفظِهــا نــالَ رفيــعَ الرتبــةِ

وكــلَّ مــا عنِّــي ولــي روايتُــهْ ... تجــوز ممــا طُلبــت إفادتُــهْ

وكــلَّ منثــورٍ وكــلَّ نَظْــمِ بــشرطِه عنــدَ رجــالِ العلــمِ
وربُّنــا المــسؤول أن يؤهِّلَــهْ لفهــم مـا فـي حفظـه قـد حـصَّلَهْ
وكـان هـذا العـرضُ فـي شـعبانِ فـي عـشرِهِ الأخيـرِ أو فـي الثـاني
في عام خمسين وتسع قـد خلـتْ معهـا مـن المئـين تـسعٌ كَمُلَـتْ
الله يَقــضيها بخيــر ورَقَــمْ ذلــك مــن دُرٍّ عقــدٍ نظــمْ
الملتجــي للــركن والملتَــزَمِ عبــدُ العزيــز العلــيُّ الزمزمــي
ســامحه إلهــه ولَطَفــا بــه وعــن كــلٍّ ذنوبــه عفــا
ووالديــه والــشيوخِ أجمعــا والمــسلمين وانتهـى هنـا الـدُّعا
علــى النبــيِّ المــصطفى والآل وصَــحْبه ســادتِنا المــوالي
مــا اشــتدَّ أَزْرُ فــاهمٍ بحفــظ وأفــزّ عــن معنـى كمـام لفـظِ

وعدة أبياتها تسعة وسبعون، ومن غريب الاتفاق: أن صاحب الترجمة دفـع هذه الإجـازة إلي في أول العام الـذي توفي فيـه، فأشرفتها على بعض الأصحاب، فقرأها، ونظر إلى ما كتبه الناظم بعدها، وهو قوله: «عدة أبياتها تسعة وسبعون»، فقال: يحتمل أن يكون فيه إشارةٌ إلى أن المُجاز يعيش تسعاً وسبعين سنةً، فاتفق أن كان الأمر كذلك. انتهى.

[٦٤٠] إبراهيم أبو الإمداد اللقاني ـ رحمه الله ـ ابن إبراهيم بن حسن ابن علي بن علي بن علي بن عبد القدوس ابن الولي الشهير محمد بن هارون المترجم في «طبقات سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني»[1].

---

(١) «عقـد الجواهـر والدرر» للشلي (٢٣٠)، «خلاصة الأثـر» للمحبي (١/ ٦)، =

وهو الذي كان يقوم لوالد سيدي إبراهيم الدسوقي إذا مرّ عليه، ويقول في ظهره: ولي يبلغ صيته المشرق والمغرب.

واللقاني: نسبة إلى «لقانة» ـ بتخفيف القاف ـ بالبحيرة من أعمال مصر، وليس هو من لقانة، وإنما هو من قريةٍ صغيرةٍ بجوارها، قيل: تسمى: المعصرة.

قدم من الريف للجامع الأزهر، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة، وهو إمام الزمان، وفريد الأوان، المالكي شيخ البرقوقية، وشيخ الحديث في القديم والحديث، بل خاتمة المحدثين، وسيد الفقهاء والمتكلمين، وإمام الأئمة، وموضح المشكلات المدلهمة.

كان ﷺ شيخاً كبيراً، عظيم القدر مشهوراً، مسموع القول في طائفة العلماء، مهاباً عند السلاطين والوزراء، يأتونه إلى مكانه خاضعين له، مقبِّلين لأقدامه، وهو غير مكترث بهم، ولا ملتفت إليهم، وكانت ورقته إليهم لا تزيد على الكف، سواء كانت لكبيرٍ أو صغير.

انتهت إليه في عصره رياسة العلم، ووصل إلى الغاية القصوى في العلوم الدينية، والفنون العقلية، ولم يقاربه أحدٌ في ذلك من أهل مصره؛ من الورع التام، والسلوك مسلك السلف الصالح الكرام، وغلب عليه علم الحديث، فكان ديدَنه، لا ينفك عن إقراء كتبه، وإملاء صحاحه، والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير.

وأوقاته كلها مستغرقة بالعلم، يكتب بخطه كثيراً مع السرعة، وإن كان

= «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٢٩٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٨).

خطه ضعيفاً، لكنه ذو حظٍّ عظيمٍ، ولم يكن أحد من علماء عصره أكثر تلامذة منه، وكان مفرداً في التقرير، وحسن الإلقاء حفظاً، وعبارته أمتن من كتابته، يفهم منـه العـوام، كمـا يفهم منـه الخواص، وانتفع به في الحديث خلائق لا يحصون، وكان في فقه مالك أكرم سيدٍ مالك، حافظاً «مختصر خليل» عن ظهر قلب، عمدةً في الفتاوى، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، غايةً في علوم الطريقة، معتقداً للصوفية، ومعتقداً لخاصة الناس وعامتهم، محبوباً لهم، وله كراماتٌ خارقةٌ، ومكاشفاتٌ صادقةٌ.

وكان ينسب هو وقبيلته إلى الشرف، لكنه لا يُظهره تواضعاً منه، واكتفاءً بشرف العلم الذي لا يوازيـه شيء، وكان لا يشرب القهـوة، وقائلاً بتحريم الدخان، وله فيه رسالةٌ أحسنَ فيها كلَّ الإحسان، وتعقبه فيها جمعٌ من أهل عصره، منهم: النور علي الأجهوري، فألف رسالتين بالجواز، ومنهم: الإمام عبد القادر الطبري المكي، وإذا مر في السوق في الوقت الذي يخرج فيه من بيتـه إلى الجامع الأزهر، يخفيـه بياعوه عنـد مروره خوفاً منـه، وقام الناس له صفوفاً.

وكان متباعداً عن الناس، لا يأتي الجامـع إلا في وقـت الدرس، قال الشيخ أبو الإسعاد بن وفا: عاش وحده، ومات وحده، وكان حسن الصورة جداً، وجيهاً مهاباً، لا يستطيع أحدٌ النظر إليه، هذا مع زيادة تواضعه، وهو ممن أقام في عصره دولـة العلم، وصانـه عن الابتذال، وخضعت له فحول الرجال، وعلى كل حال، فمناقبه وفضائله عدد الرمال، وإن تبسط فيه المقال.

أخبرني شيخنا أحمد البشبيشي ـ قدس الله روحه ـ: أن مما اتفق: أن الشيخ العلامة حجازي الواعظ وقف يوماً على درسه، فقال له صاحب الترجمة:

يا سيدي! إما أن تذهب، أو تجلس، فقال له: اصبر ساعة، ثم قال له: والله يا إبراهيم! ما وقفت على درسك، إلا وقد رأيت رسول الله ﷺ واقفاً عليه، وهو يسمعك، فوقفت حتى ذهب ﷺ[1].

وقد وقفت على إجازةٍ منه لأولاد الشيخ العارف بالله سيدي علي بهلول المغربي، ولأهل قطرهم، قال فيها: اعلم أني أدركت من علماء القرن العاشر أكابر ثقات، وأجلاء أثبات، أجلُّهم: علامة الإسلام، والمقدم على الخاص والعام، ولي الله بلا نـزاع، والعارف بـه من غير دفاع، شمس الملة والدين محمد البكري الصديقي ـ نفعنا الله ببركاته ـ.

ومنهم: الشيخ العلامة شيخ الإسلام محمد ابن شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الرملي.

ومنهم: العلامة شيخ الإسلام نور الدين علي المقدسي.

ومنهم: العلامة شيخ الإسلام محمد النحريري.

الأولان شافعيان، والآخران حنفيان.

ومنهم: شيخنا العلامة شيخ الإسلام الشيخ محمد الخفاجي الشافعي.

ومنهم: شيخ الإسلام العلامة الفهامة، الولي الخاشع، الشفوق الرحيم، المبتلى بالأمراض والأسقام، الشيخ أبو بكر الشنواني الرفاعي الشافعي.

ومنهم: الشيخ العمدة الرحلة العلامـة شيخ الإسلام الشيخ أبو النصر الطبلاوي.

---

(١) رحم الله المصنف وغفر له في ذكر هذه الحكايات في كتابه.

ومنهم: الشيخ العلامة الشيخ، محمد العسيلي.

ومنهم: الشيخ العلامة الشيخ محمد الجبرتي.

ومنهم: الشيخ العلامة محمد البهنسي الشافعي نزيل الحرم المكي.

ومنهم: الشيخ العلامة أحمد الخطيب الشربيني.

ومنهم: الشيخ العلامة عبد الرحمن الشربيني.

ومنهم: الشيخ العلامة أبو الطيب الشربيني.

ومنهم: الشيخ العلامة نور الدين الزيادي.

ومنهم: الشيخ العلامة عمر بن الجابي الحنفي.

ومنهم: الشيخ العلامة أحمد السنهوري المالكي.

ومنهم: الشيخ العلامة طه المالكي.

ومنهم: الشيخ العلامة أحمد المعناوي.

ومنهم: الشيخ العلامة جامع الدميري، أخو الشيخ أبي الفتح الدميري.

ومنهم: الشيخ العلامة عبد الدائم البقري.

ومنهم: الشيخ العلامة العارف بالله، ووليه الدال عليه، القطب الرباني، محمد البنوفري.

ومنهم: الشيخ العلامة إبراهيم العلقمي، أخو الشيخ شمس الدين العلقمي، شارح «الجامع الصغير».

ومنهم: الشيخ عبدالله الشنشوري، شارح «الترتيب».

ومنهم: الشيخ صالح البلقيني.

ومنهم: الشيخ أبو المحاسن.

ومنهم: الشيخ أحمد الزرقاني.

ومنهم: الشيخ أحمد البلقيني الوزري.

ومنهم: الشيخ محمد بن الترجمان.

وكل هؤلاء، وغيرهم كثير، تعلم أسماؤهم من الجزء الذي ألفته في مشيختي، المسمى بـ: «نشر المآثر فيمن أدركته من علماء القرن العاشر» ممن أخذت عنه تفسيراً أو حديثاً، أو فقهاً أو أصولاً، أو كلاماً أو تصوفاً، أو نحواً أو صرفاً، أو معاني أو بياناً، أو بديعاً أو عروضاً، أو فرائض أو تاريخاً، أو حكمةً أو هيئةً، أو منطقاً أو لغةً، كما يُعلم تفصيل ذلك من الجزء المذكور.

ولكن لم أكثر عن أحدٍ منهم ما أكثرتُ عن الإمام العلامة الهمام، نجم السنة، حسين الأفول، الجامع بين المعقول والمنقول، شيخ الإسلام سالم السنهوري، ويليه الشيخ محمد البهنسي؛ لأنه كان كل ثلاث سنين، يختم كتاباً من أمهات الحديث، في رجب وشعبان ورمضان، ليلاً ونهاراً، ويليه شيخ الإسلام يحيى القرافي، إمام الناس في الحديث، إتقاناً وتحريراً، شيخ رواق ابن معمر بالجامع الأزهر.

ثم ذكر مؤلفاته، فقال:

منها: حاشيته على شرح السعد لعقائد النسفي التي سميتها بـ: «تعليق الفرائد على شرح العقائد».

ومنها: «شروحي الثلاثة لجوهرة التوحيد» التي أنشأتها نظماً، في ليلةٍ، بإشارة شيخي في التصوف والتربية، الولي صاحب المكاشفات، وخوارق

العادات، الشيخ أحمد الشرنوبي ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ، وأوصاني لما فرغت منها، وهو قائمٌ يصلي، بأني لا أعتذر لأحدٍ عن ذنبٍ أو عيبٍ بلغه عني، بل أعترف بـه، وأظهر التصديق، على طريق التوريـة؛ تركاً لتزكية النفس، فما خالفته بعد ذلك أبداً.

ومنها: «حاشية على شرح ابن حجر العسقلاني لنخبة الفكر في مصطلح الأثر».

ومنها: «منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى».

ومنها: «عقد الجمان في مسائل حملاء الضمان».

ومنها: «حاشية تصريف العزي لسعد الدين التفتازاني».

ومنها: «نصيحة الإخوان بترك شرب الدخان».

ومنها: شرح الآجرومية المسمى: «توضيح ألفاظ الآجرومية الموضوعة للتدرب في علم العربية».

ومنها: «بهجة المحافل بالتعريف برجال الشمائل». انتهى.

قلت: وله «حاشيةٌ على شرح جامع الجوامع» لم تتم، و«حاشيةٌ على مختصر خليل» في الفقه مفيدةٌ جداً، ولما طالع شيخنا أحمد البشبيشي حاشيته على شرح النخبة، أعجبته كثيراً، وقال لي: إني ما عرفت قـوة مهارتـه في العلوم، ودقة نظره فيها، إلا من هذه الحاشية؛ لما فيها من غريب الفوائد، وكان يحث طلبته على تحصيلها.

وممن أخذ عنه: ولده عبد السلام، والعلامة يوسف الفيشي، وحسن النماوي، وحسين الخفـاجي، وياسين الحمصي، ومحمـد البابلي، وعلي

الشبراملسي، ومحمد الخرشي، وعبد المعطي المالكي.

وأخبرنا شيخنا إبراهيم الميموني ـ رحمه الله ـ: أنه حج سنة أربعين وألف، وكان في تلك السنة صاحبُ الترجمة حاجاً، قال: فلما قدمنا مكة، جاء العلماء يهرعون للسلام عليه، والتماس بركته، فكان إذا سئل عن شيء مما يتعلق بالبيت الحرام أو مكة، يقول لهم: اسألوا مولانا، ويشير إليّ، ويقول: إن له في ذلك تأليفاً عجيباً، يعني: كتابي الذي ألفته لما سقط البيت الشريف، في حكم بنائه وما يتعلق به.

قال: فلما وصلنا إلى المدينة المشرفة، دخلت المسجد النبوي يوم الجمعة، فوجدت الزحام، فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً، هل أرى موضعاً أجلس فيه، وكان المترجم سبقني إلى المسجد، فلما رآني، أشار إليّ، فجئت إليه، ففسح لي بينه وبين ولده عبد السلام، وأجلسني بإزائه، فلما اطمأن بنا المجلس، سألته الدعاء لي ولأولادي، أن يسلمنا الله، ويبلغنا الوصول إلى بلدنا، فقال لي: أما أنت، فترجع سالماً وأولادك، وأما أنا، فأموت، فقلت له: يا سيدي! هذه حضرة الرسالة، ادعُ الله أن يبلغك إلى أهلك، فقال: لهذا خرجت.

ولما اشتد به المرض في الدرب، وكان لا يستطيع الركوب، جاؤوه بمحفةٍ ليركب فيها، فلما رآها، تذكَّر ما كان يقول له بعض أهل الجذب بمصر، وكان يقف عنده في مجلس تدريسه، ويقول: يا إبراهيم! إذا حججت وركبت في محفةٍ، فإنك تموت، فارتاع عند رؤيته لذلك، ولم يمكنه إلا الركوب؛ للمشقة التي لحقته، وكان مرضه يبس الطبيعة.

قال: ولما مات من الليل، انقضَّ من السماء كوكبٌ عظيمٌ أفزع الناس،

فكبّروا، فبينما نحن كذلك، إذ[1] سمعنا قائلاً يقـول: مات الشيخ اللقاني، وكانت وفاته بالشرفة، في رجوعه من ثاني حجتيه، ليلة الاثنين، ودفن بعد ظهر يومها، بعقبة أيلة، ختام شهر محرم، افتتاح سنة إحدى وأربعين بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس الشيخ أبو الإسعاد بن وفا، وحضر غالب أهل الحج وأعيانهم مشهده، وحمل نعشه أمير الحج رضوان بك، وقبره بها معروف، يزوره الحجاج، ويتبركون به، رحم الله روحه الطاهرة، وألحقنا به في درجات الآخرة.

[٦٤١] إبراهيم بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الرحمن الميموني الشافعي[2].

الشيخ الإمام، العلامة الفهامـة المحقـق، شيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، وخاتمة المحققين، كان فريد عصره في علوم التفسير والعربية، حافظاً مفنناً متضلعاً من العلوم العقلية، مشهوراً بالعلم عند الكبراء، خصوصاً القضاة وأرباب الدولة، مترفهاً في عيشه، كريم النفس، رقيق الطبع، حسن الخَلق والخُلق، فصيح اللسان، وجيهاً مجللاً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة.

وإذا حضر مجلساً فيه علماء، يكون هو المتكلم من بينهم، والمشار إليه فيهم، وكانت قضـاة العساكر بمصر، إذا عرض لهم مهمٌّ من سؤال علمي، خصوصاً التفسير، سألوه، فيجيبهم عن سؤالهم، ويؤلف في غالب المسائل

---

(١) في الأصل: إذا، والصواب ما أثبتناه.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

رسائل مفيدة، وكان ممن جمع الله له حسن التقرير، وتحبير التأليف والتحرير، إلى غير ذلك من الكمالات العلمية.

ولد سنة إحدى وتسعين وتسع مئة ـ بتقديم التاء فيهما ـ بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، على سيف الدين البصير المقري، ولازم والده، وأخذ من علومه طريفَه وتالدَه، سنين عديدة، وكان يحضر معه ـ وهو صغير ـ دروس الشمس محمد الرملي، وأجازه بمروياته، وأخذ عن أبي بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، ومنصور الطبلاوي، وأحمد المتبولي شارح «الجامع الصغير»، وغيرهم، وأجازه جل شيوخه، وشهدوا له بكمال الفضيلة، كما رأيت ذلك بخط بعض شيوخه.

وكان يدرِّس في الجامع الأزهر فنونَ العلوم العربية، وممن حضر مجلسه في بعض «المختصر للسعد»: شيخُنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وكان المترجَم يفتخر بذلك، ثم وقع بينهما ما يقع بين المتعاصرين، وكان ـ في الغالب ـ ينكت على شيخنا.

وقد قال الحافظ ابن حجر: قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، قال: وما علمت عصراً سلم أهله من ذلك.

وممن لازمه، وأكثر الأخذ عنه: شيخنا خاتمة اللغويين والأدباء، عبد القادر البغدادي، وفقيه الحنفية في عصره، شاهين الأرمناوي.

ثم ترك التدريس في الجامع الأزهر؛ لكبره، وصار يقرئ في بيته، عند حوض السلطان، بقرب الجامع الأزهر، كل يوم، من طلوع الشمس إلى قبيل الظهر، فنونَ العلوم، وكان ملازماً للمطالعة في الليل والنهار، مع كبر سنه،

وكان له ولدٌ فاضلٌ اسمه أحمد، وهو معيد درسه، مات قبله بنحو ثلاثة أشهر، وجزع عليه كثيراً، وكان بيني وبينه مودةٌ شديدةٌ، وصحبةٌ أكيدةٌ، وحضرت مع من حضرني، مجلس التعزية، فخاطبني متوجعاً ومنشداً قول المتنبي:

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وجدَتْ　　لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

وحضرت دروسه كثيراً، وكان يدعو لي، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل في فنون العلوم شهيرة، منها: «حاشيةٌ على المواهب اللدنية للقسطلاني»، و«حاشيةٌ على المختصر للسعد»، و«حاشيةٌ على تفسير البيضاوي»، و«معراجٌ» في مجلدٍ ضخم.

واستمر ممتعاً بحواسه، مجداً في بث العلم ونشره، حتى توفي ليلة الثلاثاء، ثامن عشر شهر رمضان، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، وصلى عليه يومها بين العصرين، في مشهدٍ حافلٍ بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، شيخُنا منصور الطوخي، ودفن بتربة المجاورين.

والميموني: نسبة لميمون من بلاد صعيد مصر.

ولما قدم العلامة عبدالله بن محمد العياشي من المغرب، لازمه، وأخذ عنه، وكتب له مهنئاً بعيد الفطر قوله:

سلام عليكم أيها الأوحدُ الصدرُ　　ومن شرفت قدرًا بتشريفه مصرُ

ومن أشرقت شرقًا وغربًا علومه　　فكان له في نشرها الصيتُ والأجرُ

ومَنْ إن يُقَس أهلُ العلوم به غدوا　　كنجم السهى في جَنبه وَهُوَ البدرُ

يدل على هذا ذكاءٌ وفطنةٌ　　وعلم وحلم والمهابةُ والصبرُ

له إلى غير هذا من خصالٍ حميدةٍ سواها وما قدَّمتُ منها هـو النَّـزْرُ

فـأكرمْ بـإبراهيمَ أَفـضلِ مَـنْ عـلا عَلِـيَّ مقـامٍ قـد أحـاط بـه الفخـرُ

إمامي أبي إسحاق خيـرِ مـشايخي علا قدره في عصره مـن لـه قـدر

أيا شيخ الاسلام الـذي عَـزَّ مثلُـه علوتَ مقاماً شـامخًا دونـه النَّـسْرُ

هنيئاً لك العيـد الـسعيد ومـثلُكم تُهَنَّى بـه الأعيـادُ والعـامُ والـشهرُ

فـلا زلـتَ ذا أمـنٍ يـسرُّك دائمًـا ويعلـو محيـاك المهابـةُ والبِــشْرُ

وأبقـــاك ربـــي كعبـــةً لعبـــادِه يطوف بها مَن مَسَّه الجهلُ والفقـرُ

وعافاكَ في أهلٍ وجسمٍ وكلِّ مَـن يلوذُ بكم من شرٍّ ما يجلبُ الـدهرُ

وذكره الشيخ عبدالله المذكور في «رحلته»، فقال: إنه ممن انفرد بتحقيق فني المعاني والبيـان، بالديـار المصريـة، بل في غيرهـا، على ما شهـد بـه الاختبار، وصدقته الأخبار، يستحضر قواعد الفن وأصولـه، محققاً فروعه وفصوله، قلما يورد بحثاً من الأبحاث المتعلقة بذلك، إلا وقال: أصل هذا البحث لفلان، وقد عارضه فلان، والتحقيق مع فلان، منصوراً ذلك بالبراهين الساطعة، والأدلة القاطعة.

أخبرني في سنة أربع وستين، وقد جرى ذكر هذا الفن بين يديه، فقلت له: هل يشتغل أحدٌ في هذه الديار الآن بقراءة «شرح المفتاح»؟ فقال ـ وأخذ بلحيته ـ: ما أشابَ هذه اللحيـةَ، إلا التوفيقُ بين شرحَي السيد والسعد على المفتاح، وكان ذلك حيث القلوب من الأكدار صافية، وبرودُ الاشتغال ضافية، وأما الآن، فقصارى همة من يتعاطى هذا الفن، «مختصر السعد»، وما يشاكله من المختصرات.

فقلت له: وأي كتاب ترى لطالب تحصيل هذا الفن الاشتغال به؟ فقال لي: لا شك أن درر هذا الفن كانت منتشرة في تآليف الأقدمين، فقَصُرت عن تناولها أيدي المنتحلين، فلما جاء صاحب «المفتاح»، جمع من تلك الدرر كل يتيمةٍ علت قدراً، وغلت قيمةً، وأضاف إليها مما ارتضاه شيئاً كثيراً، ولم يغفل من المحتاج إليه إلا شيئاً يسيراً.

فتنافس الناس بعده في شرح كتابه، وحلِّ مقفلات عباراته، واختلفت أنظارهم، وتباينت مذاهبهم، ثم اختصره القزويني، وأوضح مختصره بـ: «الإيضاح»، فكثر ـ أيضاً ـ شارحوه، فلما جاء المولى سعد الدين ـ رحمه الله تعالى ـ، ضرب تلك التآليف كلها بعضها ببعض، واستخرج من زبدها ـ بعدَ التمخيض ـ خالصَ المخض، فأودع ذلك في كتابه «المطول»، فهو نتيجة آراء المتقدمين، وزبدة أنظار فحول المتأخرين.

فالمبرز في هذا الفن اليوم: من يحقق أبحاثه، ويدقق النظر في أنظاره، وقد أكثر الناس من الحواشي عليه، والحواشي على الحواشي، و«الشرح الأطول» للملا عصام الدين جامعٌ لغالب النكت التي تضمنتها تلك الحواشي، مع زيادة تحقيق، وتبيين وتدقيق.

هذا زبدة معنى كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو مما يدلك على أنه صيرفيُّ نقود هذا الفن، وإمام أهل هذه الصنعة بالتحقيق لا بالظن، فكيف لا، وهو المرجع إليه، في بيان مشكلاته، وحل مقفَلاته.

ومما يدل على ما ذكرنا من انفراد شيخنا بتحقيق هذا العلم: أني كنت رأيت قبل هذا بأرض المغرب، عند أخينا الفقيه النبيه سيدي أبي عبدالله محمد

المنقوشي ـ جدد الله عليه ملابس غفرانه، وأحله دار رضوانه ـ مجموعاً بخطٍّ مشرقي، كـان في الأصل ملكاً للشيخ ياسين الحمصي، مشتملاً على أسئلة وأجوبة في فنون شتى.

ومن جملتها: سؤالٌ مكتوبٌ في أوله: سؤالٌ من الشيخ الإمام العالم المحقق أبي العباس شهاب الدين أحمـد الغنيمي، للشيخ العلامـة الدراكـة المحقق أبي إسحاق إبراهيم الميموني، ثم ساق الجواب إلى آخـره، معزوّاً للمسؤول المذكور، مشتملاً على تحقيق وتدقيق، فكنت أتوقف أنا وصاحبنا المذكور في كون المجيب المسؤول هو: شيخنا هذا؛ لما عُلم من جلالة الشيخ الغنيمي، وقوة عارضته في العلوم، سيما المعقولية، مع تقدم زمانه؛ بحيث يكون شيخنا في عداد تلامذته.

ولم يزل في نفسي من ذلك شيء، إلى أن لقيت الشيخ ـ أمتع الله ببقائه ـ، وجرى في المجلس ذكر ما أشبه، فسألته عن السؤال والجواب، فقال لي: إن ذلك صحيح، وقال: إن الشيخ الغنيمي كان يجلني كثيراً، وكان ـ مع تبحره في العلوم، وجودة قريحته في الفهوم ـ إذا وقع محل تدريسه بحثٌ أو إشكالٌ بما ينحو منحى هذه العلوم، كتب إليّ بذلك، فأجيبه مما عندي، فيستحسن ذلك، وهذا شاهد صدقٍ فيما نسبنـاه لشيخنا من التحقيق؛ إذ كل من ينسب إلى التحقيق ـ في غالب العلوم اليوم بمصر ـ يتبجح بكونه من تلامذة الشيخ الغنيمي، وشيخنا إليه يرجع الغنيمي في حل المشكلات.

وقد حكى لي شيخنا حكايات كثيرة من أخبار الشيخ الغنيمي، وذهابه إلى الروم ورجوعـه وما وقع لـه من المحن، وذكر أنه اختلط في آخر عمره ـ رضي الله عن جميعهم، وأرضاهم، ونفعنا بهم، وأتحفنا برضاهم ـ.

لطيفة: حكى لنا في مجلس تدريسه: أن الشيخ العلامة سعد الدين لما ألفّ كتابه «المطول»، وكان ـ كما ذكر في الخطبة ـ على حالٍ ضيقٍ من معيشته، وقلة ذات اليـد، مع شدة الاحتياج إلى ما يقيم بـه أوده، ذهب بالكتاب إلى الأمير المذكور في الخطبة، رجاء أن يحصّل من جانبه ما يستعين به على دهره، وكان عند الأمير خوجةٌ له خبرة بهذا العلم، وهو من خواص الأمير، فخشي العلامة سعد الدين إن قدم الكتاب للأمير مع حضور الخوجة، أن يصرف وجه الأمير عنه، ويطعن في كتابه؛ لما علم مما يكون بين أرباب الصنعة الواحدة، فجعل يرتقب غيبة الخوجة بسفر، أو عرض، أو موت.

إلى أن حصل للخوجة عارض مرضٍ، فاغتنم[1] العلامة السعد ذلك، ودخل على الأمير، وأحضر الكتاب بين يديه، ففرح الأمير، وقال: أرسلوا للخوجة ليحضر الآن، حتى ينظر في هذا الكتاب، فسُقط في يد السعد؛ لما كان يخشى من جانبه؛ من الطعن عليـه، والإزراء بكتابه، فلما جاءه، ونظر الكتاب، طار به فرحاً، وبالغ في الثناء عليه، وعلى مؤلفه، وقام وقبل يد الشيخ سعد الدين، وقال للأمير: لو لم يكن في سلطنتك من المفاخر والمناقب، إلا قدومُ هذا الشيخ لحضرتك، وكونُ هذا الكتاب برسمك، وقد كنت هممتُ أن أطلب منكم الإجازة في الذهاب إلى هذا الشيخ، والأخذ عنه، ومن سعادة دولتكم أشخصه الله إلينا.

قال: فجاءت المنن من حيث تخشى المحن، وبالغ الأمير في تعظيمه، والإنعام عليه.

---

(١) في الأصل: اغتنم.

وقد حصلت للشيخ سعد الدين آخراً حظوةٌ عظيمةٌ، ورياسةٌ كبيرةٌ، عند أمراء العجم بأصفهان وخراسان، وسائر بلاد عراق العجم، فصارت عتبته ملتأم أكابر علماء تلك الديار، وشُدَّت إليه الرحال، وصارت له دنيا عريضة، بعد أن كانت حاله أولاً على الضد من ذلك، وتلك سنة الله تعالى في حملة العلم الشريف، وإن ضيق عليهم أولاً، فمآل أمرهم ـ سيما إن خلصت منهم النيات فيما حملوا، وعملوا بما علموا ـ إلى التعظيم والتوقير، وحسن الحال في المآل.

لطيفة: وسمعت منه ـ أيضًا ـ في مجلس تدريسه: أن العلامة ناصر الدين البيضاوي ـ قدس الله سره ـ لما ألفّ تفسيره المشهور، وأكمله، ذهب به إلى السلطان ببغداد، فمر بطريقه بقريةٍ فيها بعض المشايخ، فنزل عنده، وأضافه، وجلس يتحدث معه، إلى أن قال: أين قصدك؟ قال: إلى بغداد، قال: وما تريد منها؟ قال: صنفت تفسيراً بذلت المجهود في تنقيحه وتهذيبه، ولي بنات قد أدركْنَ، فاحتجن إلى تجهيزهن، ولا مال لي، فأردت أن أذهب إلى الملك، عسى أن يحصل لي من عنده ما استعين به في جهازهن، فقال له ذلك الشيخ: بم فسرت قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؟ قال: فسرته بأنا لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، فقال له: كيف تستعين بغيره؟! فأثر كلامه في قلب البيضاوي، وتنبه، ورجع من حيث جاء، ولم يذهب إلى بغداد، فمن أجل ذلك وضع الله القبول على كتابه، فانثال العلماء من كل جهةٍ يأخذونه عنه، وحصل له نفعٌ كبيرٌ. وقال:

لطيفة: سألت شيخنا الميموني: متى انقطعت الخلافة العباسية من مصر؟ إذ لم أر ذلك مع البحث عنه في مظانه، فقال لي: لما دخل بنو عثمان

مصر، أمر السلطان سليم بقتل من فيها من الخلفاء وأرباب الطوائف؛ كمشايخ الرفاعية والبدوية؛ لأن الغوري لما خرج لقتاله، أخرج معه الخليفة والعلماء والصلحاء، يستنصر بهم عليه، فلما دخلها، قتل كثيراً منهم، حتى المجاذيب.

قلت: وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته»: أن السلطان لما دخل مصر، قتل كثيراً ممن فيها من المجاذيب وأرباب الأحوال، وذكر عن بعض أهل الأحوال: أنه كان يخبر بذلك قبل وقوعه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨]، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة: ١٧].

ولله في ذلك سرٌّ لطيفٌ يعلمه أهل البصائر، زائد على امتنانه على أوليائه بمرتبة الشهادة ونيل السعادة، وقد خلف هؤلاء المشايخ بعد قتلهم من هو في مثل حالهم ومقامهم، وثابت على أقدامهم، فلم تنقطع ـ والحمد لله ـ الوراثة المحمدية، ولا الخلافة الباطنة بموت من مات منهم، وليس لما تبني يد الله هادم.

فقد ذكر سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «لواقح الأنوار» ممن بقي بمصر بعد ما قتل أولئك جماعةً كثيرةً، تقر بهم عين كل مؤمن بطريقهم، متبع لفريقهم، من صُحاة ومجاذيب أصحاب أحوال وتصريف عظيم، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الجمعة: ٤]، وقال:

لطيفة: لما سقط جانب من البيت الحرام، في سنة تسع وثلاثين، واحتيج إلى تجديد بنائه، كُتب إلى مصر استفتاءٌ في أمورٍ كثيرةٍ، تتعلق بالبيت

العتيق، وإنقاضه وتجديد ما سقط منه، أو بنائه من أصله، ومن يتولى بناءه، وبأي مال يبنى، وهل يبادر إلى ذلك، أو ينتظر إذن السلطان؟ إلى غير ذلك من أمورٍ كثيرةٍ تتعلق بالمسجد الحرام.

فتصدى شيخنا الميموني للجواب عن ذلك، فألف كتابه «تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام»، فاستوعب فيه الكلام على تلك المسائل، وأضاف إليها أمثالها من الفوائد المتعلقة بذلك؛ من الكتب التاريخية، والتحقيقات الفقهية، فجاء كتاباً حافلاً، لجانب كثير من العلوم شاملاً، وقد كتبت له على ظهر نسخته تقريظاً حسناً، من جملته هذه الأبيات:

لله روضـــةُ علـــمٍ أنبتــت حِكَمــا	وطيبـت لـشذاها البيـتَ والحرمـا
قد جمعَتْ موجباتِ المدحِ إذ جمعَتْ	ما كان جوهر فـي غيرهـا انقـسما
نَزِّهْ جفونَـك فيهـا واقتطـف ثمـرًا	من دَوْحها وانتشق زهرًا بها ابتسما
نظمت في سلكها ما كـان منتـشرًا	في غيرها من لآلي العلم فانتظمـا
جلَّت محاسنُها عـن أن تعـدّ ولـو	أفنيت في عدِّها القرطاسَ والقلما
لله درُّ إمـــام حـــاك حُلَّتهـــا	شادَ بها من بناء الدهر مـا انهـدما
جـزاه ربُّ الـورى خيـرًا وصَـيَّره	بحرمـة الله طـولَ الـدهر محترَمـا

قال لي ﷺ: لما فرغت من تأليفـه، وأكملته في سنة أربعين، قلت: اللهم إني أتقرب إليك بحرمة بيتك الحرام بهذا الكتاب، فاجعل جائزتي عليه أن تيسر لي حج بيتك الحرام في هذه السنة. قال: وليس لي في ذلك الوقت مالٌ أحج به، وأنا ذو عيال، فلمـا قرب وقـت الحج، بينما أنا ذات يومٍ، إذ بعث إليّ الأمير رضوان أمير الركب، فقال لي: أريد من فضلك أن تحج معنا

هذه السنة، وعليّ سائر ما تحتاج إليـه من المؤنـة في سفرك أنت وأولادك، فعلمت أن الله تقبل دعائي، فتجهزت للسفر بأولادي ونسائي، وكل من معي، فهيأ لي الأمير ما نحتاج في السفر؛ من الإبل، والمحاف، وغير ذلك؛ بحيث بلغت النفقة من عنده في حجتي نحو ألفي قرش. وقال:

لطيفة: لما جئت لوداع الشيخ الميموني، كتب بعض أقاربه «لا إله إلا الله» في رَقٍّ، وكتب في إزائه «محمد رسول الله»، وفصل ما بينهما بمقص حتى بقي منه شيءٌ قليلٌ، فأمرني أن آخذ إحدى القطعتين، وأخذ الشيخ الأخرى، وقطعناهما ما بيننا نصفين، وقال لي: تحفظ على القطعة التي عندك، وأنا على التي عندي؛ فإن اسم الله واسم حبيبه إذا تفارقا، فلا بد[1] أن يجتمعا بفضل الله تعالى[2].

قلت: وكأن هذا تلميحٌ من قوله تعالى في الحديث القدسي «لا أُذكر إلا ذُكرت معي»، فإذا اجتمعت البطاقتان، انجمع من هما عنده، وهو المقصود، وقد صدق الله العظيم تعالى ذلك في وقعتنا، فرجعنا من الحجاز، بعد مجاورة سنة، ووجدنا الشيخ ـ والحمد لله ـ سالماً في نفسه، ولم أجد قريبه الذي كتب ذلك، وكان فعل ذلك حرصاً على حياة الشيخ؛ رجاء أن يعيش حتى نرجع من الحجاز؛ لما كان يتخوف عليه من هجوم الحِمام؛ لكبـر سنه، مع كثرة الأمراض الوبائيـة إذ ذاك بمصـر، ولم يتخـوف ذلك على نفسـه، وفي مثل ذلك قيل:

---

(١) في الأصل: لا بد.

(٢) وهذه البدعة لازال كثير من الناس يعتقدها، ويعمل بها في وقتنا الحاضر.

وقبلـك داوى الطبيـبُ المـريضَ فعـاش المـريضُ ومـاتَ الطبيـبُ

[٦٤٢] إبراهيم بن يوسف المهتار المكي الحنفي[1].

شاعرٌ حسن الشعر، حلو المقطَّعات، له من الأبيات ما يُستظرف معناه، ويُستحلى مغزاه، ويتغنى شذاه، برع في الفنون الشعرية، وجمع مجاميع لطيفة أدبية، وقفت على كثيرٍ منها بمكـة ـ شرفها الله ـ، وكان في عصره من أشهر المكيين في الشعر، وله مجاميع كثيرة، وديوانٌ كبيرٌ.

توفي بمكة في حدود سنة سبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

وحقِّـك مـا لمـن جـاني صـنيع لأنـــي لـــستُ راجٍ منـــه مَنَّـــا
بلـى مـن زارنـي أهـلاً وسـهلاً ومـــن قـــد فاتنـــا يكفيـــه أَنَّـــا

وقوله:

فـديتُك لا تظـن الـراحَ يجلـو همـــومي فالحـــشا فيـــه كـــلام
ضنيّ جوانحي من صـرف دهـري فـــؤاد مـــا تـــسلاه المُـــدام

وقوله:

إني إذا كنت صِفْرَ الكفِّ في وطنـي أيقنتُ أني غريب في حمى شنعي

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٤٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٥٣)، «نفحة الريحانـة» للمحبي (٤/ ٢١١) (٣٠١)، «هديـة العـارفين» (١/ ٣٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٢).

وإن تغربتُ والدينارُ يصحبني ... لم أدرِ ما غربةُ الأوطانِ وهو معي

وقوله:

بقلبي سيفُ اللواحظ سَنَّهْ ... وأفرض وجدي وهجري سُنَّهْ

غزالٌ من العرب النازلين ... برامة حيان الحيا حَيَّهنَّهْ

ظبا إذا ما جررنا الذيولَ ... فلم ندرِ أحسنُهم أيُّهنه

إذا ما نشرْنَ دياجي الشعورِ ... ظننتَ بدورًا بَدَوا في دُجُنَّهْ

وإن سفروا من خلال الخُدور ... رأيتَ الظِّبا كأترابهنَّهْ

بحيٍّ به حلَّ قرعُ الدفوف ... وقرعُ السيوف وقرعُ الأسِنَّهْ

فكم من صريع بأكنافهنَّهْ ... وكم من قتيل على بابِهنَّهْ

يمنعنا الخوف من أهلنَّهْ ... ويُدنينا الوجدُ من قربهنَّهْ

حمون منامي عن مقلتاي ... وأطلقْنَ دمعي من بعدهنَّه

فهن اللواتي ملكْنَ الحشا ... ولكنه صحَّ من بينِهنَّهْ

أظبيٌ جهولٌ بأمر الهوى ... ولكنَّ حبي لم تجهلنَّهْ

كحيلُ النواظر قوتُ الخواطر ... صادَ القساورَ من غابِهِنَّهْ

غزالٌ على الشعب جَرَّ الذيول ... لذاك الشعب أضحى مَظِنَّهْ

إذا ما بدا مقبلاً ثم لاح ... سعيْنَ الغواني على هامِهنَّهْ

يقبلنَ[1] أرضًا بها قد مشى ... ويكحلن من ذاك ألحاظَهنَّهْ

---

(١) في الأصل: يقبل.

جميـلُ المحيـا إذا هـو حَيَّـا | بكـأسِ المحيـا فمـا أحـسننَّهْ
غـلامٌ كبـدر عليـه أتـتْ | مـن العمـر عـشرٌ ولـم يوفِهِنَّـهْ
صـغيرٌ ثنايـاه مـن نـسقِها | حكـيْنَ الـدراري فـي حُـسنهنَّهْ
إذا مـا تبـسَّم قـال الوشـاةُ أبـرقٌ | بـدا ذاك أم لمـعُ أسِـنَّهْ
فلـم يـدرِ فيهـا وحـقِّ الإلـه | سـوى عـود رآك تهنـي بهنَّـهْ
تملَّـى الأراكـة مـن نهلِهـا | وأحـشايَ هامـتْ إلـى رشـفِهِنَّهْ
فـوا أَسَـفا كـم كـساني الغـرامُ | جَـوًى واكتئابـاً وسـقمًا وأنَّـهْ
أهـيمُ ولا لـي مـن سـلوةٍ | ففي القلب حبّ الحسانِ اكتمنَّهْ
أبيـتُ وطرفـيَ نحـوَ النجـومِ | كـأني تكلفـت فـي عَدِّهِنَّـهْ
أجارتَنـا هكـذا فلـيكنْ | مريـدُ الغـرام علـى غيـر منَّـهْ
دعينـي أجـرّ ذيـولَ الـشباب | وأرفُـل فـي حـسن أثوابهنَّـهْ
وأهـوى المـلاحَ الظِّبـاءَ الـصباحَ | علـى شـربِ راحٍ مـن ذاتِ غُنَّـهْ
وأبلـغُ قـصدي مـن الغانيـات | وأنـزل قلبـي فـي حَيِّـهِنَّهْ
فكـفَّ عتابَـك يـا مـن دنـا | خيـولُ الهـوى طالعـاتُ الأعنَّـهْ
فذُخريَ في الحشرِ حُبُّ الرسولِ | وبعـلِ البتـول وأبنائِهِنَّـهْ
فـإني أرجـو بحبـي لهـم | ليـوم المعـاد نعيمًـا وجَنَّـهْ
إلهـي كَفِّـرْ ذنوبًـا مـضتْ | فمـا الـنفسُ مـن خوفها مطمئنَّهْ
وصَـلِّ إلهـي علـى المـصطفى | نبـيٍّ لـه أطاعـت إنـسٌ وجِنَّـهْ
كـذا الآلِ والـصحبِ مـا أطربَـتْ | قمـاري الغـصون بتغريدهنَّـهْ

وقوله:

جفــت حــلالَ المنــام مُقلتيَــهْ مـذ حـلَّ حـبُّ المِـلاح مُهجتيَـهْ

وصار جسمي لمـن يـرى شبحًا وأضـلعي بالسـقام مُنحنيَـهْ

وأحـرقَ القلـبَ حـرُّ نـار جـوى وخَـدَّد الخـدَّ حَـرُّ دمعتيَـهْ

فمـا تغنـى الحَمـام فـي غـصنٍ إلا وسـال الـدما بوجنتيَـهْ

ولمـا تـذكرت جيـرة نزلـوا بالـشِّعب إلا نـسيتُ صـحتيَهْ

يـا جيـرةً بالـشعب هـل لبعـدكم حـدٌّ يـرى أم تطـولُ مُدَّتِيَـهْ

أهـل تـرى البعـد بعـد غيـركم أم هـل تحفظـوا مودتيَـهْ

نـأيتم والحـشا بـه حُـرَقٌ فقطـرُ الـدمع فَـرْطُ حُرقتيَـهْ

فمـا نـسيتُ العهـودَ بعـدَكُم ولا تحولْـتُ عـن محبتيَـهْ

ولـستُ أسـلوكمُ وحَقِّكـمُ هيهـاتَ زال الهـوى بـسلوتيَهْ

أنـا الـذي صـرتُ فـيكم مـثلاً لا فتيـة بـالغرام مُدَّعِيَـهْ

وربَّ ليـلٍ طرقـتُ حَـيَّكُمُ أزور فـي الحـيِّ ربـعَ مُنيتيَـهْ

أزور مَـنْ فـي الفـؤاد مـسكنُها مـن بـين كـلِّ الأنـام مُنبنيَـهْ

من يسحر الطـرفَ حـسنُ مقبلهـا إذا بـدت بالجمـال مُرتديَـهْ

فمهجتـي مـا رأت لواحظَهـا إلا وأمـست بهـنَّ مُرتديَـهْ

خرعوبـةٌ بالمهـا لهـا شَـبَهٌ رعبوبـةٌ بالظِّبـاء مزدريَـهْ

ممـشوقةُ القَـدِّ غـادة وأرى ألحاظَهـا فـي النفـوس معتديَـهْ

يحمـو حماهـا مـن الـورى فئـةٌ للمجـد أعلـى الثمـانِ مـشتريَهْ

مـن كـل مـن أرضـه مهطمـة ... ونفـسُه للكمـال معتليَـهْ

أتيتُهـا والعيـونُ راقـدةٌ ... وأنـصُلُ القـومِ غيـرُ منتطيـه[1]

طرقتهـا فاسـتوَتْ فأزعجَهـا ... سَـقامُ جفنـي وقـرحُ أنَّتِيَـهْ

لمّا رأتني رب الجوى علمت ... غـدت لثنـي الوسـاد بمتكيـه

قالـت أمـا خفـتَ قومَنـا فلقـد ... خـاطرتَ لمـا قـصدْتَ زَوْرَتِيَـهْ

فقلـت إن المحـبَّ مهجتُـه ... للحَين فـي الحـبِّ غيـرُ مُتَّقِيَـهْ

فعنـدَ قـولي غـدتْ تقـولُ إذن ... أهـلاً وسـهلاً وألـفُ مَرْحَبِـيَهْ

أهـلاً بمـن زارنـا ومهجتُـه ... بفـرطِ داء الغـرام مرتـضيَهْ

سَـباهُ حـسني فبـاتَ فـي قلـقٍ ... وزارنـي والعـداةُ مُلتميَـهْ

سبحانَ مَـنْ فـي العقـول سلَّطني ... وجَـلَّ مـن بالجمـال خَـصَّنِيَهْ

فبـتُّ فـي ليلتـي مـسامِرَها ... فَبُسْتُ فاهـا النقـيَّ عـشرَ مِيَـهْ

حتـى بـدا صـبحُها ففرقهـا[2] ... لا كـان صـبحًا بـدا بفرقَتِيَـهْ

مـا كـانَ بـين الليـالي أقـصرَها ... كأنهـا البـرقُ حـين لاح لِيَـهْ

مضت لطيـفٍ سـرى علـى دنـفٍ ... أحـشاؤه بـالغرام مبتليَـهْ

يـا ليلـةً لا تبـاع فـي زمنـي ... شَـريتُها والنقـود مُهْجَتِيَـهْ

قطعتُهـا والحِـبُّ يؤنـسني ... ومهجتـي بالـسرور ممتليَـهْ

مـن بعـدها سـائرُ الليـالي بهـا ... جفـتْ حـلالَ المنـام مقلتيَـهْ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: منتضية.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ففرقنا.

وقد عارضها الأديب إبراهيم بن مشعل بقوله:

كــم مهجــةٍ بــالغرام منـسبيَهْ ... ومــا لمــن يقتـل بــالغرام دِيَــهْ
فليحـذرِ الحـبَّ كـلُّ محتـرسٍ ... بــه ففيــه الحتــوفُ مُنطويَــهْ
وفــي رُبــى شِـعْبِ عـامرٍ رشـأ ... لــه عيــونٌ بالـسحر مُمتليَــهْ
فــي حــسنه والجمــال منتهيًــا ... وعــشقتي فيــه غيــر منتهيَــهْ
كــم حــسن شـمس عليـه مـشرقة ... منهــا بــدورُ التمــام مختفيَــهْ
إذا بــدا مقــبلاً ولاحَ لِيَــهْ ... جعلــتُ منــه الجبـينَ قِبلتيَــهْ
مــا قلـت فيـه انتهـتْ صـبابَتِيَهْ ... إلا وعــادَتْ إلـي وهــي مبتديَــهْ
لــي مهجــةٌ غَرَّهــا بغُرَّتِــهِ ... آهًــا لــه غــرّ صــادَ غُرتيَــهْ
ومــا هــداني بـصبح طلعتــه ... إلا بليــل الــشعورِ ضَــلَّنيه
فحبــذا ذاكَ الــضلالُ بــه ... لمهجــةٍ بالــضلال مهتديَــهْ
أهــمُّ بالانثنــا عنــه إلــى ... أن تبــد لــي بعطفيــه منثنيَــهْ
وأرجــع الوجــد لــي بأجمعــه ... أضــلَّ فــي صـبوتي وحِيرَتِيَــهْ
وأغيــدُ ذبــت مــن محبتــه ... ونفــسُه بالجمــال ملتهيــه
لجينــيُ اللــونِ أحمــرٌ تَـرِفٌ ... خِلْقَتُــه بالجمــالِ مــستويَهْ
عيونــه بــالحلا مكحلــةٌ ... وذاتُــه بالجمــال مكتــسيَهْ
قـد اعتنـى بالبهـا وروحـي عـن ... وصــالِه الحلــو غيــرُ معتنيــه
للحـسن فـي وجنتيـه كـلُّ حَلَـى ... مــاءٌ ونــارٌ أحــارَ فِكرتيَــهْ
فلــم أنــلْ مــاءَ وردِ وجنتــه ... ومــن لظاهــا حــشايَ مُلتظيَــهْ

لا تعجبوا إن فنيتُ فيه هَوًى فذاتُه بالغرام مقتضيَهْ

ووجنةٌ بالجمالِ زاهرةٌ بنرجسِ المقلتين محتميَهْ

ورُبَّ خدرٍ طرقتُ بيضَتَهُ والليلُ ظلماه غيرُ منجليه

وحولها من حماتها أُسُدٌ على اضطرام الحروب مجتريَهْ

فانتبهتْ من لذيذ نومتِها تقولُ من ذا يحلُّ غُرزَتِيَهْ

فقلتُ صبٌّ أذبتِ مهجتَه بالحسن يا بغيتي ومنيتيَهْ

قالت لقد رمْتَ مطلباً خطراً من دونه الموتُ يا مُتيميَهْ

أما رأيتَ الأسودَ رابضةً أما رأيت السيوفَ منتضيَهْ

فقلتُ إن المحبَّ مهجتُه بالموت فيما يحبُّ مرتضيَهْ

وحبذا يا بنةَ الكرام إذا بلغتُ في منيتي مَنِيَّتِيَهْ

فيا حياةَ النفوس إني من أعشقُ في الغانيات مُنْيتيَهْ

فقالت اهلاً ومرحبًا بفتًى يعشقُ الموتَ في محبتيَهْ

وأرشفَتْني رحيقَ ريقَتِها والنفسُ مني لذاك مشتهيَهْ

فرُحتُ نشوانَ من مُقبَّلها وريقِها ما ألذَّ سكرتيَهْ

وفي ثنايا نقيٍّ مبسَمِها شهدٌ عليه النفوسُ محتويه

وما اجتنى الشهدَ قَطُّ من بَرَدٍ غيري فيا ما ألذَّ جنيتيَهْ

فعند ذا أنعمتْ وما بخلتْ بوصلِها وهي غيرُ مستحيَهْ

وله معرضاً بصاحبي محمد الزنجبيلي:

هاتها قهوةً حوتَ كلَّ أنسٍ فشربن بها رشأ الخدرجبا

واسـقِنيها صِـرْفًا بـلا زنجبيـلٍ	إن ذا الزنجبيـلَ غيـرُ مربَّـى

[٦٤٣] السيد إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي بن محمد بن علي ابن الرشيد[١].

كان من أعيان الوقت، عِلماً وحلماً، وزهادةً وكرماً، يقل نظيره في جميع ذلك، وبه في الكرم تضرب الأمثال، نشأ على طريقة سلفه في السمت والصمت، والعفة والعبادة، وعزف النفس عن المطامع، والرأفة بالمسلمين، والتقلل من زينة الدنيا، مع تمكنه من ذلك؛ فإنه ربي في الأيام المسعودة التي فاض ظلها على كل حاضر وبادي، وأثرى فيها الكل، وهو مع ذلك في بحبوحة ذلك البيت المشيد، فإنه من فصيلة الإمام المؤيد بالله، وبمنزلة الولد له، ونشأ في حجره، وعمُّ المذكور عمُّ الإمام القاسم، وكان الإمام المؤيد يخص إبراهيم بمزيد التكريم والتعظيم، وكان الإمام حريصاً على إنزال الناس منازلهم.

وقرأ على الإمام كتباً نافعةً، وعلى الشيوخ القادمين من الآفاق والملازمين للحضرة، فما من فن - في الغالب - إلا وقد لقي الجلة من شيوخه؛ لأن الحضرة كانت مجمعاً للعلماء من الأعارب والأعاجم، وكان له خطٌّ حسنٌ على أسلوب المشق، كما كان لخاله الحسين بن القاسم، ورزق كتباً واسعةً لم تجتمع عند غيره، وله شعرٌ كثيرٌ.

توفي في سادس عشر رجب، سنة ست وخمسين وألف بـ «شهارة»،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٦٢) (٢).

ودفن في الحجرة، عند قبة الإمام القاسم، بجوار والده السيد العلامة أحمد ابن عامر، المتوفى في صفر، سنة اثنتين وعشرين وألف، وكان عالماً عاملاً فاضلاً، وله بمكة مقامٌ مع بعض علمائها، يقضي له بشرف العلم، ـ رحمه الله تعالى ـ ذكره القاضي أحمد بن صالح.

[٦٤٤] إبراهيم بن عبد الرحمن بن عماد الدين الدمشقي الحنفي.

ركن هذا البيت وعماده، ودرة عقد تتناهى أفراده وأعداده، حديقة روض الإفضال، وحدقة إنسان المجد والكمال، ذو أخلاقٍ لو صُورت لكانت لديوان الأكارم عنوان، وشيمٍ لم يسطر مثالها في سفر ولا ديوان، جمع ما لآبائه من المآثر والفضائل، وتجملت بحسن سيرته وجليِّ سريرته أخيار الأوائل والأواخر، مع حسن خَلقٍ وخُلق ولينِ جانب، وصدرٍ رحبٍ لكل قاصدٍ وطالب، وعذوبة لسان، وكثرة إحسان، وحلم ووقار، ومهابة وعلم، وفضل ملأ إهابه، وبالجملة: فلا يمكن حصر صفاته، ولا يُمَل من تكرار محاسن ذاته.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عن والده وغيره من علماء بلده، حتى برع وترعرع، وأجازه شيوخه، ونظم الشعر الحسن الفائق، العذب البديع الرائق، وقد رأيته بدمشق، والنورُ يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعته، وكانت **وفاته** في حدود سنة سبعين بعد الألف بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره: قوله يمدح شيخ الإسلام أحمد المقري، حين قدم دمشقَ، ويطلب منه الإجازة بمروياته:

فـازت دمـشق الـشام بـالمقري. . .[1]

[٦٤٥] إبراهيم بن يحيى بن الهُدَى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الحجاف[2].

كان هذا السيد الجليل من أهل المملكة النفيسة، والرياضة الكلية؛ بحيث لا يروى عنه رواية ـ في الغالب ـ؛ لكثرة حفظه للسانه، وإنما يجري مع الأصحاب بالتبسم والاستماع لمقالهم، وإظهار التعجب والاستغراب لما يروى؛ كأنه لا يعرف شيئاً:

فتراه يُصغي للحديث بسمعِه ... وبقلبه ولعلَّه أَدْرَى به

وكان مع ذلك متقناً لأمور دينه ودنياه، عاكفاً على كتب الطريقة، مواظباً على الجماعة بالمسجد الجامع بـ: «حبوب»، لا يتخلف عنها إلا لعذرٍ عظيمٍ، وذلك مشهورٌ من حاله، وكان متولياً للقضاء، وقلوبُ الناس راضية عنه؛ لما يعلمون من صدقه، وإنزاله للناس منازلهم، ووقوفه عند صميم الشرع.

وله «شرحٌ على المفتاح في الفرائض» أجاد فيه، وقرأه الناس عليه، وانتفعوا به، وأتى فيه باصطلاحات غير اصطلاحات الأصحاب، ثم جعل لذلك مقدمةً؛ ليعرف الناس منها مقاصده، وله «شرحٌ لأبيات الجعبري في التلاوة لآي الفاتحة ومخارج حروفها»، وله أشعارٌ فائقةٌ رائقةٌ، وخَمَّس قصيدة الصفيِّ الحلي النبوية التي مطلعها:

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «المقري» بياض بالأصل أربعة أسطر».

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٣) (٢٧).

فيروزجُ الصبحِ أم ياقوتةُ الشَّفَقِ بدت فهيجَتِ الورقاءَ في الورقِ

وأحسنَ في ذلك كلَّ الإحسان، وهي دائرة بأيدي الأدباء بصعدة وبلادها.

ومما نقله ولده إسماعيل بن إبراهيم من خطه، قال: وأظنه من شعره:

وإذا أسبلَ الظلامُ رُواقا وهدا معشر به فاستراحوا
فأنا رافع الأكف إلى مَنْ خطرةُ القلب عندَه إيضاحُ
قائلاً ربِّ أنت أعلم بالحا لِ ففيم السؤالُ والإلحاحُ
وإذا اليأسُ رام هدمَ رجائي قال حسنُ الرجا له لا براحُ
ولعَمْري ما يهدم اليأس ظني والإله المؤمَّلُ المستماحُ
لو تكونُ السماء والأرض رتقًا أو تحولُ السيوف والأرماح
هذه نيةُ الكرام لعَمْري وبها طالما استراحوا وأراحوا
كلما جاءهم من اليأس كاسٌ فله من رجائهم أفراحُ[1]

مولده في رمضان، عام إحدى وتسعين وتسع مائة، وتوفي وقت الظهر، يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة خمس وستين وألف، بمدينة حبوب، وله أولادٌ نجباء، قد أحرزوا قصب السبق في الفضائل بلا مدافعة، منهم: السيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم، علامةٌ محققٌ في الأصول والفروع، والعربية والطب، مع آدابٍ وحافظةٍ يقل نظيره في ذلك، وقد تولى القضاء بالحضرة المتوكلية، وله شعرٌ جيد الصنعة، فمن ذلك قوله:

---

(١) في الأصل: فلهم من رجاهم أقوى نجاح.

لقد آن أن تُعصى النفوسُ الطوامحُ | وتروع بالتقوى القلوبُ الجوامحُ
فقد أنذر الشيب المُلِمُّ وصرحَتْ | زواجرُه والشيبُ لا شكَّ ناصحُ
أعاتبُ نفسي لا أعاتبُ غيرَها | على اللهو حتى طوحَتْها الطوايحُ
وأزجر قلبي عن هواهُ بوعظِه | وهل ربص الكناس بالسوط فارحُ
إلى كم أُرَجِّي عزمةً أنتهي بها | إلى الخير والآمالُ غادٍ ورائحُ
ويمنعني من ذاك أمرٌ كتمتُه | ودهرٌ عن الأحرار ناءٍ وجانحُ
فوا أسفا أن لا حياةَ لذيذةٌ | ولا عملٌ يرضى به الله صالحُ

وله في هذا المعنى:

يا فارجَ الهمِّ بتيسيره | وكاشفَ الشدةِ والباسِ
خذْ بيدي يا ربِّ وانظر إلى | ضعفي وإخباتي وإبلاسي
ولا تكلني يا إلهي إلى | نفسي وتدبيري وإحساسي
فالعجزُ والظلم معًا شيمتي | نتيجتا جهلٍ وإبلاسِ

وله في الرقائق والإخوانيات ما يفوق ويروق، مع أنها بداية على طرف الثمام.

قال القاضي أحمد بن صالح: وأرسلت له مفاكهاً، على يد فتىً اسمه عنبر، بقليلٍ من العود الرطب، فأجاب مع الرسول بديهًا:

يا واحدَ العصرِ بلا مريَةْ | ومعدِنَ الجود بلا منكَرْ
أحسنتَ إذ أرسلتَ يا ذا العُلا | هديةَ العُودِ مع عنبر

وله أخ له اسمه يحيى، سيد أبناء وقته علماً وعملاً، يذكِّر بالأوائل من

سلفه الكرام في كل طريقة، وهو المتولي للقضاء بـ «حبوب» في عصره، بعد أن كان عزف نفسه عن الخلط، وأراد السكون في شواهق الجبال، فلزم تكليف الإمام، فعاد إلى وطنه، ونشر العلم، وأحيا المعالم، وهو في النحو غاية، ولـه «شرح على الحاجبية» عظيم الشأن، لبابُ نجم الدين وخلاصته، وهو الآن في الفقه المحلى في برهانه، وله ما يجري مجرى الشرح لنهج البلاغة، وله خطٌّ عظيمٌ عجيب، قـد كتب بـه غرائب وعجائب، وله شعرٌ في الذروة فيه منهجُ العرب الأولى، ولهما أخٌ ثالـثٌ من النبلاء، وهـذا البيت معمـور بالفضلاء في كل عصر، والله يؤتي فضله من يشاء.

[٦٤٦] إبراهيم بن أحمد بن علي العُبالي.

كان عالماً فاضلاً، نشأ في مهاد العلم، مرتضعاً لثدي التقوى، لم يعرف من الدنيا غير العلم وأحبائه، والمذاكرة لأربابه، في صباحه ومسائه، حتى بذّ الأقران، وصار على صغره كبير الشأن، وقرأ العربيـة وحققها، ووضع على «المغني» لابن هشام، ما يجري مجرى الحاشية، وكان في الفرائض والقسمة والجبر والمقابلة محققاً، وقـرا الفقـه، وحشّى بخطه على «شرح الأزهـار» حاشيته، ولم تكن له لهجة لغير العلم وأهله، حتى قال بعض العارفين: لم يخلق هذا السيد لغير العلم ولغير الجنة.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ولم يزد عمره على اثنتين وعشرين سنة، وكانت وفاته عند طلوع الشمس، نهار الخميس، سابع وعشرين رمضان، سنة إحدى وسبعين وألف، وجميع قراءته على شيخه وأستاذه عمه السيد العلامة عز الدين ابن علي العُبالي ـ رحمه الله تعالى ـ، ذكره القاضي العلامة أحمد بن صالح

ابن أبي الرجال في «تاريخه».

[٦٤٧] إبراهيم بن علي ابن الإمام يحيى شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى.

كان عارفاً محققاً لعلوم المعقول، مرجعاً للشيوخ فيها، وله ما يجري مجرى التحشية على كتابي نجم الأئمة في النحو والصرف، ومن شيوخه: والده علي ابن أمير المؤمنين، تخرج به، قالوا: ولبس منه الخرقة الصوفية.

وممن أخذ عنه: الشيخ لطف الله بن الغياث، وفي أول مجلس جلس بين يده لم يتأهب له السيد حق التأهب؛ لظنه أنه لا يحوجه إلى المراجعة، وكانت القراءة في الرضى، فلما عرف الشيخ همته وإتقانه، استمهل منه للغد، وتهيأ له واستعد.

ومن شعره قوله:

لا تعذلوني إذا غلطتُ فقد ... يغرق في اليمِّ مبتغي الدُّرَرِ

ما أجدرَ الوهمَ في العلوم بمَنْ ... يُقارع المشكلاتِ بالنظرِ

مات بـ «شبام»، ودفن بها، وعليه قبةٌ عمرها الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين.

[٦٤٨] إبراهيم بن المهدي بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم ابن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن حسن بن الحجاف[1].

كان عالماً كاملاً، من عيون أهل زمانه الفضلاء، حبس بـ «كوكبان» مع

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩١) (٢٥).

الذين أُسروا مع الإمام المؤيّد، بحصن «شهارة»، والقصة مشهورة، وانتقل عقب الأسر عام أحد عشر وألف، ودفن في القبة الجامعة لقبور جماعة من الأعيان، وهي قبة المظهر بن شمس الدين، وقبر المترجم عن يسار الداخل، من بابها الغربي، وثالث القبور قبرُ الفقيه الفاضل صلاح بن عبدالله بن داود ابن أحمد الشطبي الموهني العمري، شيخ الإمام المؤيد بالله ومؤدبه، ووفاته في جمادى الآخرة عام خمسة عشر وألف.

وكان من حكماء وقته وعلمائه، ولـه صناعةٌ في تدبير العامة، ومعرفة الموارد والمصادر على قانون العقل؛ بحيث إن فطرته السليمة في ذلك تذكر بـ «كليلة ودمنة»، و«سلوان المطاع»، وأشباههما، ومن مشايخه: الإمام القاسم ابن محمد، وفي السـادة آل الحجـاف إبراهيم بن المهـدي والـد الهادي بن إبراهيم، وهو غير هذا.

[٦٤٩] إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي[1].

كان من السابقين في الفضائل، والعلماء العاملين الأفاضل، قال ولده العلامة الخطيب القاضي، محمد بن إبراهيم في ترجمته: **مولده** ليلة الجمعة، ثالث عشري جمادى الأولى، عام سبعة وثمانين وتسع مئة، بمدينة ذمار، قال: وسمعت منه: مسقط الرأس ذمار، وهي من خير الديار.

وتوفي ضحـوة يوم السبت، لعشرين خلت من جمـادى الأولى، سنة ستين وألف، ودفن بعد صلاة الظهر، في المقبرة المعروفة بجربة الروض،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٥) (٢٨)، «البدر الطالع» (٢/ ٩٧)، «الأعـلام» للزركلي (١/ ٨٠).

بباب اليمن، غربي مدينة صنعاء، ونقل إلى مشهده المزور المشهور، بجنب مسجده بمحروس السعدى، ليلة سابع عشر شوال من تلك السنة، ووجد على حالـه لم يتغير شيءٌ من جسده، ولا من كفنـه؛ تصديقاً لما ورد في العلماء العاملين: أن الأرض لا تأكل أجسادهم.

وقرأ بمدينة ذمار القـرآن، قراءةً مجودةً، والفقـه والفرائض والكلام، وطرفاً من العربية، ونظم الشعر الكثير، وحصل شطراً صالحاً من علم الفلك، ومن الغريب: أنه علمه المنازلَ، رجلٌ مكفوف البصر.

وشيوخه بذمار: والده، والقاضي محمد بن علي السكايدي، والقاضي المعافى بن سعيد، والقاضي محمد بن ناصر الدين الفلكي، ولا زالت تسمو حاله في العلم والعمل، وجميع الكمالات، حتى انتقل إلى صنعاء بأهله، عام عشرة بعد الألف، فاستكمل فيها العلوم.

ومن مشايخه بها: والده، والمفتي، والقاضي أحمد بن معوضة الجربي، والفقيه إبراهيم بن يحيى بن حميد، والفقيه أحمد الضمدي، والسيد الحسن ابن شمس الدين الحجاف، والسيـد صلاح المصواحي، والسيد محمـد بن الناصر، والسيد صلاح بن الوزير، والفقيـه عبد الرحمن بن محمـد الحيمي الآخر، وأما الفقيه عبد الرحمن بن عبدالله الكبير، فلم يدركه؛ لأن وفاته سنة ثلاث وألف، وغير هؤلاء، وخاتمة شيوخه: القاضي عبد الهادي بن أحمد الحسوسة.

ومما قرأه بصنعـاء: النحـو والصرف والمعاني، والعروض واللغـة، والتفسير والحديث، والأصول والمنطق، وكان له في كل فنٍّ من هذه الفنون اليد الطولى، وأما التصنيف، فاشتغاله به قليل، ألف: «الدر المنظوم في معرفة

الحي القيوم» في سن الصغر، و«حاشيةً على الثلاثين مسألة»، و«حاشيةً على الأزهار»، وله السؤالات إلى الإمام القاسم، المعروفة «بالسؤالات الصنعانية»، وآخر مؤلفاته: «الطراز المذهب في إسناد المذهب».

وأما صفاته الشريفة، فلا نطيل بذكرها، وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً، وأجمع فضلاء عصره على زهده وورعه، ووقاره وخشوعه، وجلالة قدره، وشفقته بالمسلمين، وبره بالأقربين والأبعدين، ومواظبة للعبادة، وأمّ بالناس بالجامع، منذ ملكت اليد الإمامية صنعاء، سنة تسع وثلاثين، إلا مدةً قليلةً، في آخر عمره، عسرت عليه المواظبة لعوائق عديدة.

ولم يعهد عنه أنه مدّ عينيه إلى شيءٍ عرض عليه من زهرة الدنيا، من الدور والعقار وغيرها، مع أن يده العليا في ذلك، وكان يقول: أعظم مفسدةٍ في طلب العلم: الخروجُ من صنعاء للخريف، وكان في غاية اللطافة للطلبة، وهم له في غاية المهابة، وإذا سأل أحدٌ منهم سؤالاً ركيكاً، وجهه له أحسن توجيه، وقال: مراده كذا وكذا، وأما ذكاؤه وحفظه، فمما لا يختلف فيه اثنان، وأما بلاغته، فقد عرفت في خطبه ورسائله، وفتاويه ومحاوراته.

ومن شعره قوله:

يـــا ربِّ إنـــي ضـــعيفٌ ... لا ذخــــرَ عنـــدي ولا زادْ
وقـــد قـــصدتُك ضـــيفًا ... فاصـــنع معـــي صـــنعَ الأجـــوادْ

وقوله:

يـــا ســـادتي لـــي علـــيكم ... فـــي كـــشف ضُـــري مُعَـــوَّلْ
وقـــد علمـــتم مـــن الحـــا ... ل الْمختـــصرَ والمطـــوَّلْ

وقوله:

صُــرفت عــن بابــك يــا ســيدي ... ظلمــاً وإبــراهيمُ لا ينــصرفْ

يــا عجبــاً للــدهر فــي حكمــه ... هــل مــن مجيــرٍ منــه أو منتــصِفْ

يمنــع منعًــا طالــبٌ للهــدى ... مــنكم ويحظــى لكــم المنحــرِفْ

مــا ســمعتْ أذنــي ببحــرٍ غــدا ... يمنــع منــه مــن أتــى يَغتــرِفْ

وابتلي في آخر مدته بولاية القضاء، بمدينة صنعاء، في أواخر خلافة الإمام المؤيد بالله، وأوائل خلافة الإمام المتوكل على الله، وكان يقول: القضاء صنعة العلم جزء منها، ومع ذلك لم يترك التدريس والإقراء.

ولفظ السحولي ليس كما يظن إلى الجهة المعروفة، وإنما سببه أنه وُلد والدُه يحيى بن محمد في يوم وصول قافلة من السحول، فأطلق عليه هذا اللفظ لهذا السبب، ثم غلب عليه، حتى كادت تنسى النسبة الحقيقية، وهي الشجري ـ بالشين المعجمة والجيم مفتوحتين والراء ـ: نسبةً إلى بني شجرة بطنٍ من عنس الحيِّ المعروف باليمن، من مشارق ذمار.

ووالد المترجَم القاضي العلامة الفارس في علوم الاجتهاد، عينُ الوجود بصنعاء وخطيبُها، والولد ـ كما قيل ـ سرُّ أبيه، إمام عالمٌ في الأصلين، والنحو والتصريف، والمعاني والبيان، والتفسير والفقه، وله النظم البديع، والروض المريع، ولـه كل معنىً عجيب، أينمـا توجـه في معـاني الشعر، ومن أراد الإشراف على شريف صنعته، فعليه بكتاب «ترويح المشوق» للسيد العلامة أحمد بن حميد الدين.

ومن شعره إلى بعض إخوانه قوله:

أُعيدُ السمَع ما حلا لي وما مرَّا ... أحاديث حال كنت فيه وقد مرّا

زمانٌ تقضَّى بالأماني وبالمنى ... ولم يبقَ لي مما ذكرت سوى الذكرى

بسفح اللِّوى عصر الصبابة والصِّبا ... سقى الله ذاكَ السفحَ والناسَ والعطرا

مضى ومُحَيَّا العيش أبيضُ مشرقٌ ... كأني به قد كنت في الجنة الخضرا

أجرُّ ذيولَ العجبِ من خفضِ عيشتي ... كأني في ملكٍ وفي رفعةٍ كسرى

يطاوعني دهري إذا ما أمرتُه ... ويقسم أني لستُ أعصي له أمرا

وهي طويلةٌ. انتهى.

[٦٥٠] الملا إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري الشهراني الكردي، نزيل المدينة، الشافعي[1].

شيخنا العلامة، الدرَّاكة الفهامة، محقق العلوم على اختلاف أنواعها، ومقيدُ شواردها، ومؤهل أطلال المعارف بعد إقواء رباعها، نادرةُ الأعصار، وعديمُ الشكل في سائر الأمصار، حامل لواء الشريعة والحقيقة، وغائص بحار الأنظار الدقيقة، أظهر نوعاً من المعارف لا يدرك أهلُ زمنه جنسَه، فصار ملةً واحدةً، وطريقه ملة، منزهةٌ عن كل خِسَّةٍ، فهو إمام الأمة، وحبر الملة ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠]، فقيه الصوفية، وصوفي الفقهاء، وعالم الصلحاء، وصالح العلماء، ووارث علوم الأولياء، ووارد موارد الأصفياء.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٤)، «البدر الطالع» (١/ ١١)، «سلك الدرر» للمرادي (١/ ٥)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٧)، «هدية العارفين» (١/ ٣٥)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٨٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٥).

ولد في شوال، سنة خمس وعشرين وألف، ببلاد شهران من بلاد الكرد، ونشأ في عفةٍ وصيانةٍ وديانةٍ، وأخذ في طلب العلوم ببلاده، على مشايخ قطره، فقرأ العربية، ومهر في المحتاج إليه منها، وقرأ فنون المعقولات؛ من كلام ومنطق وفلسفة، بأنواعها من هندسةٍ وهيئةٍ وغيرهما، وكان في قراءته لها إذا عرضت مسألةٌ هندسيةٌ، لا يتجاوزها حتى يقرأ علم الهندسة ويتقنه، ثم إذا عرضت مسألةٌ من الهيئة، يشتغل بعلم الهيئة حتى يعرفه، ولم يزل كذلك لا تعرض له مسألةٌ تتعلق بعلم من العلوم، إلا وقرأ ذلك العلم، حتى يحيط علماً بمقاصد الكتب، ولم يختمه حتى يحققه، ويحقق معه عدة علوم، وكذلك كان في كل العلوم، لا يرضى لنفسه الاقتصار منها على أدنى نصيب، بل يبالغ في تحقيق علومه.

ثم قرأ المعاني والبيان، وأصول الفقه، وفقه الشافعية، كل ذلك في بلاده، ثم قرأ التفسير ـ أيضاً ـ على علماء قطره، وأكثر أخذه واستفادته من شيخه ومربيه الملا محمد شريف الكوراني الصديقي، وما ترك شيئاً من العلوم إلا أخذ منه نصيباً في بلاده، إلا علمي الحديث والتصوف.

أما علم الحديث، فقال لي ﷺ: ما كنت أظن أنه بقي على وجه الأرض أحدٌ يقول: حدثنا وأخبرنا، حتى وصلت إلى بلاد العرب بالشام ومصر والحجاز، وأما التصوف، فكذلك ـ أيضاً ـ كنت أظن أن ليس أحد يتداوله بالقراءة والتصنيف والمنازلة بالفعل، إلا ما في بطون الدفاتر، أو ما عند المنقطعين في رؤوس الجبال.

وقد أخبرني شيخنا السيد محمد بن رسول البرزنجي، وكان بلديَّه، وعليه جلُّ انتفاعه: أن شيخهما الملا شريف المذكور كان يقول: بلغ من قوة حافظة

الملا إبراهيم: أنه لو لمح مسألةً في أي كتاب، وغاب عنه سبع سنين، ثم سئل عنها، يقول: هي في كتاب كذا، في صفحة كذا، في سطر كذا، وهذا لعمري! غايـة الإدراك، بشهادة هـذا الأستاذ، فإنه أدرى به من كل أحد؛ لأن الشيخ والد، والوالد أدرى بأخلاق ولده.

ولما استكمل أنواع الكمالات الإنسانية، التي أمكنه اكتسابها في بلاده، خرج من بلاده بعد ما مات والده، وتزوج ووُلد له قاصداً لأداء فريضة الحج، وسُنَّة الزيارة، ونيتُه العودة إلى بلده، وكان طريقه على بغداد، فإن بلاده في ناحية الشمال من بغداد، وأقام فيها أياماً، ثم خرج مع قافلة قاصداً مكة، وكان معه أخوه عبد الرحمن، وهو أصغر منه، فمرض أخوه في الطريق مرضاً منعه عن السفر، وعزم على الرجوع إلى بغداد. قال: فلما رأيـت عجزه، وعزمه على الرجوع، لم تطب نفسي بتركه وفراقه، مع ضعفه ومرضه، فرجعت معه إلى بغداد، ولم يمكنهما الحج في تلك السنة، فبقي ببغداد.

وطالت إقامته بها نحو عامين، وطلب منه أهل بغداد التدريس. قال: وكنت لا أحسن اللسان العربي، ولا ما أقرأ به في الكتب، فشق ذلك علي، فتعانيته أياماً، فسهل الله ذلك علي حتى لا أبالي، أقرأت بالفارسية أم بالعربية. قال: وكان هناك طلبة من الأتراك، فطلبوا مني أن أقريهم بالتركية في كتبهم، التي هي بلغتهم، وكنت لا أحسن شيئاً منها، فتعلمتها في مدةٍ قليلةٍ، فصرت أقرأ بالعربية والفارسية والتركية، وما كان شيء أحبَّ إلي من اللغة العربية، حتى إني كنت أطلب من الله تعالى كثيراً أن يرزقني ولداً ذكراً، أعلمه التكلم بالعربية؛ وذلك لغلبة العجمة في بلاده.

ولم يزل في بغداد، على أحسن حال، إلى أن منّ الله عليه بمحبة كتب

القوم والمطالعة فيها، في مجاورة قطب الزمان، الشيخ عبد القادر الجيلاني، قال: فبينما أنا ذات ليلة، وقد فكرت في أمري وخلوي مما عليه أهل الحق، فصغُرت لدي نفسي، وعلمت أن ذلك لا ينال إلا على يد شيخ، فسألت الله تعالى عند قبر الشيخ أن يلهمني ما فيه صلاح نفسي، وأن يوجهني إلى حيث يعلم لي فيه الخير، ويجمعني بشيخٍ أسلك طريق الحق على يديه.

قال: فبينما أنا نائم في أثناء ذلك، رأيت الشيخ عبد القادر ﷺ في النوم، وهو يشير إلى ناحية المغرب، فاستيقظت، وعرفت أني أقصد جهة المغرب، ولا أنتهي حتى ألقى من يدلني على الله، أو أجول أقصى العمران من ناحية المغرب، فتجهزت للرحيل من بغداد، وقصدت الشام؛ لأنها في مغرب بغداد.

قال: فلما وصلت الشام، أقمت بها على الحال الذي كنت عليه في بغداد؛ من التدريس، ولقاء الناس بدمشق، وكنت مغرماً بكلام الشيخ محيي الدين بن عربي، وزيارته، ومطالعة رسائله، وحصلت لي مبادي الفتح في فهم بعض كلام القوم.

قلت: وذلك الشأن ببركة الشيخ محيي الدين؛ فقد قال سيدي عبد الوهاب الشعراني ـ فيما رأيته في بعض تآليفه، ناقلاً عن غيره من المشايخ، مقرراً لما نقل، ومصدقاً به ـ: إن من خاصية كلام الشيخ محيي الدين: أن المثابر على مطالعته يرزق الفهم في كلام القوم، وحل مشكلاته.

ومصداق ذلك في شيخنا هذا؛ فإنه من أشد الناس كلفاً بمطالعة كتبه الكبيرة والصغيرة، وقد أُعطي من الفهم في كلام القوم وحل مشكلاته،

والإحاطة باصطلاحات الصوفية، وفهم إشاراتهم، وكشف أسرارهم، وتميز أذواقهم، ما لم يُعطَه أحدٌ ممن رأينا في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن بركة مطالعة كلام الشيخ محيي الدين: اتصل بغوث الزمان، ورئيس أهل العرفان، شيخِه ومربيه، الختم الالهي صفيِّ الدين أحمد القشاشي؛ إذ كان كلام الشيخ هو السبب في ذلك، وذلك ـ على ما أخبرني ـ: أنه وقع كلامٌ بينه وبين بعض أصحابه ـ أيام إقامته بدمشق ـ في حل إشكال وقع في بعض كلام الشيخ في «الفتوحات».

فدار الكلام بينهما في ذلك، فقال له صاحبه: إني رأيت في هذه المسألة كلاماً لبعض علماء العصر، من أهل المدينة الشريفة ـ يعني: القشاشي ـ، وكان كتب في تلك المسألة شيئاً، فأتاه بكلامه، فلما رآه وطالعه، استحسنه.

قال: فقلت له: يبعد أن يكون في هذا الوقت من يتكلم بهذا الكلام، لعله منتحل من كلام بعض من تقدم، فلما قلت له ذلك، أتاني برسالة الشيخ المسماة: «الهالة في ذكر هو والجلالة»، فلما طالعتها، ورأيت فيها ما يهز عقلي؛ مما مُنح الشيخ من العلوم اللدنية، والمواهب القدسية، والكشوفات الغيبية، فرجعت على نفسي باللوم، فقلت: لم يبق بعد هذا إن لم تصدقني بمقام الرجل، إلا محض الخذلان الناشئ عن إساءة الظن بعلماء المسلمين، ونسبة الكذب إلى ذي شيبة في الإسلام، ملحوظ عند أهله بعين الإجلال والإكرام، فوقعت في قلبي محبته، واعتقدت تعظيمه وإجلاله.

قلت: وقد رأيت هذه الرسالة، وكتبتها بخطي، وهي كراسةٌ مضمونها: أن الشيخ ﷺ طاب وقته ليلة من الليالي لورود بعض العارفين لزيارته، فأخذ

يذكر: هو الله، على كيفية بيّنها في الرسالة، وذلك فيما بين المغرب والعشاء، فاستغرق في الذكر، إلى أن حصلت له غيبةٌ مقدار ربع ساعة، أو نحو ذلك، وكشف لـه في تلك الغيبـة من أسرار الملك والملكـوت، ومعاني الأسمـاء والصفات، ومنح من العلوم الوهبية، ما بهر العقولَ سماعُه.

فذكر ﷺ في تلك الرسالة أنـواع العلوم التي وهبهـا في تلك الغيبـة، والكشوفات التي حصلت له، والإسراءات الروحانية التي مُنحها في تلك المدة القليلة، وذلك شيء يُستغرب وقوعه في هذه الأمصار ممن لم يؤيده الله بمدد التصديق بأهل ولايته.

قال شيخنا: وبعد رؤية هذه الرسالة، لم يبق عندي شكٌّ أن صاحبنا هو الفرد في وقته، وأنه طلبتي التي كنت أطلبها، وإليه أشار الشيخ عبد القادر؛ إذ نحوَ إشارته وجدت أخباره، واتضح أمره، ولا يلزم من صدق رؤياي للشيخ عبد القادر أن تكون إشارته إلى محل وجوده، بل ولو إلى محل وجود خبره.

قال: ثم أخذت في مكاتبـة الشيخ من دمشق إلى المدينة، فأتتني كتبه بما يزيدني وثوقًا ويقيناً بأنه البغية، وأقمت بدمشق قريباً من أربع سنين على هذا الحال، إلى أن أتاني كتابه يأمرني بالقدوم، فتجهزت للرحيل من دمشق، وخرجت منها قاصداً مصر، فمررت بالقدس والخليل، وزرت، فذهبت إلى مصر، ولم أتفرغ للقاء المشايخ بمصر؛ لشغل القلب بما أنا به من القدوم على الشيخ.

ولم ألـق من مشـايخ مصـر المشهورين بها، إلا الشيخ شهـاب الدين الخفاجي، والشيخ سلطان المزاحي، أما الشيخ شهاب الدين، فسبب اجتماعي

به: أني كنت ـ إذ ذاك ـ آخذاً في تأليف كتاب «إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله»، فأشكلت علي مسألـةٌ، ووجدت النقل فيها عن «كتاب سيبويـه»، وتوهمت أن فيـه تحريفاً، فأردت تصحيح النقل من نفس الكتـاب، فسألت بمصر، فقيل: لا يوجد إلا عند الشهاب الخفاجي، فذهبت إليه، ورحب بي، وأخرج لي الكتاب، ووجدت النقل منه على نحو ما توهمت، فصححت النقل منه، وفرحت بذلك غايةً، وكانت تلك طلبتي، ولم تكن همتي الرواية.

وكنت أقول في نفسي: أني متوجه في طلب هذا الأمر الذي أنا بصدده، وأنا عازمٌ على ركوب البحر إلى مكـة، فربما غرقت فيـه، فلا يبقى مني من يقول: حدثنا وأخبرنـا، فأكون قـد ضيعت وقتي بشيءٍ لا أدري هل يحصل المقصود منه؟ وشِبت إرادتي بما ليس من شكلها، فأعرضت عن طلب الرواية، وما هو من شكلها من ملاقاة علماء الرسوم، ولم أتفرغ إلا للزيارة، وقضاء ما لابد منه من الأوطار.

وأما الشيخ سلطـان، فإن بعض أصحـابي الذين كنت آلفهم ويألفوني كان من أصحابه، ولم يزل بي يقول لي: يقبح بمثلك أن تحل القاهرة، ولم تلق أحداً من علمائها، ولم تأخذ عن أحد من مشايخها، وله علو سندٍ، وقدمٌ راسخٌ في الرواية والدراية، ولم يزل هذا شأن العلماء وأهل الفضل إذا قدموا بلداً، أخذوا عمن بها من كبار المشايخ، وكنت أتعلل له بما تقدم، فيقول: هذا مقصد من المقاصد لا ينافي ما أنت بصدده، إذا أخلصت فيه النية، فلم يـزل بي حتى ذهبـت معـه إلى الشيخ سلطان، فسمعت عليه بعض أحاديث «الصحيحين»، وبعض «المنهاج»، وأجازني، وكتب لي بخطه الإذن في الفتوى والتدريس والرواية عنه.

ثم توجه من طريق البحر إلى مكة، فحج واعتمر، وسار إلى المدينة الشريفة، فأقام بها، وأتم تأليف كتاب «إنباه الأنباه» بها، وذلك سنة اثنتين وستين بعد الألف، ولازم بها أستاذه ومربيه الشيخ صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه الطريق، واعتنى به الشيخ الاعتناء التام، ثم أقامه مقامه خليفة عنه للذكر والتربية، وإقراء علوم القوم، وتلقين الذكر، وإلباس الخرقة الفقرية الفخرية، وحفظ الكتب الموقوفة بالمسجد الحرام النبوي، بخلوة السيد صبغة الله الحسيني، ثم تلميذه أحمد الشناوي، ثم تلميذه السيد أسعد البلخي ـ نفع الله بهم ـ.

وأخذ الحديث عن كثيرٍ من علماء عصره، بعضهم بالسماع، وبعضهم بالإجازة من علماء الإسلام، في مشارق الأرض ومغاربها، وهندها ورومها، وله أسانيد عالية، واعتناءٌ بها تام، وألف فهرساً جمع فيه مروياته وشيوخه ومسلسلاته، في نحو عشر كراريس، سماه: «إتحاف رفيع الهمة بوصل أحاديث شفيع الأمة»، وسماه أيضاً: «مسالك الأبرار إلى أحاديث النبي المختار»، وأرسل إلي وأنا بالقاهرة نسخةً منه، كتب لي بخطه عليها إجازة، وألف كتاباً أيضاً في أسانيده سماه: «الأمم لإيقاظ الهمم».

وطريقه ـ نفع الله به ـ طريق السلف الصالح حالاً ومقالاً واعتقاداً، وهو ـ نفع الله به ـ من الذين إذا رُؤوا، ذُكر الله سبحانه، وممن جبله الله على أخلاقٍ من مجامع الخير، قل أن توجد في غيره علماً وعملاً، وورعاً وزهادةً، وتواضعاً وصبراً، وحلماً واحتمالاً، وصدقاً وإخلاصاً، وعدم مبالاة بالنفس، يلبس ما تيسر، تاركاً لزي متفقهة الوقت ومتصوفته؛ من تكبير العمامة، وتطويل الأكمام، وإرسال الطيلسان، ولباس الجوخ، إنما يلبس عمامةً متقاربةً،

يرسل عذبتها بين كتفيه، ويلبس من متوسط الثياب ما يناسب وقته، من حرٍّ وبردٍ إذا وجده.

من لا يعرفه في مجلس درسه مع أصحابه لا يميز بينه وبينهم؛ لاختلاطه بهم، ولعدم تصديره، وإظهارِ التميز عليهم، حتى في كلامه وتقريره للأصحاب، يبدي ذلك على وجه يشبه المذاكرة والمفاوضة، فيقول: لعل كذا وكذا، ويشبه أن يكون كذا وكذا، ترون أن هذا يُفهم على هذا، فإذا روجع ـ ولو أدنى مراجعة ـ، توقف حتى يتثبت، بيد أن لسانه فيه بعض ثقل في التقرير بالعربية، وإذا كتب، فلا تسل عما يبدي ويعيد في تقريره، عليه مهابةٌ ووقار، لا يفتر ساعة عن الذكر باللسان والقلب.

وأخبرني ـ قدس الله سره ـ: أنه دخل أربعين خلوةً أربعينية، ولم يزل إلى أن مات وهو يتعهد الخلوة أياماً، وينقطع للذكر، حتى انتقل إلى رحمة الله ورضوانه عصر يوم الأربعاء، الذي ورد أنه لا يفتح فيه قبر منافق، ثامن عشري جمادى الأولى سنة ألف ومئة وواحدة، ودفن بعد المغرب ببقيع الغرقد.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: شرحان على عقيدة شيخه أحمد القشاشي، كبيرٌ سماه: «قصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل»، وصغيرٌ سماه: «زاد المسير والأسفار عن أصل استخارة أعمال الليل والنهار»، و«مسلك الاعتدال إلى آية خلق الأعمال»، و«إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات»، و«تكملة العوامل الجرجانية»، و«تكملة التعريف لكتاب التصريف»، و«الأربعون حديثاً العوالي».

وكتاب «إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله»، ابتدأه في بلاده، وفرغ

من تهذيبه وتحقيقه وإكماله، بعد استقراره بالمدينة، وهو كتابٌ مفيدٌ لم يؤلف في معناه مثله، أودعه من التحقيقات ما لا يوجد في غيره، ومن النكت النحوية، والقواعد الأصولية، والمباحث البيانية، كلَّ درةٍ فريدةٍ، وجمانةٍ ثمينةٍ، لم يدع شيئاً يتعلق بإعراب الكلمة المشرفة إلا ذكره، مع زيادة التحقيق والتدقيق، ثم ختمه بأربعين حديثاً في فضل لا إله إلا الله، وذكر سنده في تلقينها، وقد طال بحثه على جمع الأحاديث المذكورة في محالها، حتى منّ الله عليه بجمعها من مظانها، وبالجملة: فهو كتابٌ نفيسٌ محتوٍ على درر العلم، تنافس أصحابنا ومشايخنا في كتابته، وله غير ذلك من الرسائل والحواشي، والأسئلة والأجوبة، التي يضيق العد عن حصرها، وقد جمعت غالبها ـ ولله الحمد والمنة ـ.

وتلقنت منه الذكر، وألبسني الخرقة، وقرأت عليه من أول «صحيح البخاري» إلى قوله ﷺ: «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر»، ومن أول كلٍّ من بقية الكتب الستة، وسمعت عليه طرفاً كبيراً من «شرح صحيح مسلم» للنووي، ومن «الدر المنثور في التفسير المأثور» للسيوطي، ومن «إحياء علوم الدين» بقراءة الشيخ علي ابن شيخنا أحمد القشاشي.

وقرأت عليه جميع كتاب «النصوص» للشيخ صدر الدين القونوي، وسمعت عليه طرفاً من «الفتوحات المكية» للشيخ محيي الدين بن عربي، بقراءة الشيخ أحمد المغلاني المالكي، وسمعت عليه طرفاً من «مواقع النجوم» لابن عربي بقراءة الشيخ محمد سعيد الكوكتي، وحضور الشيخ أحمد البنا الدمياطي، وطرفاً من «تفسير البيضاوي»، ومن «الجامع الصغير» للسيوطي، وغير ذلك من مقروء ومسموع، ومفرد ومجموع، وقرأت عليه ما كتبه من

«شرح التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ» للشيخ محمد بن فضل الله البرهانبوري.

وكان أول اجتماعي عليه وقراءة الكتب المذكورة سنة ست وثمانين بعد الألف عام رحلتي للمدينة، وكان دخولي تلك السنة ختام شهر رجب، ورجوعي إلى مكة ختام شوال، وكنت أتعهد الزيارة في غالب السنين، وأغتنم ملازمته، وقدم مكة ـ نفع الله به ـ للحج مرات، وكنت لا أفارقه في غالب الأوقات، وكتب لي إجازة حافلة بمروياته، ومن جملة ما أوصاني فيها: أن أستعين بالله في جميع أموري.

وكان مجلسه ﷺ روضة من رياض الجنة، قلّما يقرر مسألةً من مسائل الحكماء إلا ويدرج فيها ما يشاء، كلها من الحقائق، وعقائد المتكلمين، وهي ما بين كلامهم وكلام العارفين والمتكلمين من التفاوت، ويقول: قاربَوا العثور على الحق، ولمّا يهتدوا إليه؛ لفقدان نور المتابعة والاستضاءة بمشكاة النبوة.

وذلك لأن موضوع العلمين، ومطلوبَ الفريقين متقارب؛ إذ كل منهما البحثُ فيه إنما هو القديم منه من الحادث، إلا أن الحكماء تكلموا في ذلك ببضاعة عقولهم المزجاة، فلم يصلوا إلا لحدس وتخمين، وأوهام تستند إلى تجارب وقياسات الغائب على الشاهد، وكل ذلك لا يفيد صريح العلم الذي يثلج له الصدر.

بَيْد أن الإشراقيين منهم معتمدُهم على كشوفات تحصل من الرياضيات الفلسفية، وأذواق وإدراكات وجدانية، تحصل لهم من مصاحبة مشايخهم، وهي ـ أيضاً ـ كثيرة الغلط، عظيمة الاشتباه، لا يكاد يُميز فيها الحق من الباطل، وهي طريق الأقدمين منهم؛ كأفلاطون.

وأول من أخرج الحكمة من القوة إلى الفعل، وجعل لهم قوانين تعليمية؛ من منطقٍ وهندسةٍ: تلميذه أرسطو، وتسمى حكمة هؤلاء: حكمة المشائين؛ لمشيهم حول أساتيذهم[1]، يتعلمون من ألفاظهم وحكمهم، وتسمى حكمة الأولين: حكمة الإشراقيين؛ لكون مرجعهم إلى ما تشرق به بواطنهم من الحكم، وهي كما قدمنا كثيرة الاضطراب، لأن للعقول حداً تنتهي إليه، والمطلوب وراء طور العقل، ولله در القائل:

وللعقول قُوًى تسير بل[2] مَدًى　　　إن تَعْدُ ظهرت فيه اضطرابات

وقد أُلف في كل الطريقين تآليف قديمة وإسلامية، وأحسن التآليف في الأولى: تأليف السهروردي المقتول، المسمى بـ: «حكمة الإشراق».

وأما المليون[3]، فالمتكلمون منهم بحثوا عن ماهية الوجود، من طريق العقل ـ أيضاً ـ، إلا أنهم استندوا إلى النقل ـ أيضاً ـ، واعتمدوا عليه، ورفضوا ما لم يكن رده إليه، من أقوال الحكماء؛ كقدم العالم، وتأثير الأفلاك، والقول بالعلة والطبيعة، وغير ذلك مما هو مقرر في محله، ووافقهم في أشياء كثيرة لم يرد نقلٌ بما يخالفها، أو ورد واحتمل.

فأهل السنة يتمسكون بصريح النقل، ويهملون آراء الحكماء، ولا يؤوِّلون النقل، والمعتزلة بالعكس، ولأجل ذلك أدخل المتكلمون من الفريقين في كتبهم من أقوال الحكماء وآرائهم ومذاهبهم وعلومهم؛ مما كاد العلمان به

---

(١) في الأصل: أسانيدهم.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بلا.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: المشاؤون.

أن يشتبها ـ أعني: كلام الكلام، وعلم الحكمة ـ.

حتى إن كتب المتكلمين؛ كـ: «العضد»، و«السعد»، معظمهما إنما هو تقرير مذاهب الحكماء، فصارت الإلهيات والنبوات منها جزءاً من الأجزاء، ومع ذلك، فقد أبرزها في قالب تقريراتهم واحتجاجاتهم، وإن كانوا يخالفونهم فيما لم يوافق عليه النقل. انتهى.

ومن تقريراته ـ نفع الله به أيضاً ـ: أن الإمام السمرقندي ذكر في تأليفٍ له كلاماً يشتمل على تقسيمٍ عجيبٍ في التمييز بين مذاهب الحكماء الإشراقيين والمشائين، ومذاهب المتكلمين والصوفية المحققين، ونصّه:

الطريق إلى معرفة المبدأ والمعاد من وجهين: **أحدهما**: طريق النظر والاستدلال، **وثانيهما**: طريق أهل الرياضة والمجاهدات، فالسالكون للطريقة الأولى إن التزموا ملةً من ملل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فهم المتكلمون، وإلا، فهم المشاؤون، والسالكون للطريقة الثانية، وهم أهل الرياضة والمجاهدة، إن وافقوا في رياضتهم أحكام الشريعة، فهم الصوفية المتشرعون، وإلا، فهم الحكماء الإشراقيون. انتهى.

وهو كلامٌ عجيبٌ تتميز به المذاهب، وهو غير مخالف لما قدمنا من الكلام في مذهب الحكماء والمتكلمين.

وأما العارفون المحققون، فمعتمدهم في أول الأمر على النقل الصحيح، والفهم الصريح من الكتاب والسنة، من غير استنادٍ في ذلك إلى قولٍ متعسفٍ تقليداً، ولا إلى تخمينٍ بعقلٍ وحدسٍ بفكر، إلا ما لا بد منه في فهم المنقولات، فيقبلون بكليتهم على صدق المتابعة، وتزكية النفس وتهذيبها، على طريق

الاقتداء، وإفراد الوجهة، وقطع العلائق؛ حتى تشرق أنوار الحق في قلوبهم، فتفتح لها أبواب الملكوت، فتشاهد بأنوار البصائر وصفاء السرائر، حقائقَ الوجود العلوية والسفلية، وتدرك الأشياء الغيبية على ما هي عليه.

ولذلك لا يقع في كلامهم ـ غالباً ـ على حقائق الموجودات، ما يخالف ما أخبر به عنها مخترعها تعالى، ومنشئها على لسان رسوله الأكرم ﷺ، وإن ظنه من لم يفهم مقاصدَهم مخالفاً، فذلك لقصور نظره. على أنهم متفاوتون في قوة نور البصيرة، ونفوذ الإدراك، وصحة الكشف، فقد يخبر أحدٌ منهم بخلاف ما أخبر به الآخر، وكلٌّ منهم صادق؛ لأنه أخبر بما أدرك، وفوق كل ذي علم عليم، ومنتهى العلم إلى الله العظيم، وما أقربَ طريقَهم من طريق الحكماء الإشراقيين، لولا ما فات الإشراقيين من نور التوفيق المسبب عن صدق المتابعة.

ومن تأمل كلام الحكماء العارفين؛ كابن سبعين، والشيخ محيي الدين، وأضرابهما، على قرب ما بين الطريقين في المدرك، وبُعد ما بينهما في المدرك.

وقد أطلت الكلام في هذه المسألة؛ لئلا يستبعد جاهلٌ مزجَ قراءة كتب الحكماء بكلام العارفين الأصفياء، ولعمري! إن في قراءة كتبهم، وفهم كلامهم أعظمَ معين على فهم الحقائق لمن وُفِّق لصدق المتابعة، وأُيّد بصحبة عارفٍ؛ كشيخنا المترجم.

فإنه ما برز على أهل زمانه، ولا فات سائر أقرانه، إلا بذلك؛ فإنه بعد ما تمهر في فهم المعقولات، وأدرك أقاويل الحكماء، وسبر آراءهم، وُفِّق

بصحبة عارف زمانه شيخِنا القشاشي، فأشرقت أنوار المعارف من مشكاة قلبه، الذي كاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، وكذلك كان الإمام الغزالي ﷺ كما أخبر عن نفسه، في كتابه «المنقذ من الضلال» بعد ما حقق تلك العلوم بأسرها، وخاض فيها خوض ماهر خِرّيت، أدركته العناية الأزلية، فصار أمره إلى ما صار.

وأما من لم يُوفق لما وُفق إليه مَن ذُكر؛ من صِدق المتابعة، وصحبة العارفين، فهي من أعظم الضرر عليه، توقعه في مزالق الأوهام، ومتشابهات من الأفهام، لا يكاد يتحصل على شيء يشدّ عليه يده، ولا ينكشف له فهمٌ يثق بما أداه إليه إلا سرى به إلى فهم، شأن من ينتقل من كونٍ إلى كون، والأكوان كلها ظلمةٌ وخيالات وأوهام، لا تخرج من وهمٍ إلا إلى وهم.

ومن وُفق، انتقل من كونٍ إلى مُكون، ولا يكون ذلك إلا به، فمن انتقل بالله، وصل إلى الله، ومن انتقل بنفسه وعقله ـ الذي هو من جملة الأكوان ـ، لم يصل إلى الكون الذي انتقل منه، ولله درُّ العارف ابن[1] عطاء الله إذ قال: لا ترحل من كونٍ إلى كونٍ، فتكونَ كحمار الرحى، الذي انتقل منه هو الذي انتقل إليه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكوّن ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

وجل وتعالى المكوّن أن يصل إليه أحدٌ إلا بتوصيله، فمن طلب الحق بالحق، وصل إلى صريح الحق، ومن طلب الحق، بغير الحق لم يصل إليه أبداً، وكل ما سوى الله فليس بحق، إنه خيالٌ ووهم، إن فتشته، لم تجد

(١) في الأصل: به.

شيئاً، والحق ليس كذلك.

وحضرْتُه مرةً وهو يقرئ «شرح المواقف» للسيد الشريف لجماعةٍ من الفضلاء في مبحث الوجود، هل هو مقول بالاشتراك على إفراده أو بالتواطؤ؟ وكان ـ نفع الله به ـ يقول: كلام السيد في هذا المقام غايةٌ في التحقيق، قال: وهو أقربُ من رأينا من المتكلمين لمذاهب العارفين، وأكثرهم عثوراً على مقاصدهم.

وكان يقول: إن السبب في ذلك: أنه سلك على يد غوث الزمان الشيخ علاء الدين العطار البخاري، أجلِّ خلفاء الشيخ بهاء الدين نقشبند، ودخل في طريق القوم على يديه، وترك ما كان عليه من عظمة المدرسين، فأشرقت أنوار المعارف من قلبه، وظهرت عليه بركات صحبة القوم.

وكان ﷺ من جماعة الملا سعد الدين التفتازاني، ومن أكابر أصحابه، حتى برز عليه في حياته، وكتب على كثيرٍ من مصنفاته كتابةً أبانت عن إنافته عليـه في تحقيق العلوم، وقد حصلت بينه وبينـه مناظرةٌ في مجلس تمرلنك سلطانِ ما وراء النهر، فأفحمه، ثم اعتذر إليه بعد ذلك.

وقد أخبرني بعض المشايخ: أن السعد وجماعته، وفيهم السيد، قدموا لزيارة بعض المشايخ العارفين، فلما جلسوا بين يديه، قال لهم ذلك العارف: أيكم يتخلص من هذه الوظائف، ويترك هذه المناصب وجاهه الدنيوي، وأنا أوصله إلى الله تعالى في أقرب مدة؟ فضنّ المولى سعد الدين برياسته، فكانت له رياسةٌ كبيرةٌ في آخر أمره، وجاهٌ عند الأمراء، وجلالة قدرٍ عند أرباب الدولة وغيرهم من العامة.

فقال السيد لذلك العارف: أنا أنخلع من رياستي، وأترك هذه الوظائف العلمية، والمناصب الدنيوية، فقبل منه ذلك، وصرف همته إليه، فانتفع بذلك في أقرب مدةٍ، ولم يسمِّ لي من سمعتُ ذلك منه العارفَ الذي سلك على يديه، حتى رأيت في كتاب «الرشحات»: أنه صحب الشيخ علاء الدين العطار، وصحبه أيضاً تلميذه الشيخ نظام الدين الخاموشي، بأمر شيخه علاء الدين رضي الله عنهما، فعلمت أنه هو الذي وقع له معه ذلك.

قلت: وقد فتح الله على السيد باب الوحدة الوجودية، فعرفها حق معرفتها، وألف فيها رسالة فارسية بديعة، وأشار إلى صحتها في حواشي شرح التجريد القديم، ولما رجعت إلى القاهرة، بعد أن جاورت بالحرمين مدةً، ألف شيخنا كتاباً حافلاً سماه: «إفاضة العَلاَّم في مسألة الكلام» أرسل لي نسخةً منه ـ قدس الله روحه ـ أهداها إليّ، وأمرني بمطالعتها مرات، وقد أجاد فيه كل الإجادة، وقد عُلم محلُّ هذه المسألة، وعظمُ قدرها من علم الكلام، وأنها ـ لصعوبتها ـ هي السبب في إضافة هذا العلم للكلام.

ومَبنَى هذا التأليف أولاً: على تحقيق النزاع الذي بين الأشعرية والحنابلة فيه، إلى القول بالحرف والصوت، وادعاء القدم لهما؛ صوناً لجانب القرآن عن نسبة الحدوث إلى شيء منه، ولم يبالوا بما أدّاهم إليه ذلك من جحد الضرورة والمشاهدة في حدوثها وانقضائها.

وقد كثرت المقالة في ذلك بين متأخري الشافعية والحنابلة، حتى أدّى ذلك إلى تضليل كلٍّ من الفريقين صاحبَه، وبسبب هذه المسألة وغيرها من المسائل التي تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة؛ كالاستواء، والنزول، والقَدَم، والوجه، والعينين، وغير ذلك من أحاديث الصفات، حُكم بتضليل

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية وأتباعه؛ كالعلامة. . .[1]، ابن القيم معاصروه من الشافعية؛ كالسبكي، وغيرهم، وتحاملوا عليه، ونسبوه إلى العظائم.

وقد أجادَ شيخنا ﷺ بالفحص عن كل ما نسب إلى الحنابلة، ولم يقلد في ذلك أهل التحقيق محل النزاع، ونسبة كل واحدٍ منهما صاحبه إلى لازم قوله وتعلقه بظواهر أقواله، وإن كان في صريح كلامه ما يدفع تلك اللوازم، ويحيل عن تلك الظواهر.

ولذلك كتب شيخنا عند عزمه على البحث في هذه المسائل، بإشارة شيخه الصفيِّ القشاشي، إلى الشيخ عبد الباقي الحنبلي البعلي، ثم الدمشقي، وهو ـ إذ ذاك ـ كبير الحنابلة وإمامهم، علماً وعملاً وصلاحاً بدمشق، ليكتب له بمعتقد الحنابلة محرراً مبيناً بأدلته، حتى لا ينسب لهم شيئاً مما لم يقولوا، وأخذ هو في الفحص عن رسائل الشيخ ابن تيمية وأصحابه، فيما يتعلق بذلك، حتى ظفر بما تحرر له من معتقد الحنابلة ومَبنَى طريقهم.

وكتب إليه الشيخ عبد الباقي رسالةً متضمنةً لجميع ما طلب منه بيانه، فحينئذٍ أخذ في تصنيف هذا الكتاب، وحرر فيه النظر ودققه وحققه، في مسألة الكلام، ثم في سائر المسائل التي وقع فيها النزاع، ونظر في ذلك نظر من هو منصفٌ متحلّ بجميع الأوصاف.

قال ـ رحمه الله ـ: لما أمعنت النظر في رسائل القوم ومصنفاتهم، وجدتهم بُرآءَ من كثيرٍ مما رمتهم أصحابنا الشافعية؛ من التجسيم والتشبيه،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «العلامة» بياض».

وإنما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين؛ كما هو المعروف من حال إمامهم ﷺ؛ من إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها، والإيمان بها كذلك، مفوضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذمّه أحدٌ من الأشعرية.

بَيْد أن الحنابلة مشدِّدون في ردِّ التأويل في كل ذلك، مجهِّلون من يذهب إليه؛ كالأشعرية، فيقولون: الله ورسوله وسلف الأمة أدرى بمعاني الآيات والأحاديث من هؤلاء المؤوِّلين، وما ورد عنهم أنهم أَوَّلوا شيئاً من ذلك، فإما أن يكون ذلك لأن معناه خفيَ عليهم، فكيف ظهر لهؤلاء ما خفي على أولئك؟ وإما لأنها على ما يظهر من معناها؛ لأن الشرع جاء بلغة العرب، فمراد الله بهذه الألفاظ هي المعاني التي يريدها منها العرب في لغتهم، وتطلق على كل واحدٍ بحسب ما يليق به.

فالمراد بالاستواء والفوق والنزول، هي: معناها المقصود في كلام العرب، فإذا قلت: زيدٌ فوق السرير، فمعناه: مستقرٌّ عليه، متمكنٌ منه مستقل، ولمّا علمنا أن زيداً جرمٌ من الأجرام، والسرير كذلك، تحقق لنا أن الفوقية في حقه، واستقرارَه فوق السرير، يوجب مماسّةً له، وتحيزه في جهة من جهاته، وغير ذلك من الأوصاف التي يوجب استقرار جرم على جرم.

وأما المولى ـ جل جلاله ـ، فماهية ذاته غير مدرَكة لأحد من الخلق، فكيف يقول بأن استقراره فوق العرش يوجب مماسّة له، وتحيزه في جهة؛ لأن ذلك لازمُ استقرار الجسم، وأما استقرار من ليس بجسم، فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا، حتى تعلم ماهيته، والماهيةُ غير معلومة.

فنثبت له استقراراً حقيقياً فوق كل عرشه؛ لأنه أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بإثبات الفوقانية التي معناها في اللغة التي جاء بها القرآن:

الاستقرار على الشيء، والاستعلاءُ عليه، على وجه يليق بذاته، لا ندركه الآن؛ لأنا لم ندركهُ ذاته، بأن استقرارها على شيء وعلوَّها عليه يوجب المماسَّة والتحيز، فقد يستقر الشيء على الشيء بلا مماسة؛ لاستحالتها من المستقر، وإن جازت في حق المستقر عليه.

وكذلك يقولون في النزول: أن المُحالات المذكورة إنما تلزم من نزول الأجسام من. . .[1].

والغير، بل نثبته له؛ لأنه أثبته لنفسه، ونقول: إنه نزول حقيقيٌّ منزَّهٌ عما يطرأ ويقع من نزول الأجسام؛ لأنه ليس بجسم.

وكذلك القول في الاستواء، نؤمن به على ما هو المفهوم من كلام العرب؛ لأنه أثبته لنفسه بكلام هو من لغة العرب، ولا نقول بما ألزمتمونا من الجهة والمماسة ـ أيضاً ـ؛ لأن ذلك في استواء الأجسام بعضها على بعض، وأما استواء من ليس بجسمٍ على جسمٍ، فلا ندرك منه، ولا نعقل إلا أنه استواء، وكيفيته وما يلزم منه لا نعلمه؛ لعدم علمنا بالماهية.

وقد بالغ ابن القيم في الرد على الأشعرية في مثل هذا، وأتى بعبارة سوءٍ، وقال: إنهم تكلفوا في كلام الله تعالى ورسوله، وتنطعوا في فهمه، قال: فلام الأشعرية كنون اليهود في الزيادة والتنطع، فاليهود أُمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حنطة، فزادوا النون تنطُّعاً، وتقوَّلوا على الله ما لم يقله، والأشعرية كذلك، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، فتنطعوا وقالوا: استولى، فزادوا اللام تنطعاً.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «من» الأخيرة من هذا السطر بياض بالأصل».

ولقد أساء ـ سامحه الله ـ الخطاب، وتنكب بمحض العصبية عن الصواب؛ فإن الأشعرية ﷺ لم يجحدوا استوى، ولم يمتنعوا من قوله، بل قالوا: استوى، وبه يقرؤون، ويتقربون إلى الله تعالى، ولكنهم بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر منه محالاً على الله تعالى، فقال: معنى استوى: استولى؛ لورود اللفظين معاً في لغة العرب بمعنًى واحدٍ؛ كقوله:

قد استولى بِشْرٌ على العراقِ   من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت بين الفريقين فيما وقعوا فيه، وإلا، فالكل على هدًى ـ إن شاء الله تعالى ـ فيما يظهر؛ لأن المفوض مسلّمٌ لمراد الله تعالى، تاركٌ ما لم يكلَّف بعلمه، والمتأول متبعٌ لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة، حاملٌ عليه ما لم يتضح معناه، حتى تكون العقيدة كلها على نسقٍ واحدٍ.

ولا يسوغ إلى فهم القاصر معنًى لا يليق بالرب، فيثبته له، فالتأويل لأجل هذا حسن؛ لأنه حراسةٌ عن اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده، فإذا سمع قاصر الفهم استوى، لم يتبادر إلى فهمه إلا المعنى المستحيل، فإذا سمع قول العالم معناه: استولى عليه بالقهر والغلبة، زالت تلك الشبهة من قلبه.

وهو الذي أوّلنا به الاستواء، وإن لم يكن هو مراد الله ورسوله، فهو لا شك معنًى ثابتٌ لله، متصفٌ به، لا ينافي ما هو معناه عند الله، فلا كبير ضرر في ذلك، ولا تحكُّم؛ إذ لم نقل: ليس له معنى إلا هذا، بل نقول: يحتمل معناه هذا، وهذا صدق؛ لأنه محتمل.

ولقد أطلعني بعض أصحابنا الحنابلة بالقاهرة على رسالة للشيخ ابن

تيمية، وهي مُعْتمدةٌ عند الحنابلة، وطالعتها كلها، فلم أر فيها شيئاً مما ينبذ به ويرمى بـه في العقائـد، سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل، وتمسكه بالظواهر مع التفويض، مع المبالغة في التنزيه مبالغةً يقطع معها بأنه لا يعتقد تجسيماً ولا تشبيهاً، بل يصرح بذلك تصريحاً لا خفاء فيه.

والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم، ويأخذه بلازم قوله الذي لا يقول به، ولا يسلم لزومه لقوله، وعلى كل حال، فهو كما قال كثيرٌ من المشايخ في الشيخ محيي الدين، قال سيدنا العلامة الشيخ عبدالله بن محمـد العياشي: وكثيراً ما كنت أسمع من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر الفاسي ﷺ يقول: محكمُ كلامه يقضي على متشابهه، ومطلقُه يردّ إلى مقيّده، ومجمَلُه إلى مبينه، ومبهَمْه إلى صريحه، كما هو شأن كل كلامٍ ظهرت عدالة صاحبه، والله أعلم.

قال: ولقد أحسن شيخنـا ﷺ التوفيقَ بين كلامهم وكلام الأشعريـة، كمـا أن الأشعريـة مبرؤون مما نسب إليهم الحنابلـة من التعطيل والتحريف لكـلام الله تعـالى عن مواضعـه، والكـل على هدًى ـ إن شـاء الله تعالى ـ، متمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة، يصدق كلام بعضهم بعضاً، ويصدّقون كلهم بكلام الله تعالى ورسوله، وهو مصدقهم.

وإن اختلفوا في التأويل والتفويض، فهما طريقـان مسلوكان منسوبان معاً لأهل السنة والجماعة، وإن كثر التفويض عند السلف؛ لعدم احتياجهم إلى ذلك؛ لظهور أهل الأهواء المتمسكين بمتشابه الآيات والأخبار، الحاملين لها قبيح آرائهم، فتعين على أهـل السنـة والجماعـة المناضلين عن الاعتقاد

الحق، تأويلُها على ما يوافق الحق، ويبطل[1] تمسكَ المبتدعة بها.

ولم يقل أحدٌ من الأشعرية بوجوب التأويل، وأنه لا يجوز الإيمان بالمتشابه على ما هو عليه، بل استحبوا التأويل للغرض المذكور، ولم يخالف عقائد أهل الحق من المقلدين الأئمة الأربعة، إلا طوائفُ قليلةٌ لا يُعبأ بهم.

كما قال الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»؛ فقد قال فيه ـ عند ذكره للعلماء، في المثال السادس والأربعين ـ ما نصه: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية، وفضلاء الحنابلة ـ ولله الحمد ـ في العقائد يدٌ واحدةٌ، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ، لا يحيد عنها إلا رعاعٌ من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاعٌ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية، فلم يُر مالكيٌّ إلا أشعريَّ العقيدة. انتهى.

قلت: ومن أراد أن ينشرح صدره، ويتبين له تبيناً لا مِراءَ فيه صحةَ مذهب الإمام الأشعري، وأنه مذهب أهل السنة والجماعة، فليطالع كتاب الإمام أبي القاسم بن عساكر المسمى: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري»؛ فقد أتى فيه من أدلة الكتاب والسنة، وأقاويل السلف والخلف، ما لا يمتري معه عاقلٌ خالٍ من التعصب: أنه إمام السنة، ورئيس الجماعة المضمونِ لها العصمةُ من الله.

ولقد قال لي شيخنا المترجَم يوماً: ما رأيت مذهباً من مذاهب أئمة المتكلمين، أقربَ إلى مذاهب العارفين وأشبهَ بها، من مذهب الإمام أبي

---

(١) في الأصل: يبطل.

الحسن الأشعري، فما قال العارفون أهلُ الكشف في مسألةٍ بخلاف قول المتكلمين، إلا وجدت قول الأشعري أقربَ إلى قولهم من قول غيره؛ بحيث يمكن رده إلى قولهم بأدنى تأويل، بل المواضع المستشكلة من كلامه على وفق ما يقوله أهل الكشف.

ولذلك أشكلت على من لم يبلغ مقامه في المعرفة من أهل الظاهر؛ كقوله في الوجود: إن وجود كل شيء عينه، هو عين قولهم بالوجود المطلق ووحدته، وقوله في الصفات: لا هي هو، ولا هو هي غيره، وقوله في الكسب والاستطاعة، كل ذلك لا كبير فرق بينه وبين ما اتضح لبصائر أهل الكشف.

ومن طالع تأليف المؤلفين في عقائد العارفين وإجماعاتهم؛ كالكلاباذي في «التعرف»، وجدها لا تباين مذاهب أهل السنة والجماعة فيما اتفقوا عليه، وقريبةً من مذهب الأشعري فيما اختلفوا فيه.

وقد ذكرت ما قال شيخنا المترجم لشيخنا صدرِ الجماعة، وإمامِ أهل كل صناعة، العلامةِ العارف المحقق سيدي عبد القادر بن علي الفاسي، فصدّقه في ذلك، وقال: لا شك أن الإمام الأشعري كان له حظٌّ وافرٌ من العلم والمعرفة به، مؤيداً في أقواله، مسدّداً في آرائه، غيرَ خالٍ من الكشف الصحيح، والذوق الصريح، ولولا ما أقامه الله تعالى فيه من مناظرة أهل الأهواء ومناضلتهم، والجري معهم على نحو ما عرفوه من أدلة المتكلمين، لكان رأساً في طريق القوم، وإمامَ العارفين في زمانه، وقد شهد له بذلك أهلُ البصائر من العارفين في زمانه وبعدَه.

ولقد قال لي شيخنا المترجم: إنه ليشق عليّ كثيراً أن أجد في كلام العارفين ما يخالف بظاهره أقوال الإمام الأشعري، ومع ذلك، فلا ألبث إلا

يسيـراً حتى يفتح الله لي باباً من الفهم، يتضح لي بـه موافقة كلامهم لرأيه، فأحمد الله كثيراً، وقد علم أن أهل الصدق لا اختلاف بينهم، وإن أوهمه ظاهر كلامهم في بعض المواضع، والله أعلم.

ومن تآليفه ـ أيضاً ـ: «تكملـة القـول الجلي»، وهو جوابٌ عن أسئلةٍ وردت من بعض علماء الزيدية من أهل اليمن، في حياة شيخه القشاشي، وأمره بالجواب عنها، ومن رسائله: «المتمة للمسألة المهمة»؛ يعني: مسألة الكسب، التي ألف فيها شيخه القشاشي رسائله الثلاث، ومنها: رسالة أخرى سماها: «ذيل المتمـة» فيها ـ أيضاً ـ، ورسالة أخرى فيها ـ أيضاً ـ، فله ثلاث رسائل كشيخه، إلا أنها أصغر منها.

ومنها: «إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» أجاد فيه كل الإجادة، وحقق الكلام فيها غاية التحقيق.

ومنها: رسالةٌ أخرى في مسألة طال البحث فيها، بين شيخه القشاشي، وأصحاب الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهنـدي النقشبندي، وهي مسألـة تفضيل البشر على الكعبة[1]، وهي مسألةٌ قديمـة البحث، تكلم فيها الشيخ محيي الدين في «الفتوحات»، وحكم بتفضيل البشر.

فلما جاء إلى الشيخ آدم شيخ الشيخ جمال الدين الهندي إلى المدينة، وهو من أجل تلامذة الشيخ أحمد بن عبد الأحد، ألف رسالةً في ذلك شيخُه القشاشي، ثم توفي الشيخ آدم بالمدينة، وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الشيخ القشاشي تصرف فيه بقوة الحال، وأعلم بموته، فمات قريباً من ذلك.

---

(١) جاء في الحاشية: «مطلبٌ: الكلام في تفضيل مكة والكعبة على البشر».

فلما قدم إلى المدينة سنة ثمان وستين أولادُ الشيخ أحمد بن عبد الأحد: الشيخ محمد معصوم، وأخوه، وأولادهم، وكانت لهم نجابةٌ وعلمٌ وفهمٌ، على ما أخبرني شيخنا، إلى أن جرى ذكر المقالة التي وقع البحث فيها بين شيخه القشاشي وبين تلامذة أبيهم، فأمر الشيخ القشاشي تلميذَه شيخَنا المترجم أن يؤلف في ذلك، فألف رسالةً مفيدة.

ولما قدم أولاد الشيخ أحمد بن عبد الأحد المدينة، قدموا في هيئةٍ عظيمةٍ، وأتباعٍ كثير، وانثال الناس عليهم للأخذ عنهم، والتبرك بهم، فبعثوا أولادهم للقاء الشيخ أحمد القشاشي وزيارته.

قال شيخنا المترجَم: فلما انفصلوا من عند الشيخ القشاشي، قال لنا: إن هؤلاء كبراء قومٍ، وأهلُ علمٍ ونسبةٍ لله، قد قدموا علينا في هذه البلدة الشريفة، وتفضلوا ببعث أولادهم لزيارتنا، فيحق عليكم أن تزوروهم في محالهم التي نزلوا فيها مكافأة لهم؛ لئلا يجدوا في قلوبهم.

قال: فوجهني أنا والشيخ مهنا للقائهم، وكان الشيخ مهنا من رجال وقته، له حالٌ قويةٌ، وسلوكٌ مستقيمٌ في الطريق، صحب السيد سالم شيخان باعلوي، وبعد وفاته اتصل بالشيخ القشاشي؛ لما بينه وبين شيخه من الصحبة والألفة.

وكان الشيخ مهنا يقول: إنه وجد القشاشي لما اتصل به أكمل حالاً، وأتم عرفاناً من السيد سالم، فلعل الشيخ القشاشي وصل بعد موت السيد سالم إلى مقام أعلى من مقامه، أو كان كذلك أعلى منه حتى في حياته، إلا أن الشيخ مهنا؛ لقوة استغراقه في شيخه، لم يشعر ـ إذ ذاك ـ بعلو مقام

القشاشي على مقامه.

قال شيخنا المترجم: ولما عزمنا على زيارة الشيخ محمد معصوم، أنا والشيخ مهنا وجماعةٌ من الأصحاب، أضمرت الجزع منه، وتهيأت للقائه؛ لما أخبرت به أن لهم تصرفاً في القلوب قوياً، وتوجهاً عظيماً في مراقبتهم، كما هو شان السادة النقشبندية ﷺ.

فلما أردنا الخروج، قال لنا الشيخ: اذهبوا على بركة الله تعالى، وتحفظوا على نعالكم لئلا تسرق، ولكن ما ثم إلا الخير، قال ذلك على وجه المزاح، وفهمت منه أنه قال: تحفظوا على قلوبكم وأسراركم أن يتصرفوا فيها بهممهم وتوجهاتهم، ولكن لما قال الشيخ: ما ثم إلا الخير، علمنا أنه يمدنا بمدده، فلا يقدرون على التصرف فينا.

قال: فلما دخلنا على كبيرهم، وجدناهم[1] على سرير، وتلقانا وسلم علينا، وجلسنا وجلس، فلحقني هيبةٌ منه عظيمةٌ ورعبٌ، والمجلس غاصٌّ بأهله، فلما استوى بنا المجلس، نظرت إليه وهو متوجِّه، ونظرت إلى الشيخ مهنا وهو جالسٌ بإزائي، ضاربٌ رأسه إلى ذقته، وهو يغطُّ غطيط البَكْر، ولم يشعر به أحدٌ غيري.

فبعد ساعة رفع الشيخ مهنا رأسه وهو يقول سرّاً: يحسبون أن أحداً ليس يقدر عليكم، وأن ليس في البلد أحدٌ يقاومكم، حتى خشيت أن يسمعه، فرفعت رأسي إلى الشيخ محمد معصوم، فرأيته قد ارفضَّ عرقاً، فانفصل المجلس، ولم يكلمنا بكلمةٍ واحدةٍ، فعلمت أن الشيخ أمدنا بمدده، وأنه رام

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وجدناه.

التصرف فينا، ولم يقدر، فأوجم لذلك.

وكذلك عادة المشايخ النقشبندية ﷺ، إذا راموا التصرف في أحدٍ، وغلب حاله حالهم، وقوي عليهم، ولم يقدروا عليه، انقلبت قوة حالهم عليهم، فمنهم من يُغشى عليه، ومنهم من يَضعُف، بل ربما أدى ذلك بعضهم إلى الموت، أو ما ترى الصقر إذا انقضَّ على الصيد بقوةٍ، فأخطأه، ربما كان في ذلك هلاكه؟.

وكان هذا الشيخ لما توجه إلى بواطن أصحاب الشيخ بالتصرف، وقابله الشيخ مهنا بتوجه أقوى منه؛ لقوة مدد شيخه، فلم يقدر على التصرف فيهم، انفعل لذلك، وارفضَّ عرقاً، فلم يتكلم بكلمةٍ خجلاً، فلما رجعنا إلى الشيخ، وجدناه ينتظرنا، وكأنه كان عندنا. انتهى.

وله رسائل أخرى في فنون وتقاييد على مسائل فيما يشكل، ومن تآليفه: «رسالة في الكلام على الاستخارة اليومية» التي جرى عمل الصوفية بها، وهي صلاة ركعتين في كل يومين بنية الاستخارة، وقراءة دعاء الاستخارة معتبرة لجميع شؤونه الدنيوية والدينية.

كان يقول ـ على ما ذكر بعضهم ـ في خلال الدعاء: اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به، وأنطق به، في حقي، وفي حق غيري، وجميع ما يتحرك فيه غيري، وينطق به في حقي، وفي حق أهلي وولدي ومالي، من ساعتي هذه إلى مثلها من الغد، خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي . . . إلخ دعاء الاستخارة الوارد في الحديث؛ فإن بعض الناس أنكر ذلك على الصوفية، وقال: ليس له أصلٌ في السنة، فكتب شيخنا في

ذلك هـذه الرسالـة، استطرد فيها شرح دعـاء الاستخارة شرحاً وجيزاً مفيداً ـ نفعنا الله بذلك بمنه ـ. انتهى.

[٦٥١] إبراهيم بن صالح الهندي الأصل، الصنعاني المولد والمنشأ، الشهير بالمهتدي[١].

أحد الفقهاء المعتبرين، والشعراء المجيدين، شاعر الدولة القاسمية، ومتنبي البلاد اليمنية، وصاحب القصائد البليغة المشهورة، والمقاطيع اللطيفة المأثورة، المشهور بالفضائل الجزيلة، والمتحلي بالأخلاق الجميلة، والمتمكن من عنان صافنِ القريحة، والمتمسك بطيب أذيال اللغة الفصيحة، مَنْ غاص دوائر البحور لاستخراج الدرر، واقتنص بحبائل فكـره مـا سنح من المعاني الغرر، وأجرى طرف الطرف في ميادين الأدب، ونظم بعامل اليـراع ما نثره سيف الفكر من الخطب، وبهر في فنون العلوم، ومهر في المنثور والمنظوم، واشتهر بالشعر الفائق، وافتخر على شعراء العصر بكل معنًى رائق، وتصرف في فنون الشعر تصرفَ المالك، وسلك في طريقته أحسنَ المسالك، ورزق الحظ الوافر في بديع شعره، والثناء على بيان معاني نظمه ونثره، وأقرت له الأقران بالإجادة، وشهدت له الأعيان بالحسنى وزيادة، وكيف لا، وهو غرةٌ في جبهة دهره، وشامةٌ في وجنة عصره، كريم البنان، طلق الوجه واللسان، لطيف الشمائل، بديع الخصال، يجالس النبلاء، ويحب الفضلاء.

---

(١) «نفحـة الريحـانـة» للمحبي (٣/ ٥٦٥) (٢٦٣)، «نشر العـرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٢٩) (٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٦٩)، «هدية العارفين» (١/ ٣٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٣).

اجتمعت به لما قدم مكة، عام ألف ومئة، فرأيته أحسنَ رجل سبك القريضَ، وأخرجه في قالب حسن، وأبلغَ من قدم علينا من صنعاء اليمن، واجتليت بدرَ محياه، وتعطرت بعبير ريَّاه، واقتطفت دررَ الآداب من حديثه، وتفكهت بما رواه من قديمه وحديثه.

وأحبَّ الإقامة في مكة، فلم يمكنه ذلك، وأخذ في أهبة ترحاله، ورجع من البحر إلى بلاده، وهو لا يخلو من كسل بعد حجه الميمون، فلما وصل إليها، سقي لكأس المنون، وفقده المحبون والبنون، فتوفي سنة ألف ومئة وثلاث، بروضة حاتم، من مخارف صنعاء، ودفن بها ـ رحمه الله ـ، ولما بلغ خبر وفاته هناك، رثاه جماعة من الأدباء بمكة، منهم: السيد الأديب أحمد ابن أحمد بن محمد الآنسي، وكان إذ ذاك مجاوراً بمكة، فقال:

قضى نحبَه ربُّ البلاغة والطِّرْسِ	وغُيِّبَ ذاك البدرُ في باطن الرمْسِ
لقد كان إبراهيمُ آيةَ عصرِه	فآلت به أيدي المنون إلى الطَّمْسِ
فو اللهِ ما الكنديُّ نظمًا يقيسه	وفي منبر العلياء أخطبُ من قُسِّ
ويرسل أمثالاً تفوقُ فصاحةً	على العربِ العرباءِ في حِكَمِ الفرسِ
فلو كان يحمي عن حِمامٍ تعذُّرٌ	رددنا الردى بالسيف عنه وبالترسِ
لقد زلزل القطرَ اليمانيَّ موتُه	وقلقلَ من أرسى على جبل الرسِّ
وكادت بناتُ النعش تنعشُ نعشَه	ولكنها لا تدرك الغشَّ[1] بالمسِّ
فيا شخصَه الثاوي بروضَةِ حاتمٍ	مؤرَّجةِ الأرجاء مثمرةِ الغرسِ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: النعش.

سقتك دموعُ العين مني ولو يكن يفيد الفدا مني فديتُك بالنفسِ

لئن عقدَ الحزنُ اللسانَ عن الرثا فربعُ ودادي بالوفا عامرُ الدسِّ

وإن هو قد أُنسي عهودَ مودتي فتذكارُه أُنسي إذا هو قد أُنسي

لقد عدمت منه البلاغةُ نظمَها كما دُرست تلك العلوم من الدرسِ

سَمِيَّ خليل الله صرتَ بحفرةٍ مقدسةٍ تحكي سَمِيَّكَ في القدسِ

سلامٌ على الآداب بعدك إنما صدورُ رثاها فيك من أَلْسُنٍ خُرسِ

بكتك يراعاتُ القريض ودمعُها سوادُ الأماني لا السوادُ من النفس

وعادَ بياضُ الصحْفِ يَصْفَرُّ عندما تخضَّبَ من دمع المحبينَ بالوَرْسِ

وكم بدلَ الموتُ التهانيَ بالأسى وبدل أيدي الجَسِّ لطمًا من الحسِّ

ومن حدثانِ الدهرِ لم يسلمِ امرؤٌ كفى عظةً جريُ الكسوفِ على الشمس

لقد فارقتنا الأمس أترابُنا الألى طفقنا عليهم نضرب الخمس بالخمس

أَنِسْنا بهم دهراً فأوحشَنا النوى وبالرغم أن أرضى التوحُّشَ بالأنس

ألم تر كم حَيٍّ عن الحيِّ مقفراً فليس نرى فيه أنيساً من الإنسِ

رضيتُ فراقي للحياة وكيف لا وقد خَلِيَ المغنى عن النوع والجنسِ

فلا خيرَ في عيش الفتى بعدَ صَحْبه فكيف وحكمُ الدهر يجري على العكسِ

إذا ما شكوتُ الأمسَ فاليومُ مثلُه فو أسفا ما أشبهَ اليومَ بالأمسِ

فآسِ بإبراهيم عن شقيقه وإن كنتُ أولى من يوسى به آسي

أرى العمرَ حبسَ النفسِ في سجن هَمِّها وموتَ الفتى إطلاقَ تلك من الحبسِ

فيا متلفًا للنفس في كسبِ مالِه لقد بعتَها واللهِ بالثمن البَخْسِ

ويا ساعيًا في غير مرضاةِ ربِّه لقد ملتَ عن سعد المساعي إلى النحس

فلا ترتجي غيرَ الآله فإنه عليك رقيبٌ حين تصبح أو تمسي

ولي حسنُ ظن بالإله ولم يخبْ رجاءٌ لراجٍ ربِّه حسنِ الحدسِ

ولما بلغ خبره إلى مكة، رثاه صاحبنا السيد الأديب هاشم بن أحمد الأزراري المكي بقوله:

عزاءٌ سارَ من بلدٍ سَنِيٍّ على متن الشّمالِ مع العَشِيِّ

فأصبح بعد أن عَزَّى الأخلا بصنعا في الخليلِ المهتدِيِّ

يبثُّ محاسنًا عني رواها يضاهي عَرْفُها زهرَ النَّدِيِّ

على أخلاقه الغُرِّ اللواتي كزهر النجمِ والخَلْقِ السوِيِّ

ويملأ سمعَ هاتيك النواحي بما يُمليه من قلبٍ شَجِيٍّ

ويُنشد والجنوبُ له نُهيتٌ على ردِّ الجواب من الضحيِّ

لقد ماتَ القريضُ وكلُّ معنًى يدقُّ خَفاه عن فهمِ الذكيِّ

بموتِ مهذَّبٍ نَدْبٍ فقيهٍ بليغٍ بارعٍ شهمٍ أَبِيِّ

أديبٍ لو رآه أبو المعالي لأعلاه على الندب الصَّلِيِّ

ولو جاراه في نكت سَرِيٌّ لأربى بالعويص على السرِيِّ

بصارمِ لفظِه الهنديِّ كم ذا يكلم كلَّ تركيٍّ تقيٍّ

ويبدي من معاني الشعر ما لو تجسمَ لادَّعاه أبو عَلِيٍّ

تمكن منه سامُ الفضل حتى به افتخر الضعيفُ على القويِّ

فإبراهيمُ في الدنيا كثيرٌ ولكن لا كهذا اللوذعيِّ

وقولي ما له في الفضل ضِدٌّ يؤيد بالأديبِ اليافعيِّ

وعيـــشِك موتُـــه رزءٌ عظـــيمٌ ... لــه فــي القلــب فعــلُ المَــشْرَفِيِّ
ولكنـــي أُصَبِّـــرُ عنــه نفـــسي ... وأُلزمهـــا التأسِّـــي بـــالنبيِّ
فكـــنْ يــا صــنوَهْ مثلــي صــبورًا ... تُجــازى بــالثواب مــن العَلِــيِّ
وقــل للــشامتين بـــه رويـــداً ... فــلا بــدَّ الممــاتُ لكــل حَــيِّ
ودونَـــك مـــن أخـــي وُدٍّ نظامــاً ... يــؤرِّخُ موتَــه خــتمُ الــرويِّ
ويــسأل أن تــصيخ لــه اســتماعًا ... وتنظـــره بعـــين الألمعـــيِّ
فــإن شــمتَ الــوليَّ عليــه يبكــي ... وثغــرَ البــرق يــضحك بــالوليِّ
بمـــزنِ العفـــوِ والغفـــران أَرِّخْ ... (ســقا الجنــان قبــر المهتــدي)

ومن شعر المترجَم قولُه في مليحٍ أكل قاتاً:

أُشَبِّـــهُ ثغـــرَهُ والقـــاتُ فيـــه ... وقـــد ذابـــتْ بعـــشقته القلـــوبُ
لآلٍ قـــد نبـــتْنَ علـــى عقيـــقٍ ... وبينهمـــا زُمُـــردَةٌ[1] تـــذوبُ

وله في مليحٍ حَمَّامي:

بالمـــاءِ وافـــى ريـــمُ حَمَّامنـــا ... يـــصبُّه صَـــبًّا علـــى الـــصَّبِّ
وقــال لــي هــل لــك فــي بــاردٍ ... قلــتُ نعــم مــن ريقِــك العــذبِ

وله في مليحٍ اسمه يحيى:

ولرد يوم فـي النجادِ رمـز لـي[2] ... وحــلا بوصــل مهفهَــفٍ مَيَّــادِ

(١) في الأصل: زمرة، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

ريـــان كـــالخطيِّ إن ســـمته يحيـا بـه بعـد الممـات فـؤادي

وله في مليحٍ اسمه سرور:

بروحـــي أفديـــه مـــن حبـــشيٍّ قـــد ســـباني بمقلَتَـــيْ يُعْفـــورِ

يـــا خليلـــيَّ لا تلومـــا إذا مـــا زدتُ حزناً فصبوتي فـي سُـرور[1]

[٦٥٢] إبراهيم بن أبي بكر بن إسماعيل الدنـاني العـوفي؛ نسبةً إلى عبد الرحمن بن عوف؛ لأنه من ذريته، الصالحي، الحنبلي[2].

كان من الأعيان الأفاضل، وسراة الأماثل، لـه المهارة القويـة، واليد الطولى، والهمة العلية، في الفرائض والعلوم الحسابية، والفقه، وغيره من العلوم الدينية.

ولد بمصر سنة ثمان وعشرين بعد الألف، وقرأ القرآن، وأخذ الفقه عن العلامة منصور الحنبلي البهوتي، والحديث عن جمعٍ من شيوخ الأزهر، وأجازه غالب شيوخه، وكان ـ رحمه الله ـ، لطيف المذاكرة، حسن المحاضرة، قوي الفكرة، واسع العقل، وكان فيه رساسةٌ وحشمةٌ، ومروءةٌ كاملةٌ، وتعصبٌ مع من يعرف ومن لا يعرف.

وكان من محاسن مصر في كمال أدواته وعلومـه، مع الكرم المفرط، والإحسان إلى أهل العلم والمترددين، وكان حسن الخَلْق والأخلاق، جميل المصاحبة للإخوان والرفاق، وكان يرجَع إليه في المشكلات الدنيوية، وأما

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «سرور» صفحة ونصف بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٤).

انتظام أحوال الجامع الكبيرة، فكان لا يتم ولا يحسن إلا بوجوده، ورأيه ومشورته؛ بحيث إن أمراء مصر وكبراءها إذا فعلوا مهماً من عرس وغيره، يكون هو المرتِّب له.

وبالجملة: فإنه كان حسنة من حسنات الزمان في هـذا الأوان، وكان بينه وبين والدي - رحمهما الله - صداقـةٌ شديدةٌ، ومحبةٌ أكيدةٌ، ولنا به كثير إلمام والتئام، وولي النظر عليّ وعلى إخواني، بعد موت الوالد أعواماً، وكان قوي الميل إليّ، كثير الحث لي بالاشتغال بالعلم النافع.

ومن مؤلفاته: «شرحٌ على منتهى الإرادات» في الفقه على مجلدات، و«مناسك الحج» في مجلدين، ورسائل كثيرة في الفرائض والحساب.

توفي - رحمه الله - فجأةً، ظهر يـوم الاثنين، رابـع عشر ربيع الثاني، وصلى عليه بالجامع الأزهر، الشيخُ إبراهيم البرماوي إماماً بالناس، ضحى يوم الثلاثاء، خامس عشر ربيع الثاني، سنة أربع وتسعين وألف، ودفن بتربة الطويل عنـد والده، وكـان مشهداً عظيماً، **ومولده** في ثمان وعشرين وألف بمصر.

[٦٥٣] إبراهيم أبو إسحاق محمد الآنسي السوسي المغربي المالكي[١].

الشيخ الفاضل، البارع الكامل، الأديب الأريب، الناظم الناثر، الكاتب الشاعر، كان من أكابر الأفاضل، جامعاً للفنون والعلوم والرياضة، وله معرفةٌ جيدةٌ في علم الوفق والزايرجا والرمل، وله في فن الدعـوة والأسماء براعـةٌ

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٣٦) (٣٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٤).

وقوةٌ، نظم «رسالة المرجاني» في الوفق المخمس الخالي الوسط، وشرحها شرحاً عجيباً.

اشتغل بالعلم ببلاد سوس من المغرب الأقصى، ثم تنقل في بلاد المغرب، فرحل إلى مدينة مراكش، وأخذ عن مفتيها ومحققها سيدي الشيخ محمد بن سعيد، وغيره من علمائها، ودخل مدينة فاس ـ حاطها الله ـ، وأخذ عن جمٍّ غفيرٍ من الشيوخ بها، وخرج منها إلى الزاوية من أرض الدلا، وأقام بها مدةً مديدةً، وأخذ عن جمعٍ بها، منهم: شيخنا سيدي محمد المرابط، وغيره، وله نثرٌ ونظمٌ في غاية الرقة والانسجام.

اجتمعت به في مصر المحروسة، سنة خمس وسبعين وألف، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومراسلاتٌ عديدةٌ، وكنت مدحته بأبياتٍ، فأجابني عنها برسالةٍ في نحو كراسة سماها: «الديمة العطفا في مراجعة مصطفى»، مشتملةٍ على قصيدةٍ عجيبةٍ، ونثرٍ كذلك.

وأخبرني عنه بعض أصحابه: أنه أخذ عن شيوخٍ كثيرين، وأنه جمع من شيوخه من اسمه محمد، فبلغ نحو سبعين شيخاً، ثم توجه من مصر إلى مكة المشرفة، وأقام بها إلى أن مات في غرة محرم، افتتاح سنة سبع وسبعين وألف، ودفن بالمعلاة ـ سقى الله ضريحه صَيِّبَ الرحمة والرضوان، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان ـ.

ومن شعره قوله:

لا غَرْوَ إن كنتَ تجفو الإنسَ يا رَشَأ ... فمن خصال الظِّبا أن تنفر البشرا

يا ليتني كنتُ وحشياً أنزه في ... مفتون وجهك في سقطِ اللوى نظرا

وكتب إليه وهو بالزاوية من أرض الدلا بعض أدبائها:

يـا أبـا إسـحاقَ قـل لـي مـوجزًا أيُّ شــيء مبـردٌ حــرَّ النــوى

قــد أبَــتْ إلا الــسهادَ مقلتــي وانــسكابَ الـدمع شـوقًا لِلِّـوى

فأجابه بقوله ـ رحمه الله ـ:

زارنــي روضُ بيــانٍ سَــحَرًا جــامعٌ بــين رُواءٍ وروى

تتهــادى فــي الحــشا نفحتُــه طلبــتْ منــي دوا داءِ النــوى

قلت عـن طـبٍّ ومـا يعـزى لمـن جـربَ الأمـرَ علـيم بالــدوا

عـرقُ وصـلٍ وثبـاتُ الـصدر معْ مــاء ثغــرٍ شَـنِبٍ كُـلٌّ سَــوا

فاسـحقَنْها فـي مهـاريس اللِّـوى واشــربَنْها بكـؤوسٍ مـن هـوى

لَهْــيَ دِريــاقٌ لأمــراضِ النــوى مطفئٌ بينَ الحشا جمرَ الجوى

وكتب إليّ ـ رحمه الله ـ معاتباً:

فديناكَ يا بن الفتح من كـل بـوسٍ وإن جَـلَّ مـا نفديـه فـوق نفـوسِ

فحاشا الذي أمَّلْتُ فيك من الصَّفا يُـشاب بأقـذارِ الجفـا وعبـوسِ

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

وكيــف ولــي ودٌّ تقــادمَ عهــدُه نفائــسُهُ تُــزري بكــل نفــيسِ

ولولاكَ ما قلَّـدتُ يـا نـورَ مقلتـي بكـل نفـيسِ الـدرِّ جيـدَ طُـروسِ

ولا أطْلَقَـت نفـسي العنـانَ تأنـساً ولا فرحـت يومًـا بكـل جلـيسِ

وما كان ظني منك تُبـدي عبوسـةً وأنت مدى الأزمان خيرُ جليسِ

فلا زلتَ في جيد الكمال قلادةً كما زان عقدُ الدرِّ نحرَ عروسِ

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

يا مَنْ رماني بسهم اللحظ فِيَّ مضى أوحشَتني وحشوْتَ القلبَ جمرَ غضا

كسرْتَ جفني بتكسير الجفون كما نَصَبْتَ خالي لأسهامِ الجفا غَرَضا

فكم نصبتُ لك الأشراكَ في حُلمٍ لعل طيفَك وهنًا في الكرى عَرَضا

وأُضرمُ النارَ بالذكرى على عَلَمٍ من مهجتي يهتدي للنار حيثُ أَضا

إن قست قدَّك بالبدرِ المنير علا غصن على كثيب الجرعا ذات أضا

لله ظبيٌ حشا بالسحر مقلتَه فكم حليمٍ به آساره حَرَضا

في فيه عين وعين فيه جوهرةٌ من الحياة وبرقٌ للمنى وَمَضا

[٦٥٤] إبراهيم باشا الوزير نائب مصر[(١)].

كان له مشاركةٌ في العلوم، وسلك مسلك القضاة مرةً، ثم صار دفترداراً بالشام، ورجع إلى الروم، وسلك مسلك الوزراء، إلى أن صار وزير مصر، وكان ممدوح السيرة في ولايته، وله فضيلةٌ تامةٌ، وحسن معاشرةٍ، وأدب.

إلا أن الله سبحانه امتحنه بقصة الشيخ العارف بالله زين العابدين البكري، دخل إليه بقلعة الجبل بمصر، وأخرج من عنده ميتاً، وزعم أنه مات فجأةً، ثم ترجح عند الناس أنه خنقه أو سمّه، فلم يبق بعده إلا أياماً يسيرةً، حتى قتله عساكر مصر؛ حميةً للشيخ زين العابدين، وحملوا رأسه، وطافوا به على

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٤) (٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦١)، «معادن الذهب» للعرضي (٤٤) (٦).

مصر، وكان ذلك في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ، كذا ذكره الغزي في «الذيل».

قلت: وحصلت لسيدي الشيخ زين العابدين كرامةٌ عظيمةٌ، وهو أنه دخل قبل موته بأيامٍ يسيرةٍ موشحةً يغني بها، ومنها قوله:

وفاتكي في الناس دمه مسفوح

وكان الأمر كذلك، فسفح دم قاتله، كما ذكره المترجم له. انتهى.

[٦٥٥] إبراهيم بن حثيث[1].

علامة «ذمار» وقاضيها، وناشر لواء العلوم بناديها، كان متضلعاً من العلوم الشرعية، مشاركاً في العلوم الأدبية، خفيف الروح، كثير المروءة والفتوة، محسناً للناس، خصوصاً الفقهاء، وطلبة العلم، ومساعداً لهم على المناصب، معيناً لهم على نيل المراتب، وبلوغ المطالب، له ثروةٌ عظيمةٌ، ومكارم جسيمةٌ، **توفي** سنة إحدى وأربعين وألف ببلده ـ رحمه الله ـ.

[٦٥٦] إبراهيم بن حسن الأحسائي الحنفي[2].

من أكابر العلماء العاملين، والأئمة المتقين، المتحلين بالقناعة، المجدين بالطاعة، كان فقيهاً نحوياً مفتياً في علومٍ كثيرةٍ، قرأ ببلاده على شيوخ كثيرين، وأخذ بمكة عن مفتيها عبد الرحمن المرشدي، وكتب له إجازةً حافلةً وقفتُ عليها، أشار فيها إلى تمكنه في العلوم.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٦٨) (٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٥).

وأخذ الطريق عن العارف بالله الشيخ تاج الدين الهندي، حين قدم الأحساء، وعنه: شيخنا الأمير يحيى بن علي باشا حاكم الأحساء، وكان يثني عليه، ويخبرنا عنه بأخبارٍ عجيبةٍ، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ في فنون عديدة، منها: «شرح نظم الآجرومية» للعمريطي، ورسالةٌ سماها: «دفع الأسى في أذكار الصباح والمسا»، «وشرحها»، وكانت وفاته فجر اليوم السابع عشر من شوال، ببلده الأحساء ـ رحمه الله ـ.

وله أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله:

ولا تكُ في الدنيا مضافًا وكن بها ... مضافًا إليه إن قدرتَ عليهِ

فكلُّ مضافٍ للعواملِ عرضةٌ ... وقد خُصَّ بالخفض المضافُ إليه

[٦٥٧] إبراهيم بن حسام الكرماني، المتخلص بشريفي[(١)].

من علماء الروم المشهورين، له نظم الشافية في التصريف سماه بـ: «الفوائد الجليلة»، توفي سنة ست عشرة وألف، وله «شرح على الفقه الأكبر لأبي حنيفة».

[٦٥٨] إبراهيم بن حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن بيري[(٢)].

مفتي مكة، وأحد كبار فقهاء الحنفية وعلمائهم المشهورين، وممن تبحر في علوم الدين، وتحرى في نقل الأحكام الشرعية مظانها الغريبة، وحرر

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٥)، «هدية العارفين» (١/ ٢٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩).

المسائل العجيبة، وانفرد بالحرمين بعلم الفتوى، وجدد من مآثر العلم ما درس وأقوى، له الهمة العلية، في الانهماك على مطالعة الكتب الفقهية، وصرف الأوقات في الاشتغال بالعلوم الدينية، ومعرفة الفرق والجمع بين المسائل، الذي هو المقصود من الفقه للأفاضل، سارت بذكره الركبان، في سائر البلدان؛ بحيث إن علماء كل إقليم يشيرون إلى جلالته.

وقد كنت بمصر قبل وصولي إلى مكة ـ شرفها الله ـ في مجلسٍ حافلٍ، فيه جمعٌ من أكابر العلماء الجلة، إذ الناس ناسٌ والزمان زمان، فجرى ذكره في غضون كلام، فأطبقوا في الثناء عليه، ولم يختلف منهم اثنان في مهارته في الفقه، وفي حسن مؤلفاته فيه، ثم اجتمعت به بمكة ـ شرفها الله ـ، فصادف الخُبر الخَبر.

وُلد في نيف وعشرين بعد الألف، وأخذ الفقه عن عمه العلامة محمد ابن أحمد بن محمد بيري، تلميذِ الشيخ علي بن جار الله وخريجِه، وشيخ الإسلام عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، وغيرهما، وقرأ في العربية على علي بن الجمال، وأخذ الحديث عن محمد علي بن علان، وأجازه شيوخٌ كثيرون، وكتب له بالإجازة جمعٌ من شيوخ الحنفية بمصر، منهم: خاتمة الحنفية بالديار المصرية، الشهاب أحمد الشوبري، وجد واجتهد حتى صار فريد عصره في الفقه، وانتهت إليه فيه الرياسة.

وأخذ عنه كثيرٌ من العلماء، منهم: شيخنا الحسن بن علي العجيمي، وكثيرٌ من الوافدين إلى مكة، وولي إفتاءها سنين، ثم عزل عنها لما تولى الشريف بركات مكة؛ لما كان بين المترجم وبين محمد بن سليمان المغربي من عدم الألفة، وكانت أمور الحرمين في أول دولة الشريف بركات منوطة به،

والشريف بمنزلة الصفر الحافظ لمرتبة العدد.

وكان له ولدٌ نجيب مات في حياته، وانقطع من بعد ذلك عن الناس، وصار لا يجتمع بأحـد إلا من خاصتـه، ومع ذلك، فهو مجدٌّ في الاشتغال بالمطالعة والتحرير.

ولـه مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل تنيف على سبعين، منهـا: حاشيته على الأشباه والنظائر، سماها: «عمدة ذوي البصائر»، و«شرح الموطأ رواية الإمام محمد بن الحسن» في مجلدين، و«شرح تصحيح القدوري للشيخ قاسم»، و«شرح المنسك الصغير للملا ـ رحمه الله ـ»، و«شرح منظومة ابن الشحنة في العقائد»، و«رسالة في جواز العمرة في أشهر الحج»، و«السيف المسلول في دفع الصدقة لآل الرسول»، و«الرسالة في المسك والزباد»، وأخرى في «جمرة العقبة»، و«رسالة في بيض الصيد إذا دخل الحرم»، وأخرى في «الإشارة في التشهد»، و«رسالة جليلة في عدم جواز التلفيق» رد فيها على عصريِّه مكي فروح.

وقرظ جمعٌ من العلماء مصنفاته، منهم: شيخ شيوخنا الشهاب أحمد الشوبري، والعلامة المحقق شيخ الإسلام يحيى المنقاري، مفتي السلطنة.

وكانت **وفاته** وهو ممتَّع بحواسه، صبح يوم الأحد، سادس عشر شوال، سنة ست وتسعين ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف بمكة، وصُلي عليه عصر يومه بالمسجد الحرام، في مشهدٍ حافلٍ، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة السيدة خديجة زوجة رسول الله ﷺ.

وكان قلقاً من الموت، فرآه ﷺ قبل وفاته بليلةٍ وهو يقول له: يا إبراهيم! مت؛ فإن لك بي أسوةٌ حسنةٌ، فقال: يا رسول الله! على شرط أن يكتب لي

ثواب الحج كل سنة، فقال له ﷺ: ذلك لك، أو كلاماً معناه، هكذا أخبرني بعض تلامذته.

[٦٥٩] إبراهيم خليفة.

ولد بقلعة تتل، من أعمال لواء سكدين، من مضافات أيالة بدون، ونشأ بها، ثم ارتحل إلى قسطنطينية لتحصيل العلوم، وقرأ على علمائها، إلى أن صار ملازماً، ثم قاضياً بقصبة واج من أعمال تعز بدون، وحكم بها مدةً بالعفة والنزاهة، فلما صار منعزلاً، تركها، وصار شيخاً بزاوية الدفتر، دار خارج قلعة بدون، وأقبل الناس عليه؛ لكمال زهده وصلاحه، ثم وصل إلى خدمة الشيخ عبد الكريم الأشتيبي، وصار من جملة خلفائه، ثم حج سنة ثلاث بعد الألف، ورجع وسكن بالزاوية المذكورة، إلى أن استولت الكفـار على تلك البلاد، ووقع الهرج والمرج، فارتحل منها إلى بلده «بلغراد»، وسكن بها، وكان شيخاً صالحاً واعظاً، متديناً متشرعاً، لا يخاف في الله لومة لائم.

[٦٦٠] إبراهيم دده.

كان ساكناً في قلعة كوله، بولاية طمّوار، من مضافات روم إيلي، يقال: إنه كان أويسياً، وقد غلبت الجذبات عليه، واجتهد حتى بلغ ما بلغ، وكان موجوداً في صدر المئة.

[٦٦١] إبراهيم دده.

كان مقيماً بقرية بين لوانده عند بلدة لارنده، من مضافات ولاية قرمان، وكان شيخاً صالحاً عابداً، صاحب حال، ذكره الشيخ بيني دده الساكن بقصبة أركلي.

[٦٦٢] إبراهيم بن صالح الهندي الأصل، الصنعاني المنشأ والمولد، الشهير بالمهتدي.

الخليل الذي لا يضاهيه مع مراعاة النكتة حبيب، والأديب الذي وبلُ براعاتـه، ونبل يراعاتـه، يصوب ويُصيب بحر القريض، وصاحب القصائد المحررة، فكل رَقٍّ بها مفتون، ورب الفكر الذي هم في يَمٍّ آدابه فُلك بكل بديعةٍ مشحون، وبدر الفصاحة الذي كمل، فما فيه لو ولا ليت، ورافع قواعد كل بيت، نظمُه ولا عجب إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت.

مدح بشعره الخلفاء والملوك، وقصدهم بقصائد تُخجل فرائدَ السلوى، ولم يُسْدِ برودَ مديحه إلا لأجلٍّ مُسدِّي، ولم يَصدح بمدح أحدٍ أكثرَ من صدحِه بمدح الإمام أحمدَ بن الحسن المهدي؛ فإنـه أكثر من أراشَ جناحَـه بنعَمه، وطوَّقه بمواهبه، وأسكنه في رياض كرمه، وأكثر من بلل جناحه بالندى من بعده، بما أكثر من مواصلته وقصده، فلم يستطع الطيران من حضرته، وأنى يطير مبلولُ الجناح؟.

وارتقى به الشعر حتى صار جليس أئمـة اليمن وملوكهـا، معدوداً في الصدور والأماثل، منظوراً بعين الفضل عند كل كامل، وكان مشهوراً بالإجادة في التشبيهات، حتى قال بعض أهل اليمن فيه مبالغاً: إن أنصف لم يفضل ابن المعتز عليه، وبالجملة: لم يكن في زمانه باليمن أشعر منه، وقد اشتهر ذلك.

ومن نظمه الذي خلا عن التعقيـد سحره، قولـه من قصيدةٍ كتبها إلى القاضي محمد بن الحسن الحيمي:

وبديعــة التطويــقِ فــي قُمُــصٍ   نــسجت مــن النــسرين والــوردِ

باحت بشجوي وهي نائحة إن المحبَّ بشجوه يُعدي
شتان ما بيني وبينك يا ورقاءُ وبين الغصن والقدِّ

قوله: إن المحب شجوه يعدي، هو كقول القائل، والفضل للمتقدم:

يا خالياً من هذاب قلبي وسالماً من رسيس وجدي
لا تتقرب إلى ثيابي فإن داء العزم يعدي

وقوله في مليحٍ مشروطٍ:

بي مشروط وجنة إن تسلني عن رناه فكابنةِ الزرجونِ
وإذا ما سألت عَمَّنْ نصب الشر ط فضبط تلك الجفون

وقوله في رباعية:

مولاي بما في الثغر من اسفنط بالجيد بذابل القوام الخطِّي
افتح لي باب الضم وزرْ واسمح بجزائي قبلة في الشرط

وفي بعض رحله لكوكبان، قاصداً لملكه، كتب إلى وزيره عبد الرحمن ابن الهادي، وكان غائباً عن حضرته في بلدة يقال لها: «حبابة» قوله:

كاتبَ السرِّ لِمْ جفوتُم أديبًا حافظًا تعشق النجومُ خطابَهْ
وصددتُم كأسَ المودةِ عنه وجعلتُم عذر البعاد حَبابَهْ

أراد بحبابه: حباب الكأس المستعار للمروة والبلدة المذكورة، وهي توريةٌ بديعةٌ، **توفي** ـ رحمه الله ـ بصنعاء، بعد رجوعه من الحج سنة ألف ومئة وواحد.

[٦٦٣] إبراهيم الطاهر بن إبراهيم بن أبي الغيث بن أحمد بن أبي الغيث ابن أبي القاسم البحر، الملقب بالزبيدي.

كان سيداً جليلاً، صاحب تربيـة وأدب وذكر، وحسن أخلاق، توفي ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بالمنصورية، من قرى بيت الفقيه بن عجيل عند جماعته.

[٦٦٤] إبراهيم بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر، ونسبه في ترجمة أخيه محمد.

كان هذا السيد من أكابر الصالحين، رزقه الله القبول التام، وفتح عليه بدنيا واسعة، وحج فتوفي يوم النحـر بمنى، سنة سبع وأربعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، ومولده في شوال، سنة تسع وتسعين وتسع مئة.

[٦٦٥] إبراهيم بن طلحة المهتار.

كان على قدمٍ كاملٍ من العلم والعبادة والتصوف، وإليه المنتهى، أخذ عن الشيخ تاج الدين النقشبندي، وقرأ عليه الحسن ابن الإمام القاسم مدة إقامته في الحمى، من علوم التصوف والنحو طرفاً صالحاً، وكانت وفاته في جمادى الأولى، سنة ثمان وخمسين.

[٦٦٦] إبراهيم القدسي الحنفي.

نزيل الصالحية، كان فاضلاً ذكياً، مستحضـراً للمسائل الفقهية، بارعاً في فنون العربية، ملازماً للطاعة، ولأهل دمشق فيه اعتقادٌ، وله عندهم قبولٌ، وكان من عادته أن يجمع بعض الزكوات والصدقات من الأغنياء، ويصرفها

لمستحقيها، وكانت فيه خصالٌ حميدةٌ من التعفف ومكارم الأخلاق، وحمل أثقال الضعفاء، توفي يوم الخميس، رابع عشر ذي القعدة، سنة ست بعد الألف، ودفن بسفح قاسيون ـ رحمه الله ـ.

[٦٦٧] إبراهيم النبتيتي.

الشيخ المجذوب الصاحي، كان أولاً حائكاً ينسج في الغزل بنبتيت، من أعمال الشرقية، فأجنب يوماً، ودخل مكاناً فيه ضريحٌ لبعض الأولياء ليغتسل فيه، فجذبه به، فخرج هائماً، وترك أهله وأولاده، وقدم مصر، فأقام بجامع إسكندر باشا، بباب الخرق، نحو عشرين يوماً، وبعضهم يسبه، وبعضهم يستثقله، وبعضهم يخرجه؛ لما يرى منه من تقذير المسجد، ثم تحول لجامع المرأة، بقرب تحت الربع، ثم عاد إلى بلده نبتيت، وسكنها إلى أن مات بها.

وله كراماتٌ، منها: أنه كان لبعض محارمه ولدٌ، فقعدت تلاعبه بسطح الجامع، وهو صحيح، فقال لها: أتحبينه؟ فقالت: مالَكَ وذاك؟ فقال: ودِّعيه؛ فإنه بعد غدٍ يموت بعد العصر، فكان كذلك.

ومنها: أنه أخبر جماعةً بما اضمروه، منهم: الشيخ علي الحمصاني، قال: أنكرت على بعض الجند شيئاً يخالف الشرع في نفسي، ولم أنطق به، فقال لي الشيخ إبراهيم المذكور: ما فضولك؟ ما أدخلك؟ يا كذا وكذا! وسبني وشتمني، كن في نفسك، واشتغل بها.

توفي عام ثمانية عشر بعد الألف، وحضر جنازته خلقٌ كثيرٌ، وعَمَّر له الباشا قبةً في بلده ـ رحمه الله ـ.

[٦٦٨] **إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني الشافعي**[(١)].

الشيخ الفاضل الأديب، اللوذعي الأريب، ذو الهمة العلية، والعزمات البهية، المنهمك على الاجتماع بالعلماء، والمتشوق للقاء النبلاء والفضلاء والكرام، حوى الفضيلتين، وجمع الشرفين، واستحق أن يمدح بهذين البيتين:

لقد حزتَ يا عينَ الكرام مناقباً ... يقصِّر عنها منطقي وبياني

وأثنى عليك الناسُ في كل بلدة ... فلا زلتَ ممدوحًا بكل لسانِ

وُلد بالمدينة الشريفة سَحَرَ ليلة الثلاثاء، ثالث شوال، سنة سبع وثلاثين بعد الألف، وقيل في تاريخ مولده:

وقد أتى تاريخُه ... (أبشرْ بفتحِ الأحدِ)

ولازم والده، وهو من أجلِّ الشيوخ الذين رأى، وأغنى من عنه أخذ وروى، وبرع وتأدب، ونافس إخوانه في الجد والطلب، وتصدر للإقراء في المسجد النبوي بضروب العلوم، وبلغ الغاية في المنثور والمنظوم، ورحل إلى الروم عام ثمانين بعد الألف، وتلقاه علماؤه بالقبول، وألّف رحلة بديعة ذكر ما اتفق له في سفره هذا، وذكر جماعة ممن اجتمع به من أكابر الفحول سماها: «تحفة الأحياء وسلوة الغرباء»، ورجع إلى المدينة، فلم يلبث إلا مدة يسيرة، وغاب نجمه بعد الأفول، **فتوفي** - رحمه الله - ليلة الاثنين ثاني رجب سنة ثلاث وثمانين بعد الألف بالمدينة، ودفن بالبقيع الفرقد

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٦٦) (٣٢٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٦).

ـ رَوَّح الله روحَه، وسقى ضريحه ـ.

ومن شعره: قوله يمدح الصدر الأعظم الوزير أحمد باشا، واتفق أنه لم يقدمها إليه، بل أراد تقديمها لـه بعـد عوده من فتح قلعة جريد الكبرى، وانتصاره على الكفرة، فلم يتيسر:

قُـدومٌ بـه ثغـرُ المسرات يبسِمُ	وعَـوْدٌ لـه طيـرُ الهنـا يتـرنَّمُ
وأَوْبٌ به الإسعادُ والمجدُ والثنا	ونيـلُ المعـالي والثـوابُ المعظَّـمُ
وأجـرُ جهـادٍ طالمـا نكسـت بـه	من الكفـر أصـنامٌ وأجهـل معلَّـمُ
وفتحُ حصون كُـنَّ لـولا حصولُه	مَنيعـاتِ كفـرٍ مـا إلـيهنَّ سُـلَّمُ
تعـالَيْنَ حتـى عمَّمَتْهـا سـحائبٌ	وحتى تبدَّتْ وهـي للنجم تـزحَمُ
فوطَّأَهـا اللهُ الكـريمُ لماجـدٍ	سليلِ العُلى وهو الـوزيرُ المكـرَّمُ
أبو العزم والبأسِ الشديد إذا سطا	وذو الحلم والجـدوى إذا يتـرحَّمُ
لـه همـمٌ لـو أن للـدهر بعضَها	لما كـان فـي أيامـه الكل مجـرمُ
به أُيِّـد الـدينُ الحنيفـي واغتـدى	يوافيه أهـلُ الـشركِ عـانٍ ومُـسلِمُ
وزيرٌ سما وابنُ الوزير الذي سـما	وفي الفرع ما في الأصل يبدو وينجمُ
بأحمـدَ عَـزَّ الـدينَ أو بمحمـدٍ	فلـم يبـقَ ثغـرٌ للنعـاةِ ولا فَـمُ
ولا بدعَ فـي هـذا فمعجزُ أحمـدٍ	مدى الدهر لا ينفكُّ يعلو ويعظُـم
يحفُّ بك الجيشُ الـذي زاد عَـدُّه	على النجمِ حتى ليس يحصى ويُعلَمُ
فيبدو كليثٍ وَسْطَ غابِ رمـاحِهم	غلطـتُ فهـذا منـه بـالرأي أحـزمُ
وإلا كطـودٍ لا تحركـه الـصَّبا	إذا هـي هبَّـتْ وابتغاهـا المتـيَّمُ

ففي نصرة الإسلام والدين والتقى وبذلِ الندى والعفو أنت المقدَّمُ
تأخر منك العصرُ والفضلُ أعظمُ كما في حساب الهند ما بعد يرقم

ومنها:

فعطفًا على عبد أَضَرَّتْ به النوى وآلَمَهُ حالٌ به أنت أعلَمُ
وما كنتُ لولا أنت أُبدي شكايةً لَعَمْرِيَ شكوى الحال صابٌ وعلقمُ
ولكنني أيقنت نُجْحَ مقاصدي كإنجاحِ جرحٍ في زواياهُ مرهَمُ

ومنها:

وقد عدّ أهل النحو أسماء ستةً وقد فُقدت عندي فلم يبقَ لي فَمُ
فلو جُدتَ لي حتى أحصِّلَ بعضها وأغدُوَ ذا مالٍ فأُحْسَبَ منهمُ
لقد صرتُ في دار التغرب كالذي بلا صِلَةٍ فامننْ بها دمتَ تنعِمُ
وكن عائدًا نحوي فما ليَ عائدٌ بكلِّ ضميرٍ أو بظاهر يعلمُ
وجُملة حالي أنها خبرية تحلُّ محلَّ الرفع منك وتكرمُ
فحقِّقْ لي الرجوى وأَنْجِحْ مقاصدي فإني برفعِ النصب لي أنا أجزمُ

ومنها، وهو آخرها:

ولا فضل لي فيما أقول وإنما معاليكَ حقًّا ألسُنُ تتكلَّمُ

وهي مذكورة بتمامها في رحلته.

وقوله معارضًا للفتح النحاس:

طال ليلُ الهجرِ فالجفنُ يسبحُ ليت شعري ما لليل الهجرِ صبحُ

يا لَقومي من هوى البِيضِ الدُّمى ... كلما سحَّتْ دموعُ العين شَحُّوا

أضرموا نيرانَ وجدٍ بالحشا ... ليتَ لو كان لها بالظلم نَضْحُ

كم أُمَنِّي القلبَ منهم باللِّقا ... وأُرَجِّي الوصلَ والعُذَّالُ تَلْحو

أسكروني من طلا أحداقِهم ... لا بأحداقٍ لهذا لستُ أصحو

كلُّ غصنٍ في كثيبٍ من نقًا ... طيرُه البدرُ له بالحسن صدحُ

شدَّ بنداً فقد القلبُ به ... فعليه دار لا يَثنيه نُصحُ

سدّ أبوابَ التداني بالجفا ... آه لو كان لباب الوصل فتحُ

لا تسلني عن غرامي إنني ... كلَّ آن فيه لي كدٌّ وكدحُ

كم جراحٍ أعجزت آسِيَّها ... كلما يُحسَمُ جرح سال جرحُ

من عَذيري في هوى ظبيٍ له ... من عقيقِ الدمع إذ يمرحُ سفحُ

كم أضلَّ الليل من شعر فتى ... فهداه من بَهِيِّ الفرقِ صبحُ

كَلَّ مَتْني لم أطق عبءَ النوى ... ليت شعري ما لهذا المتن شرحُ

كم أراعي النجمَ في آفاقه ... أَملي من طالع الإسعاد لمحُ

قل لعذالي أقيموا حربَكم ... قد جرى بيني وبين الحب صلحُ

سطر العاذلُ أدراجَ الجفا ... وهو بالوصل لذاك السطر يمحو

يا أخلائي بأعلام اللِّوى ... عطفةً ما دام في الأعمار فسحُ

قد ملكتُم وأمرتُم في الهوى ... نفسَ حرٍّ هو بالمأسور سمحُ

كان طلقًا فاغتدى في حبكم ... عبدَ رقٍّ منه جدُّ القولِ مزحُ

قلد القائل في إرشاده ... ضمنَ بيتٍ هو في التحقيق نصحُ

كـلُّ عـيش ينقـضي مـا لـم يكـنْ — مع مليحٍ مـا لـذاك العـيشِ ملـحُ

عَلّلــوه مــن رحيــقٍ بــاللَّمى — فلـه مـن طيبـه مـا عـاشَ نفـحُ

أوعِــدُوه باللقــا وَهْنــاً لكــي — يلتقـي منـه بكـم كَـشْحٌ وكـشحُ

قـد أتـى مُنطرحـاً فـي سـوحِكم — قصدُه من باب مفتي القدس فتحُ

وعَـذولٍ ظـل يهـذي فـي هَـوَى — ظبـي أنـسٍ كـلُّ خسرٍ فيـه ربحُ

لحظُــه الــسيفُ إذا جَــرَّدَه — والقــوامُ اللَّــدنُ إذ يَخْطِـرُ رمـحُ

أسـرَ القلـبَ فمـا مـن مخلَـصٍ — غيرُ نظمٍ هو فـي المبعـوثِ مـدحُ

الرسـولِ المـصطفى مـن هاشـمٍ — المغيـثِ الغيـثِ إذ يُلجـم رسـحُ

سـيدِ الكــلِّ إذا مــا جُمعــوا — فــي مقــامٍ كلُّهــم فيــه المُلِـحُّ

قائــل نفــسي وهــو. . . يـرى — شــأنه حمــدٌ ومــن مــولاه فـتحُ

فمقــامُ الحمــد ذا وهــو الــذي — فيـه يُعطـى للـورى غَفْـرٌ وصـفحُ

مــن يــساوي أو يدانيــه بــه — كلُّهــم نحـو حمـاه فيـه ينحـو

ســيدٌ بــرٌّ رؤوفٌ محــسنٌ — ماجـدٌ غـوثٌ بمـا ترجـوه سـمحُ

كـلُّ قـولٍ قيـل فـي أمداحـه — فَهُـوَ المقبـولُ حقًّـا والأصـحُّ

يـا رسـولَ الله عطفـاً فعـسى — من عطاكَ الجمِّ لـي ينجح قـدحُ

يـا سـحابَ الجـوِّ أمطـر كرمًـا — أرضَ قفري فعسى يخطـر طلـحُ

قـد ألَمَّـت بـي أمـورٌ آلَمَـتْ — لم تـدع نهجًـا إلـى مغنـاك أنحـو

أظهرتْ من مضمَري الحالَ الذي — نعتُه يعزي الذي لـي صـار يلحـو

فــأَغِثْني وادَّركْنــي ســيدي — زاد إيلامــي ومــا يــدمل قــرحُ

وتقبَّـــلْ مِــدْحتي فيــك وقــلْ | قــارن المــأمول تبليــغٌ ونجــحُ
فَهْــي عــذراءُ أتــت مــن خِــدْرها | مهرُهــا منــك قبــولٌ لــو يــصحُّ
فاقــتِ الغيــرَ بأوصــافٍ لكــم | فلها فــي الطِّرْسِ تغريــدٌ وصــدحُ
ينتــشي مــن لفظهــا ســامعُها | ويُــرى منهــا بهــا مــا دام شــطحُ
وصـــلاةُ الله مـــع تـــسليمِه | يُخجــلان المــسكَ إذ يُنشر نفــحُ
يـشملانِ المـصطفى خيـرَ الـورى | مــا تــوالى الــدهرُ إمــساءٌ وصــبحُ
وأُبــيح الوصــلَ صــبٌّ عاشــقٌ | ما عليــه فــي سبيل الحــب جنحُ
واغتــدى المهجــورُ حقًّــا قــائلاً | طــال ليــلُ الهجــر فــالجفنُ يــسحُّ

وقوله مصدِّراً قصيدة سيدي عمر بن الفارض:

غيـــري علـــى الـــسلوان قـــادرْ | إن دام هجـــــرانُ الجَـــــآذِرْ
وأنـــــا الـــــوفيّ بعهـــــده | وســـوايَ فـــي العـــشاق غـــادِرْ
لـــي فـــي الغـــرام ســـريرةٌ | أكننتهـــا وســـطَ الـــضمائرْ
ومحبـــــــةٌ أســـــــررتُها | والله أعلـــــمُ بالـــــسرائرْ
ومُـــشَبَّه بالغـــصنِ قَلْـــــ | ـــلَ تـــصبُّري إذ قـــال نـــافرْ
قَـــدِّي وقلبُـــك فـــي الهـــوى | لـــي لا يـــزالُ عليـــه طـــائرْ
حلـــوُ الحـــديث وإنهـــا | لمحاســـنٌ تـــسبي النـــواظرْ
حـــالٌ يمـــرُّ وإنَّهـــا | لجـــلاوةٌ شـــقت مرائـــر
أَشـــكو وأَشـــكر فعلَـــه | بعـــدًا ولمـــا يـــدنُ زائـــرْ
حـــالان لـــي أرضـــاهما | فاعجـــب لـــشاكٍ منـــه شـــاكرْ

لا تُنكــــروا خفقـــان قلــــــ ـــبي إن بـــدا بـــدرُ الـــدياجرْ

كـــلا ولا تـــشتيتَ لُبْـــــ ـــبِـــي والحبيـــبُ لـــديَّ حاضـــرْ

مـــــا القلـــــــبُ إلا دارُه فلــــذاك بالأشـــواق عـــامرْ

وربوعُـــــــه فلأجــــــل ذا ضُـــربَتْ لـــه فيهـــا البـــشائرْ

يـــا تـــاركي فـــي حبِّـــه كهـــلالِ شَـــكٍّ فـــي المنـــاظرْ

ومُـــصَيـِّري بـــين الـــورى مـــثلاً مـــن الأمثـــال ســـائرْ

أبـــداً حـــديثي لـــيس بالــــ ـــمتروكِ عنـــد ذوي البـــصائرْ

كـــلا وشـــرعي لـــيس بالــــ ـــمنـــسوخِ إلا فـــي الـــدفاترْ

يـــا ليـــلُ مـــا لـــكَ آخـــرٌ فتظــــلُّ ترقُبــــه النـــواظرْ

لا فيــــك وصـــلُ معـــذِّبي يُرجـــى ولا للـــشوق آخِـــرْ

يـــا ليـــلُ طُـــل يـــا شـــوقُ دُم إنـــي إلـــى المحبـــوب ســـائرْ

يـــا ليـــل قـــصر أو فطُـــلْ إنـــي علـــى الحـــالينِ صـــابرْ

لـــي فيـــك أجـــرُ مجاهـــدٍ أضـــحى لجـــيش الحـــبِّ ناصـــرْ

وثـــوابُ غـــازٍ فاتـــكٍ إن صـــحَّ أن الليـــلَ كـــافرْ

طرفـــي وطـــرفُ الـــنجم فـــي بـــاهي جمالـــك ظـــلَّ حـــائرْ

والقلـــبُ والعينـــان فيــــ ـــك كلاهمـــا ســـاهٍ وســـاحرْ

يهنيـــك بـــدرٌ حاضـــرٌ مالـــت لبهجتـــه الخـــواطرْ

قـــد لاح بـــدراً مـــشرقاً يـــا ليـــت بـــدري كـــان حاضـــرْ

حتـــى يبـــينَ لنـــاظري مَـــن منهمـــا بـــاهٍ وبـــاهرْ

ويـــشيعَ بـــين معاشـــري ... مَـــن منهمـــا زاهٍ وزاهـــرْ

بـــدري أرقُّ محاســـــناً ... إذ حـــسنُه للعقـــل ســـاحرْ

كالليـــل أرســـلَ شـــعرَه ... والفـــرقُ مثـــلُ الـــصبح ظـــاهرْ

ملـــكَ الجمـــالَ بأســـره ... كـــلُّ المـــلاح لـــه عـــساكرْ

ســـلطانُ حـــسنٍ قـــد ســـطا ... بحـــسامِ ألحـــاظٍ فـــواترْ

لا الـــسُّمر تُـــذكَر عنـــدها ... كـــلاَّ ولا البِـــيضُ البـــواترْ

قـــد نفـــذتْ بـــين الـــورى ... منـــه النـــواهي والأوامـــرْ

مـــا مخلَـــصي مـــن فتكـــه ... بظُبـــا اللـــواحظ والنـــواظرْ

إلا امتـــــداحُ محمـــــدٍ ... خيـــرِ الأوائـــلِ والأواخـــرْ

الـــشافعيِّ الـــسندِ الـــذي ... تُمحـــى بـــه عنـــا الكبـــائرْ

غـــوثِ الأنـــام لـــدى الرخـــا ... وحيـــثُ لا تُجـــدي العـــشائر

صـــلى الإلـــهُ عليـــه مـــا ... لجنابـــه قـــد أَمَّ زائـــرْ

والـــصحبِ والآلِ الكـــرا ... مِ أُولـــي المعـــالي والمفـــاخرْ

مـــا قـــال مكلـــومُ الحـــشا ... غيـــري علـــى الـــسلوان قـــادرْ

ومما كتبه للشيخ العلامة عبدالله بن محمد العياشي المغربي قوله:

قد لاح بالمغرب المأهول فاضله ... وراح مرتضعاً ثـديَ العـلا ناشـي

عاشتْ معالمُ أرباب النهى وسمَتْ ... ولا عجيـب إذا عاشـت بعياشـي

فليبقَ للعلـم كـي تبقـى مدارسُـه ... مأهولـةً يقتفيهـا القاصـدُ الناشـي

فكتب إليه الشيخ عبدالله المذكور قوله:

سبرنا العالمين فما رأينا كإبراهيم سيدنا الخياري
تَخَيَّره الزمان كما تراه خياراً من خيارٍ من خيارِ

[٦٦٩] إبراهيم بن حسن بن علي بن طالو الأرتقي[١].

كان من رؤساء دمشق وأعيانها، تولى نابلوس وغيرها من المدن الشامية، واشتهر ذكره، وكان مرجعاً في المهمات، وله اعتناء في العلم وأهله، وكرم أخلاق، وكان الشيخ حسن البوريني من أخصِّ الناس به، ومن ملازمي مجلسه، وكان له هباتٌ وافرةٌ، وعطايا ظاهرةٌ، وآلَ ذلك به إلى أن صار معدماً، وتفرغ عن المناصب، إلى أن مات سنة أربع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ[٢].

[٦٧٠] إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن القاسم بن إسحاق بن إبراهيم ابن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الزبيدي الشافعي[٣].

كان إماماً عالماً عاملاً، جامعاً للفنون، خاضعاً متواضعاً متورعاً، محافظاً على الذكر في جميع الأوقات، لا يخلي وقتاً عن الخير، ملازماً للمسجد في غالب أوقاته، ملاطفاً للصغير والكبير.

أخذ الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية عن شيوخٍ كثيرين، منهم: عمه العلامة محمد بن إبراهيم بن جعمان.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٦) (٧٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذه الترجمة صفحة وثلث بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٥٠).

وانتهت إليه الرياسة في علوم الدين، وله فتاوى كثيرة متفرقة، وتوطن بيت الفقيه ابن عجيل، وله رسالةٌ منظومةٌ في العروض، سماها: «هداية الحائر إلى الفك من أحرف الدوائر».

وأخذ عنه جمعٌ من العلماء الأعيان، منهم: الشيخ الفاضل عبدالله بن عيسى الغزي.

وكان ـ رحمه الله ـ يحب الطلبة، ويبالغ في ملاطفتهم، والإحسان إليهم، وأجاز كل من قرأ عليه، ولم يزل ملازماً لإفادة العلم، والانهماك عليه، حتى دعاه الله إليه، فتوفي في بيت الفقيه ابن عجيل، في يوم الخميس، الثاني والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

وله نظمٌ كثيرٌ منه: قوله في الإلهيات:

قصدي رضاكَ بأيِّ وجه أمكنا ... فامننْ عليّ بذاك من قبلِ الفَنا
ولئن رضيتَ فذاك غايةُ مطلبي ... والقصدُ كلُّ القصد بل كلُّ المنى
لو أبذلت روحي فدا لرأيتها ... أمراً حقيراً في جنابك هينا
وبقيت من خجل لعبدك قد جنى ... فالكلُّ ملكُكُم فما مني أنا
ولقد تَفَضَّلتم بإيجادي كذا ... أنعمتُمُ أيضاً بكوني مؤمنا
لولا تَطَوُّلُكم عليَّ وفضلُكم ... ما كنت موجودًا ولا مِنِّي ثَنا
من ذا الذي يسعى ويشكر فضلَكُم ... لو عُمر الأبدين يشكر معلِنا
وأنا المُسَيكينُ الذي قد جاءكم ... للعفو منكمْ طالبٌ[1] ولقد جنى

(١) كذا في الأصل، والصواب: طالباً.

فباسـمِكم وبجـاهِكم وبعـزِّكم مُنُّوا عليَّ وأَذهِبوا عني[1] العنا

وجعمان بفتح الجيم وسكـون العين، وقبل الألـف ميم بعدهـا نون، الصريفي وهو أبو قبيلةٍ كبيرةٍ من قبائل عدنان، كذا ذكره السرجي في طبقاته.

[٦٧١] إبراهيم بن عثمان بن عبد النبي الدهان المكي الحنفي.

الشيخ الإمام، العلامة الفقيه، المفنن في العلوم الدينية، المجمَع على جلالته فيها، وتبحره وإحاطته بالعلوم العقلية.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وأخذ الفقه والعربية عن الشيخ عبدالله البلخي، وبه تخرج، وبعلومه انتفع، وأخذ الطريق، ولبس الخرقة، وتلقن الذكر من العارف بالله أحمد بن علان، ولازمه سنين كثيرة، وأخذ عن السيد صبغة الله، وغيره من الأكابر.

وفاق أقرانه، وتصدَّر للتدريس بمدرسة بهرام آغا الشريفي المشرفة على المسعى، وأخذ عنه العلم كثيرٌ من العلماء الأعيان، منهم: إبراهيم أبو سلمة، وكان كثير البر بوالديه، مطيعاً لهمـا، ومن خبـره في ذلك: أنـه كان إذا أتى رسولهما إليه في حاجةٍ وهو في الدرس، قام من مجلسه وقضاها، ورجع إلى الدرس، **توفي** سنة ثلاث وخمسين بعد الألف.

[٦٧٢] إبراهيم بن عطا بن علي بن محمد المرحومي الشافعي[2].

نسبةً لمحلة مرحوم، من منوفية مصر، إمـام الجامـع الأزهر، الشيخ

---

(١) في الأصل: عن، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٥٠).

الإمام، العالم العامل، العارف بالله، الملازم لطاعته، المنهمك على بث العلم وإفادته، الذي سلك سبيل السلامة والنجاة، وراقب الله في سره ونجواه، وعمل بما ينفعه في آخرته ودنياه، واجتهد في العبادة، حتى أشرق عليه نورها، وكلما اسود جنح الليالي، بيّض دَيجورَها، وتمسك بالأسباب القوية من التقوى، وأقام منها بما لا يطيقه غيرها[1] ولا يقوى، حتى إنه كان إذا مر في السوق، سدَّ أذنيه، حتى لا يسمع من بجانبيه، ويسرع في مشيته مطرِقاً من خوف الله وخشيته، حذراً من تفويت وقته في غير عبادة الله وطاعته.

وُلد ببلده سنة ألف، ورحل إلى الجامع الأزهر، وأخذ عمن به من أكابر علماء عصره؛ كشيخنا سلطان وغيره، وأجازه جل شيوخه بالإفتاء والتدريس، فتصدر للإقراء في كل علم نفيس، وشهر بالبركة لمن يقرأ عليه، وانهمك طلاب العلم عليه، ففازوا منه بأوفر نصيب، وألف «حاشيةً على شرح الغاية للخطيب»، واستمر على خير وفي خير، سالكاً طريق الاستقامة، التي هي أوفى كرامة، حتى آن أوان حِمامه المحتوم، فتوفاه الحي القيوم بمصر، في أوائل صفر، سنة ثلاث وسبعين وألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين ـ.

وسميت هذه التربة بتربة المجاورين؛ لأنها قريبةٌ من الجامع الأزهر، وبها يدفن غالب أهله، والمجاورين له، بتلك الأماكن القريبة من الجامع الأزهر، كلها تسمى بمصر: حارة المجاورين؛ إذ لا يسكنها ـ في الغالب ـ إلا العلماء والغرباء من الفقراء، وقلّ أن تجد بإزائه دار أميرٍ أو أحدٍ من أرباب

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: غيره.

الدولة؛ لضيق المحل، وهم يريدون السعـة، والقرب من القلعة، التي هي محل وزير مصر وأكابر دولته.

[٦٧٣] السيد إبراهيم الصمادي الدمشقي[(١)].

كان من أكابر الأولياء العارفين بالله، والداعي على بصيرة إليه، والمنهمكين في عبادته سبحانه، وطلبِ الزلفى لديه.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة عن شيوخٍ كثيرين، وكان له بالشام المنزلة الرفيعة، والكرامات الظاهرة الوسيعة.

وقد رأيته ـ قدس الله روحه ـ وقد أناف على التسعين، والناس تستعين به ولا يستعين، والنور يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعته، ولم يزل على خيرٍ وفي خير، حتى دعاه رب العباد فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فانجاب، فتوفي سنة ثلاث وسبعين ـ بتقديم السين ـ بعد الألف بدمشق، وجاء تاريخ موته: «مات قطب العارفين الأمجد» ـ رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى ـ.

[٦٧٤] إبراهيم بن علي الأزنيكي[(٢)(٣)].

قال النجم الغزي في «الذيل»: أحد الموالي الرومية، ولي قضاء دمشق مرتين، وكان في قضائه معتدلاً عادلاً، مكرِماً للعلماء، محترِماً لهم، وحصل

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٩).

(٢) في الأصل: الأرتبكي.

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٣١) (٧٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١).

لأهل دمشق في زمنه تكليفات للسفر السلطاني، فعرض إلى الوزير مراد باشا في تخفيفها، وأجيب إليه، وفي اليوم الثاني من دخوله دمشق ثانياً، سنة خمس عشرة بعد الألف، دخل عسكر الشام مكسوراً، مع الأمير يوسف بن سيفا، وقد كان أميراً عليهم علي بيك بن جانبولاد، المتولي على بلاد حلب، وكانوا تهاونوا بأمره، واستخفوا به، فخرج محمد باشا الطواشي نائب الشام بهم، ولحقته جماعة من عساكر دمشق، وتتابعوا خلفه قوافل، غير أنهم تمادوا في الخروج بعده.

فاجتمع نائب دمشق، ونائب طرابلس الأمير يوسف بن سيفا بحماة، وخرجوا منها، فتلاقوا خارج حماة، مع ابن جانبولاد، فتحاربوا جميع النهار، ثم ظهرت الكسرة على ابن سيفا، وولوا آخر النهار مدبرين، فدخلوا حماة، ولم يبرحوا على إقامةٍ، بل أنذروا أهل حماة، فخرجوا منها بأهلهم وأنفسهم خلف العساكر، وتركوا أكثر ما في بيوتهم، ثم مروا على حمص، فأخلاها أهلها، وخرجوا منها كذلك، وكان ابن جانبولاد في أثرهم، فدخل هو وعساكره حماة وحمص، ونهبوهما، ونهبوا قراهما.

ثم قصد بلاد طرابلس، وخرج ابن سيفا منها إلى البحر، فركب بحريمه وأثقاله، وخرج من ناحية صيدا أو عكة، ودار فدخل دمشق، ثم لما قرب ابن جانبولاد من بلاد ابن معن، انحاز إليه الأمير فخر الدين بن معن[1]، وكان كيوان آغا قد ذهب من دمشق إلى غزة في طلب أميرها أحمد باشا؛ ليأتي إلى حرب جانبولاد، فاتفق موت أمير غزة وكيوان عنده، فرجع كيوان من بلاد

---

(١) في الأصل: معين.

غزة حتى نزل على ابن معن، واتفقا على العصيان، ومساعدة ابن جانبولاد، فذهبا إليه حتى اجتمعا بـه في اللجون، بالقرب من نهـر البـارد، من معاملة طرابلس، وقد استولى على بلاد حمص وعكـا وجبلـة واللاذقيـة والحصن وطرسوس وعزيز وبيروت، ثم توجهوا إلى قصد محاصرة دمشق.

وكان محمد باشا نائب الشام قد بعث طهماس بيك نائب نابلس، وأمير الحج، إلى ابن معن، ومعه بعض أكابر الجند؛ لينصحه ويرده عن الخروج إلى ابن جانبولاد ومساعدته، فأبى، وكان المشير عليه بالامتناع كيوان، فاستمر طهماس بيك معهم، حتى اجتمع ابن معن وكيوان بابن جانبولاد، فصمموا جميعًا على الدخول إلى دمشق، في طلب ابن سيفا؛ لأنه كان قد وصل إليها.

وأظهر كيوان في المجلس لمن كان مع طهماس من الجند، غاية الشتم والقذف والعداوة، والتوعد لهم بكل سوء، ثم في يوم ثالث عشر ربيع الثاني، من السنة المذكورة، دخل الأمير موسى بن الحرفوش، أمير بعلبك إلى دمشق ماشياً في الصلح، واشترط أموراً غير مقبولة، فلم ير عقلاء العسكر - إذ ذاك - هذا مقبولاً، فردوا له جواباً مع الأمير حسن التركماني، فرجع الرسول وأنذرهم بأنهم راكبون عليهم.

ثم في يوم الجمعة، عاشر ربيع الثاني، دخل حريم بن الحرفوش إلى دمشق، وأهله وأهل بعلبك، وأخبـروا أن طلائع ابن جانبـولاد دخلت بلاد بعلبك، وأن يونس بن الحرفوش انحاز إلى ابن معن هو وجماعته، ثم نزلوا على هموش من أرض البقاع، وكان الأمير مهزلاً، فإن البلاد من حدود حلب إلى حدود صفد، مسيرة خمسة عشر يوماً خلت عن آخرها، وتشتت أهلها، وتركوا أوطانهم وأرزاقهم، وأكثرهم قد اجتمعوا بدمشق، والعدو يقصدها.

ثم أدى الأمر إلى أنهم تلاقوا مع عسكر دمشق وعساكرهم، في يوم الأحد، سابع وعشري جمادى الأولى، في أول النهار، فلم تطل الحرب نحو ثلاث ساعات، حتى انكسر عسكر الشام، وولوا مدبرين، وأكثرهم تشتت، ورجع منهم طوائف إلى دمشق ووصل خبر الكسرة إلى دمشق وقت الغداة[1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم أصبحت أبواب دمشق يوم الاثنين، ثامن عشري الشهر مغلقة، وقد خرج منها الأمير يوسف بن سيفا وجماعته ليلاً، بعد أن اجتمع به قاضي دمشق المترجم، وحسن باشا أمير القرمان، ولم يمكناه من الخروج، حتى دفع إليهما مئة ألف قرش؛ ليفتدوا بها الشام من ابن جانبولاد، ثم خرج ومعه الأمير موسى بن الحرفوش.

وكان في ليلة الاثنين المذكورة، قد ذهب الشيخ محمد سعد الدين إلى ابن جانبولاد، يسأله العفو عن الدخول إلى دمشق، وكان المترجم قد عينه هو والشيخ أحمد العيثاوي، والشيخ. . .[2] الجنكردي؛ لأن ابن جانبولاد كان يقصده؛ ليذهبوا جميعاً إلى ابن جانبولاد، فذهب الشيخ محمد وحده بعد العشاء إلى العراد، ثم ذهب شيخنا والجنكردي بعد نصف الليل، فلقيا القوم قد جاؤوا قاصدين دمشق، طائفةً بعد طائفة، وهم يُسمعونهما ومن معهما ما يكرهون، ثم تلاقيا مع الشيخ محمد سعد الدين في أثناء الطريق، فأخبر ابن سعد الدين شيخنا بأنه اجتمع بابن جانبولاد في غاية الغضب على عساكر

---

(١) في الأصل: الغدا.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر اسم الشيخ الثاني».

دمشق، وهو مصممٌ على الدخول إلى البلدة، وانتقامه منهم ومن ابن سيفا.

ثم أصبح ابن جانبولاد نازلاً هو ومن معه بسطح المزة، وانتشرت عساكره إلى أطراف دمشق، فانتهبوا خارج المدينة، وكان ابن سعد الدين قد جاء معه برئيس من جند ابن جانبولاد، يقال له: عقيل، ومعه ليذبوا عن محلة القبيبات، حين لم يقبل ابن جانبولاد كلامهم في الكف عن عموم أهل دمشق، ورجع معه شيخنا العيثاوي إلى منزله، ثم دخل شيخنا دمشق في اليوم الثاني وهي محاصرةً من عساكر ابن جانبولاد، ووصى الشيخ محمد بن سعد الدين أهل محلته أن لا يحمل أحد منهم سلاحاً؛ اكتفاء بالعسكر الذين جاء بهم من عند ابن جانبولاد، فأمنوا.

وهرعت الناس من المحلات التي خارج دمشق إلى القبيبات للأمن، وانتهبت سائر الحارات، ثم آل الأمر إلى مصالحة جانبولاد بالمال، الذي أخذه قاضي دمشق المترجم من ابن سيفا، مع زيادة عشرين ألفاً لابن معن، حوسب عنها من مال بعلبك باثني عشر ألفاً، ودفع إليه ثمانية آلاف، أخذت من مال كان مودعاً بقلعة دمشق لبعض الناس، فلما رحل ابن جانبولاد عن المزة، خرج عقيل المذكور من عند الشيخ محمد بن سعد الدين، فأخذ خيل الشيخ محمد ابن سعد الدين وبعض أمتعة له، ووقعت جماعته فيمن كان عند باب بيته من الحريم والناس نهباً، ولم يستفد من الاحتماء بهم كبير أمر.

وكان القاضي المترجم كثير التحريض في ثلاثة أيام المحاصرة، لا يقرُّ ليلاً ولا نهاراً؛ من الحركة والتحريض لمن بقي بدمشق من عسكرها على الملازمة لأبوابها، وكان حسن باشا عضيداً له ووزيراً، مع وجوه الناس وأكابرهم، وحصل للناس في تلك الأيام شدةٌ عظيمةٌ، وحاجةٌ شديدةٌ، حتى

فرج الله عنهم برحيل ابن جانبولاد عن المزة، في يوم الخميس، مستهل جمادى الثانية، سنة خمس عشرة وألف.

وبقي بعد ذلك المترجم على قضاء دمشق، وأسقط بعض ما كلفوا به من قبل الوزير مراد باشا؛ حيث جاء حلب لقتال جانبولاد وجماعته، وكان تشتيتهم على يده، وفر ابن جانبولاد، وأقام مراد باشا بحلب مدةً يقتل جماعة ابن جانبولاد، حتى كاد يستأصلهم، ثم انفصل المترجم عن قضاء دمشق، في أواخر سنة سبع عشرة بعد الألف، ثم توفي في بلدة أزنيك، سنة ثمان وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٦٧٥] إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم بن محمد، الشهير بأبي سلمة الحنفي المكي الطرابلسي الأصل[1].

إمام شهد له بالفضل أهل عصره، وأذعن لمزيد معرفته في الفروع علماء قطره، صرف أوقاته في بث العلم النافع، فانتفع به كل كهلٍ ويافع، واشتهر بتقوى الله في سره وعلانيته، والانهماك على خدمته وطاعته، وله الاطلاع الواسع على نقول الفقه الغريب، وتحرٍّ في الفتوى وديانةٍ قويةٍ، وكان يعرف الحق بالحق، ويقول به، وفيه الحدة التي تعتري خيار الأمة، مع كمال تهذيبه.

مولده بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن العلامة إبراهيم الدهان، وبه تخرج وانتفع، وحضر قبله دروس السيد عمر بن عبد الرحيم البصري، والشيخ عبد الرحمن المرشدي، والشيخ محمد بن أبي البقا الأنصاري، وأخذ الفرائض والحساب عن السيد صادق، والحديث والتفسير عن الشيخ محمد علي بن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢).

علان، والتجويد عن الشيخ أحمد محمد الحكمي، وعنه: جماعة من فضلاء العصر.

ومما قرأه من الكتب بالمسجد الحرام: «شرح الكنز» للعيني، و«شرح النقاية» للشمني، و«جدول ابن الهائم في المناسخات».

وكانت **وفاته** بمكة، في رابع عشر رمضان، سنة ست وسبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ، وجده محمد أبو سلمة، ذكره القطبي في «تاريخه»، وأثنى عليه، وأنه كان له معرفةٌ تامةٌ في الفقه، وأنه تولى إمامة المقام الحنفي بمكة ـ شرفها الله ـ شريكاً للإمام محمد البخاري، وأنه كان من فقراء الشيخ محمد بن عراق، وأنه قرأ بمصر على قاضي القضاة بها نور الدين علي ياسين الطرابلسي الحنفي، وأنه **توفي** صبح يوم الأربعاء، ثالث جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة، وصلى عليه عند باب الكعبة، جارُ الله ابن القاضي أمين الدين بن ظهيرة الحنفي، وكانت له جنازةٌ حافلةٌ، ودفن بالمعلاة.

[٦٧٦] إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي السعدي الحموي الشافعي، صاحب الورد الهمداني، الذي يقرأ بعد صلاة الصبح، عند باب المنارة الشرقية، بجامع دمشق الأموي، المعروف بابن كاسوحة[١].

كان عالماً فاضلاً صالحاً، على وجهه نور العبادة والصلاح، وكان يأكل من كسب يمينه، ويتردد في التجارة إلى مصر، ولقي بها النجم الغيطي، والأستاذ الشيخ محمد البكري، والشمس محمد الرملي، ومحمد البنوفري،

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٩) (٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١).

وأخذ عنهم، وبدمشق عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وصحب ولده شهاب الدين الغزي.

قال النجم الغزي في «ذيله»: وحدثني: أن شيخ الإسلام الوالد، سئل وهو حاضرٌ عن السيدة فاطمة ـ رضوان الله عليها ـ، وعن زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كيف يجتمعان في الجنة؛ فإنها ملحقةٌ بأبيها في المقام بدليل: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الطور: ٢١] هل تنزل إلى مقام علي؟ فقال: بل يرتفع إلى مقامها رضي الله عنهما.

قال: وحدثني مراراً: أنه رأى الأخ شهاب الدين ذات يوم، فقال له: يا شيخ إبراهيم! خاطرٌ أشكو إليك، ما شكوته إلى غيرك، فقلت: يا سيدي! ما هو؟ قال: ما صحبت أحداً قط، إلا وتكدرت صحبته عليّ يوماً من الدهر، فما الحكمة؟ قال: فقلت له: يا سيدي! إن الله تعالى لا يريدك لغيره، فبكى الشيخ شهاب الدين، واستحسن مني هذا الجواب.

توفي يوم الاثنين، رابع شوال، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقد قارب سنه الثمانين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٧٧] إبراهيم بن علي بن أحمد بن معصوم الحسيني الفارسي.

نشأ هذا السيد في الهند في ظل والده، وتمتع من فضله بطريفه وتالده، وقرت به العيون، وحاز أشتات الفنون، ولم تطل مدته، فاختطفته المنية، ولم تصدق فيه تلك الأمنية، فقضى نحبه وهو شاب، يجر ردائي مجد وآداب، مغربَ ليلة الجمعة، خامس عشر ربيع الثاني، سنة إحدى ومئة وألف بـ «برهانبور»، ورثاه والده بقصيدة من أحسن المراثي وأبدعها، وهي قوله:

تفـديك لـو قبـلَ المنـونُ فـداها نفـسٌ عليـك تقطَّعـت بأسـاها

يا كوكبًا قـد خـرّ مـن أُفـق العـلا فـي ليلـة كسـتِ الـصباحَ دجاهـا

كانـت حياتُـك للنـواظر قـرةً واليـوم موتُـك للعيـون قَـذاها

يا ليتني غُيبـت قبلـك فـي الثـرى وسُقيت كأسَ الموت قبـل تراهـا

أَوْ ليت عيني قبل تبصرُ يومَك الـ ـمحتومَ كَحَّلهـا الـردى بعماهـا

لِمَ لا تمنى المـوتَ دونَـك بهجـة قـد كنـت تجهـد طالبًـا لرضـاها

أم كيف لا تهوى العمى لك مقلـةٌ قـد كنـت قُرَّتهـا وكنـت سـناها

آهٍ ليومـك مـا أمـضَّ مُـصابَه وأحَـرَّ نـارِ مـصيبةٍ أوراهـا

لا والذي أبكى وأضـحك والـذي أفنـى نفوسـاً بعـد مـا أحياهـا

لم يبق لي في العيش بعـدك رغبـةٌ مـا لـي وللـدنيا وطـولِ عناهـا

هيهاتَ ترغبُ في الحياة حُشاشةٌ قـد كنـتَ أنـتَ حياتَهـا ومُناهـا

كانت تؤمِّـلُ أن تكـون لـك الفِـدا فأبَيْـتَ ألا أن تكـون فِـداها

وبَرَرْتهـا حتـى كأنـك رأفـةً وتعطفـاً كنـت ابنَهـا وأباهـا

أفٌّ لهـا إذ لـم تـشاطرْكَ الـردى مـا كـان أغلَظَهـا ومـا أقـساها

قـسماً بـربِّ العـالمين ومكـةٍ والطـائفين بحِجْرهـا وصَـفاها

لـولا يقينـي أنني بـك لاحـقٌ لقهرتُهـا حتـى تـذوقَ رداهـا

تاللهِ خابَ السعي وانفصمت عُرى الـ آمـالِ ممـا نابهـا وعَراهـا

لا مُتعـت بـالعيش بعـدَك أنفـسٌ كانـت حياتُـك رَوْضَـها وجَناهـا

بـل لا هَنـا للقلـب غيـرُ غليلـه ... أبـداً ولا للعـين غيـرُ بكاهـا

يـا دوحـةً للمجـد مثمـرةَ العـلا ... ذهبـت نـضارتُها وجَـفَّ نَـداها

قد كنتَ ساعديَ الـذي أسـطو بـه ... ويدي التي يخشى الزمان سُطاها

تنفي الأسى عني وتَحْمِيَ جـانبي ... مـن كـل كارثـة يعـم أذاهـا

واليومَ قد هجمت عليَّ حـوادثٌ ... مـا كنـتُ أحـذرُها ولا أخـشاها

طـوبى لأيـامِ الوصـال وطيبِـها ... مـا كـان أحلاهـا ومـا أهناهـا

أيام لي من حسن وجهـك بهجةٌ ... بجمالهـا بـين الـورى أتبـاهى

فـإذا جلـستَ بجـانبي فكـأنني ... قارنتُ من شمس النهـار ضُحاها

وإذا رأيتُـك بـين آل المـصطفى ... عـوّذْتُ منظـرَكَ الجميـل بِطَـهَ

كانت بقربك في الزمـان مـواردي ... يـصفو ويعـذُب وِرْدُهـا ورُواهـا

فمُنيـت مـن حَـرِّ الفـراق بغُلَّـةٍ ... حكـم الـردى أن لا يُبـل صـداها

وبُليـت مـن أرزائـه برزيَّـةٍ ... عظُمـتْ مـصيبتها وطـال جواهـا

إنـي ليملكنـي التأسـفُ والأسـى ... فيعـزُّ مـن نفـسي عليـك عَزاهـا

فـإذا ذكـرتُ فنـاءَ دنيـاي التـي ... لا لفظُهـا يبقـى ولا معناهـا

خـفّ الأسـى وهـانَ علـيّ مـا ... ألقـاه مـن أهوالهـا وبَلاهـا

كيـف البقـاءُ بهـذه الـدار التـي ... مـن قـد بناهـا للفنـاء بناهـا

دار قـضتْ أن لا يـدوم نعيمُهـا ... لا كـان مـسكنُها ولا سُـكناها

لا يُـسرها بـاقٍ ولا إعـسارُها ... سـيانِ حـالاً فقرُهـا وغِناهـا

مقرونـة خيراتُهـا بـسرورها ... وسعودُها بنحوسها ونعيمُها بشقاها

إن أَضكحتْ أبكتْ وإن برّت بَرَت ... وإذا شـفتْ شـفّتَ عليـلَ ضـناها

أيـن الملـوكُ المـالكون لأمرهـا ... والعــامرو أمــصارِها وقُراهــا

أيـن القياصـرُ والأكاسـرةُ الألـى ... شــادوا مبــانيَ عزِّهــا وعُلاهــا

أيـن الخـواقينُ الـذين تمـسَّكوا ... بعهودهــا واستمــسكوا بعُراهــا

غــرّتهم بــسرابها وشــرابها ... حتى انتَشْوا مـن كأْسـها وطِلاها

بطشتْ بهـم بطشَ الكمـين بغـرَّةٍ ... الله أكبــرُ مــا أقــلَّ وفاهــا

قد ضَلَّ رشـدُ مـن اطَّبـاه جمالُهـا ... فــصبا إليهــا وازدهــاه زُهاهــا

يهـوى الأنـامُ بهـا البقـاء وإنمـا ... شــاء الإلــهُ بقــاءهم بــسواها

مــا هــذه الأيـام غيـرُ مراحـل ... تُطـوى وأنفـاسُ النفـوسِ خُطاهـا

حتـى إذا بلغـت نهايـةَ سـيرها ... ألقــت عــصاها واســتقرَّ نواهــا

يـا قـرةً للعـين أسـخَنَها الـردى ... وعزيمــةً للقلــب فَــلَّ شَــباها

تبكي عليك النفسُ من فرط الأسى ... وتنوح وجـداً مـن عظـيم شَـجاها

وتقول حقًّا حين ينكـشف العمـى ... عنهــا وتبــصر رُشــدها وهــداها

وُفِّقـت حـين رفـضت ألأمَ منـزلٍ ... ورقيـتَ مـن عُليـا الجنـان ذُراهـا

جـاريتني فبلغــتَ قبلـي غايـةً ... للحـقِّ لـم يبلـغ أبـوك مـداها

مـا زلـتَ تـسهر كـلَّ ليلـةِ جمعـةٍ ... لله إذ يغــشى العيــونَ كراهــا

حتــى دعــاك الله فيهــا راضـياً ... لتنــالَ منــه مثوبــةً ترضــاها

لله همتُــك التــي فاقــت علــى ... همـم الأعــاظم شـيخِها وفتاهـا

سعتِ الرجـالُ لنيـل دنياهـا التي ... قــد دُنِّـست فعزفـت عـن دنياهـا

وسعيتَ للأخرى المقدسةِ التي لم يرعَ غيرَ الطاهرين حِماها

فحويتَها والعمرُ مُقْتبل الصبا واهاً لهمتك العليَّةِ واها

إن كنتَ حلَّيْتَ الجنان منعَّماً فأبوك حَلَّ من الهموم لظاها

حزنت لموتك طيبةٌ وبقيعُها وبكتْ لفوتك مكةٌ ومِناها

وغدا الغويُّ عليك يُغرى بالأسى طوساً وبغداداً وسامرَّاها

أَقررْتَ أعينَ من بها بنزاهةٍ حَلَّتك في سِنِّ الصِّبا بحُلاها

صلَّى عليك الله من مستودَعٍ في روضةٍ ضمَّ الكمالَ ثراها

وتواترتْ رَحَماتُ ربك بكرةً وعشيةً يَسقي ثراك حياها

ما حنّ مشتاقٌ إلى أحبابه وتذكرتْ نفسٌ أُهَيل هواها

[٦٧٨] إبراهيم بن محمد الأكرمي الصالحي الدمشقي[1].

كان شيخاً فاضلاً صالحاً، يجري على لسانه نظم الشعر، من غير كبير معاناةٍ ولا كلفةٍ، وذلك من بركة خدمته للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي؛ فإنه كان قائماً بها إلى أن مات، وهذه خصوصيةٌ لكل من لازم حضرته؛ من خطيبٍ وإمامٍ، وغيرِهما من خدام ذلك المقام.

وُلد بالصالحية، سنة سبعين وتسع مئة تقريباً، وتوفي في شعبان، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وأربعين وألف بالصالحية، وبها دفن ـ رحمه الله ـ، وله ديوان شعرٍ كنت كتبته بخطي وأنا صغير بدمشق ـ حرسها الله ـ ثم فُقد مني،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩)، «نفحة الريحانة (١/ ٤٠) (٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

ولا أعرف الآن مظنته.

ومن شعره: قوله يمدح الشيخ أحمد المَقَّري:

فكَّرتُ في فضلِ الإما ... م المَقَّرِيِّ الحبرِ حينا ...إلخ

وقوله:

اسقِنيها قبل ارتفاع النهار ... إن طيبَ المُدام في الإبكار

هي بكرٌ فاشربْ ويومُك بكرٌ ... لم تُشبه الأيامَ بالأكدار

الصبوح الصبوح في جدةَ اليوم ... فإن الصبوح روحُ العقار

يا فدتك النفوسُ وهي قليل ... من نديمٍ سهلِ الطباع مُداري

هاتها ضحوةَ النهار شَمولاً ... مثلَ شمس النهار وسْطَ النهارِ

قهوةً مثلَ مقلةِ الديكِ صَهْبا ... أو كنارِ الكليم ليستْ بنارِ

ذاتَ عصرٍ أدناه عصر يؤثر ... وإن ليست بمِزَّةٍ مسطارِ

لطفها كرر السنين فلم تبـ ... ـق سوى لمحة من الأنوار

فتراءت كالشمس غِبَّ سماءٍ ... تجتلي بين حمرة واصفرار

لستَ تخشى من لطفها بعد سكرٍ ... من صُداع بادٍ ولا من خُمارِ

في رياضٍ تزهي بباكورِ وردٍ ... وأقاحٍ وسوسنٍ وبهارِ

ذاتِ أرضٍ موشية بربيعٍ ... ذهّبتْ وشيَها يدُ الأزهار

يستفيقُ المخمورُ إن مرّ فيها ... من هواءٍ صافٍ وماءٍ جارِ

قم بنا يا نديمُ يفديك ما لي ... من تِلادٍ وطارفٍ وعقارِ

نقطعُ الدهرَ كلَّ يوم بِزِقٍّ ... وغزالٍ ساقٍ وكأسٍ مُدارِ

آن طيبُ الزمان واعتدل الجوْ ... وُ وصار الضحاءُ كالأسحارِ

وأتاك الربيعُ يضحك عُجباً ... وهو من سَبْحِ نورها في إزارِ

يا نديمي أفديك فيمَ التواني ... ما ترى البسطَ في الليالي القِصارِ

فاسقِنيها واشربْ على زهرة الرو ... ضِ وسجعِ القُمْرِيِّ وشَدْوِ الهَزارِ

وتغنم صفوَ الزمان وروقَ الـ ... ـعمر من قبل ضيقةِ الأعمارِ

لا تبالي إذا سكرتَ بوِزْرٍ ... إن مولاك غافرُ الأوزار

وقوله:

بحياتي يا بدرُ أو بحياتك ... لا تقلْ لا فقبحُ لا من لغاتِكْ

قمْ بنا نغنمِ الوصلَ وروحي ... في سبيل الهوى وفي مرضاتِكْ

يا فدتْكَ النفوس فيمَ التواني ... ما ترى البسطَ عَزَّ في أوقاتِكْ

هاتِها بكرَة النهارِ تطيب الرْ ... رَاحُ قبلَ الضحى وقبلَ صلاتِكْ

ثم هَجِّر بنا نقَيلُ قليلاً ... عند غمزِ الصهباء عُودَ قناتِكْ

ثم عدْ للشراب تفديك نفسي ... واسقنيها واشربْ معي بحياتِكْ

إن كلَّ الحياة كأسٌ مُدارٌ ... ونديمٌ وشادنٌ من سُقاتِكْ

فاغتنم فرصةَ الزمانِ فقد ... قيل أخو اللذة الجسورُ الفاتِكْ

لا تؤخر يوماً غداة سرور ... فعسى وقتُه قبل فواتِكْ

إنما هذه الحياة كحلمٍ ... طارقٍ تستلذُّه في سِناتِكْ

وقوله:

ويومٍ فاختيّ الجوِّ رطبٍ ... يكاد من الغَضارةِ أن يسيلا

نعمتُ به وندماني أديبٌ ... وقورٌ في تعاطيه الشَّمولا
قطعنا صبحَه والظهرَ شُربًا ... وجاوزنا العشيةَ والأصيلا
لدى روضٍ عميمِ النبتِ يزهى ... بأزهارٍ نمتْ عرضًا وطولا
يدور به سوارُ النهر طوراً ... كما يتعانق الخِلُّ الخليلا
وساقينا رخيمُ الدَّلِّ يَسبي ... إذا ما ردَّدَ الطرفَ الكَحيلا
إذا لعبتْ به الصهباءُ غَنَّى ... سقى الله المعالمَ والطلولا

وقوله:

ونديمٍ نبهتُ ليلاً فهبَّا ... وهو سكرانُ يميل شرقاً وغربا
قال لبيك قلت هاتِ اسقنيها ... فتردَّى وقال طوعاً وحبّا
فسقاني ثلاثاً وتحسَّى ... بعضَ كأسٍ فردَّها وأَكَبَّا
قلتُ أفديه من نديمٍ مطيعٍ ... لو رأى طاقةً بها ما تَأَبَّى
ثم وسَّدْته وعدتُ إليها ... وحيدًا فما استلذيتُ شربا
إن طيبَ المُدام بين الندامى ... وسرورُ الندمانِ فيمن أحبَّا
لو رأوا لذةً بدون شريبٍ ... لم يسمَّوا ندامى وشَربا

[٦٧٩] إبراهيم بن محمد بن إبراهيم باغريب الحضرمي الشافعي[١].

الفاضل العالم العامل، **وُلد** بجدة، ومات أبوه وهو صغير، ثم حمل إلى الشحر، وأقام بها سنتين، ثم عاد إلى مكة وتوطنها، وطلب العلم، وتجرد

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

له، ولازم الشيخ عبدالله باقشير في دروسه، حتى تفقه به، وحضر دروس شيخنا محمد البابلي، ولازم عيسى بن محمد المغربي في الحديث والعربية، وأجازه جل شيوخه.

وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، في محل شيخه عبدالله باقشير، بعد انتقال ولده سعيد، وأفاد الطلبة، وكان ذا فهمٍ حسنٍ، وحفظٍ جيدٍ، وحفظه أجود من فهمه، وكان اعتناؤه بالفقه أشد من غيره من العلوم، وكان ورعاً زاهداً في الدنيا ورياستها، متجنباً أهلها، ولم يتزوج، ولم يزل على هذا الحال المرضي، إلى أن توفي بمكة، ثامن عشر ذي القعدة، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل باعلوي ـ نفع الله بهم ـ.

[٦٨٠] إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي الحرم بن أحمد الصبيبي المدني الشافعي[1].

إمام حاز قصب السبق قبل خَطِّ عِذاره، وفاز بالتقدم على أقرانه بقوة عزمه واقتداره، طالما أسهر في طاعة ربه الأجفان، وأكثر من الصلاة والصيام، وتلاوة القرآن.

كان في العلم بحراً زاخر اليم، ذا فضل مبذول لمن قصد وأمّ، بارعاً في عدة من الفنون، سالكاً طريق من سلف من صلحاء القرون، حسن الشكل، لين الجانب، كثير الإحسان للطلبة، معلماً ناصحاً، ومفيداً صالحاً، يقرب الضعيف من الإخوان، ويحرص على إيصال الفائدة للبليد المستهان، وكان

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٧٥) (٣٢٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٦٨).

ربما ذَكر عنده المبتدئُ الفائدةَ المطروقة، فيصغي إليها كأنه لم يسمعها؛ جبراً لخاطره، وكان جمالياً في سائر شؤونه، يحب الجمال بالطبع، سليماً عما يشينه، مثابراً على إيصال البر والخير لكل محتاج.

وُلد بالمدينة الشريفة، وأخذ عن والده، وعن شيوخ من أهل الحرمين، واشتغل بالتدريس بالفنون العلمية، وأخذ عن جمعٍ، ولازم التدريس حتى توفي يوم الجمعة، ثالث عشر صفر، سنة ثلاث وأربعين وألف.

وكان مع تبحره في العلوم، مقيماً لأوزان الشعر، مجيداً لنظمه، معجباً به، محباً لأهله.

فمنه قوله:

لما بدا مبيضاً ... والقلبُ مشتاق إليه
ناديتُ هذا قاتلي ... والرايةُ البيضا عليه

وقوله:

صادفته يجلو فما حشوه ... شهدٌ ودرٌّ وعقيقُ المدام
وقلتُ يا مولاي هل شربة ... من ريقك العذبِ لحرِّ الغرام
فقال جور منك أنت الذي ... تدعى بإبراهيم طول الدوام
والنار برداً وسلاماً غدت ... عليك ماذا الحرّ قلت السلام

وقوله في «تاريخ المدينة» للسمهودي:

فعليه باستقصاء تاريخ الوفا ... تأليف عالم طيبة السمهودي

[٦٨١] إبراهيم بن محمد بن الأحدب الصالحي[١].

كان معلماً للأطفال، في مكتبٍ قبالة مدرسة أبي عمر بالصالحية، عالماً جليلاً مسنداً، وله في الفرائض والحساب اليد الطولى، ولازم في آخر أمره جامع السليميّة بالصالحية، يقرئ الناس فيه العلوم العلمية، وبلغ من السن أكثر من ثمانين سنة، وانتهى إليه علو الإسناد في الحديث.

أخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وابن طولون، وموسى الحجَّاري، وغيرهم، وانتفع به جماعةٌ، من أجلِّهم: العارف بالله أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي الصوفي المشهور، والعلامة علي القبردي، وكانت وفاته في سنة اثنتي عشرة بعد الألف بالصالحية، ودفن بسفح قاسيون ـ رحمه الله ـ.

[٦٨٢] إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن أحمد ابن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي.

العلامة، الحبر الفهامة، بقية المجتهدين، طلب العلم هو وأخوه علي ابن محمد بن مطير، وبرع، وفاق أقرانه، وناظر، وكان شهماً في فتواه، وفي مناظرته صدوقاً، قال تلميذه الشيخ عبد الباقي بن عبد الرحيم بن عبد الباقي النزيلي الحكمي: لقيته سنة اثنتي عشرة بعد الألف في هجرته، وهو يدرس التدريس الذي يكاد يثمر قبل أن يورق.

وكان ـ رحمه الله ـ يتحرى من نجاسة الكلاب، فأي قريةٍ فيها كلبٌ لا يدخلها إلا محمولاً، وكذلك الأودية التي لا تبلغ الجرية فيها قلتين،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤١) (٧٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٦).

لا يدخلها إلا محمولاً، يقول: لعل كلباً مرّ فيها.

[٦٨٣] إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم جعمان[1].

مفتي «زبيد»، كان على جانبٍ عظيمٍ من نشر العلم والتدريس، وإكرام الدَّرَسَة والوافدين، وكان حافظاً للمذهب، محدثاً نقالاً، يكاد يتوقد ذكاءً، كأنه كوكبٌ دريٌّ، وكانت إليه رياسة مدينة زبيد، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة، عديم النظير في زمانه، أخذ عن شيوخٍ كثيرين، وعنه: السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، وأخوه سليمان، ومحمد بن عمر حشيبر، والسيد محمد بن الطاهر بن بحر، والفقيه محمد بن محمد العلوي، وكم من نجباء انتفعوا به!.

وكان هو العمدة في عصره في الفتوى، والمعوَّل عليه في حل المشكلات.

توفي سنة أربع وثلاثين بعد الألف، وبموته حصل النقص في مدينة زبيد، وخرب أكثرها، ودفن بباب سهام، بمقبرة بني جعمان ـ رحمه الله ـ.

وبنو جعمان قبيلةٌ من صريف بن ذؤال، أهل علمٍ وصلاح، وورعٍ وفلاح، قال الإمام السرجي في «طبقاته»: كل أهل بيتٍ فيهم الغث والسمين، إلا بني جعمان؛ فإنهم كلهم سمين ـ يعني: صالحين ـ، ولعمري! لقد صدق فيما قال، وما صدف عن الحق ولا مال، فإن المذكورين قومٌ أصفياءُ غالبهم الصلاح والتغفل، والاشتغال بالعلم، وقلّ من يدانيهم في منصب العلم؛ لكونهم عمدةَ أهل اليمن.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩).

[٦٨٤] إبراهيم بن محمد السَّوهائي المالكي الأزهري[1].

كان ذكياً فاضلاً، عاملاً كاملاً، أخـذ عن الأجهوري ومن في طبقته، وبرع واشتهـر ذكـره ببلاد المنصورة، من الديار المصرية، وحصلت له دنيا عريضة، بعد فقرٍ شديدٍ، فسلط عليه بعضُ الحسدة رجلاً طعنه وهو متوجه إلى مصر؛ لقضاء أغراض لـه فيها، فتوفي فيها قتيلاً، في حدود سنة ثمانين بعد الألف، حول مصر، ومن مؤلفاتـه «فتح القديـر بترتيب الجامع الصغير للسيوطي»، رتبه على الأبواب.

[٦٨٥] إبراهيم بن محمد بن حسن بن حسين ابن الشيخ سعد الدين الجباوي القبيباتي الدمشقي الشافعي[2].

كان عضداً لأخيه محمد السابق ذكرُه، وخليفته في حلقة الذكر بالجامع الأموي، وكانت الناس تذهب إلى زيارة أخيه، ثم إليه، فيكرمهم مثل كرامة أخيه، ويزيدهم، وإذا فعل أخوه مثوبةً، بادر إلى مثلها، وتحرى الزيادة عليه، وكان محبوباً للناس، حسن الخلق، بشوشاً ودوداً، يحب الزائرين، ويكرم الواردين، ولم يزل متفقاً مع أخيه، حتى دخل بينهما الأعداء وتخاصما، إلى أن توفي يوم الخميس، تاسع جمادى الأولى، سنة ثمان بعد الألف، ودفن خارج باب الله، عند أهله بتربة الحصني.

وأراد ولده كمال أن يحجر قبره، فاشترى له حجارةً من الصالحية، فرأى

---

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢١٢) (٦٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٣).

في تلك الليلة يونس بن المدرس المترجَم في المنام، وهو يقول لـه: الحقْ هذه الجِمال الذاهبة إلى المقبرة، حاملةً هذه الحجارة الحرام، وقل لهم يرجعوا بها، ما لنا بها حاجة، فلما أخبر ولده بما رآه، سألوا عنها، فإذا هي منقولة من قبورٍ محجَّرة كانت بالصالحية، فردوا الأحجار إلى محلها، واشتروا حجارةً غيرها جديدة القلع من الجبل، وكانت هذه كرامة له ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٨٦] إبراهيم بن محمد بن عبد الكريم السفرجلاني الدمشقي[1].

نسبةً لجـد لهم كان يكثر السفر، فسئل عن سبب ذلك، فقال: السَّفَرُ جَلاني، أو إلى بيع السفرجل، وكان السائل له قاضي دمشق السيد الحلبي شارح «الملتقى»، فأجابه القاضي المذكور بقوله، وهو الأقرب؛ أي: النسبة إلى بيع السفرجل، فضحك من كان حاضراً، هكذا أخبرني المترجم من لفظه.

أديبٌ أريبٌ، ونجيبٌ بنُ نجيب، أورق عودُه بالشام وأثمر، وأينع غصنه بها وأزهر، وربي في حجر والده، ممتعاً بطريف الأدب وتالده، مولده سنة أربع وخمسين بدمشق، وبها نشأ وترعرع، وبرع وتأدب، ونظم الشعر الفائق الرائق، فمما أنشدني قوله:

لُذ بالمتاب وعُد عن جهـل الـصِّبا ... فـأخو الـذنوب طويلـةٌ حَـسَراتُهُ

واجنح إلى التقوى فطوبى لامرئ ... غلبـت علـى آحـادِه عـشراتُه

وقوله:

إن غَضَّ عن تلك العوارض عاذلي ... طَرْفًا فقـد أصـبحتُ مـن عـشاقها

(١) «هدية العارفين (١/ ٣٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

وتجنـبَ الأفعـى الزمـرد إنمـا ... هـو خيفـة منـه علـى أحـداقها

وقوله:

لئن أغضَّ مَنْ أهـواه عني طرفـه ... وحـدقت فـي ريحانـه وشـقائقهْ
فمن شيم المعشوق عينٌ غضيضةٌ ... حياءً وفتحُ العين شيمةُ عاشـقِهْ

وله:

أرأيت كيف نَضَى من الأحداق ... سيفًا يُراق بـه دمُ العـشاقِ
ثَمِلُ القَوامِ يُريك من أعطافه ... لِينَ الغصون تميسُ في الأوراق
أحبـبْ بـه قمـرًا شعاعُ جبينـه ... يكسو الحنادِسَ حُلَّة الإشراقِ
يـا لَلرجـالِ لقـد خَفيتُ صبابةً ... وبسحر مقلتـه فـأين الراقـي
ومنحتُـه قلبـي فبـاتَ مفتتـاً ... أفـلاذُه بحـرارة الأشـواق
وجنحتُ فيه إلى النسيب فحبذا ... نظـمٌ يُزان مـن اسمِه بنطـاقِ

وقوله:

يـا لؤلـؤاً أصـدافُه اليـاقوتُ ... قلبـي عليك صبابةً مفتـوتُ
لقد ابتسمتِ فلاح منكِ لناظري ... سِمْطٌ بكـل ملاحـة منعـوتُ
أحبِبْ به سمطًا تناسقَ نظمُه ... فـالطرفُ فـي لألائـه مبهـوتُ
أَنْـشاه مبدِعُـه وكمَّـل حسنَه ... فـأتى بديعَ النظم وهـو شَتيتُ
عجبًا لـه درًّا على ما فيه من ... صغر لـه بين الجواهر صيتُ
عزَّ الوصولُ إليـه يـا قلبي فمتْ ... كمـداً فحـارسُ كنزِه هـاروتُ

وقوله:

سلبت قلبي ولم يشعر به جسدي ... وهكذا يفعل النفاثُ في العُقَد

لا واخذَ اللهُ نجلاوَيْكَ إذ رَشَقا ... سهمًا فلم يُخْطِئا في رشقِهِ كبدي

يا جؤذرًا لم تزل أجفانُ مقلتِهِ ... تسطو على عاشقيه سطوةَ الأسدِ

مهلاً بتعذيب قلبٍ فيكَ مكتئبٍ ... قد عاقرته سُلافُ الشوق والكمدِ

إلامَ تمتدُّ في هَجْري بلا سببٍ ... أما لهجركَ يا مولاي من أمدِ

نظامُ درِّ المعاني في صفاتك قد ... نيطت قلائدُه في غرة القصد[1]

[٦٨٧] إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن العارف بالله تعالى خالد البرماوي الأزهري الأنصاري الشافعي[2]، والبرماوي ـ بكسر أوله ـ نسبةً إلى برمة، من نواحي الغربية.

فقيه مصر، وشيخ الجامع الأزهر، الإمام الجليل، الصالح المتبحر في الفقه، والجامع بين الظاهر والباطن، المحب للصوفية ـ نفع الله بهم ـ، المحبوب للمجاذيب، جمع الله له بين خيري الدارين، واغترف بعظيم فضله أهلُ المصرين، وبارك له في أوقاته، فوزعها على طاعاته.

قرأ على الشمس محمد الشوبري، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، في فنون عديدة، ثم لازم دروس فقيه الديار المصرية الشهابِ القليوبي، واختص به، وسلك على طريقته، إلى أن نقله الله إلى

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلث صفحة بياض بالأصل».

(٢) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

كرامته، وتصدر بعده للتدريس بالجامع الأزهر، وعم نفعُه، وحُمدت سيرته، ولازمه أفاضل كثيرون، وانتفعوا به.

وله مؤلفاتٌ في الفقه، منها: «حاشيةٌ على شرح المنهاج للمحلي»، و«رسالةٌ في مسألة: مُدّ عجوة ودرهم»، و«حاشيةٌ على شرح الرحبية لسبط المارديني»، وغير ذلك، ولم يتفق لي الأخذُ عنه، مع ما بيني وبينه من كمال الصحبة، وزيادة المودة، توفي ـ رحمه الله ـ في شهر ذي الحجة، سنة ست ومئة وألف.

[٦٨٨] إبراهيم بن محمد العمادي الحنفي، المعروف بابن كسباي[1].

الشيخ العلامة برهان الدين، المقري المجيد، شيخ القراء بدمشق، **مولده** ليلة السبت، خامس عشر ربيع الآخر، سنة أربع وخمسين وتسع مئة، وحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وقرأ عليه للعشرة من طريق «النشر» وغيره، وأخذ عنه غير ذلك من العلوم، وقرأ على شيخ القراء بدمشق الشهاب أحمد بن بدر الطيبي للسبعة، والعشرة، وعلى الشهاب أحمد بن علي بن حسن الفلوجي، ختمةً كاملةً لعاصم، والكسائي، ومن أول المائدة لأبي عمرو، وابن عامر.

وعلى العلامة السيد الشريف ملا عماد الدين علي بن عماد الدين محمود ابن نجم الدين بن علي القاري النحر آبادي أصلاً، الجرجاني منشأً، ثم القزويني من أول البقرة إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ للعشرة، وقرأ على الشيخ المقري بدر الدين

---

(١) «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٢) (٦٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥).

حسن بن محمد بن نصر الصلتي، للسبعة جمعاً، ثم للعشرة من أول البقرة إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، وعلى الشيخ العلامة شرف الدين يحيى ابن محمد بن حامد الصفدي، من أول البقرة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ﴾[البقرة: ٦١] من طريق «الشاطبية»، وقرأ «النشر»، و«الشاطبية»، و«الدرة»، و«المقدمة»، وغير ذلك على الشيخ الطيبي.

ورحل إلى مصر، وأخذ بها عن العلامة المحدث النجم الغيطي وغيره، وكان يعرف العربية وغيرها من العلوم، وله شعرٌ، وكان علامة في التجويد والقراءات، وكانت له بقعة بالجامع الأموي يدرس فيها، وولي تدريس الأتابكية عن الشمس محمد الداودي، وكان فيه دعابةٌ ومزحٌ.

توفي يوم الاثنين، ختام ذي القعدة، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، عند الباب المقابل لمدرسة الصابونية، على يسار الداخل إلى المقبرة، في زاوية بين باب الحدادين الغربي والشمالي، أول قبرٍ ثمة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٨٩] إبراهيم بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الرحمن الميموني؛ نسبةً لميمون من بلاد الصعيد، الشافعي[١].

الشيخ الإمام، العلامة الفهامة، المحقق المدقق، شيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، وخاتمة المحققين، كان فريد عصره في علوم التفسير والعربية، حافظاً مفنناً متضلعاً من العلوم العقلية، مشهوراً بالعلم، خصوصاً عند القضاة وأرباب الدولة، مترفهاً في عيشه، كريم النفس،

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

رقيق الطبع، حسن الخَلق، فصيح اللسان، وجيهاً مجللاً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة.

وإذا حضر مجلساً فيه علماء، يكون هو المتكلم من بينهم، والمشار إليه فيهم، وكانت الموالي من قضاة العساكر تسأله في التفسير وغيره، ويؤلف لهم فيها الرسائل، واجتمع فيه حسن التقرير، وتحبير التأليف والتحرير.

وُلد بمصر، سنة إحدى وتسعين وتسع مئة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، ولازم والده سنين عديدة، وكان يحضر معه وهو صغير دروسَ الشمس محمد الرملي، وأجازه بمروياته، وأخذ عن العلامة أبي بكر الشنواني، ومنصور الطبلاوي، وأحمد الغنيمي، وغيرهم من علماء عصره، وأجازه جلُّ شيوخه.

وعنه أخذ شيخنا عبد القادر البغدادي، وشاهين الحنفي، وغيرهما من سراة العلماء، وأُخبرت: أن شيخنا أبا الضياء عليًّا الشبراملسي حضر مجلسه، بالجامع الأزهر في بعض «المختصر للسعد»، وكان يقرئ في أواخر عمره في بيته، كل يومٍ من طلوع الشمس إلى قبيل الظهر، فنونَ العلوم الشرعية.

وكان له ولدٌ فاضلٌ اسمه أحمد، مات قبله بنحو ثلاثة أشهر، وجزع عليه جزعاً شديداً، وكان بيني وبينه مودةٌ شديدةٌ، وصحبةٌ أكيدةٌ، وحضرت مع من حضرني مجلس التعزية، فخاطبني متوجعاً ومنشداً قول المتنبي:

لولا مفارقةُ الأحباب ما وجدتْ   لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

وحضرت دروسه كثيراً، وكان يدعو لي، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل في فنون العلوم شهيرة، منها: «حاشيةٌ على المواهب اللدنية للقسطلاني»، و«حاشيةٌ على المختصر للسعد»، و«حاشيةٌ على تفسير البيضاوي»، و«معراجٌ»

في مجلدٍ ضخم، وغير ذلك مما يطول ذكره، واستمر ممتعاً بحواسه، منهمكاً في بث العلم وإفادته، حتى توفي ليلة الثلاثاء، ثامن عشر شهر رمضان، سنة تسعٍ بعد الألف، وصلى عليه في مشهدٍ حافلٍ بالجامع الأزهر، بين العصرين، إماماً بالناس، شيخنا منصور الطوخي ـ رحمهما الله ـ، ودفن بتربة المجاورين.

[٦٩٠] إبراهيم بن محمد، المعروف بابن الطباخ(١).

لأن أباه كان طباخاً لطعام الأفراح والمهمات، وطلب ولده العلم، حتى حصّل قدراً مفيداً منه، ولازم قاضي دمشق محمد بن معلول، وجعله نائباً، ثم توجه إلى قسطنطينية، ثم عاد إلى دمشق، سنة أربع وتسعين وتسع مئة، متقاعداً عن الدرس(٢)، وهذا التقاعد يسمونه في طريقتهم: الموتة الكبرى؛ لأنه يبقى سنين فيه، حتى يترقى منه؛ ليكون بعد ذلك من الموالي.

ثم تقلبت به الأحوال بدمشق، وكان يميل إلى الصوفية، ويعتقدهم، ووقع بينه وبين النجم الغزي ما يقع بين المتعاصرين، وانضم إليه الشيخ محمد ابن المنقار، والشمس محمد الداودي، وأرادوا أن يقيموه من مجلس درسه، ويمنعوه من التدريس في الجامع.

فبلغ ذلك شيخَه أحمد العيثاوي، فأتى إليه، وقال له: يا ولدي! أرى أن لا تخرج في هذا اليوم، وذكر له القصة، فقال له النجم: يا مولاي! لا بد من الخروج، فإني البارحة رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقد استخلصني من

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢١٦) (٦٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢).

(٢) في الأصل: درس.

جماعةٍ يريدون أذيتي، فأدخلني في حجرةٍ، وأسبل عليّ ذيله، وكنت كذلك رأيت هذه الرؤيا تلك الليلة، فبكى شيخه، وقال له: إذن اخرج على بركة الله تعالى.

فلما خرجت إلى المسجد، وجلست في المجلس، أكبّ الناس عليّ واجتمعوا يستمعون، فكان الدرس ـ إذ ذاك ـ على وجه المصادفة، في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣]، فلما قرأت الآية، وافتتحت الدرس، كثر الناس، وكان الثلاثة المذكورون قد اجتمعوا لما لَهِجُوا به، فلما بصُروا بالمجلس من بُعد، رهبت قلوبهم، ثم خرجوا من باب البريد، وأبصروا من الناس عين الإنكار عليهم.

ثم ألف المترجَم رسالةً صغيرةً في النجم وفي إقرائه لتفسير والده البدر، فتصدى القاضي العلامة محب الدين الحموي للرد عليه في رسالةٍ سماها: «السهم المعترض في قلب المعترض»، وألف الشهاب العيثاوي رسالةً أخرى لذلك سماها بـ: «الصمصامة المتصدية لرد الطائفة المتعدية»، وكتب إليه القاضي محب الدين الحموي قوله:

إن ذا ابن الطباخ قبحه اللّـ ... ـه تعالى وشوّه الله خَلْقَه

رامَ في الشام أن يسود زوراً ... قلتُ والله أنت أسودُ خِلْقَهْ

وكان ابنُ الطباخ آدَمَ اللون، ثم مات المترجَم والداودي في يومٍ واحدٍ، يوم الثلاثاء، ثاني شعبان، سنة ست بعد الألف، ودفن بمقابر الصوفية، بالشرف القبلي، عند الميدان الأخضر بالمرجة، بوصية منه ـ رحمه الله ـ.

[٦٩١] إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي، الجينيني

الأصل والمولد، الدمشقي الدار[1].

أخذ عن الشيخ خير الدين، اجتمعتُ بـه بمكة، سنة اثنتين وثمانين، وهو رجلٌ فاضلٌ بارعٌ أديبٌ، لـه اطلاعٌ تامٌ ومعرفـةٌ للكتب جيدة، وتوطن دمشق، وصار له بها مكانة، **توفي** سنة ألف ومئة وسبع ـ فيما أظن ـ بدمشق ـ رحمه الله تعالى وإيانا ـ.

[٦٩٢] إبراهيم بن محمد بن السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري الحسيني.

السيد الفاضل، العارف الكامل، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء الناسكين.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وقرأ على جماعة من علمائها، منهم: الشيخ علي ابن الجمال الأنصاري، وتفرغ للعبادة من الصيام والقيام، إلى أن **توفي** ليلة النصف من شعبان، سنة ثمان وثمانين بعـد الألف بمكـة، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة جـده، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، وصحبةٌ شديدةٌ، وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله...[2].

[٦٩٣] إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي المالكي[3].

أحد علماء المالكية الكبـار بالديـار المصريـة، أخـذ عن الشيخ علي

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (١/ ٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٤١).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» أربعة أخماس صفحة بياض».

(٣) «هديـة العـارفين» (١/ ٣٦)، «عجائـب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٧٣).

الأجهوري قليلاً، وأكثر أخذه وانتفاعه عن يوسف الفيشي، له «شرحٌ جليلٌ على مختصر خليل» في مجلدات، و«شرحٌ على العشماوية»، و«شرحٌ على الأربعين النووية»، و«شرحٌ على ألفية السيرة للعراقي»، ولكنه عزيز، ومؤلفاتٌ في فنونٍ شتى.

وكان حافظاً حسن التقرير جداً، وحصل له فالجٌ قطعه عن الإقراء مدةً، ثم مات غريقاً وهو متوجه من مصر إلى رشيد ببحر النيل، سنة ألف ومئة وست تقريباً ـ رحمه الله ـ، وعمره نحو ستين سنة، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ ـ رحمه الله ـ.

[٦٩٤] إبراهيم بن مسعود، صاحب الظهرين[(١)].

كان رجلاً علامةً، له مشاركةٌ في كل فن، وكان حَفاظةً حتى قال بعض الناس: هذا خزانة العلم، يروى أنه كان يحفظ من كلام العُوَيْدي ثلاث مئة قصيدة، ووصف شعره بأنه السهل الممتنع، أخذ الحديث وغيره عن عبد الرحمن بن حسين النزيلي، بهجرة القيري، من أعمال المحويت، من أرض كوكبان، ولعله مات في العشر الأول من هذا القرن.

[٦٩٥] إبراهيم بن محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسيني[(٢)].

نقيب الأشراف بدمشق، مولده كما ـ أخبرني من لفظه ـ في ذي القعدة، سنة أربع وخمسين وألف بدمشق، وقدم حاجاً سنة ألف ومئة وتسع عشرة،

---

(١) «طبقات الزيدية» الكبرى (١/ ٧٧) (١٩)، وذكر وفاته في ١٠٠٨هـ.

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٨٦) (٦٦)، «سلك الدرر» للمرادي (١/ ٢٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

واجتمعت به بمكة، وأخذ عن والده، وعن إبراهيم الفتال ومعاصريهما، ومن مؤلفاته: كتاب «أسباب الحديث» في مجلدٍ حافلٍ.

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ مرجعه من الحج، سنة ألف ومئة وعشرين، لعله في شهر محرم، بمنهل الحاج، المعروف بهدية، من طريق الركب الشامي.

وأخوه السيد عبد الرحمن بن محمد، مولده في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وألف، ووفاته في ربيع الأول، سنة إحدى وثمانين وألف بدمشق، ودفن بالصالحية، بتربة الإيجية، وأخوه السيد عبد الكريم بن محمد، مولده في ذي القعدة، سنة خمس وخمسين وألف، ووفاته ثالث رجب سنة ثمان عشرة ومئة وألف، ودفن بالإيجية ـ عفا الله عنا وعنهم آمين ـ.

[٦٩٦] إبراهيم بن منصور الفَتّال الحنفي الدمشقي[١].

الشيخ العلامة، صارم الدين، وبقية المحققين، الإمام الفقيه، الأصولي المتكلم، الحكيم المنطقي، الجدلي الخلافي النظار، جامع شتات العلوم الدينية، وشيخ الفنون العقلية.

وُلد بدمشق ـ تقريباً ـ سنة خمس وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وأخذ عن شيوخها، ولازم العارف بالله أيوب بن أحمد الخلوتي الصوفي.

وتصدر لإقراء الكتب الدقيقة، بمسجد بني أمية، وأخذ عنه أفاضل كثيرون؛ كشيخنا محمد التجيبي الحلبي، والشيخ أبي السعود بن تاج الدين البعلي، وأبي المواهب الحنبلي، وعبد القادر بن عبد الهادي العمري، وأبي

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٥١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٦٦) (٥٦).

الصفا ابن الشيخ أيوب، وأخيه أبي الإسعاد، وخلق لا يحصون كثرةً، وعم النفع به لأهل قطره، وانفرد في العلوم النظرية في عصره، واشتهر ذكره في كل ناد وواد، وعم فضله سائر البلاد، وله «حاشيةٌ على شرح القطر لابن هشام».

توفي بدمشق، في شهر ذي الحجة، ختام سنة سبع وتسعين وألف.

ومن شعره: قوله مضمناً:

هل أسفرَ الصبحُ أم بدرُ الدجى طلعا	أم فرقُ مُنيتيَ الوضاحُ قد لمعا
أم قد تبسم مَنْ أهوى فلاحَ لنا	من فيه برقُ الثنايا الغُرِّ أو سطعا
فقمتُ أكشفُ ما قد صار مشتبهًا	فخلت حبًّا لجفني النومَ قد منعا
ناديتُه خائفاً أن لا يجاوبني	ومهجتي من جفاهُ قُطِّعت قِطَعا
يا بن الكرام ألا تدنو فتبصرَ ما	قد حدثوكَ فما راءٍ كمن سمعا

[٦٩٧] إبراهيم ابن الولي صاحب جبل بني عراف.

كان من أولياء الله، حُكي عنه أنه كان يرى النبي ﷺ في كل يومٍ خمس مرات، وفي آخر عمره ست مرات، توفي - رحمه الله - سنة عشر بعد الألف تقريبًا[١].

[٦٩٨] الشيخ إبراهيم بن أحمد اليافعي[٢] - بياء تحتانية وبالفاء والعين

---

(١) وهذا من تهاويل ومبالغات ذلك العصر.

(٢) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥) (٢)، «البدر الطالع» (١/ ٧)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٨٦) (٢)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦١١).

المهملة ـ نسبةً إلى يافع: قبيلة باليمن، من قبائل حِمْير.

الشاعر المشهور بصنعاء، توفي في شهر رجب سنة ألف ومئة وعشر بصنعاء، ودفن بجربة الروض ـ رحمه الله تعالى ـ.

أحد شعرائها المجيدين، وأدبائها المجيدين، كان فاضلاً أديباً ظريفاً خفيف الروح، اشتغل بصناعة الأدب، فكان بها قيمًا، وعرف بالشعر، فأصبح به متوسماً.

اجتمعتُ به بصنعاء، يطرف جليسه بمحاسن العلوم، ويعرب في البحث عن كل خفي من المعارف مكتـوم، وذاكرتُـه، فرأيت رجلاً قد أخذ من كل معرفة قدحاً وافراً، وأطلع من كل فضيلة نورًا باهرًا، يردد الهمة بين فضائل أدبية، وخلائق شرعية، وطرائق ما خرجت عن القوانين الدينية، وقد أدركته حرفة الأدب دره دهره، وصافاه فقره، فاتخذ الشعر بضاعة اكتساب، وجعله وسيلة يفتح بها أبواب الطّلاب.

مولده ـ كما أخبرني من لفظه ـ بصنعاء سنة ست وثلاثين وألف، وقرأ بهـا فنـون العلوم على مشايخ كثيرين، منهم: القاضي العلامة عبد الرحمن الحيمي، والفقه على الفقيه هادي القويعي، وأخذ عن العلامة أحمد بن الحسن السحولي فنون العربية، وتوفي بصنعاء في شهر رجب سنة ألف ومئة وعشر، ودفن بجربة الروض.

ومن شعره: ما كتبه إلى العلامة زيد بن محمد بن الحسن قوله:

ألا قـــــل لزيـــــــد. . .[1]

---

(١) جاء في الحاشيـة: «كتـب بهامش الأصل أمام هذا (يكتب من المجموعة) =

وقصيدةٌ كتبها إليّ بصنعاء مطلعها:

ما لاح بـدر بـالغوير ورفرفـا. . .[1]

[٦٩٩] السيد إبراهيم بن يحيى بن المهدي الحجاف.

وبقية نسبه في ترجمة ولده إسماعيل.

العالم العامل، والمحقق الكامل، المتوحد في عصره بعلومه، المنفرد بمـا حواه من منطوقـه ومفهومـه، له مؤلفاتٌ منها: «شرحٌ مفيدٌ على مفتاح الفرائض للغضنفري»، وكانت وفاته سنة. . .[2].

[٧٠٠] إبراهيم بن يحيى بن الهُدَى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الحجاف[3].

كان هذا السيد الجليل من أهل الملكة لنفسه، والرياضة الكلية؛ بحيث لا يروى عنه رواية، وإنه ـ في الغالب ـ لكثرة حفظه للسانه، وإنما يجري مع الأصحاب بالتبسم والاستماع لمقـالهم، وإظهـار التعجب والاستغراب لما يُروى عنه؛ كأنه لا يعرف شيئاً:

فتـراه يُـصغي للحـديث بـسمعه وبقلبـــه ولعلَّـــه أدرى بـــه

وكان ـ مع ذلك ـ متقناً لأمور دينـه ودنياه، عاكفاً على كتب الطريقة،

= وترك بياض ثلث صفحة».

(١) جاء في الحاشية: «كتب كذلك أمام هذا بأنه يكتب من المجموعة، وترك له صفحة».

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ بالأصل».

(٣) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٣) (٢٧).

مواظباً على الجماعة بالمسجد الجامع بـ «حبور»، حتى لا يروي أحدٌ أنه تخلف عن المسجد في وقت الصلاة إلا لعذرٍ عظيمٍ، وكان مشهور الحال، عظيم الذكر، متولياً للقضاء، راضيةً عنه قلوب الناس؛ لما يعلمون من صدقه، وإنزاله للناس منازلهم، ووقوفه عند صميم الشرع.

وله «شرحٌ على المفتاح في الفرائض» أجاد فيه، وقرأه الناس عليه، وانتفعوا به، وأتى فيه باصطلاحات غير اصطلاحات الأصحاب، ثم جعل لذلك مقدمةً؛ لتعرف مقاصده، وله «شرحٌ لأبيات الجعدي في التلاوة لآي الفاتحة ومخارج حروفها».

وله أشعارٌ فائقةٌ رائقةٌ، وخمّس قصيدة الحلي التي مطلعها:

فيروزُج الصبح أم ياقوتةُ الشفق ... بدت فهيجتِ الورقاء في الورقِ

ومما نقله ولده العلامة إسماعيل من شعره قوله:

وإذا أسبل الظلامُ رُواقاً ... وهدا معشر به فاستراحوا

فأنا أرفعُ الأكُفَّ إلى من ... خطرةُ القلب عنده إيضاحُ

قائلاً ربِّ أنت أعلمُ بالحا ... ل ففيم السؤالُ والإلحاحُ

وإذا اليأسُ رامَ هدمَ رجائي ... قال حسنُ الرجا له لا براحُ

ولعمري ما يهدم اليأس ظني ... والإلهُ المؤمَّل المُستماحُ

لو تكون السماءُ والأرض رتقاً ... أو تحولُ السيوفُ والأرماحُ

هذه نيةُ الكرام لعمري ... وبها طالما استراحوا وأراحوا

كلما جاءهم من اليأس كاسٌ ... فله من رجائهم أفراحُ

ومولده ـ رحمه الله ـ في رمضان، عام إحدى وسبعين وتسع مئة، وتوفي وقت الظهر، يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة خمس وستين وألف، بمدينة حبور، وهو والد العلامة السيد إسماعيل ويحيى، ـ رحمهم الله ـ.

[٧٠١] السيد إبراهيم بن زيد بن علي الحجاف[١].

له في المجد بيت معمور، شيده، بما له[٢] من اللؤلؤ المنظوم والمنثور، وزاد بسهولة تلك المعاني على البلبل والهزار والشحرور، وشرح صدرَ الحيِّ من أهل البيت، الحجافي والميت، وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت، وله مع بديع الشعر حسنُ التصرف في الإنشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن شعره مضمناً أبيات العباس بن الأحنف:

الحشرُ من وصلِ الأحبة أقربُ ... وصفاءُ من يهواه عَنْقا مُغْرِبُ
يا أيها البدر الذي من رامَهُ ... طلب المحالَ وما يمنَّى أشعبُ
فالحبُّ بحرٌ ليس يَركب موجَه ... إلا أخو غررٍ فبئس المركبُ
والعاشقان كلاهما متعتبٌ ... وكلاهما متوعِّدٌ متغضِّبُ
راجعْ أحبتَكَ الذين تودُّهم ... إن المتيَّمَ قلَّما يتجنَّبُ
إن المحبَّ إذا تطاول عهدُه ... رب السلو فعزَّ عنه المطلبُ

وكتب إلى الفاضل الأديب الشهاب أحمد ابن القاضي العلامة محمد بن

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٢٥) (٨)، وذكر وفاته في ١١١٦هـ، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٧٦).

(٢) في الأصل: شيد به ماله.

الحسن الحيمي قوله:

لم تـزل فـي الحـبِّ عـذالي تُلِـحُّ ... وتـرى أن الهـوى يطفيـه نـصحُ

فَهْـيَ تُملـي والهـوى يـصبو إلـى ... رسمِ ما تُملي ودمعُ الشوق يمحـو

لـستُ أرتـاح إلـى الـراح التـي ... قـد أتـى فـي شـربها دَم وقـيحُ

إنمـا أذهـلَ عقلـي فـي الهـوى ... نـارُ اشـتياقٍ لهـا بالزَّنْـدِ قَـدْحُ

وخـضمٌّ مـن همـومٍ خـضتُه ... هائلُ الموج له فـي القلـب طفـحُ

ولأفكـاري علـى أمواجـه ... فُلْـكُ آمـالٍ لهـا عَـوْمٌ وسَـبْحُ

يـا سـقاها الله فـي الطَّلـح لنـا ... وقفـةٌ تبقـي لنـا مـا اخـضرَّ طلـحُ

والأثـيلات التـي فـي غورهـا ... يـا لكـم قـد زارهـا غيـثٌ يـسحُّ

إن شـدا القُمـري علـى أوراقهـا ... أَرَّقَ أجفـاني وأملـى العـينَ قـرحُ

فـإلى كـم تُـضرم الأحـشاء فـي ... مهجتـي مـن حرهـا نـارٌ ولفـحُ

ومتـى يكـشف عنـي ليلهـا ... من صفي الدين والإسلام صبحُ

ماجـدٌ مـن بنـي الحيمـي لـه ... فـي العُـلا مـن ربـه نـصرٌ وفـتحُ

كـم لـه مِنَّـةٍ فـي طَيِّـها ... بين إسـعادي وبـين الـدهر صـلحُ

وعقـودٍ لـي فيـه درُّهـا ... غَـزَلٌ راقـت معانيهـا ومـدحُ

كعبـةُ الإفـضال مـن يجعلـه ... متجـرًا للخيـر لا يعـدوه ربـحُ

فـاقترح مـن مكـرمٍ سـائله ... لـن ينـل فقـراً ولا يُغريـه شُـحُّ

أنكـح الـذيب والـشاة معًـا ... في الفضا لا يرهب السرحانَ سرحُ

كـم سـطورٍ بالقنـا يكتبهـا ... وصـدورٍ بجيـد الـسيف يمحـو

الـصفيُّ الـذي مـن جـوده ... رب فـضل مـا لـه حـصرٌ وشـرحُ
نجلُ عزِّ الـدين مـن حـاز التقـى ... والـذي مـا قالـه فهـو الأصـحُّ

فأجابه بقوله:

طـي ذاك النـشر للمـشتاق نفـحُ ... فلـذا كـان لـه فـي القلـب لفـحُ
ألــفُ أهــلاً بنــسيم طيبُــه ... لأحاديـث الحمـى والبـانِ شـرحُ
أذكـرَ المـضنى زمانـاً مـرّ فـي ... حلـوِ عـيشٍ ولـه بالوصـل ملـحُ
حيثُ لي شطحٌ بروضات الحمـى ... ولوُرْقِ البان في الأغـصان صـدحُ
ودمــوع المــزن تجـري ولهــا ... في خدود الـورد بـالأوراق مـسحُ
ونجـوم الزهـر فـي أُفُـق الربـى ... طالعـاتٌ مـا محاهـا قَـطُّ صـبحُ
وقويمُ الغـصنِ مـن سُكر النـدى ... ثملُ الأعطاف ما إن عنـه يـصحو
ولكــاس الــراح مــزجٌ ولنــا ... بالتصابي في خـلال المجـد مـزحُ
يـا سـقى الله العقيـقَ المـشتهى ... غـدقًا عـذبًا لـه كالـدمع طفـح
إن تنـاءى منـه سـفحٌ فيـه فـو ... ق خدي مـن دمـوع العين سفحُ
يــا حُلــولا بثنيــاتِ اللِّــوى ... مَـسَّنى بعـدَ النـوى والبعـدِ قـرحُ
فـاقبلوا مـن دمعتـي لـي شـاهدًا ... مـا لـه إلا علـى الأوجـان جـرحُ
آهِ لهفــي ولكــمْ مــن مــرةٍ ... قلـت لهفـي ولزَنْـدِ الوجـد قـدحُ
لزمــانٍ طــابَ وصــلاً مثلمــا ... طابَ لي في وصف إبراهيمَ مـدحُ
واحدُ العصر وشمسُ الظهـر مَـن ... أصـبحت فيـه لـه العليـاء تـضحو
زان بالتهــذيب منــه منطقًــا ... فهو بالإعراب نحـوَ الـنظمِ ينحـو

جـــاءني منـــه نظـــامٌ رَمَـــلا ... وله نجـوى لفَـرطِ الـشوق جمـحُ

بـانَ عـن زُهـر المعـاني فزهـى ... في سما[1] قرطاسه للـنفس جـنحُ

لـو رأى منـه النبـاتي مـا رأى ... لـرأى مـا لـم يَـشِنْه قَـطُّ قـبحُ

ولنـــادى بـــأعلى صـــوته ... ما بقي لي عند وزن الـشعر رجـحُ

لـم يطـب لـي أبـدًا مـن بعـدِ ذا ... طولُ دهري في رياض الكتب شرحُ

دام مـا مـاد علـى روضِ النقـا ... غـصنٌ قـد هَـزَّه الـورقُ صـدحُ

[٧٠٢] السيد إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الحجاف.

كان سيداً جليلاً تقياً، ولي بلاد كسمة، من أخيه السيد الشهير زيد بن علي، وسلك مسلك آبائه وأجداده على الطريقة النبوية، وكان عالماً أديباً، له اليد الطولى في النحو والبيان والمنطق، والفقه وأصوله، أخذ كثيراً عن السيد الحسين بن القاسم، قرأ عليه في البستان بصنعاء مدةَ إقامته بها كتباً متعددةً.

توفي - رحمه الله - ضحى يوم الثلاثاء، سلخ شهر صفر، سنة ثمان وتسعين وألف، ودفن بالمدرسة، بإزاء مشهد والده بمدينة كسمة، وكانت ولايته لها خمساً وعشرين سنة.

[٧٠٣] السيد إبراهيم زين بن زيد بن علي.

مولده عاشر ذي الحجة، سنة خمس وسبعين وألف، له مؤلفاتٌ منها: «زهر الكمائم في محاسن العترة من آل هاشم» ذكر فيه جماعةً من

---

(١) في الأصل: سماء، والصواب ما أثبت.

أدباء العصر، ممن كاتبه.

[٧٠٤] إبراهيم بن الحسين بن الحسن ابن الإمام القاسم.

إمام البلاغة المظهِر للقريض شموساً وأقماراً، ووحيد هذه الصناعة بهاءً وأنواراً، ذي الخلق الرضي، والوجه المضي، له نظمٌ فائقٌ، وخطٌّ بديعٌ رائقٌ، منه قوله من قصيدة:

إلى كم أداري ألفَ واشٍ وحاسد وها عبرتي فوق الخدود شواهدُ

وكيف أرى إخفا هواها وكتمه يليق وهذي دارها والمعاهدُ

إلى الله من صَبٍّ تملكني الهوى مهفهفةٍ في حبها الطرفُ ساهدُ

ربيبةِ ملك ما أرى لجمالها وكلُّ جمال دونها فهو كاسدُ

ومنها:

ومن قاسها بالبدر عندَ طلوعها فذاك قياسٌ في الحقيقة فاسدُ

توفي في شهر محرم، سنة سبع ومئة وألف، ودفن بحريمه، في باب القبة التي فيها والدةُ والدِه الشريفةُ الطاهرة زكية بنت عبد الرب.

[٧٠٥] السيد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عقيل السقاف[1].

أحد العلماء العاملين، والأدباء الصالحين، الواصل في السلوك إلى النهاية، والبالغ في الديانة إلى أقصى الغاية، والتمسك بالسبب الأقوى،

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١١).

من الورع والتقوى.

وُلد بالقارة، إحدى مدائن حضرموت، سنة ثمان عشرة وألف، ونشأ في عبادة الله، وما يرضاه مولاه، وحفظ القرآن العظيم حفظاً جيداً، ولازم قراءته ومدارسته، وتربى في حجر والده، وصحب جماعةً من أكابر السادة، منهم: العارف بالله السيد أحمد الحبشي، والسيد عبد الرحمن بن علي باحسن، صاحب القارة.

ثم طلبه إلى مكة عم والده، السيد الجليل علوي بن علي بن عقيل، فرحل إليه، وقربه وأدناه، وحصل له ما كان يتمناه، وألبسه الخرقة الشريفة، ولقنه بعض الأذكار المنيفة، ولزم خدمته، وواظب صحبته، وزوجه على بنت ابنه، وصار كخليله، وجعله وصياً من بعده على أهله وولده، ثم اشتغل بتحصيل العلم النافع، وظهر عليه نوره الساطع.

وأخذ عن السيد العارف بالله محمد بن علوي علم التصوف، وألبسه الخرقة الشريفة وحكمه، وكان يحبه ويثني عليه، وأخذ عن شيخنا خاتمة المحدثين، محمد بن علاء الدين البابلي، وعبدالله بن سعيد باقشير، عدةَ كتب في عدة فنون، من التصوف والعربية، والفرائض والحساب والميقات وغيرها، وكان صاحبه وصديقه، وخِدْنه ورفيقه، وصار شيخنا المذكور من بعده خليفة على أهله وولده.

وكان مواظباً على السنن الشرعية، والآداب النبوية، يحب الفقراء والمساكين، ويكرم الضيفان والوافدين، كريماً سخياً، ألمعياً تقياً، يحب العلم وأهله، ويكرمهم ويحسن إليهم الإحسان التام، متواضعاً حليماً صبوراً، كثير التلاوة، ملازماً للجماعة، وملك كتباً كثيرةً، ووقف كثيراً منها بأمر شيخنا

محمد البابلي، فإنه كان قائماً بخدمته، لا سيما في مجاورته بمكة الأخيرة، سنة سبعين.

توفي ـ رحمه الله ـ بعد ظهر يوم تاسوعاء، من شهر محرم الحرام، افتتاح سنة أربع وسبعين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، بالحوطة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٠٦] أبو بكر بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم، الفقيه محمد المقدم رضي الله عنه[١].

صاحب بيجافور، ذو العمل المبرور، والعقل المشكور، السيد الهمام، عالي القدر والهمم والمقام، خلاصة أهل الجود والكرم، المعروف بمحاسن الأوصاف والشيم.

وُلد بتريم، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وصحب العارفين في زمانه، وعلماء عصره وأوانه، منهم: الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين العابدين، والسيد القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، وأخذ عن أخيه القاضي أحمد بن حسين.

غلب عليه علم الصوفية، كما غلب على أخيه أحمد العلوم الفقهية، ثم رحل إلى اليمن، المحفوف باليُمن، فقصد السيد العارف الشيخ الولي عبدالله ابن علي بالوهط، وصحبه مدةً، وأخذ عنه، وألبسه الخرقة، ثم رحل إلى

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٢).

الديار الهندية، طلباً للمراتب العلية، فأخذ عن شمس الشموس، الشيخ محمد ابن عبدالله العيدروس، ببندر سورت المحروس، فزال عنه كل عائق وبوس، وألبسه الخرقة الشريفة، بجميع طرقها المنيفة، وأذن له في الإلباس، لمن شاء من الناس، وبسببه اجتلى تلك العروس، واجتنى من تلك الغروس.

ثم بعد انتقال شيخه من هذه الديار، جال في تلك الديار، وأخذ عن جماعةٍ من الأخيار، واجتمع بالملك عنبر، وفاح مسكه الأذفر، وكانت حضرة الملك عنبر مجمعَ السادة العلماء، ومعدن الفضل والأدباء، ثم انتقل الملك عنبر، وخرب الله مملكته ودمر.

فرحل إلى بيجافور، وهو بلد بالهند مشهور، واتصل بسلطانها المنصور، السلطان محمود ابن السلطان إبراهيم المشهور بعادل شاه ـ رحمه الله ـ فأحله السلطان لديه محلاً عقد فيه نواصي الآمال بين يديه، وأمطره سحائب جوده وكرمه، ورد شباب أمله بعد هرمه، واقتعد الرتبة القعساء.

وأصبح وهو رئيس الرؤساء، وجعله من خاصة أحبائه، وخواص جلسائه، فتديّر بيجافور، وبها استقر، وألقى بها عصا السفر، وطنب بيته على المجرة، ومد رواقه فتلألأ بالمسرة، وبذل ماله وجاهه للعباد، الحاضر منهم والباد، وصار ملجأً للوافدين، ومأوًى للفقراء والمساكين، وكان كرمه كالبحر الزاخر، والمهيع الذي لا يعرف له أول من آخر، يكرم القاصي والداني، ويؤمِّن الخائف الجاني، فعم صيتُه الأقطار، وطار ذكره فيها واستطار.

وصحبه شيخنا السيد محمد الشلي ـ رحمه الله ـ في تلك البلاد، فحصل له منه مزيد الإمداد، وفي آخر عمره كُفَّ منه البصر، وانثالت عليه الخيرات كوابل المطر، وابتلي بداء عضال، إلى أن ناداه منادي الارتحال، **فانتقل إلى**

رحمة الله الكبير المتعال، سنة أربع وسبعين وألف، بمدينة بيجافور، ودفن بمقبرة السادة، قريباً من السور ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٠٧] أبـو علي ماجـد بن هـاشم بن علي بن المرتضى بن علي بن ماجد الحسيني البحراني[1].

قال في «السلافة»: هو أكبـر من أن يفي بوصفـه قول، وأعظم من أن يقاس بفضله طول، نسبٌ يؤول إلى النبي، وحسب يذلُّ لـه الأبي، وشرفٌ ينطح النجوم، وكرمٌ يفضح الغيث السَّجوم، به أحيا الله الفضل بعد اندراسه، وردَّ غريبه إلى مسقط رأسه، شفع شرفَ العلم بظرف الأدب، وبادر إلى حوز الكمال وانتدب، فملك للبيان عناناً، وهصر من فنونـه أفناناً، فنظمُه منظوم العقود، ونثرُه منثور الروض المعهود.

ومما يُسطَّر من مناقبه الفاخرة، الشاهد بفضله في الدنيا والآخرة: أنه كان قد أصابته في صغره عين، ذهبت من حواسه الشريفة بعين، فرأى النبي ﷺ في منامه، فقال: إن أخذ بصره، فقد أعطى بصيرته.

وُلد ونشأ بالبحرين، فكان لهمـا ثالثـاً، وأصبح للفضل والعلم خازناً ووارثـاً، وولي بهـا القضـاء، فشرف الحكم وأمضى، ثم انتقل إلى شيراز، فطالت به على العراق والحجاز، وتقلـد بها الإمامـة والخطابـة، ونشر حبر فضائله المستطابة، فتاهت به المنابر، وباهت به الأكابر، وفاهت بفضله ألسن الأقلام، وأفواه المحابر، ولم يزل بها حتى توفي سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

---

(١) «سلافة العصـر» لابن معصـوم (٤٩٢)، «خلاصـة الأثـر» للمحبـي (٣/ ٣٠٧)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٥١).

ومن قوله متغزلاً:

حسناءُ ساءت صنيعًا في متيَّمِها ... يا ليتها شفعتْ حسنًا بإحسانِ
دنت إلينا وما أدنت مودتها ... فما انتفاعُ امرئٍ بالباخلِ الداني

وقوله في مليح قارئ:

وتالٍ لآيِ الذكر قد وقفت بنا ... تلاوتُه بين الضلالة والرشدِ
بلفظ يسوق الزاهدين إلى الخفا ... ومعنًى يسوق العاشقين إلى الزهد

وقوله:

وذي هَيَفٍ ما الوردُ ببالغ ... صدرَ وجنته في احمرارٍ ولا نَشْرِ
يُرينا من العليا أن يسمُ وصلُه ... علينا بما فوق النفوس ولا تسري

[٧٠٨] أبو بكر الكردي الشافعي[١].

نزيل دمشق، قدمها مع خاله دون البلوغ، وكان عليه أثر الصلاح والنجابة، قرأ القرآن، ثم لازم شيخ الإسلام أحمد العيثاوي، فحل عليه نظره، وكان يودُّه ويدعو له، فقرأ عليه «المنهاج»، و«المحلى»، و«الأنوار»، وقرأ على الشمس محمد الميداني حتى برع، ولازم النجم الغزي، وقرأ عليه العربية وغيرها، واختص بها.

قال النجم الغزي: فلم يكن بأسرع من أن برع وفضل، وصار فقيهاً

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٣) (٨٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٠).

علامةً، وأخـذ عن الشمس الـداودي الحديـث وغيـره، ولازم مجلسه، ثم حصلت له بقعةٌ في الجامع الأموي، وانتفعت به الطلبة سنين عديدة، مع وجود مشايخه، وكان ممن قرأ عليه: الكمال العيثاوي، وكان قانعاً راضياً من الدنيا باليسير.

قال النجم: وكان يدخل عليّ، فيجد بين يدي «شرح الوجيز»، ونحوَه من كتب المتقدمين، فقال يوماً لي: يا مولانا! مطالعة كتب المتقدمين تشوش الفهم؛ لأنه يعلق بالذهن ما فيها، وقد لخّصها المتأخرون، وبيّنوا المصحح منهـا، فكنـت أقـول لـه: يا شيخ أبو بكر! الفقـه في كتب المتقدمين، فإذا طالعناها، علمنا مآخذ المتأخرين.

قال: فرأى شيخ الإسلام الوالد في المنام، والناس مقبلون عليه، يقبلون يديه، قال: فقلت لبعض القوم: من هذا الرجل الكبير الذي أقبل الناس عليه؟ فقيل لي: هذا شيخ الإسلام الشيخ بدر الدين الغزي، فقلت في نفسي: هذه الغنيمة، ومن لي بالاجتماع بهذا العالم الكبير؟! قال: فبادرت إليه، وقبلت يديه، فقال لي: أنت أبو بكر الكردي؟ فقلت: نعم، وقال: لأي شيء تعترض على ولدي الشيخ نجم الدين، في مطالعته كتب المتقدمين؟ وهل الفقه إلا في كتب المتقدمين؟! قال: فاعتذرت للشيخ، وأظهرت له التوبة من ذلك، قال: فأوصاني بملازمة ولده النجم.

قال: وأخبرني المترجم برؤيا أخرى رآها، قال: رأيت في المنام كأني في الجامع الأموي، ورأيت من فيه نصارى، قال: فاغتظت لذلك، وأنكرته، وإذا برجـلٍ يقـول لي: ادخـل إلى الشيخ محيي الـدين بن عربي إلى داخـل

الجامع، واشكُ له ذلك، قال: فدخلت، فوجدته جالساً في محراب المقصورة، وبين يديه جماعةٌ قليلةٌ، وهو يدرس، وهم يقرؤون عليه.

فقلت له: يا سيدي الشيخ! أما ترى هؤلاء النصارى ملؤوا المسجد، كيف لا تنكر ذلك؟ ومَن هؤلاء؟ فقال: يا ولدي! لا تحزن هؤلاء النصارى هم الذين ضلوا بمطالعة كلامي وكتبي، وأما هؤلاء المسلمون الذين بين يدي، هم الذين انتفعوا بكلامي، وهم قليلٌ كما تراهم، والذين هلكوا بكلامي كثيرٌ كما تراهم[1].

قال النجم: وكان المترجم ـ مع صلاحه وإعفافه ـ بشوشاً حسن الاستماع، يقبل النصيحة، ويحرص على الفائدة، ويعلقها ـ غالباً ـ، وله نظمٌ قليلٌ، منه: قوله عاقداً لبعض الحكم:

ارقُمْ برأسِ القلمِ ... ما تلتقي من حكمِ
فالعلمُ صيدٌ فاغنمِ ... والحظُّ قيدٌ فارقُمِ

ودفن بمرج الدحداح، ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٠٩] ملك أحمد بن يسير محمد الفاروقي أبا الحسين آقا الحنفي الأحمد آبادي.

من أكابر العلماء، أخذ عن محمد شريف الصديقي الأحمد آبادي[2].

---

(١) هكذا يعتمد أهل الضلالات والبدع على الرؤى والأحلام من تلبيس إبليس عليهم، وإلا فقول أهل العلم على مر العصور في ابن عربي وعقيدته معروفٌ مشتهر.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد ذلك صفحة ونصف بياض».

[٧١٠] السيد أبو بكر بن محمد بن أحمد المعروف بابن النقيب الحسني الحلبي الحنفي.

درة تاج الأشراف، وغرة مجد آل عبد مناف، العالم النحرير، والحاوي لكل مقامٍ خطير، سعد التحقيق، وسيد التدقيق، كشاف التفسير، وسيبويه الكبير، وتنوير الأبصار، وغيث الإفادة المدرار، الحائز من كل علمٍ بأوفى نصيب، والمتميز على من عداه بكل فنٍّ غريب، فهو ممن ملَّكه الله أزمَّة العلوم، فانقادت إليه ما بين مجهول ومعلوم، وسعت لكعبة فضله الطلاب، وطافت ببيت مجده أولو الفضل والآداب.

ولد بحلب، وبها نشأ، واجتهد في تحصيل العلوم في حياة أبيه، فحصل منها على كل ما يرويه ويبغيه، ونشر لواء العلم والتدريس في أوائل صباه، ولم تزل قوافل الفضل ترد ساحته، وتؤم حماه، والآذان لألفاظه خاضعة، والعيون لحسن إملائه شاخصة، والمعاني لفكره طائعة، وقلوب الأفهام لرقة ما يرويه راقصة، شعر:

إذا رُمْتَ تلقى ذاتَ علمٍ تكونت وتروي حديثَ الفضل عن واحد الدهر

فعرِّجْ على ذاتِ العواصم قاصدًا سليل العلا نجم الكرام أبا بكر

وأما حفظه للأشعار، واعتناؤه لنقل الأخبار، فذلك شيء مشهور، وفي صحف الخواطر مسطور، توفي بحلب، عام أربعة وتسعين بعد الألف.

وله من النظم ما يُزري بالسحر الحلال، ويسبي برقته ربات الحجال، فمنه قوله يمدح العلامة أحمد البياضي، حين ولي قضاء حلب سنة ثمانين بعد الألف:

مولاي قمْ نلتقط من لؤلؤ الحكمِ دقائقًا حُجبت عن فطنة الفَهِمِ

في وصف روضٍ أنيقٍ راق منظرُه من الزبرجدِ والياقوتِ منتظمِ

أما ترى نفحةَ النسرينِ عابقةً والزعفرانَ سقتْهُ السحْبُ بالديَمِ

والمهرجانَ أتى في جحفل لَجِبِ من الرياض فأهدى الطيبَ للنَّسَمِ

تقابلتْ فيه أحداقٌ لنرجسِهِ تحكي فماً مالَ للتقبيل نحوَ فمِ

والنهرَ عاودَ بعدَ الصدِّ منعطفًا يبل شوقَ بناتِ الغورِ والأكَمِ

والوُرْقَ غَنَّتْ على الأغصان من طربٍ مجيبةً عندليبَ الدوحِ في الظُّلَمِ

فالهجْ بتذكارِ غزلانٍ لواحِظُهم تركْنَ أهلَ الهوى في قبضة السقمِ

وأهيفَ من ظباءِ الحورِ مقلتُه عن قوس حاجبه أودَتْ بكل كَمي

إن يهجر الشارب الريان مبسمه فالعذبُ يهجر للإفراط في الشيم

في صدغه طُبعت أهدابُ ناظرنا فظنه الصبُّ خَطًّا غيرَ ملتئمِ

أدار شمسِ الحميا بدرُ راحته ممزوجةً برضاب المبسم الشبم

من خمرةٍ عُصرت بالبشر من قِدَمٍ جاءت تخبِّرُنا عن سالف الأُمم

في روضةٍ ضحكت فيها أزاهرُها مذ جادها وابلٌ يهمي بمنسجمِ

وقام بُلْبلها يتلو محاسنَ من شهباؤنا منه في أمنٍ من النقمِ

صدرِ الموالي فريدِ العصر جهبذِه ومن به الناس مغمورون بالنعمِ

كهفِ الأنام ملاذِ الخلق أحمد من فاقَ الفحولَ بفضلٍ غيرِ مكتتمِ

من شرف البلدةَ الشهباءَ مقدَمُه ففاخرت جُلَّ مُدْنِ العربِ والعجمِ

أقام فينا عمادَ الشرع مجتهداً حتى روت حسنَها للناس عن إرَمِ

وأوسعَ النـاسَ أمنـاً فـي ولايتـه ... حتى الأسودُ توقَّت صولةَ الغنمِ

مولى على الحق والإنصافِ منجبلٍ ... أكرِمْ بمولى بغيرِ العدل لم يَهِمِ

بالمجدِ ملتحفٍ بالفضلِ منتصفٍ ... قد شاب سطوتَه باللطف والحلم

بـالجودِ مشتغلٍ بالبِـرِّ محتفـلٍ ... بالسعدِ معتقـلٍ بالعـدلِ متسمِ

في النحو والصرف والتفسير هِمَّتُه ... وفي الأصول وعلمِ الفقه كالعَلَم

وفي الحديث وفي علم الكلام وفي الـ ... ـفنِّ الرياضي وفي الميراث والحكم

وفي المعاني وفي فن البيان وفـي ... فـرائض وبـديع راسـخ القـدمِ

وهيئـةٍ وحـساب ثـم هندسـةٍ ... قد فاق فيها على الماضين من قِدَمِ

بحر العلوم ومن ساواه في شـرف ... وهو الذي بجميع الكرامات سمي

وربَّ مقـتحِمِ البيـداء معتقـدٍ ... سنامَ وجناءَ في خوفٍ وفي وَجَـمِ

يطوي المراحل في أَيْنٍ وفي تعبٍ ... وطرفُـه مكحَّـلٌ بـالنقع لـم ينمِ

أذاقـه الـدهرُ مـن لأوائـه فغـدا ... حليفَ السرى وأليفَ الكدِّ والألمِ

يبقى مثالَ المعـالي مـن معادنهـا ... ولا يزاملُـه شـيء سـوى النـدمِ

فقلت عُجْ بالسرى للشام مقتصدًا ... أرضَ العواصم وابذلْ منتهى الهمم

واقـصدْ حمـى الـشهباء تلـقَ بهـا ... جمعَ المعالي لفردِ المجدِ والكرمِ

سليلَ قاضي القضاة المقتدى حسنٍ ... عينَ النحـارير بـل إنسانَ عينهِمِ

ومـن إذا أَمَّـهُ النـائي وشـاهدَه ... فقد قضى أنه ما الحسنُ كالكَلِمِ

ومـن أعـادَ بقـاعَ الـدرس آهلـةً ... وقد غـدت مألفًـا للبـوم والرَّخَمِ

يا من تخلَّقَ بالخلْق الجميل ومَـنْ ... ذكراهُ صارت جمالَ الطِّرْسِ والرقَمِ

رفعتَ قدرَ المعالي بعد زلَّتها إذ صنت حوزتَها عن كل مهتضمِ

وبالتواضع واللطف العميم لقد فُقْتَ الذين سَمَوا بالكبر والشَّمَمِ

وقد حميتَ لواء الشرع مغتنياً عن الرماح وبيضِ الهندِ بالقلمِ

وقد ضممتَ إلى العلم التقى وإلى عن الجراءة حسنَ الخلق والشيمِ

وفي مديحك قد قَصَّرُت معترفًا وأنت أحرى بما قد قيل من قدم

دع المواضي لقومٍ يفخرون بها فباليراعِ تروعُ الأسدَ في الأَجَمِ

تودُّ كلُّ البرايا لو فدتك ولو بنور مقلتهم أو حِبِّ قلبهِمِ

وإن هممْتُ بتعدادي مناقبَكم فأعجبُ الأمر أني كيف لم أُلَمِ

وهي المثال لكليٍّ قد امتنعَتْ أفرادُه عن تناهي الحصر بالرقمِ

وقوله يمدح العلامة فيض الله، حين تولى قضاء حلب:

لاح الصبا كزرقة الألماس فلنصطبحْ ياقوتَ دُرِّ الكاسِ

من كفِّ أهيفَ صانَ وردَ خدودِه بسياج خَطٍّ قد بدا كالآسِ

فكأن مرآةَ البديع صحيفةٌ للحسن جدولُها من الأنفاسِ

في روضةٍ قد صاح فيها الديكُ إذ عطسَ الصباحُ مشمتًا لعَطَاسِ

ضحكتْ بها الأنوارُ لما أن بكى جفنُ الغمامِ القاتمِ العبَّاسِ

ورقا بها الشُّحرورُ أغصاناً غدتْ بتموُّج الأرياحِ في وَسْواسِ

والوردُ تحمدُه البلابلُ هتفا من فوق غصنِ قوامِه الميَّاسِ

ويرى البنفسج عجبه فيعود من حسدٍ لسطوته ذليلَ الراسِ

والطلُّ حلَّ بها كدمع مُتَيَّمٍ لمعاهدِ الأحبابِ ليس بناسي

فــتظن ذا ثغــرًا وذا عينًــا وذا خــدًّا لغانيــة كظبــيٍ كِنــاسِ

واحمــرَّ خــدُّ شــقائقٍ مخــضلَّةٍ حميتْ بطـرفِ النـرجسِ النعَّـاسِ

حسدًا لخدِّ الطِّرْسِ حين غـدا لـه خطُّ القريضِ بمدحِ فضلِك كاسي

يـا مـن كـسا شـرعَ النبـيِّ عفافُـه بُـردَ الـصيانة وهـو خيـرُ لبـاسِ

حلبٌ بعـدلِكَ أشـرقتْ أرجاؤهـا وبهـا الليـالي عُـدْن كـالأعراسِ

أحييـتَ ربـعَ العلـم فيهـا بعـدما أضـحى شـبيهَ الأربُـعِ الأدراسِ

فلـو اسـتطاعتْ منطقًـا لوجـدتَها تُثنـي عليـك بأطيـبِ الأنفـاسِ

شـيدتَ أركـانَ المعـالي بانيـاً بيتَ الفخار على رصينِ أسـاسِ

وسـعى سـواكَ وخـابَ لأنـه طلـبَ النتيجـةَ مـن عقـيمِ قيـاسِ

يـا جَهْبـذًا بهـر الحـسودَ بفـضلِه فأرتــه منقلبــاً بطــرف خاســي

ومحققـاً راضَ العلـوم فاذعنـتْ بالانقيــاد إليــه بعــدَ شِــماسِ

أســكرتَني بــشَمول تقريــرٍ لــه خلد وسمعي في المحافل حاسي

وسرى شَمالُ نسيمِه كالسحر فـار تاحـتْ لـه طربـاً نُهـى الأكيـاسِ

فـي كـل بحـثٍ لفظُـه متعقـدٌ متحجـبٌ معنـاه عـن إحـساسِ

أحيا العدالةَ فـي العواصـم ماجـدٌ بقدومــه فــسرَتْ مــن الأرمــاسِ

الحبـرُ فـيضُ الله أوحـدُ عـصرِه عينُ الأعـالي الغُـرِّ كهـفُ النـاسِ

صدرُ الموالي الأكرمين وذخـرُهم وأجلُّهــم فــي مفخــرٍ ونحــاسِ

قـد جَـلَّ عـن نِـدٍّ يـضاهيه كمـا حلَّـتْ ذُكـاءُ عـن سـنا النبـراسِ

وافـى الزمـانُ بـه ليمحـو ذنبَـه فـي سـالف الأيـام بعـدَ اليـاسِ

متـيقظٌ متثبـتٌ فـي كـل مـا يَقـضيه كـالطود الأشـمِّ الراسـي
فاضربْ بـه الأمثـالَ فـي أحكامـه واترك شُـرَيْحاً واطْـوِ ذكـرَ إيـاسِ
مولايَ دمـتَ ونلـتَ أعظَـم رتبـةٍ ليـذوقَ مـن يـشناك طعـمَ البـاسِ
وليهنـكَ النـوروزُ أيمـنُ قـادمٍ وافـى فتـوَّجَ هـامَ كـلِّ غـراسِ
لا زالـتِ الـشهباءُ تنـشرُ فـضلَكُم وبـه تُـزين صـفحةَ القرطـاسِ

وقوله:

في خـده القـاني المـضرَّجِ شـامةٌ قـد زِيـد بالـشعراتِ بـاهرُ شـانها
كلهيـبِ جمـرٍ تحـت حبـةِ عنبـرٍ قـد أوقـدَتْ فبـدا ذكـيُّ دخانِهـا

[٧١١] أبو بكر الشلي بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكر ابن علوي بن عبدالله بن علي ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم ﷺ(١).

قال ولده شيخُنا الإمام الجليل محمد الشلي في «مشرعه»: سيدي الوالد، حاوي الفضائل الخالد منها والتالد، المتدرع جلباب الهدى والتقى، المتورع الذي حل محل النجم وارتقى، ذو العلم المعروف الذي لا ينكر، واللفظ الذي هو أحلى من السكر المكرر، جمع بين الفقه والحديث، والأدب الغض مع سن حديث، كان شيخ آل باعلوي في زمانه، داعياً إلى الله تعالى في سره وإعلانه، له خُلُقٌ ألطفُ من النسيم، وخَلْق أبهى من الوجه الوسيم.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦١).

وُلد بمدينة تريم، التي هي موطن الشرف الكريم، وكان مولده بها سنة تسعين وتسع مئة ـ بتقديم التـاء في الكلمتين ـ، وحفـظ القرآن العظيم على المعلم الأريب عمر بن عبدالله الخطيب، ورباه والده، وأدبه معلمه بأحسن تربيةٍ وأفضل أدب، فارتقى في صغره أعلى المفاخر والرتب، ومات أبوه وهو دون الاحتلام، فقام بتربيته شيخه شيخ الإسلام، الشيخ عبد الرحمن بن شهاب الدين.

ثم اشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، فقرأ الفقه على شيخه المذكور، وقرأ عليه في الحديث والتفسير، والتصوف والعربية، وأخذ ذلك عن غيره من الجهابذة، ومن في عصره من الأساتذة، منهم: السيد الجليل عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عقيل السقاف، والعارف بالله تعالى أبو بكر بن علي المعلم، وأدركَ العارفَ بالله محمد بن عقيل مُدَيحج ـ مصغراً ـ، وصحب الشيخ عبدالله ابن شيخ العيدروس، ولازمه في دروسه، وألبسه الخرقة الشريفة كلٌّ من هؤلاء المذكورين، وأذنوا له في إلباسها.

ثم اشتاق للرحلة، والتنقل في البلاد، على ما تتشوق له الأحداث من العباد، فسافر إلى الواديين العظيمين: وادي دوعن، ووادي عمد المشهورين، وأخذ بهما عن جماعةٍ من العارفين، ثم أُشيع في تريم بأنـه يريد الحج ذلك العام، فكتبت له والدته، وبعض مشايخه الأعلام يعتبونه، في عدم استشارتهم والإعلام، فعلم أنه ناداه المسجد الحرام، وزمزم لـه حادي زمزم والمقام، وأن هذا إشارةٌ من الكبير المتعال، حيث لم يخطر له الحج على بال.

فحج على قدم التجريد بيتَ الله الأمين، وزار جـده سيـد المرسلين، وجاور بالمدينة أربع سنين، وأخذ بالحرمين عن جماعةٍ من العلماء العاملين،

والأكابر العارفين، منهم: السيد العظيم عمر بن عبد الرحيم، وذو الأوصاف الحسان أحمد بن علان، والشيخ الأديب أحمد الخطيب، والشيخ عبد القادر الطبري، والشيخ محمد المنوفي، والشيخ أبو الفتح ابن الشيخ ابن حجر، وأخذ العربية وغيرها عن عبد الملك العصامي.

ودأب في تحصيل الفضائل، وشمَّر ذيلَ الجِدِّ بالبكور والأصائل، إلى أن أحاط علماً بالمهم من الفروع والأصول، وله إلى رتبة التدريس اللحاق والوصول، وصار في العربية ثابت الأركان، ومشاركاً في علم المعاني والبيان، وفي علم التصوف غيرَ مجهول المكان، فلما اشتد كاهلُه، وصفت له من العلم مناهلُه، اشتاق إلى السياحة، وانتهب من التوفيق رياحَه، فسافر إلى بندر عدن المحروس، وأخذ بها عن الشيخ أحمد بن عمر العيدروس، ولازم صحبته زمناً كثيراً، وحصّل عنه من العلوم ما سحر الألباب.

ثم نوى الرحلة إلى الديار الهندية، فلما استشار شيخه، صرفه عن هذه النية، وأخذ له من باشة اليمن مراسيم إلى والي مدينة تريم، في أمورٍ تتعلق بخويصة نفسه، فتمت له في يومه وأمسه، ولما وصل بلده التي غذي بلبانها، ورتع في ميدانها، وكرع من غدرانها، ضربت ناقته بجرانها، واغتنم الأقارب والأباعد قدومه ورجعته، وأكرموا مورده وأوبته، وذلك سنة أربع عشرة وألف، وتزوج في تلك السنة، وأُوتي في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنة.

ولازم الشيخ عبدالله ابن الشيخ العيدروس، وازدهى فخراً على الملوك، وسَناً على الشموس، وقرأ عليه أكثر من مئة كتاب من الكتب المشهورة، وهي في معجمه مذكورة، منها: الأمهات الست، ومحاسن أسفار التصوف الست، ولما مات شيخه أبو بكر بن علي المعلم، أمره جماعةٌ من المشايخ

بالجلوس للدرس في محله، في مسجد آل باعلوي الدرس العام بعد العشاء، فتوقف؛ لكون هذا الدرس يحضره جماعة من أكابر العلماء، وكثيرون من الأدباء والفضلاء، إلى أن رأى الأستاذ الأعظم، والشيخ الإمام الولي عبدالله يأمرانه بالجلوس للدرس، فانشرح صدره للجلوس، وزال ما حصل في النفس، ولما درّس، حضروه الجفلى، ووردوا من مناهله نهلاً وعللاً، وكان من أحسن أهل زمانه قراءةً وبياناً، وأفصحهم تبياناً ولساناً، وفتح الله عليه ما استغلق على كثيرٍ من الأجناس، وفاق أقرانه فنادوه: ما في وقوفك ساعةً من باس، وتقدم عليهم تقدم النص على القياس، ولسان الحال ينادي: «مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس».

ولازمه جماعةٌ في منزله لقراءة بعض الفنون، فقرؤوا عليه بعض الشروح والمتون، وكان في الغالب من السنين، أن يختم «إحياء علوم الدين»، وكان أكابر العلماء منه يستفيدون، وفي صعب الأمور إليه يرجعون، وأخذ عنه خلقٌ كثيرٌ، ولبس منه الخرقة جمٌّ غفيرٌ.

وممن أخذ عنه: السيد الجليل عبدالله بن عقيل بن عبدالله بن عقيل مديحج، وابن عمه السيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن عقيل، والشيخ جعفر الصادق بن زين العابدين بن العيدروس، قبل رحلته إلى الهند، والسيد عبدالله بن حسين بلفقيه، صاحب كنور، قبل سفره من تريم، وبينه وبين هذين الأخيرين، الفائقين على النسرين، مكاتباتٌ تشتمل على السحر الحلال، وأروى لكبد الظامي من الماء الزلال، كنت وقفت عليها في الصغر، وتطلبتها فلم أظفر بها في الكبر.

وكان له مع أدباء عصره مجالس وتنزهات، تجري فيها مفاكهاتٌ

ومداعبات، ومحاوراتٌ ومذاكرات، في مسائل مشكلات، وأبيات ظريفات، تروق لها الأسماع، ويميل إليها كل من له في الآداب طول باع، وفي ظني أن بعض أصحابه جمعها في ديوان، ولكني لم أظفر بها الآن.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ فائقاً في الطرف والملح على فحول الأفراد، جارياً في ميدان الدعابة ما أراد، حافظاً للسيرة النبوية، والشمائل المحمدية، وتراجم السلف والصالحين، وتواريخ المتقدمين، متقناً لما يعرفه، ثبتاً فيما ينقله ويصنفه، له اليد الطولى في علم الأدب، وباع ممتد في لغات العرب.

وصنف عدة كتب ورسائل مختصرات، منها: كتاب «فضل رمضان والصيام» كان يقرأ منه كل ليلةٍ من ليالي رمضان، بعد صلاة التراويح، واختصر كتاب «الغرر» للسيد محمد بن علي بن علي خرد، وله تعليقات على «الإحياء»، و«العوارف»، و«رسائل ابن عباد»، وله «كتاب في ألفاظٍ غريبةٍ في اللغة»، على ترتيب «نهاية» ابن الأثير، وله «مجموعٌ فيه مقروءاته ومسموعاته ومشايخه»، و«تاريخ وفيات الأعيان من أهل الزمان» وشرع في جمع تاريخٍ عامٍّ لأهل عصره وزمانه، وماجريات دهره وأوانه، لكنه لم يتم، وقد لخصت منه تراجم من وجد فيه شرط هذا الكتاب، ولم تظهر هذه الكتب إلا بعد موته.

وله نظمٌ حسنٌ، لكنه قليل، وكان كثير المطالعة للكتب، له جَلَدٌ عظيمٌ على قراءتها، فربما استوعب المجلد الضخم في يومٍ واحدٍ أو في ليلة، وبلغني أنه قرأ «الإحياء» في عشرة أيام، وهذا أمرٌ عجيبٌ بالنسبة لأهل هذا الزمان، وإن كان حكي عن بعض الحفاظ ما هو أعظم من هذا، فقد قرأ مجد الدين الشيرازي «صحيح مسلم» في ثلاثة أيام، وذكر القسطلاني أنه قرأ «البخاري» في ثلاثة مجالس، قال: وهذا شيء لا أعلم أحدًا في زماننا يستطيعه، والذي

رأيته في ترجمته: أنه قرأه في خمسة أيام، وأظنه الصواب. انتهى.

وذكر السخاوي: أن شيخه الحافظ ابن حجر قرأ «سنن ابن ماجه» في أربعة مجالس، و«صحيح مسلم» في أربعة مجالس، وكتاب «النسائي الكبير» في عشرة مجالس، كل مجلسٍ نحو أربع ساعات، و«معجم الطبراني الصغير» في مجلسٍ واحـدٍ بين الظهر والعصر، وهـذا أسرع ما وقع له، وفي «تاريخ الخطيب»: أن إسماعيل بن أحمد النيسابوري قرأ «البخاري» في ثلاثة مجالس، يبتدئ من المغرب، ويقطع القراءة وقت الفجر، ومن الضحى إلى المغرب، والثالـث من المغرب إلى الفجـر، وحكي: أن حافـظ المغرب أبـا القـاسم العبدوسي قرأ «البخاري» بلفظه أيام الاستسقاء في يوم واحد.

وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ يجمع جماعةً يسبحون ألف تسبيحةً، يهدونها لبعض الأموات، ويهللون سبعين ألف تهليلةً، يهديها لبعضهم، وكان أهل تريم يعتنون بهذا، ويوصي بعضهم بمال لذلك، وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ هو المتصدي لذلك، والقائم به، وهذا المذكور تداوله الصوفية قديماً وحديثاً، وأوصى بعضهم بالمحافظـة عليـه، وذكروا أن الله يعتق به رقبة من أُهدي له، وأنه ورد في الحديث.

وذكر الإمام اليافعي: أن شاباً كان من أهل الكشف ماتـت أمه، فبكى وصاح، فسئل عن ذلك، فقال: إن أمـه ذهبـوا بهـا إلى النـار، وكان بعض الأولياء حاضراً، فقال: اللهم إني قد هللت سبعين ألفاً، وإني أشهـدك أني قد أهديتها لأم هـذا الشاب، فتبسم الشاب، وقال: أخرجوا أمي من النار، وأدخلوهـا الجنـة، قال المُهـدي المذكور: فحصل أصدق الخبر، وصدق كشف الشاب.

ولكن قال الحافظ ابن حجر: إن الخبر المذكور، وهو: «من قال: لا إله إلا الله سبعين ألفاً، فقد اشترى نفسه من النار» باطلٌ موضوعٌ، قال الحافظ الشيخ الغيطي: لكن ينبغي للشخص أن يفعل ذلك؛ اقتداءً بالسادة الصوفية، وامتثالاً لقول من أوصى به، وتبركاً بأفعالهم[1].

وقد ذكره الولي العارف بالله سيدي محمد بن عراق ـ نفعنا الله به ـ في بعض رسائله، قال: وكان شيخه يأمر به، وإن بعض إخوانه كان يهلل السبعين الألف ما بين الفجر وطلوع الشمس، قال: وهذه كرامة له من الله، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك. انتهى.

وأما التسبيح، فله أصل، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط»، والخرائطي عن ابن عباس: أنه ﷺ قال: «من قال إذا أصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله، وكان آخر يومه عتيق الله»، قال النجم الغيطي: وهذه فائدةٌ عظيمةٌ ينبغي أن يحافظ عليها، وغنيمة جسيمةٌ يبادر إلى الاعتناء بها.

وكان سيدي الوالد ـ رحمه الله ـ له اعتناءٌ تامٌّ بالذكر، لا سيما قراءة القرآن، وأكثر عبادته قرآنية، وطاعات قلبية، وكان يتهجد بالليل، ويصلي الوتر مع مقدمته، كل ليلةٍ ثلاث عشرة ركعة، وكان يحث أصحابه على التهجد، وكان يقول لي: تعود القيام آخر الليل ولو أنك تلعب، وكان يعسر عليه الصوم، فلا يصوم إلا رمضان، وربما صام ستاً من شوال، قال بعض

---

(١) هذه الأوراد والتسبيحات، وإلزام النفس بها على نظام معين من البدع المستحدثة، فإذا أيد ذلك أن الحديث موضوع، فلا مكان للإقتداء بالسادة الصوفية بأي حال من الأحوال، إلا الضلال المبين واتباع سبيل المبطلين.

العلماء: وما كان ذلك إلا لحدة ذهنه، وانقياد قريحته، فكان لا يطيق الصوم، وكان يجتزئ باليسير من الغذاء، ومن الملبس والملاذ الدنيوية، كثير التقشف، طارحاً للتكلف، كثير الاحتمال، تاركاً للقيل والقال.

وكان يؤثر العزلة على الاجتماع، والخمول على الظهور، ويحب السهل، والتثبت في جميع الأمور، وكان مجلسه كالبستان، المشتمل على الأثمار والألوان، لا يمله جليسه، ولا يخاف من ريب الزمان أنيسه، وكان كلامه في النصيحة والإرشاد، فيما ينفع في المعاد، وكان كثير الشفقة على أصحابه، كثير الاعتناء بأقاربه وأحبابه، مبالغاً في تعظيم العلماء والأولياء، وإذا ذكر أحدهم، لم يترك الثناء، ولم يُخِله من الدعاء، وكان يكره المدح في الرسائل والمكاتبات، وينكر ما فيها من المجازفات.

وكان ـ رحمه الله ـ لا يحب إظهار الكرامات، ويتأذى من خرق العادات، وكان إذا دعا لأحد بشيء، استجاب الله دعاءه، وأناله مناه، وإذا توسل به أحدٌ ممن يعتقده إلى الله، حصل له مراده وما تمناه، وما عاداه أحدٌ إلا رجع واعتذر إليه، وما مكر به أحد إلا رجع مكرُه عليه، وهذه الأمور المذكورات، وقعت لجماعة كثير مرات، وأخبرني بها جمع من الثقات.

ومما وقع لي معه: أني كنت أرى أنه يطَّلع على ما يصدرُ مني حالَ غيبتي عنه، فإذا اشتغلت بطاعة، قابلني بوجه مسرور، وإذا اشتغلت بلعب، قابلني بضد المذكور، ولما شاورته في السفر إلى الديار الهندية، قال: أرى أن المدة قرب انقضاؤها، وكنت أود أنك تحضر وفاتي، فقلت: أتخلف عن السفر، فقال: سافر أنت في وديعة الله، وما أراده الله سيكون، وكان الأمر كما ذكر.

فكان انتقاله من هذه الدار، إلى دار القـرار، لخمسٍ بقين من صفر، سنـة ثـلاث وخمسين وألـف، وقُبـض ـ رحمـه الله ـ وهـو جالس، محتبي بالحبوة، في دهليز داره، التي بالقرب من مسجد بني علوي، من غير مرضٍ ظاهرٍ، بل كان يشتكي صدره، فقال له بعض أصحابه، ممن اعتنى بالطب: دواؤك كذا وكذا، فقال له: هذا داءٌ عضالٌ، مشعر بالارتحال، مؤذن بالانتقال، فكان كما قال.

وانتقل قبل العصر، وشكُّوا في موتـه، فبيَّتـوه في داره، وبات الناس يقرؤون عليه، وصلوا عليه صبح ثاني يوم، في الجبانة المشهورة، ودفن بمقبرة زنبل، في القبر الملاصق لقبر والده ـ رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنهم فسيح دار القرار ـ، وكان فقده على أصحابه من أعظم المصائب، وبلية رمتهم بسهم من البلاء صائب، جعلنا الله وجميع أصحابه من المأجورين على مصابه، الفائزين بأجره وثوابه.

ورثاه جماعةٌ، ونظموا وفاته، فقال بعضهم:

معـالمُ أربـاب الـسيادةِ والبَهـا ... همُ ذو المعالي كاشفو حادثِ الباسِ

سنَت فعلـت فخـرا بـأعظم سـيدٍ ... عظيم أتى تاريخُه (أفضل النـاس)

[٧١٢] أبو بكر بن أبي القـاسم بن أحمـد بن محمـد بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن أبي بكر بن القاسم خزانة الأسرار بن أبي بكر المعمر ابن أبي القاسم بن عمر بن علي بن عمر الأهدل صاحب المراوعـة، وأمـه خديجة بنت محمد بن عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد بن سليمان،

وفي محمد هذا تجتمع مع والده[1].

السيد الذي لم يشاكله في فضله في اليمن رئيس، والجوهر الفرد الذي ما نافس جوهره نفيس، روض العلم الناضر، وقمر الهداية الزاهر، ذو المراتب العالية، والمراتب السامية، والعلوم الواسعة، والأعمال النافعة، والأحلام الراسخة، والأفهام الباذخة، والطباع السليمة، والشمائل الفخيمة، والمكارم العظيمة، والصفاتِ الجسيمة، كان في عصره منقطع القرين، سابقًا في علوم الدين لسبيل جده سيد المرسلين، على جانب عظيم من العبادة، والورع والزهد، والعلم والعمل.

كانت أوقاته معمورةً بالذكر والعبادة، ونشر العلم، وتوزيع الوقت على الأعمال الصالحة، والتدريس والفتوى، وغير ذلك، وكانت لوائح العلم عليه ظاهرةً من صغره، حتى إن عم والدته السيدَ الشهير أحمد بن عمر الأهدل، كان يلقبه بالفقيه العالم، ويشبهه بجده العارف بالله أبي بكر ابن أبي القاسم، وسكنه قرية المحط، من أعمال رفع، وله بها زاويةٌ مشهورة.

ترجم نفسه ـ نفع الله به ـ في كتابه «نفحة المندل في أخبار السادة بني الأهدل»، فقال: كان مولدي لنحو أربع وثمانين وتسع مئة تقريباً، بقريةٍ صغيرةٍ بين المراوعة والحوطة، وغربي القطيع، تعرف بالحِلَّة ـ بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام ـ، وهي غير حلة بَصل ـ بفتح الموحدة والمهملة ـ؛ إذ هما حلتان هناك، والمنسوبة لبصل هي اليمانية، والمولد في الشامية، وهناك قبور أجدادي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

ثم انتقل بنا الوالد منها، في ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة، إلى قرية السلامة المعروفة، قبلي التُّرَيْبَة، فتعلمتُ بها القرآن، وحفظته على يد الصالح أحمد بن إبراهيم المزجاجي، المعروف بالخيِّر، ولما أكملتُ تعلم القرآن العظيم، أمرني الوالد بتعليم إخوتي، فاشتغلت بتعليمهم مع غيرهم، في عريشٍ عند مسجدنا مدةً، مواظباً على ترتيب قراءة القرآن في المسجد، كل يومٍ بعد صلاة الصبح إلى الإشراق، وكل ليلة جمعة أنا ومن حضر بإشارة الوالد ـ أيضاً ـ وملاحظته؛ إذ كان له رغبةٌ قويةٌ، وهمةٌ عليةٌ في ذلك ونحوه من أعمال البر، كثيراً ما كان يجلس في حلقة القراءة والذكر بمسجده مع أميته، حتى عمل مسبحة ألفية يهلل فيها هو ومن حضر ممن لا يقرأ ليلة الجمعة، وألهمت كتابة ما وقع في يدي؛ من نحو القصص والقصائد والنبذ، حتى استقام خطي، وصلح للتحصيل.

ثم أدخلني والدي مدينة «زبيد» لطلب العلم، فكان أول طلبي في الفقه على محمد بن العباس المهذب، وفي النحو على محمد بن يحيى المطيب، ثم إن الوالد أراد تزويجي، فلم يمكنّي إلا مساعدته، مع ما قد ذقته من لذة العلم، فلما تزوجت، اشتغل خاطري بأمر الزوجة، ومراعاة حقوقها الواجبة؛ إذ لم أكف أمرها، ولا أمر الإقامة للطلب بزبيد كما كنت قبل التزوج، فاشتغلت عن الطلب نحو ست سنين، لكني في هذه المدة لم أترك التحصيل والتعليق والمطالعة، ومذاكرة من ألقاه من الطلبة؛ لما قد تمكن في قلبي من محبة العلم، وكان تزويجي في سنة ألف.

ثم أخذت بناصيتي إلى تجديد الطلب بباعث رباني، فقرأت على محمد ابن برهان المحلي، ثم قصدت زبيد ـ أيضاً ـ للقراءة، فقرأت على علي بن

العباس المهذب، صنوِ شيخنا المقدم ذكره، وعلى أحمد الناشري، وإبراهيم ابن محمد جعمان، وعلى الصديق بن محمد الخاصِّ الحنفي، وأحمد ابن شيخنا الجمال محمد المطيب، وعبد الباقي بن عبدالله العدني، وعلى الزين ابن الصديق المزجاجي، ولبست الخرقة من السيد عابد بن حسين الحسيني الكشميري، ومن الشيخ الزين بن الصديق المزجاجي.

وقرأت على السيد محمد بن أبي بكر الأهدل، صاحب المقصورة، وعلى عبدالله بن أحمد الضجاعي، والسيد المقبول ابن المشهور الأهدل، ومحمد العلوي، وعبد الرحمن بن داود الهندي، وعبد الفتاح الصابوني، وآخرين ذكرهم، وذكر مقروءاته عليهم، ومنهم: العارف بالله تاج الدين النقشبندي، وأجازه غالب شيوخه، كتابةً ولفظاً، وله إجازات من شيوخ الحرمين، وحصَّل بخطه كتباً كثيرةً، وطالع من كتب العلوم ما لا يمكن حصره.

وله تآليف كثيرة، منها: «نظم التحرير في الفقه»، و«نظم الورقات»، و«نظم النخبة»، و«اصطلاحات الصوفية»، و«منظومة في السواك»، و«التعليق المضبوط فيما للوضوء والغسل من الشروط»، و«البيان والإعلام بمبهمات أحكام أركان الإسلام»، و«شرحان على قصيدة ابن بنت الميلق» التي أولها «من ذاق طعم شراب القوم يدريه» صغير وكبير، و«الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية»، وأرجوزة سماها: «الدرة الباهرة في التحدث بشيء من نعم الله الباطنة والظاهرة» ذكر فيها نبذاً من فوائد التصنيف، وكثيراً من المؤلفات نظماً ونثراً، وقد استوفى عدتها في كتابه «نفحة المندل».

وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله:

وفي كتب العلوم لطيفُ معنى أُمَضّي في تَطَلُّبه حياتي

وأُعمل مقلتي ويدي وقلبي وأَضبطه عن القوم الثقات

لعلي أن أفوزَ بغفرِ ذنبي وأظفرَ بالذي فيه نجاتي

وصلى الله ربِّي كلَّ حينِ على أزكى الورى خيرِ الهداةِ

وقوله في أبيات:

إن كنتَ تطلبُ في الدارين تفضيلا وتبتغي من مليكِ الكون تكميلا

داومْ على خدمة العلمِ العليِّ تنلْ ذكراً جميلاً وتكميلاً وتوصيلا

فاطلبه وادأبْ على تحصيله أبدًا وقمْ بتأليفه إن حزتَ تأهيلا

وأنفقِ العمرَ في تحصيل حاصله واعمرْ به الدهر تدويناً وتحصيلا

وقوله:

وكم لله من فضلٍ علينا وإفضالٍ يُحيل العقلُ عَدَّهْ

وما زالتْ أياديه إلينا تفيض عبابُها ولنا مُمِدَّهْ

فنشكره ولا نحصي ثناءً عليه ونلزم الآناء حمدَهْ

توفي منتصف نهار الأحد، ثالث جمادى الآخرة، سنة خمس وثلاثين وألف، بقرية المحط، وبها دفن.

[٧١٣] أبو بكر رضي الدين بن أبي القاسم بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن حسين بن يوسف بن علي بن يحيى العنبري.

كان عالماً أديباً، شهير الذكر، حسن الأخلاق، بديع المداعبة، مولده في شهر رمضان، سنة ست وثمانين وتسع مئة، وتوفي سابع عشري رجب،

سنة سبع عشرة وألف بشهارة ـ رحمه الله ـ.

[٧١٤] أبو بكر بن إسماعيل ابن القطب الرباني شهاب الدين الشنواني المولد والمنشأ، ثم المصري، وجده الأعلى ابن عمر سيدي الشيخ علي بن وفا، الشريف الوفائي التونسي[1].

الشيخ الإمام الأستاذ، علامة زمانه في سائر الفنون، وسر الدهر الذي كان في ضميره عن النقص مصون، وسيبويه دهره، وشافعي عصره، وتحفة عطارد، وهدية الفلك لكل ماجد، وصاحب الحسب والنسب، الزاهد العابد، الذي لم تمض له طرفة عين في غير طلب الفوائد، وبحر العربية الذي استمدت منه جداول الفضائل، وروض الكمال الذي قامت له الأغصان على سوقها في الخمائل، لو رآه المبرِّد، بَرَّد به الغليل، أو أحمد، لقال أفدي بالعين هذا الخليل، فكم سهر الليالي، وغاص بحار العلم في تحصيل اللآلي، وانتفع بعلمه الوارد والصادر، وصار صدراً ترجع إليه أرباب المصادر، وكم قرظ وشَنَّف، وألف وصنَّف.

مولده شَنَوَان، وهي بلدةٌ بالمنوفية، صُوِّرت بها الجِنان، وتخرج بمصر على العلامة محمد الخفاجي، وأخذ بمكة عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وبمصر عن جمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وإبراهيم ابن عبد الرحمن العلقمي، ولازم العلامة الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وخاتمة الفقهاء والشمس محمد الرملي.

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٠١) (٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧٩)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦١) (٩٠)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٦٢).

ثم بعدهما انتهت إليه الرياسة العلمية، وصدر الإفادة والتأليف بالديار المصرية، ولازمه بعد شيخه الشهاب أحمد القاسمي جلُّ تلامذته، وبه تخرجوا، وببركة دعائه انتفعوا، منهم: الشهاب أحمد الغنيمي، والنور علي الجلبي، وعامر الشبراوي، والشهاب أحمد بن محمد الخفاجي القاضي.

وممن أخذ عنه: العلامة سري الدين الدروري، ويوسف الفيشي، ومحمد بن عبد الرحمن الحموي، وشيوخنا: إبراهيم الميموني، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم من أكابر علماء العصر.

ثم ابتلي بالفالج، فمكث فيه سنين، وهو لا يقوم من مجلسه إلا بمساعد ومعين، وكانت تذهب إليه الأفاضل، ولا تنصرف عن ناديه، ويتمسكوا بأذيال أفضاله، وبكبير نسمات إقباله إلى أن توفاه الله إلى دار كرامته، يوم الاثنين، ثامن ذي الحجة، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين، وأرخ موته بعضهم بقوله:

قضى الشنواني عالمُ النحو نحبَهْ ... وكان جليلاً في المهابة والذكر
لذلك قال الذاكري مؤرخاً ... (ألا مات علم النحو بعد أبي بكر)

وله من التصانيف ما أغنت شهرته عن التعريف، منها، وهو أجلها: «شرح توضيح ابن هشام» الذي قرط به آذان الدهر، وتوّج به رأس الكمال وهامة الفخر، أرسل إليه مولاي أحمد سلطان المغرب بطلبه منه، في حادي عشر ربيع الثاني، سنة خمسين وألف، لكنه فقد من مصر، فلا يوجد إلا بالمغرب، ومسودته أغار عليها ـ أيضاً ـ بعض المغاربة، وذهب بها معه.

و«حاشيةٌ على شرح القطر» لمصنفه، وأخرى على شرحه للفاكهي،

و«حاشيةٌ على شرح الأزهرية» للشيخ خالد الأزهري، و«حاشيتان على شرح الآجرومية» للشيخ خالد، و«حاشيةٌ على شرح القواعد» للشيخ خالد، و«شرحٌ على البسملة» مستقل، وآخر على شرحها لشيخ الإسلام زكريا، وشرح على أسئلة السيوطي سماه: «حلية أهل الكمال بأجوبة أسئلة الجلال»، وشرحٌ على الآجرومية كبير، في نحو خمسين كراساً، سماه: «المواهب الرحمانية»، ومختصره سماه: «فتح معطي الأمنية»، وغير ذلك، وكل مؤلفاته مفيدةٌ نافعةٌ، مقبولةٌ مشهورةٌ، في مشارق الأرض ومغاربها، ووقف جميعَ كتبه برواق الريافة، من الجامع الأزهر.

ومن شعره: ما كتبه إلى ابن أخته العلامة الشهاب الخفاجي، صاحب «الريحانة» وهو بالروم:

سلام شذاهُ تملأ الأرض نفحة ... تبلِّغه مني إليك يدُ الصَّبا

وتحمله هوجُ الرياح إلى العلا ... وتنشره في الأرض شرقًا ومغربَا

وتسقي ديار الروم والجوُّ عابسٌ ... رذاذَ كمالٍ حلَّ فيه وطَنَّبا

ودرّ عليه الغيمُ لؤلؤَ طلِّه ... ففضَّضَ هاماتِ النباتِ وذَهَّبا

لئن كان عن مصرٍ توارى شهابُها ... فقد لاح في دار الخلافة كوكبا

وما كان تأخيري جوابك عن قِلًى ... ولكن ضعفي للقريحة شَيَّبا

وشَرّقني دمعُ الأسى وأهاضَني ... على أن قلبي من فراقك غَرَّبا

لا يخفى ما فيه من لطيف التورية المهيئة في شرَّقني، فقد هيأ لفظ غَرَّبَ للتورية فيه؛ باحتمال إرادة الشرق مقابل الغرب، والمراد الشَّرَق ـ بالتحريك ـ.

نأت بك يا قُسَّ الفصاحة بلدةٌ ... وخلفتني بعد الفراق معذَّبا

فليت الـذي شـق القلـوب يرمُّهـا		وليـت الـذي سـاق القطيعـةَ قرَّبـا

وأتبعـه بنثر صورتـه: سلامٌ كنثر الروض، جر عليه النسيم ذيله، بعد ما باتت عليه كؤوس القطر تُدار عليه نهارَه وليلَه، فأشرقت شمسُ نهاره على الروابي والبِطاح، وأقبلت ترشف ريق الغوادي من شفا كالعقيق، وثنايا الأقاح، ونشر كافور الطل مسكيّ الشذا على مجامر الجلنار، ونصبت على يد الندى سرادقاتٍ من مخيمات الأشجار.

يُهدى لمن ألقت إليه العلوم مقاليدهـا، وملك من التحقيقات الفكرية طارفَها وتليدها، أفصح من وشّى وجوه الطروس بخطوط المعارف، وأسبل على عرائس الألفاظ فواضلَ المطارف، لا زالت عوارفُ المعارف عليه منهلة، وذيول مجده في بحار المكارم مبتلة.

وبعد:

فقد ورد المشرف الكريم، فألقينا عليه عصا التسليم، واجتنينا من قطوفه الدانية باكورة التسجيع، وتصيدنا من غصون همزاته حمائم الترجيع، ورأيناه قد اشتمل على عتب أرق من دمع الكئيب، وألطفَ من معاتبة الحبيب للحبيب.

غير أن عذري مقبول لا يُرَدّ، وطول الأسى رفيق لا يودّ؛ فإن المرض لازمني منـذ سنوات ملازمـةَ النجـوم للأفلاك، ونصب لصيد الصحة فِخاخ الشباك، لا يفارقني إلا مفارقة الجفن للعين، كأنه غريمٌ يلحّ له عليّ دين.

شعر:

كـأن الـسقم محتـاجٌ لـسقمي		فـلا ينفـكُّ عنـي قِيـدَ شـبرِ

إن أردت القيام من مضجعي، فلا بد من معين، وإن مشيت، فلا أستغني

عن عصًا وقرين، رفضت يدي العلم وطالما حملته، وحفا يميني بعد ما أرضعته، من جداول الفنون وغذته، وارتعشت اليد لفراقه أسفاً وندمًا، وصار وجدان الطروس بعده عدمًا، وأصبحت كأني من أصحاب الكهف والرقيم، لا أعرف كم لبثت من السنين، وإن كان عندي المقعد والمقيم، والسلام.

[٧١٥] أبو الخير بن محمد العيدروس بن أبي الخير بن أبي السعادات ابن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي الشافعي، إمام المقام الشريف(١).

قال الشيخ عبد القادر الطبري في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: حفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح مراتٍ في المقام، وحفظ عدة متون، منها: «منهاج النووي» بكماله، وعرضها معنا على المشايخ، في سنة تسعين وتسع مئة، وأمّ بالناس مدةً، وكانت وفاته سابع جمادى الآخرة، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وهو أسن منا، ولم يعقب ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧١٦] الشريف أبو طالب بن حسن بن أبي نمي(٢).

أمير مكة، الملك البطل الضرغام، حامي حمى بلد الله الحرام، ومدينة جدِّه ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وملاذ أهل الحرمين، بل المسلمين،

---

(١) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ١٢.

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٩٧) (٦١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٣١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩١)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥٢٢).

وغوث الضعفاء والفقراء والمساكين، وعضد الدولة وعاضدها، ويمين السلطنة الحسنية وساعدها، فطالما أشهر به غضبه، وأطفأ به غضبه، وهز سمهريَّه في كل غَزاة وسريَّة، ويذكِّر بما يُبديه من العجائب، بسالةَ جدِّه علي بن أبي طالب، وشد بالعزم أزر أبيه، وقوَّى بالحزم بأسَه، وجرَّع بالغُصص من يُعاديه.

ولد سنة خمس أو ست وستين وتسع مئة بمكة، ونشأ في حِجر والده الشريف الحسن، واتصـف بكل وصف حسن، ولما ترعرع وبرع، وترشح للإمارة، واجتلى بدرها الذي طلع، قلَّده والده بصارمها، وجعل هياكل جياده في أجيادها مقام تمائمها، وكان قبل موت السيد ثقبة لا يرد مورد من مناهل آماله، وقد غص بقـذار قباتـه وعذالـه، وأرسل والده الشريف حسن الأمين بهرام، يستسقي له من السلطنة الشريفة ماء المرام، فأجيب لمـراده، ونثرت على الرسول جواهـر الإحسان والقبول، وأهدى لـه مع كتاب العهد الخلع السلطانية، وقرئ منشوره بالمسجد الحرام، وأطاعه الخاص والعام.

ولما قدم الحج إلى مكة، أمر والده أمراء الحاج بعـد أن خلعوا عليـه الخلعة الكبرى، أن يخلعوا على أخيه عبد المطلب الخلعة الثانية، وذلك سنة ثمان بعد الألف، واستمر الحال كذلك إلى أن مات أبوه، سنة عشر بعد الألف، ولحقه أخوه عبد المطلب، فاستقل بالملك من غيـر شريك فيـه، وهنأه الله بما صـار إليـه، وهيأه بشكر السطوة والفتك، وقهر الأكابر والأعيان، على الانقياد لأوامره، والانزجار لزواجره.

فهابته النفوس، وطأطأت له الأعناق والرؤوس، وأنصف في أحكامه جميع الرعية، وسار فيهم السيرة المرضية، لا سيما الضعيف والمسكين؛ فإنه ينصفه من ظالمه، ولو كان القوي المتين، فرفعت الأكف بالدعاء له، ونطقت

الألسن بالثناء عليه، وذلك فضل الله ساقه إليـه، وكان حسن الهيئـة، شديد الهيبة، فإذا حضر الناس مجلسه، كأن على رؤوسهم الطير من هيبته، وكانت تخافه البوادي، وأهل النوادي.

ولم يزل على حاله راقياً درجات كماله، إلى أن طرق الموت طريقه، وترك العيون بالدموع غريقة، ومات بمحل يقال له: العيشة، من جهة اليمن، ليلة الاثنين لعشر بقيـن من جمـادى الآخـرة، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وحُمل إلى مكة، وصُلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بالمعلاة، وبني عليه قبةٌ عظيمةٌ ـ رحمه الله ـ، وأسكنه فسيح الجنان ـ.

ولأهل عصره فيه مدائح كثيرة حسنة، شاع ذكرها الجميل على الألسن.

ومنها: قول الإمام عبد القادر الطبري، مهنئاً له في بعض غزواته:

بسُمر القَنا ببيض الصوارم ... يُنال العلى وتُنال المكارمْ

وبالمرسلات بلوغُ المنى ... وبالعاديات نوالُ المغانمْ

ولو لم يحل ليلُ ذاك العجا ... جِ لما أشرقتْ شمسُ تلك المعالمْ

وبي سيدٌ ما له في الوغى ... شبيهٌ سوى جدِّه ذي العزائمْ

يجول الحروبَ ويجلو الكروبَ ... وينفي اللغوب ويُزري بحاتمْ

لقد أذكرتنا فتوحاتهُ ... مغازي الأئمةِ من آلِ هاشمْ

له النصرُ بالرعبِ من أشهُرٍ ... ومن شأنه قسمُ مالِ الغنائمْ

إذا ما بدا للعدى جحفلٌ ... ولم يك فيه فكل مقاومْ

وإن قيل فيه أبو طالب ... فيا فوزَ هاربِهم وهو سالمْ

فمــن ذا يــداني أبــا طالــب ... ومــن ذا يلاقيــه إلا مــسالِمْ

تــراه يخــوضُ بحــورَ النحــور ... بجُــردٍ تجابــذُ جــذبَ الـصرائم

هي البرقُ في السبق لـو لـم تكـن ... لهــا غــزواتٌ بتلـك الجمــاجمْ

مطهمــةٌ كــم تميــد الجبــال ... إذا مــا صــهلْنَ علــى البــراجمْ

حقيــقٌ لهــا الزهْــوُ بــابن النبــي ... ســليلِ الـصفي علــي المعــالمْ

مــن اتَّخَــذَ الــدرعَ تعويــذةً ... وطــولَ النجــادِ تمــام التمــائم

بوقــع الـسيوف لقــرعِ الـصفوف ... ونقعِ المغيرات مَخفـي المـصادِمْ

يريــكَ نجــومَ الــدجى آفــلاتٍ ... تــساقطن مثــلَ خطــوطِ المــراغمْ

ســـناءُ النبـــوة فـــي وجهـــه ... كفـى شـرفًا عـن طـراز العمـائم

وأوصـــافُه الغـــرُّ بـــين الأنـــام ... بهــا غنيــةٌ عــن طِــوال التــراجمْ

فمــا حــاول الخطــب إلا وكــان ... لــه النـصرُ والفـتحُ عبـداً وخـادمْ

فيــا ســيدًا سُــدْتَ كــلَّ الملــوك ... من الخُلَّص العُرب ثـم الأعـاجمْ

فهـل ملـكٌ أنـت فـي الأرض أم ... مليــكٌ فعــدلُكَ أنــسى المظــالمْ

وشــادَ لــك الــذكرَ عنــد الــورى ... بمــا لــم ينلْــهُ كبــارُ الأكــارمْ

وأوجــبَ حمــدك فــي العــالمين ... فمــدحُك فــرضٌ علينــا ولازم

فــدونَك مدحــةَ عبــدٍ أتــت ... تجــرُّ ذيــولَ الهنــا والملائــم

وقــد طُــرِّزَتْ سُــجْفُ أذيالِهــا ... بتــاريخ نــصرك يــا خيــرَ قــادمْ

وتاهـــتْ وباهـــت بـــه إذ أتـــى ... بضبط (لك النـصرُ والفـتحُ دائـم)

ومما سمع من كرمه: أنه زار النبي ﷺ قبل أن يلي مكة، فلما أمسى وادي

مر هـو ومن معـه أضافـه رجلٌ من أهل الوادي، يقال له: السوداني، فذبح الذبائح، ومَدَّ الموائد وقدَّمها، ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام، ولم يحضره؛ لشغلٍ عرض له، فعمد السوداني إلى أربع أو خمس من الـدجـاج، فذبحهن، وطبخهن، وقـدمهن على كيلتين من العيش، في زبديةٍ كبيرةٍ من الصيني، وجاء بها إلى الشريف أبي طالب، وقال: يا سيدي! هذا عشاء عبدك، اجبرْ خاطره جبرَ الله خاطرَك، فغسل الشريف يده، وأكل من تلك الزبدية لقيمات، ودعا له.

فلما استقل بالولاية على مكة، وفد عليه السوداني بعد سنة، وقبل يده، فقال له الشريف أبو طالب: الزبدية التي تعشينا فيها عندك؟ فقال: نعم يا سيدي موجودة، فقال له: اذهب فأتني بها، فأتاه بها، فملئت ذهبًا. وله كثيرٌ من هذا القبيل ـ رحمه الله ـ.

[٧١٧] أبو الوفا بن عمر بن عبـد الوهاب بن إبراهيم بن محمـود بن علي بن محمـد بن محمـد بن محمد بن الحسين العرضي الحلبي الشافعي القادري، وجده أبو أمه الشيخ أحمد عبدو القصيري ـ نفع الله به ـ[1].

شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، ومحيي معالـم السنـة النبويـة، ومحرر المسائل الدينية، الذي اشتهر صيته في الأمصار، وبَعُدَ ذكره في الأقطار، وعم النفع به لأهل عصره، وتشرف به أهلُ قطره، بل أهلُ دهره، وهو من أولاد النجباء، الذين لقلّتهم أفردهم بالتأليف بعض الأدباء، وممن ورث العلم كابراً

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٦٩) (٣٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٤٨)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٨٩) (٩٨٣).

عن كابر، وتبع سنن آبائه الأكابر.

فروى العلوم العقلية والنقلية عن والده، وتمتع منه بطريفه وتالده، وهو من أجلّ شيوخه، بل أجلّ أهل عصره، من أهل قطره، على الإطلاق، بإجماع أهل الخلاف والوفاق، ولازم العلامة أبا الجود البتروني، وغيرَه من الشيوخ، وأجازه شيوخه، وتصدر للإفادة والإقراء.

وأفاد وأجاد، وأخذ العلم عنه أجلاء أمجاد، منهم: العلامة السيد محمد ابن عمر العرضي، وشيخنا محمود الموصلي، ومحمد البَقْحي، وغيرهم، وكان ـ رحمه الله ـ من العلماء العاملين بالعلم، لا يخاف في الله لومة لائم، وتهابه الأكابر والأمراء، ويصدع بالحق، ويجاهر به، وانتهت إليه في بلده رياسة العلم، وبالجملة: ففضائله أشهر من أن تحصَر، وأجل من أن تذكر.

ومؤلفاته كثيرةٌ: مقبولةٌ شهيرةٌ، منها: تاريخ سماه: «أطباق[1] الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب»، ومنها: «بديعية» زاد فيها أنواعاً كثيرةً على المتقدمين، وشرحها شرحاً بديعاً مقبولاً عند المحققين، و«حاشيةٌ على شرح المنهاج للجلال المحلي» و«حاشيةٌ على البيضاوي».

ورسائل كثيرة، منها: «رسالةٌ في جواز شرب الدخان»، وحاشيةٌ على شرح المفتاح سماها: «فتح الفتاح على مشكلات شرح المفتاح»، و«حاشيةٌ على شرح النخبة»، و«حاشيةٌ على ألفية ابن مالك»، ومنظوماتٌ في علوم شتى.

ولما قدم الفاضل الخفاجي مدينة حلب، اجتمع به، وجرى بينهما

---

(١) في الأصل: طباق.

محاوراتٌ لطيفـةٌ، ومكاتباتٌ منيفـةٌ، ذكرها في «ريحانته»، وأثنى عليه ثناءً حسناً، وكانـت وفاتـه ـ رحمـه الله ـ بمدينـة حلب، سنة سبعين بعد الألف ـ روح الله روحه، وأعلى في غرف الجنان فتوحه ـ.

وله شعرٌ أرقُّ من دمع المستهام، وأنضر من الروض باكَرَهُ الغمام، منه: قولـه مادحاً للسيد أحمد بن محمد النقيب، ومتشوقاً إليه، وطالباً منه قضاء حاجة له، حين كان متوجهاً إلى قسطنطينية:

مِـن النـوى مـن مُجيـري	يـا رحمـةَ المـستجيرِ
والـصبر جَـدَّ ارتحـالاً	علـى نِيـاقِ المـسيرِ
يـوم الـوداع أضـاعوا	حُـشاشتي مـن ضـميري
يـا ليـت شـعري فـؤادي	هـل سـار لا بـشعوري
يقفـو حُـداةَ المطايـا	فـي ظَعْـنهم كالأسـيرِ
رفقًـا بقلـب كوتْـهُ	أيـدي النـوى بـسعيرِ
والجـسم حلَّـت قـواه	مـن حادثـات الـدهورِ
ومـدّ ربعـي التـسلِّي	مغيـب أنـس الحـضورِ
قـديم حكـم قـضتْه	حـوادثُ التقـديرِ
والـشوق يغلـو ضـراماً	يعلـو بجفـنٍ مطيـرِ
أجـرى عقيـقَ دمـوعي	حمـدًا ولا كـالبحورِ
نهـرْتُ سـائل جفنـي	عـن نـوء دمـعٍ غزيـرِ
ففـاض مـاءُ عيـوني	وفـاضَ كـالتنويرِ

غوثـــاً مـــن ذي التنـــائي مـــن شـــرِّهِ المـــستطيرِ
ومـــن فـــراقِ مثيـــرِ للوعـــــةِ وزفيـــــرِ
مـــن حـــاكم فـــي فـــؤادي يعثـــو عليـــه بجـــورِ
ورحمـــــة لمـــــشوقِ إلـــى التـــداني فقيـــرِ
يهـــزه كـــلُّ بـــرقِ إيماضُــــه كـــالثغور
إن فـــاح نـــشرُ الخزامـــى أو ضـــاعَ عَـــرْفُ العبيـــرِ
تكـــسو الريـــاض فتجلـــى فـــي نَوْرِهـــا والنـــورِ
يهـــيج كـــامنَ وجـــدِ بـــينَ الحـــشا والـــضميرِ
يـــذكِّر الـــصبَّ عيـــشًا صـــفا صـــفاءَ النميـــرِ
أوقـــات أنـــس أضـــاءت كالبـــدر فـــي الـــديجورِ
تجنـــي ثمـــار المعـــاني مـــن روض مجـــدِ نـــضيرِ
والمـــشكلات علينـــا تُجلـــى بغيـــر سُـــتورِ
نـــدير راحَ الخفايـــا علـــى ســـرير الـــسرورِ
وحيـــث غـــاب غـــزال الـــ ـــحمى وأنـــسُ الحـــضورِ
وشـــمسُ تلـــك المعـــاني إنـــسانُ عـــين العـــصورِ
طـــرازُ ثـــوبِ كمـــالِ ودرُّ عقـــــدِ النحـــــورِ
مللـــتُ كـــلَّ حبيـــبِ وعِفْـــتُ كـــلَّ ســـميرِ
مـــن أجـــل روح حيـــاتي وســـيرتي فـــي العـــشيرِ
مـــولايَ أحمـــدَ تـــاجِ الْـــ ـــعلا وصـــدرِ الـــصدورِ

كــشافِ مــشكلات بحــثٍ ببــــدره المــــستنيرِ
الــسابقِ القـــومَ فهمًـــا فـــي حَوْمَـــة التقريـــرِ
أقلامُـــه فـــي جـــدال تطـــولُ بـــالتحرير
قَـــدٌّ بتـــوءمِ فـــضلٍ بـــالنظمِ والمنثـــورِ
قـــد فـــاق كـــلَّ لبيـــبٍ وعـــالمٍ نِحريـــرِ
يـــا مفـــرداً فـــي جمـــوع الــــــعلمِ لا بنظيـــرِ
لـــه بلاغـــةُ ســـحبا نَ بـــل نظـــامُ جريـــرِ
آدابـــه فـــي انـــسجامٍ تفـــوق وَشْـــيَ الحريـــرِ
مـــدى الزمـــان ســـلامي مـــعَ الـــدعاءِ الكثيـــرِ
يُهـــدى إليـــك ويُبـــدي فـــي طيـــه المنـــشور
خلـــوصَ حُـــبٍّ صَـــفا مـــن شـــوائبِ التكـــديرِ
سلـــسالهُ العـــذبُ يحكـــي مُعَتَّقـــاتِ الخمـــورِ
هـــذا وبلِّـــغْ ســـلامي علـــى المقـــام الخطيـــرِ
حبيـــبَ قلبـــي أبـــي بكـــر العلـــيمِ الـــشهيرِ
وقـــلْ لـــه صـــدقُ ودي بـــاقٍ لـــنفخ الـــصور
قـــد قلـــتُ هـــذا بحـــقٍّ مـــن غيـــر معنًـــى وزور
فليـــدعُ لـــي كـــلَّ وقـــت ألقـــى ختـــامَ الخيـــرِ

وكتب إلى السيد أحمد الحلبي المذكور، ملغزاً في اسم أحمد بقوله :

بـــصارمِ اللحـــظِ قـــد تقلَّـــدْ عمـــدًا لقتلـــي لقـــد تقلَّـــدْ

معتـــلُّ طـــرفٍ يزيـــد فتكـــاً | لكونـــه الماضـــي المجـــرَّدْ
بعينـــــه قـــاتلي ويجحـــــــد | دمـــي علـــى وجنتيـــه يـــشهَدْ
قــد هَــدَّ جــسماً فــصار رســمًا | لمَّـــا بـــسهم الجفـــون هـــدَّدْ
ســــكرانُ صـــاحٍ فـــلا تـــراه | لغيـــر مـــن قـــد أحـــبَّ عربَـــدْ
وجاهـــــــد للإلـــــه كفـــرًا | إذا رأى لحظَـــــــه تـــــــشهَّدْ
زنجـــيُّ خـــالٍ عـــزى لعـــربٍ | تركـــيُّ لحـــظٍ وذا يـــضدَّدْ
يبـــــدي ملامًـــــا إذا تبـــدى | فـــــــذاكُ درٌّ إذا تبـــــــدَّدْ
يحْـــوِي جميـــعَ الجمـــال طُـــرًّا | قـــد جـــاء بـــالجمع وهـــو مفـــرَدْ
فـــي موكـــب الحـــسنِ إذ أتانـــا | جـــيشُ اصـــطباري فـــذا مشـــرَّدْ
وفـــيضُ دمعـــي إذا تقطـــر | زفيـــر قلبـــي جَـــوًى تـــصعَّدْ
بفقـــه قـــد حويـــت حبـــي | رضـــي بهـــذا الغـــرام أم رَدّْ
شـــكوتُ منـــه هجيـــرَ هجـــرٍ | والنـــارُ فـــي مهجتـــي توقَّـــدْ
فقـــال يـــا ثعلـــبَ احتيـــالي | تريـــدُ منـــي اللَّمـــا المبـــرَّدْ
فقلـــتُ إن الحـــشا ســـعيرٌ | أدنـــو لـــورودٍ عنـــه أُطـــرَدْ
فيـــا غـــزالاً زهـــا دلالاً | هِـــلالاً ســـناه أوحـــــد
قـــد راق وصـــفًا ورقَّ لطفًـــا | وخـــفَّ طرفًـــا بقلـــب جلمَـــدْ
بخـــالِ رَنْـــدٍ وخـــدٍّ وردٍ | وثغـــرِ شـــهدٍ دُرّ منـــضَّدْ
وشَـــعر مـــسكي أضـــل نُـــسكي | فطـــابَ هتكـــي فـــلا أُفنَّـــدْ
انظـــر لحـــالي فمـــا احتيـــالي | وقـــد رثـــى لـــي عِـــدًى وحُـــسَّدْ

أيـــن التـــسلي وذا مـــضلِّي فخـــلّ خِلِّـــي فتَـــى معـــوَّدْ

فقـــال لـــي إن أردت عنـــي ســـلوانَ هجـــرِ عـــساه يفقَـــدْ

ألغـــز إمامـــاً حـــلا كلامـــاً حـــوى نظامـــاً حكـــاه عـــسجَدْ

وخـــذ جوابـــاً وعـــد طلابَـــا يكـــن صـــواباً وذاك أحمـــد

فـــدا شـــهاب رقـــى المعـــالي فغـــار منـــه الـــسُّهى وفرقَـــدْ

أطاعـــه الفـــضلُ وهـــو طفـــلٌ فـــي مهـــدِه ذا لـــه تمهَّـــدْ

بالكـــسب والإرث قـــد أتـــاه وخيـــر مجـــد ينـــال عـــن جَـــدٌّ

فهـــا حـــديث الكمـــال قـــدمًا يـــصحُّ عـــن دمعـــه ويـــسنَدْ

كأنـــه إذ أتـــى بـــنظم قـــد نظـــم الـــدرَّ فـــي الزبرجَـــدْ

قـــولٌ بـــديعٌ لـــه معـــانٍ بيانـــه للبليـــغِ أقعَـــدْ

تـــصديق مـــدحي جلـــي حكـــم دليلُـــه قـــاطعٌ تأكَّـــدْ

مليـــكُ فـــضلٍ حـــوى كلامـــاً لـــواءُ فـــضل عليـــه يعقَـــدْ

فهـــاك لغـــزاً تـــراه كنـــزًا للفـــضل يُعـــزى عليـــك يـــورَدْ

ســـما لعـــين وكـــان وصـــفًا أو كـــان فعـــلاً بحيـــث يقـــصَدْ

موضـــوعُه عينـــوه لكـــن مـــن اشـــتراكِ لقـــد تعـــدَّدْ

فـــي الأرض أفـــرادُه كثيـــر وأصـــلُه فـــي الـــسما يـــورَدْ

فمفـــردٌ تـــارة أتانـــا وتـــارةً جـــاء غيـــرَ مفـــرَدْ

فالنـــصفُ طبعًـــا يفيـــد داءً إن كـــان تحريـــفُ ذاك يوجَـــدْ

والنـــصف أيـــضًا لقـــد أتانـــا ماضـــيه قدمـــه أن يـــشدَّدْ

وأولُ الاسم مع أخيرِ ... صفحه ظرفاً أتاك ترشَدْ
وما بقي سورة أتتنا ... رسمًا وفي نطقها فأزيَدْ
سبعًا تراها أتت بذكرِ ... إدراك معنى لها فيفقَدْ
أجبْ وسامحْ بقيتَ دهرًا ... في ثوب عزٍّ كذا وسؤدَدْ
ولا تؤاخذْ خليلَ صدقِ ... له ثناءٌ عليك سرمَدْ

فأجابه ـ رحمه الله ـ بقوله:

أهلاً بغراء قد تجرد ... بها الهوى والحشا تجدَّدْ
هيفاءَ تحكي الهلالَ يبدو ... من فوقِ غصنٍ ريانَ أملَدْ
جاءت تجرُّ الذيولَ تيهاً ... على مُعَنًّى في الحب أوحَدْ
كالبدر نورًا والروض نَورًا ... والدرٌ حسنًا إذا تنضَّدْ
ما مجلسُ الأنس حين حفَّتْ ... به الندامى وقد تمهَّدْ
بقربِ حوضٍ وجنبِ روضٍ ... قد شابهت أرضُه الزبرجَدْ
واهتزَّ فيه القضيب لمَّا ... عليه طيرُ السرور غرَّدْ
والنهرُ قد خرّ فيه ... يحكي الحسامَ من غمده تجرَّدْ
وقام فيه ساقٍ غريرٌ ... بدرٌ منيرٌ أَغَنُّ أغيَدْ
يدير كاساً حكت لُجينًا ... حوت شرابًا حكاه عسجَدْ
وقد حكتْ وجنتاه ما في الـ ... ـيمين منه لو كان يحمَدْ
فردًا تراه بسيف لحظٍ ... ورمحِ قَدٍّ لقد تعدَّدْ
يأبى التداني وسهمَ بعدِ ... بالجور والظلم فيه سدَّدْ

أفديه بدرًا قد فاق قدرًا | وصال دهرًا بأسمرِ القَدّْ
بخُلفِ وعدٍ وطول صَدٍّ | ونقضِ عهدٍ مُضناه هدَّدْ
وسحرِ طرفٍ ولينِ عِطْفٍ | وبذلِ لطفٍ هواه أكَّدْ
ما فازَ كلٌّ من الندامى | بصفو عيشٍ باللهو أرغَدْ
يوماً بأحلى منها إذا ما | أمَّتْ محبًّا بالشوق يكمَدْ
عذراءُ بكرٌ من فكرِ بحرٍ | بالعلمِ والفضل قد تفرَّدْ
العمدةُ الحبرُ منه إليه | تُعزى علومُ الورى وتسنَدْ
مولًى أقرَّت له الأعالي | بكلِّ فضلٍ فكيف يجحَدْ
من شاد مجدًا أو ساد جدًّا | وحاز سعدًا برغم حُسَّدْ
وفاق علمًا ودقَّ فهمًا | ونال سهمًا من كل سؤدد
فمن يباريه في المعالي | ومن أبيه أتته والجَدُّ
فيا إماماً إلى حماه | بالرغم منه العلا تردَّدْ
ألستَ نجلَ الذي ثناهُ | ومدحُه الدهرَ قد تخلَّدْ
فليس بدعًا إن فقت درًّا | وحزتَ فضلاً تجاوزَ الحدُّ
هذا وإني مولايَ أرجو | قبولَ عذرٍ لديك يوردْ
إن رمتَ أني أحلُّ لغزًا | قد قابلَ الفكر منه بالرَّدْ
مبداه يحكي قوامَ حِبٍّ | أو غصنَ بان إذا تميَّدْ
وما تبقَّى فأنت أولى | به بقيتَ الزمانَ تحمَدْ
هذا جوابي مع الجوى بي | من جورِ دهرٍ لقد تمرَّدْ

فاعـــذرْ وســـامحْ حليــفَ ودٍّ   مـــا زال ينمـــو واللهُ يـــشهَدْ
ولا تؤاخـــذْ إذ كنـــتُ ممَّـــنْ   أبـدى قـصورًا فـالعودُ أحمَـدْ
ودُمْ رفيـــعَ المقـــام تعلـــو   علـــى الثّريـــا وهـــامِ فرقَـــدْ

[٧١٨] إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي القاسم بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الزبيدي الشافعي، قاضي زبيد[١].

العلامة الذي جمع أشتات العلوم، وسهر في طلبها بشهادة النجوم، وحاز قصبات السبق في العلوم الدينية، ونشر أقوال الشافعية، وقام بنصر الأشاعرة بالبراهين القطعية، وأقام الحجج على المخالفين، وقمع شُبه غلاة المبتدعين، مع شدةٍ في الأحكام الشرعية، وتبصُّر بالقواعد الحِكمية، وتنفيذ للأقضية الحُكمية.

وُلد بمدينة «زبيد»، سنة أربع عشرة بعد الألف، وحفظ بها القرآن، وأخذ عن والده علوم الفقه والحديث، ولازم عمه الطيب بن أبي القاسم جعمان، في كثيرٍ من علوم السنة والقرآن، وبرع وفاق الأقران، خصوصاً في علم الحديث، وأجازه شيوخ كثيرون، وأقرأ بزبيد «الجامع الصحيح» للبخاري مراتٍ كثيرةٍ، وتكرر منه ختمه له، وسمعه منه بالحرمين خلق كثيرٌ لا يحصون كثرةً، منهم: شيخنا سيد المحدثين في عصره إبراهيم بن حسن الكوراني، وعيسى بن محمد الجعفري، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني، وغيرهم، وله مؤلفاتٌ نافعةٌ، منها: «الحاشية الأنيقة على

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٩٦).

مسائل المنهاج الدقيقة».

وكانت **وفاته** ثاني شهر ربيع الثاني، سنة ست وسبعين - بتقديم السين - بعد الألف، بمدينة زبيد، ودفن بتربة باب سهام، عند آبائه وأجداده، وأروي جميع مروياته عن ولده القاضي أحمد بن إسحاق سماعاً عليه لبعض «الجامع الصحيح»، وإجازة باقيه، مع مروياته بزبيد، في شهر رجب، سنة أربع وتسعين بعد الألف. انتهى. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ومن شعره: قوله معارضاً للقصيدة الموصلية التي أولها:

لمعتْ نارُهم وقد عسعسَ الليـ ... ـل وملَّ الحادي وحارَ الدليلُ

بقصيدة، وهي:

نفحتْ نفحةُ العبير وريَّا ... مندلِ الحبِّ أوصلَتْها شمولُ
سَحَرًا والرفاقُ من سكرة النو ... م على أظهُر النجائب مِيلُ
فنشقْنا نوافَح الطيبِ منها ... إذ شذاها على الخيام دليلُ
وابتسامُ المهاة في حِندسِ الليـ ... ـل أضاءَ الدجى فبانَ السبيلُ
فحثثنا المطيَّ في أثرِ الطيـ ... ـب سراعًا لها إليه ذَميلُ[1]
فطرقْنا الخيامَ منسلخَ الليـ ... ـل وللصبح عارضٌ مستطيلُ
فنزلْنا فيها بأكرمِ نُزْلٍ ... عند حيٍّ يعزُّ فيه النزيلُ
نعُمَ الطرفُ عندهم بمحيَّا ... ليس للبدر مثله فيحيلُ
واحدُ الحسن مستضيٌء وضيٌء ... مستنيرٌ كأنه قنديلُ

---

(١) ذَمِيل الإبل وهو ضربٌ من سيرها، ذمَل البعيرُ يَذْمُل ذميلاً، وذملاناً؛ من السُّرعة.

مـشرقُ النـور تحـت ليـلٍ بهـيمٍ مظلـــمٌ فرقُــه لـــه ترســـيلُ

بجبـــينٍ كأنـــه صـــدفُ الـــدرْ رِ أو الطـــرسُ زانـــه التـــصقيلُ

فيـه قـوسٌ مـن حاجـبٍ وسـهامٌ مـن لحـاظٍ وفيـه خَـدٌّ أَسـيلُ

أوسـعُ العاشـقين سـبيًا وقـتلاً مـا لهـم مـن حياضِـه تهليـلُ

قام هـاروتُ لحظِه يجمعُ السـبـ ـيَ وللفتـك قـد مـضى قابيـلُ

كـم أسـيرٍ مكبَّـلٍ بفِنـا الـدا رِ ففيهـــا مجـــرَّحٌ وقتيـــلُ

فـائقُ المِـلاحِ بـل هـو زيـنٌ واسـطُ العقـد بـل هـو الإكليـلُ

باسـمُ الثغـر عـن نـضيدٍ نقـيٍّ جـــوهريٍّ رحيقـــهُ معـــسولُ

ثـم بِتْنـا لديـه والطـرفُ منعمٌ والوشـــاةُ عَنـــه غُفـــولُ

وسـقانا مـن كَـفٍّ يُمنـاه كأسًـا سَلـــسبيلاً مِزاجُهـــا زَنجبيـــلُ

نظـرةٌ منـك سـيدي يُتلافـى مـستهامٌ بهـا ويـشفى عليـلُ

ويُطفَّـى بهـا لهيـبُ المعنَّـى ويُـداوى مـن الـسَّقام عليـلُ

وفؤادي أودى به الـشوقُ والوجـ ـدُ وجـسمٌ بـه الـضَّنى والنحـولُ

يـا حبيبـي إن كـان خطبًـا جليلاً هجُـركم فالوصـلُ وصـلٌ جميـلُ

بات يرمي جواهرَ اللفـظ مـن فيـ ـه ودرًّا مـن النظـام ينيـلُ

بعتــابٍ كأنــه نــسمةُ الفجـــ ـر جناهـا رضـابُها مطلـولُ

يا حبيبي قد كان ما كـانَ فاصـفحْ وتعطَّـفْ فلـيس عنـك بَـديلُ

لا وسقمِ الهـوى وطيـبِ التلاقـي مـا فـؤادي إلـى سـواك يميـلُ

فـتحكَّمْ واقـضِ بمـا شـئتَ فأنـــت العطـــاءُ والتنويـــلُ

وجَعْمان ـ بفتح الجيم وسكون العين المهملة ـ ابن يحيى بن عمر بن أحمد بن علي بن الشُّويش بن علي بن وهب بن علي بن صريف بن ذؤال بن سنوة بن ثوبان بن عيسى بن سحارة بن غالب بن عبدالله بن علكّ بن عدنان، العكيُّ العدنانيُّ الصريفيُّ الذؤاليُّ اليمنيُّ.

[٧١٩] إسحاق بن حسين.

الساكن بقرية بجنك ـ بفتح الباء الموحدة والجيم والنون والكاف ـ من أعمال بلدة أقراي، من بلاد قرامان، اشتغل بالعلوم مدةً، ثم سلك الطريقة، واتصل بخدمة الشيخ عبد اللطيف، المعروف بجيم سباه، واجتهد عنده مدةً، حتى أجازه للإرشاد، ثم قام مقام شيخه، بعد وفاة الشيخ سليمان خليفه اللارنده وي.

[٧٢٠] أبو الطيب ابن شيخ الإسلام بن بدر الدين ابن شيخ الإسلام رضي الدين بن محمد بن أحمد بن عبدالله القرشي الغزي العامري الدمشقي الشافعي[١].

فاضلٌ مجالُه في الفضل فسيح، وشاعرٌ بديع الشعر فصيح، يسحر ببيانه العقول، ويبهر الألباب بما يقول.

وُلد بدمشق، وبها نشأ وترعرع، ثم رحل إلى مصر طالباً، وحصّل دروس أعلامها راغباً، فجاز تحقيق الحقيقة والمجاز، وسبق إلى قصبات السبق في أقرب مجاز، ولمحته عيون السعادة، ورجع إلى بلده.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٨٠)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٥٧) (٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٣٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٨٥) (٥).

ولم يـزل معـدوداً من أرباب الصـدور، مسفرةً محاسنُ فضله إسفـارَ البدور، حتى أفسدت السوداء عقلَه، وأوجبت من مناصب العقلاء عزلَه، وكان أول ظهور ذلك: أن دعا مزيناً، فحلق لحيته، وغير صورته وحليته، ثم جمع شَعره في منديل، وقصد القاضي لشكاية أخيه، زاعماً أنه الذي شوه وجهه ذلك التشويه، فدعا القاضي أخاه، وتحرى جليـة الأمـر وتوخاه، فظهرت حركات دلَّت على فساد عقله، ثم تفاقم به الداء، حتى قيدت قدماه، وانقطع عنه أصحابه وندماه.

وذكر في «السلافة»: أن الشيخ محمـد الحريري مرّ عليـه يوماً، هـو وصاحب له، فوقفا بحياله، وسألاه عن حاله، فشكا عليهما الوحشة والانفراد، وطلب منهما أن يجلسا بقربـه، وينفِّسا من خناق كربـه، فتقدم ذلك الرجل إليه، وجلس بين يديه، فشبث به، وضربه، وطرحه حتى برحه، فلم يفلت منه إلا بعد حين، وكاد حَينه أن يحين، ثم التفت إلى الحريري، وقال لـه: أنت شيخنا المبجَّل، عليّ عهدُ الله أن لا أفعل بك ما فعلتُ بصاحبك، فادنُ مني، وأزِلْ دهشة الوحشة عني، فمال عنه، وضحك منه.

واستدعى يوماً بنورة ليطَّلِي بها، فطلى جميع بدنه، حتى لحيته وشاربه، وأشفار عينيه وحاجبيه، فلما أنكروا عليه فعله، قال: أردت أن أزيل الشعور جملةً.

وله في جنونه أفانين، عدّ بها من عقلاء المجانين.

وشعره من الطبقة العليا؛ من الرقـة والانسجام، وها أنا أثبت ما يدار عليك به من الأنس جام.

فمن قوله مادحاً الأستاذ الشيخ أبا السرور البكري ـ رحمه الله ـ:

ألا طرقتنـا قبـل منـبلج الفجـر ... معطـرةُ الأردان طيبـةُ النـشرِ
وحيَّتْ فأحيَتْ من حشا مدنفٍ قضى ... وما خلتها تقضي على الموت والنشر
وجادت بمـا ضَـنَّ الزمـانُ بمثلِـه ... وفاء بلا مطـل ووصـل بـلا هجـرِ
وجاءت كما شاء المنى في مطارفٍ ... من الحسن أدناها أدقُّ من السـحر
ولاحت من الغدر العلى في ديـاجر ... فأشرق بدرُ التمِّ في غَسَقِ الفجـر
وماستْ قضيبًا فوق دِعْصٍ وأتلفت ... من الغيد ريمًا لا من الشدن العِفر
فبادرتُهـا والقلـب جُـمٌّ سـرورُه ... وقد آن يـوفي حـين وافتـه بالنـذرِ
وقمتُ لها أسعى وقلتُ لها اسلمي ... وأيقظت أقريهـا الهواجـد بـالنحر
وعاطيتهـا صـفراءَ بِكـرًا كأنهـا ... إذا جُليت في كاسها الشمسُ في البـدرِ
وجاذبتُهـا أطـرافَ عتـبٍ كأنـه ... نسيُم الصَّبا غِبَّ المُلِثِّ من القطـرِ
ومازجتُهـا ضَـمًّا فرحْنـا كأننـا ... خليطانِ من ماءِ الغمامـة والخمـرِ
ونازعتُها ذيـلَ العفـافِ ولـم أقـلْ ... خليلين مثلينا استـقالا مـن الغـدرِ
إلى أن نضا كفُّ الـصباح حـسامَه ... وأسفرَ داجي الأفقِ عن فلق الفجر
فقامت تهادى لنفضِ البـردِ تنثـني ... مرنحـةَ الأعطـافِ ناحلـةَ الخـصرِ
وهَمَّتْ بتوديعي فـسالت مـدامعي ... وسار فؤادي خلفَها حيث لا تدري
فيـا ليلـةً مـا كـان أزهـرَ متنَهـا ... لقـد أذكرتنـي موهنًـا ليلـةَ القـدرِ
ويا زورَةً لم أنـسَ لا أَنْـسَ أنـسها ... عِدي عودةً أم أنتِ لي بيضةُ العقرِ
ووالله مـا شـبيت إلا علالـة ... وفي غمرة من غير بحر الهوى فكري

وفــي همتــي واللهُ يعلــم شــاغلٌ عن الغادة العذراء والأغيدِ العـذرِ

أأرتعُ فـي روض الحـسان وأنثنـي عن الذروة الشماءِ يعلو بها قدري

أحـدِّثُ نفـسي بالمعـالي وأبتغـي رفيقًا رقيقًا بي معينًـا علـى أمـري

وما الناسُ إلا الشوكُ عنـد اختيـارهم على أنهم في منظر العين كـالزهرِ

سأضرب وجهَ الأرض أبغي مطالبي فريـدًا ولا أعبـا بزيـدٍ ولا عمـرِو

أبـى الله لـي إلا الـسيادةَ أصـيدٌ مُجِدٌّ إلى قنصِ العلا بالقنا الـسُّمْرِ

ولا مجدَ عن إرثٍ وإن طبتُ مَحْتِدًا فـأُنمى إلـى حبـرٍ يلقـب بالبـدر

ومــا الفخــرُ إلا مقارعــة الــوغى ومـا المجـدُ إلا بالـسباء وبالأسـرِ

فإن أنتَ صافقتَ الأسودَ وخضتها بطعنٍ فقل ما شئت في عالم البدر

ولم تغتمض عيناي ليلة لـم أبـت أقلِّب في قلب الهزبر علـى جَمْـرِ

وكم لي من صيداتِ عـزٍّ وسـؤددٍ ومـن دونهـا وقـعُ المهنـدة البُتْـرِ

ولما رأيتُ الذلَّ في جانب الغنـى تنكبت أبغي العزَّ في جانب الفخر

مناقــبُ همَّــاتي حكــينَ مقانبًــا نُظمن قلاداتٍ من الأنجـم الزُّهْـرِ

. . . أحــداث الزمــان فتنبــري كما ارتعدَ العصفورُ من صولة الصَّقْر

وما هي من همَّاتِ قُطب العلا أبي السْـ ـسُرور ولا دعوى سوى عشر العـشر

هو الأسدُ الضرغام إن عنَّ حادثٌ ملمٌّ شديدُ البأسِ حتى على الدهر

هو الشمس في أُفُق السماء وضوءُها على الخلق من بيضٍ وسمرٍ ومن حُمْرِ

هو العالم الشهم المبرِّزُ في النهى أخو الحَسَبِ الوضاحِ والشيم الغُرِّ

هــو البحـر إمـا ريـم إدراكُ شـأوِه فأين الثمادُ الجعفـريُّ مـن البحـرِ

ولا عيبَ فيه غير أن يمينَه تنوفُ على ما في الكنهو[1] باليسر

ومن جوده الداني الهيادب مصر لا تبالي أمَّه النيل أم كان ذا جَزْرِ

وكم من صفاتٍ راح يحوي زمامَها عديمةِ أمثال تجلُّ عن الحصرِ

وتنفَدُ ألفاظ المديح ولا تفي إذا اطَّردت يومًا بشيء سوى النزرِ

فصاحةُ قُسٍّ في سماحة حاتمٍ وإغضاءُ قيسٍ في اقتدار يَدَيْ عمروِ

وفقهُ ابن إدريسٍ وزهدُ ابن أدهمٍ وحلمُ أبي بكرٍ وصدقُ أبي ذَرِّ

خليليَّ عوجا بارك اللهُ فيكما على ساكني الفسطاط من قاطني مصر

وهبّا إلى كنز المآثر واقرأا عليه سلامًا كاللطائم في القطر

وبثَّا إليه فرطَ شوقي ولوعتي على ما هما فالصدقُ أجدرُ بالحُرِّ

أصدرَ الموالي المحرزي قصبِ العلا نداءَ محبٍّ مخلصِ السرِّ والجهر

لعلك لا تنسى المسيءَ من الرضا وعلك لا تنسى الكسيرَ من الجبر

وإني لأستعفيك مما وجدتني حنيدًا إلى النعما بطيئًا عن الشكرِ

وما أنا نظامًا لشعرٍ وإنما مديحك الومن[2] بي على صنعة الشعرِ

وما الشعرُ يا مولاي إلا تجارةٌ فطورًا إلى ربحٍ وطورًا إلى خُسْرِ

فدونَكَ يا ركنَ المعالي حوائلاً تؤمُّك بالتسليم قطر إلى قطرِ

قوافٍ إذا ما أنشدوها تخالُها عقودَ الدراري لا عقودًا من الدُّرِّ

تروقُ بماء الطبع حتى كأنها ترقرقَ في أرجائها ذائبُ التبرِ

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

ودونَكَها بِكرًا إليك رفعتُها ... ومنها استعير الظَّلْمُ في شَنَبِ الثغرِ
تؤم قبولاً مهرها وجديرة ... مجانبة إلا جنابك بالمهرِ
ودمْ سالمًا ما جاد روضًا رَبابُهُ ... وما ناح شُحرورٌ وما غَرَّدَ القُمري

وقوله متغزلاً:

هاتِ اسقني حَلَبَ العصيرِ ولا سوى ... زهر النجوم تجاه زهر المجلس
انظر إليه كأنه متبرمٌ ... مما تغازله عيونُ النرجسِ
وكأن صفحةَ خدِّه ياقوتة ... وكأن عارضَه خميلةُ سندسِ

[٧٢١] إسماعيل بن ماضي بن يونس بن إسماعيل السنجيدي الشافعي[١].

كان من أكابر العلماء الشافعية بالديار المصرية، وكان صاحب عبارة، وفصاحة وبراعة، وإماماً في النحو وعلوم العربية، ومتضلعًا من العلوم العقلية، أخذ الفقه عن الشمس الرملي، ولازمه إلى أن مات، ثم تكمل بالنور الزيادي، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر سنين عديدة، **وتوفي** يوم الاثنين، سابع ربيع الأول، سنة ست وخمسين بعد الألف، وله من العمر نيف وتسعون سنةً ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٢٢] السيد إسماعيل بن محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم[٢].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٨).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤١٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٦٦) (١٩٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٥٥).

أديب الزمن، وغُرة اليمن، كان بالمحل الأعلى من البلاغة والبراعة، وحسن الأدب والصناعة، وله مؤلفٌ سماه: «سمط اللآل بأشعار الآل»، وفضله أشهرُ من أن يذكر، وشعره أحلى من السكر.

وجدُّه هو الذي أحرب الأتراك، وأخرجهم من اليمن، وكان ذا ولايةٍ واسعةٍ، مُدح، ووفد إليه من كل جانب، توفي سنة ثمان وأربعين وألف، وتوفي والده سنة ثمان وسبعين بعد الألف، وتوفي ولده المذكور بعده، سنة تسع وسبعين، وعمره فوق الثلاثين وتحت الأربعين تقريباً بـ «مذيخرة» من أعمال العدين.

ومن شعره قوله:

فـي المهجـة أضـحى معهـدُه ... فلـذا فـي الغيبـة يـشهدُه

فتـانُ الحـسن ممنَّعُـه ... فتيـانُ الـصبوة أعبـدُه

معـسولُ الثغـر مفلَّجُـه ... عَـسَّالُ القـدِّ معربـدُهُ

وافـى مـن بعـد تجنُّبِـه ... ووفـى بالـذروة موعـدُهُ

وسـرى كالبـدر فـسَّر بـه ... مـسلوبُ كـرى لا يرقـدُهُ

وأعـادَ الـروحَ إلـى شـبحٍ ... عنـه قـد صـحَّ تجـردُهُ

حَيَّـاهُ فأحيـا مهجتَـهُ ... وحَبـاه بقـربٍ تعهـدُهُ

بـدرٌ قـد طـالَ تـسوُّمه ... وبيـوم الهجـر توعُّـدُهُ

بـريم يقـلاه لِلَفْتَتـه ... ريـمُ البيـداء ويحـسدُهُ

غـصنٌ قـد دان لقامتـه ... فـي غـصنِ البانـة أملـدُهُ

مــــن مقلتِـــه الـــنجلاءِ لــــه ... ســــيفٌ للفتـــك يجـــرِّدُهُ

مــن قــوسِ حاجبِـــه ســهمٌ ... نحـــوَ المفتـــون يـــردِّدُهُ

مــــن قامتـــه الهيفـــاءِ لـــه ... رمـــحٌ فـــي المهجـــة تـــوردُهُ

وكـــأنَّ البـــرقَ بمبـــسَمِه الـــ ... ـــبراقِ رواه مبـــــردُهُ

أو لمــــع أســــنة عـــز الآ ... ل عزيـــزُ القـــدرِ مـــشيَّدُهُ

محـــسودُ الحـــدِّ مثبتــــه ... محمـــودُ الجـــدِّ محمَّــــدُهُ

مـــشكورُ البـــذلِ لقاصـــدِه ... مـــشهورُ الفـــضل ممجَّـــدُهُ

للـــدين عمـــادٌ منتـــصبٌ ... بـــالرفع تَـــسامى مقعـــدُهُ

منـــصوبُ الرايـــة نافـــذُها ... ميمـــونُ الـــرأي مـــسدَّدُهُ

مـــا زال إلـــى أعـــداء الديـــ ... ـــن لجنـــد الحـــق تجنُّـــدُهُ

فيقـــودُ جـــراداً منتـــشرًا ... مـــن ذا فـــي النـــاس يعـــدِّدُهُ

خيـــلٌ بـــل ســـيفٌ محتجِـــفٌ ... مـــن ذا يلقـــاه ويقـــصدُهُ

يـــا أوحـــدَ هـــذا الـــدهر ومَـــنْ ... قـــد عـــزَّ مثـــالاً ســـؤدَدُهُ

هُنِّيـــتَ بـــشهر مفخـــره ... مـــا تُـــصدر فيـــه وتـــوردُهُ

صـــومًا يرضـــى المعبـــودُ بمـــا ... فيـــه يأتيـــه ويحمَـــدُهُ

أعرضْـــتَ عـــن الأعـــراضِ بـــه ... لمَّـــا ألهـــاكَ تهجُّـــدُهُ

فـــي فعـــلِ الخيـــر بـــه عـــن طـــر ... فِـــك طيـــبُ النـــوم تـــشرِّدُهُ

وبعيـــد عنـــك بعيـــدِ أَنْـــ ... ـــحُـــسُهُ[1] وقريـــبِ أســـعُدُهُ

---

(١) في الأصل: بعيدًا بحسنه.

تطرقــــه قطـــر فـــي غــده ... مــن قلــب الحاسـد أسـودُهُ

وإليـــك قريـــضًا نَظَّمـــه ... فكـــرٌ قـــد طـــال تبلُّـــدُهُ

أضـــحَتْ تذكيــه بلفحتهـــا ... نـــارُ التعنيـــف وتحمَـــدُهُ

فأتـــاكَ بعتـــبٍ أوجَبَـــه ... لـــومٌ قـــد طـــالَ تـــردُّدُهُ

فاســـمعْ لمقـــالٍ يُـصلح مـــا ... قـــد كـــان الحاســـد يعنـــدُهُ

إن كنـــت تعمـــد للواشـــي ... ذنبـــا قـــد صـــحَّ تعمُّـــدُهُ

فـــالحلمُ يريـــد تقولـــه ... ولحكـــم الـــزور يؤكِّـــدُهُ

وبطـــول الفـــرطِ يقرِّبُـــهُ ... مـــن ربِّ الـــودِّ تبعـــدُهُ

أو كنـــتَ تـــصدِّقُ لهجتَـــهُ ... حاشـــاك لقـــولٍ يوجـــدُهُ

وتـــسيءُ الظـــنَّ بمـــن أضـــحى ... فـــي نيـــلِ رضـــاكَ تقيـــدُهُ

فـــالحزمُ لديـــه تجنُّـــبُ مـــا ... جلـــبَ الإيحـــاشَ تفقُّـــدُهُ

والعـــزمُ لطـــرحِ تعهـــدُها ... أَزرى بالعهـــــد تعهُّـــــدُهُ

لا زلـــتَ تُـشيد قواعـــدَ هـــ ... ــذا الـــدين لنـــا وتـــشيِّدُهُ

مـــا دام العَتْـــبَ لثـــوبِ الـــودِّ ... مـــدى الأيـــام يجـــدِّدُهُ

أو بـــاتَ الـــصبُّ يهـــيم بمـــن ... فـــي المهجـــة أضـــحى معهـــدُهُ

وعارضه الأديب محمد الرقباوي، فقال مادحاً له:

قـــدٌّ تثنيـــه وتفـــرده ... وجـــوًى أطويـــه وتفـــردُهُ

وبلابـــلُ صـــدرٍ صـــادرةٌ ... عـــن علـــةِ وجـــدِ تـــوردُهُ

وصـــيادُح آمـــالٍ وجـــدتْ تـــدني المـــأمول بتعهـــده[1]

ولهيـب حَـشًا مـا خلـتُ بـأنْ نَ عبـــابَ النيـــل تبـِّــردُهُ

وفـــؤادٌ ذابَ وزادَ بــــسفـ ـــحِ عقيـــقِ الـــدمع توقُّـــدُهُ

وَيْلـــي وأنـــا المفتـــونُ بمـــن فـــضحَ الأقمـــارَ مقلَّـــدُهُ

ظبـــيٌ فـــي المهجـــة مرتعُـــه غـــصنٌ فـــي القلـــب تـــأوُّدُهُ

بــــدرٌ بحيـــاتي مطلَعُـــه لا غـــابَ وفيـــه مـــسهَّدُهُ

عـــن مبـــسمه الإنـــسان الكـــا مـــلُ يـــروي عنـــه مبـــرِّدُهُ

مـــن ضَـــلَّ بليـــل غـــدائرِه يهديـــه ضـــياهُ ويُرشـــدُهُ

حجبـــت رؤيـــاه نَـــوى هـــدفٍ عنِّـــي ولَكَـــمْ لـــي أرصُـــدُهُ

والليـــلُ يمـــرّ وأيـــأس مـــن لقيـــاه ويُطمِعُنـــي غـــدُهُ

ســـلطانُ جمـــالٍ جـــادَ بعـــا دلِـــه وعلـــيَّ علـــت يـــدُهُ

صـــرعَ العـــشاقَ بمقلتِـــه ودهـــا المـــشتاقَ توعُّـــدُهُ

يـــسطو بتغـــيظِ نـــاظرِه ومتـــى مـــا شـــاء يرقـــدُهُ

فـــي الخلـــوة يُجـــري صـــارمَه وعلـــى الأشـــهاد يُجـــردُهُ

ويُبـــيح لطرفَـــيْ نرجـــسِه والخـــد حمـــاه تـــورُّدُهُ

ومتـــى تفتـــت منـــي جلـــدي بعـــثَ الهجـــرانَ يقـــصدُهُ

ومتـــى مـــا قلـــتُ رويـــدكَ لا تعجـــلْ بتِلافـــي يعمَـــدُهُ

وإليـــه حـــلّ دمـــي وإذا مـــا حـــلَّ صـــدودا يقعـــدُهُ

---

(١) كذا في الأصل.

وحـــديث هـــو أنـــسُ معنعنِـــهِ قـــد صـــحَّ إليـــه ويـــسنِدُهُ

والـــدمع جـــرى مطلَقُـــه والقلـــبُ لديـــه مقيَّـــدُهُ

رَشَـــأٌ نـــشوانُ الـــسحر بمقـــ ـــلته قـــد صـــالَ تعربـــدُهُ

يقـــوى ســـبب الإبعـــاد ولا أقـــوى لجفـــاهُ ويحـــصدُهُ

لـــم أنـــسَ عـــشيةَ صـــادفني كالغـــصنِ يثنـــى أملَـــدُهُ

وأفـــاح الـــروض براحتـــه وعيـــونُ النـــرجس تـــشهدُه

فدُهـــشت فـــلا أدري أثنـــا يـــاه أم مـــا حملـــت يـــدُهُ

أقـــسمتُ بمـــن خلـــق الأشـــوا قَ تُقـــيم الـــصلب وتُقعـــدُهُ

مـــا خـــاب رجَـــا أمـــلٍ يـــسعى لـــضياءِ الـــدين ويقـــصدُهُ

شـــرفُ الـــدين وإســـماعيل ســـليلُ العـــز نمـــاهُ محمَّـــدُهُ

بحـــرُ الإمـــداد معـــينُ العلـــ ـــم معـــينُ الطالـــب موجـــدُهُ

جـــمُّ الإفـــضالِ شـــقيقُ الجـــو د مفيـــدُ المجـــدِ ممجَّـــدُهُ

نُـــشرت آيـــاتُ مناقبـــه حيـــثُ الأعـــلام وســـؤدَدُهُ

وترفَّـــعَ بيـــتُ العِـــزِّ بـــه وســـراة الـــسائح يقعـــدُهُ

وأقـــامَ شـــعارَ الملـــك علـــى روضٍ قـــد أفلـــحُ روَّدُهُ

علـــمٌ كـــالزهر أزاهـــرُه وغزالـــة صـــحوٌ فرقـــدُهُ

ينـــسى المـــشتاقُ أحبتـــه ويـــسرُّ النـــاظرَ مرشُـــدُهُ

ويـــدُ الأنـــداءِ تـــضوعُ لـــه حليًّـــا تتـــألف عـــسجَدُهُ

ولجـــينُ الزئبـــقِ خالـــصُه مـــن معدِنِـــه وزبرجَـــدُهُ

وعقيـــقُ الـــورد نـــديُّ القَطْـــ ـــر حلـــيُّ العـــين زمـــردُهُ

وعليـــلُ الجـــسم يـــصيح بلطـــ ـــفِ عليـــلِ هـــواه ويحمَـــدُهُ

فلنـــــا أُنــــسٌ بنظارتــــــه ورحيـــق الكـــوثر نـــوردُهُ

ولنـــــا بمـــــــذيخرة إلا واعهـــد كـــأذاخر نعهـــدُهُ

بلـــدٌ فيـــه بنيـــانُ العـــزِّ ســـما لا زال مـــــــــــــشيَّدُهُ

تجـــري الأنهـــارُ بـــساحتها والغيـــث يـــدوم تـــردده

والجـــدولُ يُـــشهر صـــارمَه مـــن خَلَـــل الـــستِّ ويعمَـــدُهُ

وبليـــل الأزيـــبِ يـــصقلُه ونـــسيم الـــشمأل يبـــردُهُ

تتحلـــى الـــروح بهـــا طربًـــا ومـــضى الـــنجم يقلِّـــدُهُ

وبهـــا يتغنـــى بُلبلـــه وبنـــاتُ الأيـــكِ تغـــرِّدُهُ

لـــو زاد مزيـــدًا وهـــو علـــى ســـاقِ للعـــزم تـــزوِّدُهُ

وعلـــى عيـــدانِ الغـــسل يـــصيـ ـــح هـــزارُ البـــان وينـــشِدُهُ

وضـــياءُ الـــدين يَفـــيض نـــدا هُ بهـــا ويـــدُ العـــادي يـــدُهُ

دامـــت بالفـــضل عوايـــدُهُ وبـــوادي الخيـــر وعـــودُهُ

وعلـــى الأعـــداء صـــواعقُه وعلـــى مـــن يتـــشَّمخ أرعُـــدُهُ

قمـــعَ الأشـــرارَ بنقمتـــه وبأهـــل الـــودِّ يـــودِّدُهُ

وزكـــتْ بـــالجود مواهبُـــه والبحـــرُ عليهـــا تحـــسُدُهُ

ومواهلُـــــه ومفاصـــــلُه ومخيمُـــــه ومجـــــسدُهُ

وقبائلُـــــه وقنابلُـــــه وضـــياءُ ســـناهُ ومـــشهدُهُ

وجنايبُـــــــه وكتايبُـــــــه ... وتوغُّلُـــــــه وتجلُّـــــــدُهُ

أفديـــهِ عزيـــزَ الجـــار حمـــتَ ... أغـــوارَ الـــدنيا أنجُـــدُهُ

بـــصدورِ الـــسمرِ غنائمُـــه ... وبهـــا يتغـــنم وحـــدُهُ

قـــد حـــازَ الفـــضلَ مـــصوبُه ... وجميـــلَ الـــصنعِ تـــصعُّدُهُ

حبـــرٌ كـــالبحر ومنطقُـــه ... يـــــتلألأ مفـــــرَدُهُ

ومعـــاني الـــشعر تـــرقُّ لـــه ... وإليـــه دانَـــتْ شُـــرَّدُهُ

وخـــلاصُ المـــدح يُـــزان بـــه ... وعليـــه تُجلـــى جُـــرَّدُهُ

ولـــه بـــالنثرِ بـــديعٌ فـــا ... ق علـــى الإطـــلاق يؤيِّـــدُهُ

مـــا لابـــنِ زهيـــرٍ وابـــنِ زهيـــ ... ـــرٍ مـــا يُنـــشيه ويُنـــشدُهُ

وكـــذا ابـــنُ هـــلال وابـــنُ هـــلا ... ل فـــي التحريـــرِ يقلِّـــدُهُ

وســـمير يراعـــي الخـــطِّ وسُمـــ ... ـــر عـــوالي الخـــط علـــت يـــدُهُ

طَلْـــقُ الكفـــين لـــه كـــرمٌ ... يُقـــصي الإمـــلاقَ ويُبعـــدُهُ

ســـامي العلمـــين محمَّـــدُه ... زيـــدٌ والـــصارمُ أحمَـــدُهُ

نوعـــان مـــن الحـــسن الأعلـــى ... لهمـــا بـــالعز تفـــرُّدُهُ

هـــادٍ للـــدين وناصـــرُه ... وإمـــامُ الحـــقِّ[1] ومعبـــدُهُ

شـــرفٌ تعنـــو الجـــوزاءُ لـــه ... وعليهـــا يـــسمو ســـيدُهُ

لا غَـــرْوَ إذ ســـاد النـــاسَ ... وأحيـــا الأرضَ تفقُّـــدُهُ

ولـــديهم يـــدنو نائلُـــه ... وعلـــيهم يعلـــو محتِـــدُهُ

---

(١) في الأصل: للحق.

فلـــه رأي كالـــشمسِ يُزيـــ ـــل ظـــلامَ الخطـــب مـــسدَّدُهُ
مـــا الـــسيفُ بـــأقطعَ منـــه إذا مـــا غـــاصَ لأمـــرٍ يعمَـــدُهُ
وإذا اســـــودَّتْ نُـــوَبٌ يجليهـــا ذابلُـــه ومهنَّـــدُهُ
مـــولاي ضـــياءُ الـــدين عليـــ ـــكَ صـــلاةُ الله أردِّدُهُ
جَهـــدي وحياتِـــك قَـــصَّر بـــي عـــن شـــأوِكَ فيمـــا أقـــصدُهُ
ومعارضـــتي لجمانِـــك مـــا بلغَـــتْ مـــا أنـــت منـــضِّدُهُ
إلا أَنِّـــي وازنْـــتُ الـــدرْ رَ بمحتلـــــبٍ أتوجَّـــــدُهُ
وبـــسطْتُ العـــذَر لـــديك فـــإنْ تقبلْـــــه فأنـــــتَ معـــوَّدُهُ
لا زلـــتَ لنـــا بمـــذيخرةِ الـــ ــــغَنّا ذخـــرًا لا نفقِـــدُهُ
وســـحابُ نوالـــك منهمـــرٌ وعبـــابُ صـــقالك نـــوردُهُ
مـــا لاح البـــرقُ وســـالَ الـــود قُ وزان الـــشرقَ تـــورُّدُهُ
وبقيَـــت لـــدينِ الله ضِـــيا مـــا عبـــدَ اللهَ موحِّـــدُهُ

وكتب صاحب الترجمة إلى القاضي محمد بن إبراهيم السحولي:

عجبًـــا مـــا للأخِلَّـــهْ أعرضـــوا مـــن غيـــر عِلَّـــهْ
وتجـــافَوْا عـــن كئيـــبٍ هـــائمِ القلـــبِ مُوَلَّـــهْ
مـــــستهامٍ عذَّبتـــــه مـــن غـــزالِ الرمـــلِ مقلَـــهْ
وقـــوامٌ مثـــلُ غـــصنِ الـــ ـــبان قـــد حَـــلَّ زملَّـــهْ
ومحيَّـــا أورثَ الأنـــــ ـــجمَ والأقمـــار خجلَـــهْ
عليلـــةُ الـــساقِ رَداحٌ دونهـــا فـــي الحـــسن عَبْلَـــهْ

غـــــــادةٌ عادتُهــــــــا	للـــــصبِّ أن تكثـــر مَطْلَــــهْ
جعلـــــتْ هجـــرَ المعنّـــى	فـــي الهـــوى دينًـــا ومِلّـــهْ
حرمَـــتْ مـــن وصـــلِه مـــا	خـــالقُ الخلـــقِ أحلَّـــهْ
وأحلَّـــــت قتلـــــــه[1]	واللهُ قـــد حَـــرَّمَ قتلَـــهْ
يـــا تـــرى فـــي أيِّ يـــوم	يـــصلُ المحبـــوبُ حبلَـــهْ
وبـــه فـــي طيـــب عـــيشٍ	يجمـــعُ الـــرحمنُ شـــملَهْ
ويـــرى العـــاذلُ فيـــه	تاركًـــا فـــي الحـــبِّ عذلَـــهْ
ويعـــود الـــصبُّ للمعـــ	ـــهودِ مـــن دون تَعِلَّـــهْ
فهـــمُ قـــوْمٌ ســـراةٌ	أريحيـــونَ أَجِلَّـــــهْ
ولهـــم فـــي القلـــب ودٌّ	لا يـــرومُ الغيـــرُ نقلَـــهْ
غيـــر أن الـــدهرَ أبـــدى	مـــنهم تيهًـــا وغفلَـــهْ
صـــير التـــشهيرُ فـــي وصـــ	ـــلِهِمُ المطلـــوبَ عَقْلَـــهْ
ســـدَّ دون الـــضاحكِ الـــسعـ	ـــد طريقًـــا منـــه ســـهلَهْ
فتناســـوا عهـــدَ صَـــبٍّ	ذاهـــلِ اللـــبِّ مُدَلَّـــهْ
وجَفَـــوْهُ فرســـومُ الـــ	ـــودِّ مـــنهم مُـــضْمَحِلَّهْ
فمتـــى فـــي الـــدهر يلقـــى	شـــيخَه بـــدرَ الأهِلَّـــهْ
علَّـــهُ يـــشكو إليـــه	ســـطوَة الـــدهر وفعلَـــهْ
نجـــلُ إبـــراهيمَ عـــزُّ الـــ	ـــدين محمـــودُ الجبِـــلَّهْ

(١) كذا في الأصل.

أعظـــمُ الأخيـــار قـــيلاً   أكـــرُم الأبـــرار خلَّـــهْ
أحـــسنُ النـــاس خـــصالاً   مـــا أرى الأكيـــاسَ مثلَـــهْ
وهـــو للطالـــبِ علمَّـــا   علمُـــــه زاهٍ وقِبْلَـــــهْ
يـــا جمـــالَ الـــدين مَـــنْ حـــا   زَ خـــصالَ الفـــضلِ جُمْلَـــهْ
هـــاكَ نظمـــاً مـــن محـــبٍّ   لا يـــرى غيـــرَكَ أهلَـــهْ
أوجَـــــدتْها فكـــــرةٌ   قـــد كررتهـــا أي شـــغلَهْ
فـــأتى مـــضطربَ المعـــ   ـــنى وفـــي الألفـــاظ قِلَّـــهْ
يرتجـــي منـــك قبـــولاً   لنظـــامٍ جـــاء قبلَـــهْ
ســـبلاً مـــن دونـــه   ســـترا عـــن الغيـــث وكلَّـــهْ
دمـــتَ فـــي أرغـــدِ عـــيشٍ   راقيَـــا أعلـــى محلَّـــهْ

فأجابه بقوله:

ســـامحوا المملـــوكَ لله   واصـــفحوا عـــن كـــل زَلَّـــهْ
عفـــوُكم عنـــا دواءٌ   نـــافعٌ مـــن كـــل عِلَّـــهْ
والرضـــا مـــنكم زلالٌ   نـــاقع مـــن كـــل غُلَّـــهْ
وولاكـــم لـــي أمـــانٌ   ببـــراهينِ الأدلَّـــهْ
حُـــبُّكم شـــرعي ودينـــي   وهـــو عنـــدي خيـــرُ مِلَّـــهْ
وهـــو لـــي خُلْـــقٌ قـــديمٌ   وطبـــاعٌ وجِبِـــلَّهْ
ولقـــد مـــازَج روحـــي   وســـوادَ القلـــب حَلَّـــهْ
مَلَّنـــي العـــيش إذا القلـــ   ـــبُ تناســـاهُ ومَلَّـــهْ

لـــستُ أنـــساكم علـــى القـــر ... بِ ولا شـــــحطِ المحلَّـــــهْ

مـــا ثنـــائي عـــنكم ثـــا ... نِ وألهـــــاني ووَلَّـــــهْ

لا ولا وَلَّهنـــــي الحبْـــــ ... ـــبُ بمـــن مثلـــيَ وَلَّـــهْ

قمـــرُ الحـــسنِ وللحـــسـ ... ـــنِ بـــدورٌ وأهلَّـــهْ

لـــو رآه البـــدرُ أعـــلا ... ه مقامَـــــا وأَجَلَّـــهْ

لـــو رأتـــه الـــشمسُ قالـــت ... ليـــتَ فـــي أوجـــي محلَّـــهْ

ضـــربَ الحـــسنُ عليـــه ... قبـــةً تزهـــى وكِلَّـــهْ

وكـــساه مـــن دمـــسقٍ ... حاكَـــه أزيـــنَ حُلَّـــهْ

ورآهُ الحـــسنُ قـــد حـــا ... ز بـــديعَ الحـــسن كُلَّـــهْ

فـــوحى فـــي الخـــد حـــوق الـــ ... ـــعين حَـــصَّنتك بـــالله

يـــا لَقـــومي فـــي كثيـــرِ الـــ ... ـحـــسن حظِّـــي مـــا أقلَّـــهْ

يـــا رســـولي قـــل لـــه ... بـــالله إن أحـــسنتَ قُـــلْ لَـــهْ

كـــم يقـــضِّي الـــصبُّ عمـــرًا ... فـــي عـــساهُ ولعلَّـــهْ

إن يكـــنْ لا يرتجـــي الوبـــ ... ـــل مـــن الوصـــلِ فَطلَّـــهْ

وعلـــى الحـــسنِ زكـــاةٌ ... وردت فيهـــا أدِلَّـــهْ

وهـــو مـــسكينٌ فمنـــعُ الـــصْـ ... ـــصَرف فيـــه مـــن أَحَلَّـــهْ

لـــستُ أشـــكو الجـــورَ إلا ... للأجـــلِّ بـــنِ الأجِلَّـــهْ

لـــضياءِ الملـــكِ بـــدرِ الـــ ... ـــملكِ مـــا بـــين الأهِلَّـــهْ

صـــادقِ الميعـــادِ إســـما ... عيـــلَ محمـــودِ الجِبِـــلَّهْ

مـن لــه كثـرةُ أوصـا ... فِ العُـلا مـن غيـر عِلَّـهْ
مـن رقـى فـي المجـدِ والفخـ ... ـرِ إلـى أعلـى مَحَلَّـهْ
ونَـضا مُنْـصُلَ عـزمٍ ... مرهـفِ الحـدِّ وسَـلَّهْ
وسـعى فـي طلـبِ العلـ ... ـياءِ مـن غيـر تَعِلَّـهْ
وسـما فـي يَـذْبُلِ الفضـ ... ـلِ إلـى أرفـعِ قُلَّـهْ
مـا أحـلَّ اللهُ شخـصًا ... فـي العـلا حيـث أحلَّـهْ
يـا سـليلَ العِـزِّ يـا مـن ... ردَّ عاديـةَ المذلَّـهْ
وصـلَ المملـوكَ وصـلٌ ... منكم أعلَـى محلَّـهْ
وكـساهُ بـردَ فخـرٍ ... زانـه بـين الأجلَّـهْ
عقـدُ نظـمٍ خلتُـه ... ورداً كـساه الـصبحُ طَلَّـهْ
أو هـو الـدرُّ تهـادا ... ه الغـواني للأكِلَّـهْ
وتـودُّ الغيـدُ لـو أنْ ... نَ لهـا منـه أشـلَّهْ
بـل هـو الفـضلُ أدامَ اللّـ ... ـلَه للعـالَم ظِلَّـهْ
فيـه إعـزازي لقـدري ... ولنظمـي منـه ذِلَّـهْ
فـاقبلوا منـي جوابًـا ... جـاء فـي ضـعف وقِلَّـهْ
طـال تقـصيرًا ولكـن ... سـامحوا المملـوكَ لِلَّـهْ

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

وشـادنٍ أجـرى دمـوعي دمًـا ... سـفحًا علـى الخـدين لا ترقـا
أخـافَ مـسودَّ عِـذاري بـه ... ببـيضٍ مـن حُلَّتـه الزرقـا

وقوله:

يـا شـادناً قـد فـاق فـي حـسنِه　　وعَـزَّ عـن شـبهٍ وأمثـالِ
لأنـت فـي قلبـي وفـي نـاظري　　ألـذُّ مـن نومـةِ شـوالِ

وقوله مادحاً لوالده السيد محمد بن الحسن ـ رحمهم الله ـ:

أتـرى السـلبَ للقلـوب الـشجيَّهْ　　لـسواحي ألفاظِهـا كالـسجيَّهْ
أم رمـى غيـرَ عامـدٍ أسـهُمَ الهـد　　بِ ولـم يـدرِ أن قلبـي الرميَّـهْ
فعلت بـيَ الألحـاظُ شـرفها اللّـ　　ـه تعـالى مـا تفعـلُ المـشرفيَّهْ
عرفتنـي أسـحارَ بابـل هـارو　　تَ فكانـت عنـدي هـي البابليَّـهْ
نـصبتْ لـي أشـراكَ هـدبٍ فهـلاَّ　　شـافعي واحـدٌ مـن الزيديَّـهْ
أنـا شِـيعيُّها وبالنـصبِ جرتـ　　ـني إلى أن وقعـتُ فـي المالكيَّةْ
لكننـي عينًـا وقلبًـا وحتـى　　ملكتنـي قـولاً وفعـلاً ونيَّـهْ
ومـا نويـتُ الطمـوحَ للغيـر إلا　　حجبتنـي الحواجـبُ النونيَّـهْ
وبنـارِ الأخـدود ذابَ فـؤادي　　مـن خـدودٍ نديـةٍ عَنْدَميَّـهْ
أيُّ نـارٍ لهـا اتقـادُ المـاء　　غيـرُ نـارٍ علـى الخـدود النديَّـهْ
يـا لهـا فتنـةً لهـا قَـدَّرَ اللّـ　　ـهُ فعـادت عـشاقُها قدريَّـهْ
لا يـرون الـسلوانَ ممـا يطيقـو　　ن ولا يـدفعونَ هـذي البليَّـهْ
حَقَّقُـوا الجبَـر بـاعتزالهم اللـوْ　　مَ فراحـوا لغفلِهـم رافـضيَّهْ
فهـمُ يَفْرقـون مـن كـلِّ شـيء　　أبـداً فـي صـباحِهم والعـشيَّهْ
مثـلَ مـا يفـرقُ الـشجاُع إذا لا　　قـى إمـامَ العـصابةِ الحـسنيَّهْ

الإمـــامُ القـــوامُ لله بالحقْـــــ ـــــقِ بإجمـــاع العتـــرة النبويَّـــهْ
الأغـرُّ الأبـرُّ عـزُّ الهـدى الهـا دي البرايـا إلـى الطريـق الـسويَّهْ
المفيـدُ المبيـدُ شـملَ الأعـادي بالمواضـي وبالقَنـا الـسَّمهريَّهْ
خيـرُ مـن هَـزَّ صـارمًا يـومَ روعٍ وعــلا صــهوَة الجيــادِ العليَّــهْ
والـــذي قـــادَ رداء المعـــالي بـــالعوالي والهمَّـــة العلويَّـــهْ
والزكـيُّ الـذي يحـلُّ مـن الإشــ ـــكال مـا يُفحـم الفحـولَ الزكيَّهْ
والجـوادُ الـذي يـسوقُ إلـى العـا فـينَ سُـحْبًا مـن اللُّهـى عـسجديَّهْ
والمليـكُ الـــذي يـــدبر أعمـــا لَ نظـــامِ الـــشريعة الأحمديَّـــهْ
لم يزل في الأمـورِ يمَـضي بـرأي هو أضوى من الشموسِ المُـضيَّهْ
أحلـمُ النـاسِ أعلـمُ النـاسِ أزكـا هـــم مقامًـــا ومَحْتِـــدًا وطَوِيَّـــهْ
أيُّهـا الأوحـدُ الـذي مـا رأينـا لعُـــلاُه ممـــاثلاً فـــي البرَّيـــهْ
والذي مذْ أطاعَ ربَّ العـرشِ جـا زاه فـدانتْ لـه الرقـابُ العـصيَّهْ
والـذي طـابَ نـشرُ ذكـراه حتـى طابَ منه أقصى الجهـاتِ القـصيَّهْ
هاكَهـــا بنـــتَ ليلـــةٍ حبرتهـــا مـــع شـــغل ســـليقةٌ هاشـــميَّهْ
دُرُّهـــا تَخجـــل اليواقيـــتُ منـــه ودراري الكواكـــبِ العلويَّـــهْ
فاقبـلِ النَّـزْرَ مـن خطـابي واعـذْر مــن خطــابِ حليــه[1] وخفيَّــهْ
إنمـا يحـسُنُ الخطـابُ ويـذكو حــين تزكــو العــوارضُ النفــسيَّهْ
غيرُ خاف على أبي الفضل أن الـــ ـــضيمَ تـأبى منـه النفـوسُ الأبيَّـهْ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: جَلِيَّهْ.

وابقَ ما مالتِ الغصون على الـرو ... ض وغنَّـــت بأيكهـــا القُمريَّـــهْ

وعلـــى خـــاتم النبيـــينَ والآ ... لِ صـــلاةٌ مـــن الإلـــه ســـنيَّهْ

وسـلام عليـك تتـرى مـن اللَّـ ... ـه تعـالى فـي بُكـرةٍ وعـشيَّهْ

[٧٢٣] السيـد أسعـد بن عبـد الـرحمن البتـروني الحلبـي القـاضي الحنفي[1].

من أجل الأكابر قدراً، وممن حازت بـه الشهباءُ على غيرها من البلاد فخراً، كريمُ السجايا فلا البحر يحاكيه، وفريد في المزايا لم تنظر عين الدهر لمساويه، جمـع بين فصاحـة العرب وجرأة الفرسان، وقوة القلب وطلاقـة اللسان، وله في الأدب باع طويل، وفضل وافر جزيل.

ومن شعره قوله في الشيب:

أبعـدَ الأربعـينَ خِـضابُ شيبٍ ... أرومُ بـــه مواصـــلةَ الغـــواني

وأرجـــو أن أكـــون بـــه فتيًّـــا ... فهـــذا مـــن أكاذيـــب الأمـــاني

فـوا أسـفي علـى زمـنٍ تقـضَّى ... ســـماعي فيـــه قهقهـــة القنـــاني

وكتب إلى علامة حلب السيد موسى الرام حمداني قوله:

قـــد حَـــلَّ أمـــرٌ عجـــبُ ... شـــيبٌ بفـــؤادي يلعـــبُ

نجومُـــــــه لا تغـــــــرُب ... فـــأينَ أيـــنَ المهـــربُ

أرجـــو بقـــاءً معـــه ... مـــا أنـــا إلا أشـــعبُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٠٢) (١٢٣)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٥٠) (١٠٠١).

إن الأمــــــاني بعــــــدَه ويـــــلاه بـــــرقٌ خُلَّـــــبُ
هـــذا الـــشبابُ قـــد مـــضى وبـــانَ منـــي الأطيـــبُ
هـــل عيـــشةٌ تـــصفو لمـــن قـــد غـــاب عنـــه المطـــرِبُ
دهـــــر أرانـــــا عجبـــــاً وكـــــل يـــــومٍ رجـــــبُ
أنـــدُبُ أيامَـــا مـــضت فيهـــا صـــفا لـــي المـــشرَبُ
فـــي حلـــبٍ بـــسادةٍ قـــد خـــدمَتْهم رُتَـــبُ
مـــن كـــلِّ ســـمحٍ ماجـــدٍ تخجـــلُ منـــه الـــسحبُ
أفنـــاهُم المـــوتُ الـــذي لكـــل بِكْـــرٍ يخطُـــبُ
ومـــا بهـــا بعـــدَهُمُ مَـــن للمعـــالي ينـــسَبُ
ســـوى جهـــولٍ ســـفلةٍ عـــن كـــل فـــضلٍ يحجـــبُ
وهـــــو إذا أمَّلْتَـــــهُ كلـــبٌ عقـــورَ كَلِـــبُ
أســـتغفرُ الله بهـــا أســـتاذنا المهـــذَّبُ
موســـى الـــذي لفـــضلِه مُـــدَّ رواقٌ مـــذهَبُ
حَـــلاَّلُ كـــلِّ مـــشكلٍ وحـــاتمٌ إذا يَهَـــبُ
وإن جـــرى فـــي حكـــمٍ تخـــال قُـــسًّا يخطُـــبُ
قـــد حـــوى معاليَـــا تـــنحطُّ عنهـــا الـــشهُبُ
مـــن ســـادةٍ أحـــسابُهم تنطـــق عنهـــا الكتـــبُ
مـــولاي أشـــكو غربـــةً طالـــت وعَـــزَّ الطلـــبُ
وتحـــتَ أذيـــالِ الرجـــا حاملـــةٌ لا تنجِـــبُ

إلا بـــــأولادِ الزنـــــا هـــذا لعمـــري العَجَـــبُ

إليكَهـــــا خريـــــدةً منالُهـــــا يستـــــصعَبُ

جـــآذرُ الـــرومِ لهـــا تـــسجدُ أو تنـــسب[1]

واســـلمْ ودمْ فـــي رفعـــةٍ للـــسعد فيهـــا كوكَـــبُ

مـــا حركـــت متيمًـــا ورقـــاءُ حـــين تنـــدُبُ

فأجابه بقوله:

مـــا الكـــونُ إلا عَجَـــبُ فمنـــه لا يُـــستعجَبُ

أعمارُنـــا تُنتهـــب يومًـــا فيومًـــا تـــذهَبُ

ونحـــن نلهـــو أبـــدًا فـــي غفلـــةٍ ونلعـــبُ

أوّاهُ مـــن يـــوم يجـــي شمـــسُه لا تغـــربُ

صـــايلة فيهـــا المنـــا يـــا صـــولةً لا تُغلَـــبُ

تخطـــو علـــى أرواحِنـــا فـــأينَ أيـــنَ المهـــربُ

تبًّـــا لـــدنيانا التـــي لـــم يـــصفُ فيهـــا المـــشربُ

كـــم ســـيدٍ غـــرَّتْ بـــه وَاراه لحـــدٌ أحـــدَبُ

للـــدودِ فيـــه مرتـــعٌ وللهـــوامِ ملعـــبُ

والويـــلُ يـــومَ العـــرضِ إنْ لـــم يـــنجُ منـــه المـــذنب

ومـــن لظـــى نـــارٍ بهـــا أجـــسادُنا تلتهـــبُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تَنْتَسِبُ.

لا عمــــلٌ يرُجـــــى ولا غـــوثٌ إليـــه نُنــــسب

إلا الكــــريمُ ربُّنـــــا ومـــن بـــه نَحتـــسب

ثـــم الـــشفيعُ مـــن إلـــى جنابـــــه ينتـــــسب

محمـــــدٌ خيـــرُ الـــورى مقــــصدُنا والمطلــــبُ

الحكـــــمُ لله فـــــلا يكـــونُ مـــا لا يُكتـــبُ

والخيـــرُ فيمـــا اختـــاره حتمًـــا علينـــا يجـــبُ

نـــسأله يبقـــى لنـــا ســـيدُنا المهـــذَّبُ

أســعدُ مــن ســادَ الــورى بـــه وســـادَ العـــربُ

جـــوهرةُ العقـــدِ الـــذي جـــوهرُه المنتخَـــبُ

نجـــلُ الأُلـــى تجمَّلـــت بهـــم قـــديمًا حلـــبُ

حلمًـــا وعلمًـــا وتقـــىً وحــــسبٌ ونَــــسَبُ

يخجـــل مـــن أخلاقـــه زهـــرٌ ســـقته الـــسحبُ

ومـــن جميـــل صـــنعِه لـــه المعـــالي تخطـــبُ

طَلْـــقُ المحيـــا فَكِـــهٌ مبجَّـــل محجَّـــبُ

ولطـــفُ أنفـــاس الـــصَّبا إلـــى عـــلاهُ يُنـــسب

ومـــن إلـــى المجـــد يجـــا ريـــه فـــلا يُـــصَوَّبُ

زِيـــدَ بنانـــا كفُّـــه إذا ضـــاقَ عمـــا يهـــبُ

فـــسيبُ صـــوبِ جـــودِه يخجـــلُ منـــه الـــصَّيِّبُ

لـــم يحـــلُ خِـــلٌّ غيـــرُه مـــودَّدٌ محبَّـــبُ

[٧٢٤] **الأمين بن الصديق بن عثمان، أخي الشيخ العارف بالله، الولي ابن صاحب المرواح، الصديق بن إبراهيم بن أحمد الشهيد بن زيد بن علي ابن حسن بن عطية، السَّغْدَرِي بلداً، وهي بطن من همدان، بمغارب صنعاء، ابن علي بن عطية بن علي بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عاصم بن إبراهيم بن إسحاق الخولاني، ابن موسى بن محمد بن موسى بن مقبول بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أحمد بن قَعْر بن شاور بن قُدَم بن قادم بن زيد ابن غريب بن جشم بن حاشد بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة ابن خيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن مَتُّوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن زيد بن مهابيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأمه بتول بنت زيد ابن الولي بن الصديق.**

كان من أكابر مشايخ الصوفية، ومن سالكي الطريقة المرضية، ومن أجل فقهاء المِرْواح، وهي قريةٌ بأعلى الصلبة، من اليمن الميمون.

ولد بالمِرْواح عام خمسة وستين وتسع مئة، وقرأ بها القرآن العظيم، وعمره نحو عشر سنين.

وكان نائماً ذات ليلةٍ، فسمع صياحاً، فانتبه من نومه، فسأل أخويه عبد الرحمن وأحمد عن الصياح، فقالا له: مات الولي بن صلاح، وكان من ذرية الولي بن الصديق، فصاح: الله، الله، وحصل له جذبٌ من ساعته، ولم يتمالك نفسه، فرمى نفسه من أعلى السطح، وخرج هائماً على وجهه حتى وصل إلى «اللحية» في أسرع مدة، فتبعه أخواه ليردَّاه إلى أهله، فامتنع، فلما لم يجدا بداً من ذلك، ذهب معه أخوه عبد الرحمن، ورجع أحمد إلى بلده.

فذهبا إلى مكة، فلما وصلا إليها، قال لأخيه: ارجع لأهلك؛ فإني الآن صحوت مما حصل لي من الجذب، ولا أرجع حتى يأذن الله لي، فأقام بمكة والمدينة خمساً وعشرين سنةً، وهو منهمكٌ على خدمة العلم وأهله، والجِدِّ والتعب في تحصيله، إلى أن رأى بعضُ شيوخه النبيَّ ﷺ في المنام، وهو يسقي اثنين من تلامذته، وكأن الأمين واقفاً، فناداه ﷺ، وقال له: اشرب بنفسك، فأصبح الشيخ، وأخبره بما رأى في منامه، وقال له: ارجع إلى بلدك؛ فقد حصلت لك العناية النبوية، فامتثلَ أمر شيخه، ورجع على اليمن وهو ممتلئ علماً وحكمةً.

ومرّ في طريقه على الشيخ العارف بالله عمر بن جبريل، بمدينة اللُّحْب، فأقام عنده، وطلب الأخذ عنه، فقال: بشرط أن تسأل على كل بابٍ من بيوت المِرْواح وتذكر، فقال له: يا سيدي! سَلني غير هذا، قال: لا، ففعل ما أمره به، وكان يُغْشى عليه عند كل باب، ثم بلغ مبلغاً عظيماً.

ولما فارقه، أمره أن يجعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وهي قريةٌ تحت المِرْواح بأعلى الصلبة، فوصل إلى المِرْواح، وأقام به، وفعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وكان ينزل إليه كلَّ يوم جمعةٍ، فيزوره فيه أهلُ الصلبة ومن والاها من القرى، ثم يعود إلى المِرْواح، ولما قرب موته، أوصى أن يدفن بمقامه الذي بناه بالشَّبَجَنَة.

فلما مات، امتنع إخوته وأهلُ المِرْواح من دفنه إلا عند جده الولي بن الصديق بالمِرْواح، بمسجده المعروف به، وحصل بينهم وبين بني قُطَيل ـ مصغراً ـ أهلِ الشَّبَجَنَة منازعةٌ في ذلك، أدت إلى أن رفعوا الحال إلى الأمير عبد الرحيم بن مطهر ابن الإمام شرف الدين، صاحب «المَبْيَن» بوزن أحمد،

وكان يحب المترجمَ، ويعظمه كثيراً، فقال: لا تقبر العادية إلا بين أهلها، وأمرهم بدفنه بتربة جده.

فلما أرادوا رفعه من التابوت إلى القبر الذي أعدوه له ثَمَّةَ، لم يقدروا على رفعه عن الأرض، وعالجوا أشدَّ العلاج، فلم يفدهم ذلك شيئاً، فعلموا حينئذٍ أنها كرامة، ودخل خالُه عبد الوهاب بن زيد، وأمَرَ بني قُطَيل بحمله؛ ليدفنوه بمقامه الذي أوصى بدفنه فيه، فبمجرد أن أمسكوا التابوت، أطاعهم، وحملوه بأيسرِ ما يكون، ودفنوه فيه.

وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأول سنة عشر بعد الألف، وقد زرته ـ بحمد الله ـ مرات، لما كنت بالصلبة، سنة ثمان بعد المئة والألف.

ومن مؤلفاته: «الكشف والعيان في معرفة حقيقة الإيمان ومقام الإحسان»، وهو كتابٌ لطيفٌ، ذكر فيه شيوخه وأسانيده في الخرقة، وقد طالعتُه عدة مراتٍ، وله رسالةُ جواب سؤال ألغازٍ من بعض الفضلاء، في مضاعفة الصلاة بمكة، غريبة الوضع، كتبت منها نسخةً بخطي؛ لحسنها وكثرة فوائدها.

قلت: ونظيرُ ما وقع لصاحب الترجمة من الكرامة: ما حكاه الشيخ العلامة العارف بالله تعالى، عبدُ القادر بن أحمد بن عبد المجيد بن محمد الأنصاري الشافعي، في كتابه «الوحيد في سلوك أهل التوحيد»، عن ابن أخت الشيخ حسين النجار السعرتي، قال: سألته بجامع مصر عن الشيخ حسين: هل أخرجَ يدَه من الكفن بعد موته وصفق؟ فإنه كان يُشهر عنه ذلك، لأنه كان في طول ليله ونهاره مشغولاً بآلات من الدفوف والشبابات وغيرهما، إلى حين أوقات الصلاة، فيصلي ويعود إلى حاله. قال: هو خالي وشيخي، أما إخراج يده، فلم يقع، لكني أذكر لك الذي وقع، وما كان عليه.

كان الشيخ حسين ـ رحمه الله تعالى ـ يقول لأصحابه الفقراء: يا فقراء! أنتم مريدو حسين، أو مريدو أنفسكم؟ فيقولون: يا سيدي! مريدو حسين، فيقول: من صلى منكم غير الفرض، فأنا بريء منه في الدنيا والآخرة، ومن صام منكم غير رمضان، فأنا بريء منه في الدنيا والآخرة، والعَبوا، وكان مستغرقاً في حاله، إلا أوقات الصلوات، فإنه كان يحضر فيها، وكان لا يفارقه الشبابة والدفوف من بعدِ ما يصلي إلى وقت الصلاة الأخرى، لا ليلاً، ولا نهاراً.

وكان أكابر البلاد يجدون عليه غالباً من ذلك، وكانت قوة حاله تمنعهم من الأذى له، وكانوا لو أعْطَوا الصدقات والفتوحات للنصارى ما أعطوه؛ لأنهم رأوَا منه شيئاً لم يكن عليه الفقراء، ولا عرفوه، فكان الناس يشتغلون في شهر رمضان بقراءة القرآن، وصلاة التروايح، وهو على تلك الحال.

قال: فلما كان يومٌ من الأيام، قال الشيخ: اطلبوا النقيب، فحضر، فقال: أحْضِرِ الفقراء، فحضروا، فقال لهم: أنتم مريدو حسين، أو مريدوا أنفسكم؟ فقلنا: مريدو حسين، فقال: أنا في اليوم الفلاني أموت، فكل من قال خلف نعشي: لا إله إلا الله، أو قال شيئاً من الأذكار، فأنا بريء منه، ألا كمَا كُنا في الدنيا نكون في الآخرة.

قال: فلما كان اليوم الذي ذكر أنه يموت فيه، أصبح موجهاً إلى القبلة، ثم مات، فبقينا متحيرين متفكرين، كيف نعمل فيما قاله لنا، فجهزناه وكفناه، ووضعناه في النعش، فوقع الخلاف بين الفقراء، فمنهم من يقول: نخرجه على عادة الناس؛ لأنا إن أخرجناه كما قال، خشينا على أنفسنا من الناس؛ لأنه كان له حالٌ يمنعه منهم، ونحن نخشى منهم، وقال آخرون: هذا شيخنا، وما خالفناه قط، فنخالفه ساعة وفاته، هذا لا نفعله، واتفق الحال على أنهم

لا يفعلون ما قاله، ولا يفعلون عادة الناس، ويحملونه وهم سكوت.

قال: فلما اتفقنا، وقصدنا حمله، لم نقدر على حمله، فوضعنا أيدينا في النعش، فلم يرتفع، فجمعنا الفقراء على حمل النعش، فلم يستطيعوا حمله، وشاع ذلك في المدينة، فكل من كان يسيء الظن به قال: ما قبله الله تعالى، ولما ظهرت هذه الآية العظيمة، خرج السلطان وقاضي القضاة، وجمع السلطان الناس، وجعلوا المياجم[1] في سواعد النعش، على أن يحملوه، فلم يستطيعوا حمله، ولم يتحرك من الأرض.

قال: فبقينا يعيب بعضنا بعضاً، وقلنا: لو فعلتم الذي قال لنا الشيخ ووصاكم به، لم يقع هذا الذي وقع، وكنا قد استرحنا من هذا، فسمعَنا الحاكم، فقال: يا فقراء! هذه الطائفة لها أسرار مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فأشتهي أن تخبروني ما هذه القضية؟ فقلنا له: القضية كيت وكيت، وقصينا عليه القصة، وما وصّى به الشيخ، فعرف القاضي السلطان، وأحضر الملاهي، فعندما غَنَّوا، وضع أربعة أيديهم في النعش، فحملوه، فحلف السلطان أنه لا يركب، ويمشي حافياً.

قال: وحملناه، فلم يكد أحدٌ يصل إليه من كثرة الناس والنساء والبنات، وصُلي عليه، وامتلأت تلك الساحات من الجبال والتلال وغيرها، أو كلاماً هذا معناه، فلما صلينا عليه، أردنا حمله، فلم نقدر نحمله، فقال السلطان: يا فقراء! أبَقي معكم وصيةٌ أخرى؟ قلنا: لا.

فبينما نحن كذلك، وإذا بفقيرٍ أقبل من البرية، فتقدم وصلّى على الشيخ،

---

(١) في الأصل: المياجم.

فسألوه عن الشيخ: هل عنده علمٌ به؟ فقال: نعم هو شيخي، وقال لي: إنه يموت في هذا اليوم، وإنه ينتظرني حتى أحضر وأصلي عليه، وأنا جئت من اليمن، وقال: إن نعشه لا يُحمل حتى تقرأ عليه هذه الأبيات، وأخرج رقعةً من مرقعته مكتوبٌ فيها:

يا ويلتا من قلبيَ القاسي ... وما جرى منه على راسي

الفقرُ موجود لمن يشتري ... وإنما الآفةُ إفلاسي

إن ينكروا دُفِّي وشَبَّابتي ... وهزّ أعطافي بين جُلاسي

لا غَرْوَ إن أفتوا على علمِهم ... لأنهم ما شربوا كاسي

قال: فلما غنى المغني بهذه الأبيات، وضع أربعةٌ أيديهم في النعش، فحملوه، ودُفن ظاهر سعرت ـ قدس الله تعالى روحه، ونوّر ضريحه ـ. انتهى ما نقلناه[1].

[٧٢٥] أيوب بن أحمد الخلوتي الحنفي الدمشقي[2].

بحر الدقائق، وحبر الحقائق، الشيخ الجليل، العارف بالله سبحانه، كان أغلوطة الزمان، ويتيمة الأوان، متضلعاً من أنواع العلوم، ومرشداً إلى الحي القيوم، إماماً في المعارف والعلوم الإلهية، ولما بلغ من العلوم المنتهى،

---

(١) غفر الله للمصنف ورحمه في نقل هذه الحكايات التي تدل على تلاعب الشياطين بهؤلاء المساكين، مع ادعاء الولاية والكرامات، نسأل الله العفو والمعافاة في العقل والدين.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٤٧) (٥٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٧).

وفاز فيها بالقدح المعلى، جاءه مخاطب التوفيق، والارتقاء إلى سنام التحقيق، للعلم يهتف بالعمل، إن أجابه وإلا ارتحل، عكف على كتب التقوى واليقين، وواظب عليها مدةً من السنين، وراض نفسه رياضـةً يعجز عنها من عرفها، ودقـق فيها وحقق فيها ما راق وأشرق، وله الكرامات المشهورة، والمناقب الظاهرة المأثورة.

ولد بدمشق، وبها نشأ، واشتغل بالعلوم، وأتقن المنطوق منها والمفهوم، ولازم الشيوخ العارفين بالله؛ كالشيخ أحمد العُسالي، وهو أعظم من أخذ عنه الطريق، وبه تخرج، وصار خليفته من بعده، ثم تصدر للعلم وتربية المريدين في دمشق ونواحيها، بعد شيخه المذكور، وأتاه الناس للسلوك على يديه من أقطار الأرض، وأخذ أيضاً من غيره، ولبس منهم الخرقة، وتلقن الذكر.

ومن شيوخه في الفقه والحديث: الشيخ العلامة إبراهيم بن الأحدب، تلميذ ابن حجر المكي، والشيخ محمد العلمي المقدسي، والعلامة أبو بكر السندي، حتى انتهت إليه في عصره معرفة كلام القوم، حتى إن بعضهم كان يقول: ما ألّف الشيخ الأكبر محيي الدين الفتوحات المكية إلا لمثله.

وعنه أخذ خلقٌ من أكابر العلمـاء، منهم: الشيخ يوسف بن أبي الفتح السقيفي إمام السلطان، والشيخ إبراهيم الفتال، ومحمد النخعي الحلبي، وقدم مكة سنةً، وأخذ عنه بها السيد أبو بكر شيخان، والشيخ أسعد، والشيخ أحمد ابن القطبي عبد الرؤوف المكيين[1]، وصحب سيدنا عبد الرحمن الإدريسي بها، وأخذ كل منهما عن صاحبه ـ نفع الله بهما ـ، وكان السيد عبد الرحمن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المكيُّون.

يعظمـه كثيراً، وكذلك الشيخ أحمـد القشاشي، كان بينـه وبينـه مودةٌ أكيدةٌ ومكاتبات.

وله التآليف الجامعة لكل فائدةٍ فريدة، خصوصاً في علم القوم؛ فإنها كثيرة النفع، غزيرة العلم، أخبرني بعض أصحابنا: أنه ألف كتاباً عظيماً، على نمط الفتوحات المكية، فرأى الشيخ محيي الدين بن عربي في النوم، وكان قد غار منه، فقال له: يا أيوب! أتريد أن تُخمل ذكر كتابي بظهور كتابك؟ فلما أصبح، غسله بالماء كله؛ تأدباً مع الشيخ محيي الدين.

وهـذا ـ لعمري ـ غايـة الأدب مـع العارفين، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، فشهادة مثل هذا الشيخ ـ على جلالة قدره، وتمكنه في العلوم والمعارف ـ مقبولةٌ، لا يقدح فيها إلا أعمى البصيرة، وكم من عارفٍ وسالكٍ شهد بما شهد به هذا الشيخ!.

وشهرة الكون بأسره أقوى شهادةً؛ إذ ألقت إليه كبراءُ العارفين أزمتهم في زمانه، ووردت عليه الأسئلة من جميع أقطار الأرض بالاستفتاء، في العلوم الظاهرة والباطنة، فيجيب الكلَّ بما لا ينازعه فيه إلا مكابر.

وله ديوان شعرٍ سافرِ المحيا، لمن طاف وحيًّا، وهمزيةٌ عجيبةٌ مكسورة القافية مطلعُها:

يـا عُريبًـا حَمَـوْا حِمـى الجَرعـاءِ   حُـبُّكم قـد غـدا دواءً لـدائي

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق، غرة صفر، سنة إحدى وسبعين بعد الألف، ودفن بتربة الشهداء، بقرب مرج[1] الدحداح، وكان له مشهدٌ عظيمٌ

---

(١) في الأصل: برج، والصواب ما أثبت.

لم يعهَد مثلُه بدمشق في هذا العصر، وقد رأيته، وقبلت يده، وحصلت لي بركة دعائه، نفع الله به.

ومن شعره قوله مخمساً قول بعضهم:

أفـوه إذا يـشكو الأنـامُ بـشكركُم | وأكـتُم أمـري لا أبـوح بـسرِّكم
أحبتَنـا مـن طيـب نـشأةِ خمـرِكم | إذا جَنَّ ليلـي هـام قلبـي بـذكركم

أنـوح كمـا نـاح الحمـام المطـوق

عسى ولعلَّ الدهر يأتي بهم عسى | فأشهدهم عند الصباح وفي المسا
فقلبي مـن فقـد الأحبـة قـد قـسا | وفوقي سحابٌ يمطر الهم والأسى

وتحتـي بحـار فـي الهـوى تتـدفق

إذا فـاح مـن نجـد لقلبـي عبيرُهـا | فـلا عجـبٌ إن إنـي سـميرها
وإن خمدت ناري فوجدي يُثيرهـا | سلوا أمَّ عمرو كيف بـات أسـيرها

تفـكُّ الأسـارى دونـه وهـو موثَـقُ

ففي تلف الأرواح كـم لـي إباحـةٌ | وفي منزل العشاق كم لي سياحةٌ
فيـا ويَـح صـبٍّ أثخنتـه جراحـةٌ | فلا هو مقتـولٌ ففـي القتـل راحـةٌ

ولا هـو مأسـور يُفَـكُّ فيطلَـقُ

وقوله:

إذا المـرء ربّـى نفـسَه بمـراده | فقـد شـاد بيتّـا علـى غيـر أُسِّـهِ
ومـن لـم تربيـه الرجـالُ وتـسقِه | كؤوسًا لهم قد درَّ من ثديِ قدسِهِ
فـذاك لقـيط قـطُّ مـا لـه نـسبةٌ | ولـن يتعـدى طـورَ أبنـاءِ جنـسِهِ

وقوله:

الأمـر لله فاسـلكْ مـسالكَ الأُدبَـا | من الرضا بالقَضا تقضي به الأَرَبـا
فمن أقـامَ علـى هـذا يكـن ملكًـا | لا يقتنــي فــضةً كـلاً ولا ذهبــا

[٧٢٦] بدر الدين بن محمد الهندي النقشبندي[١].

نزيل المدينة الشريفة، ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: شيخنا قدوة الأكابر الأعلام، وشيخ مشايخ الإسلام، الباذل عمره في خدمة العلم، المتحلي بحلية الوقار والحلم، الناهل من أحلى مناهل أهل الصفا، المتمم نسكه بمجاورة المصطفى.

كان آيـةً في الذكاء والفهم، ووعاءً من أوعية العلم، له في كل الفنون تحقيق، وفي فهم المشكلات تمكينٌ وتدقيق، إماماً في الأصولين، بارعاً في اللسانين، ماهراً في المعقولات، باهراً في المنقـولات، سلك طريق السادة النقشبندية، سلوكَ خِرِّيت هاد، وخبر عنه الشعابَ والوهاد.

قدم المدينة سنة ثمان وستين وألف، مع أبناء الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، معدوداً من عليـة أتباعهم، جاداً في سلوك طريقتهم واتباعهم، ولم يزل بالمدينة من لدن قدومهم، قاصداً جوار المصطفى، واغتناماً للحج فيما بعد ذلك من السنين، ولتكثير القربات، في محل مضاعفـة الحسنات، وأقبل في المدينة على نشر العلم وبثـه، وبعثِ رائد التعليم لما يعلم وحَثِّه، مع شدة إقباله على أنواع العبـادة، ولم يمنعـه ذلك من الإفادة والاستفادة،

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٣١).

ما رأيت أمضى منه عزماً، ولا أكثر منه تأدباً، في تردداه بالحرم الشريف، وعند الزيارة يكنس مع الخدام في غالب الأيام بيده المسجد النبوي.

قرأ على الملا عبد الحكيم السالكوتي، وهو أكبر تلامذته، وكان يبالغ في الثناء عليه، ويذكر عنه في جودة الفهم، وغزارة العلم، ونفوذ تصرفه في سائر العلوم، ما لا مزيد عليه، وكان له اعتناءٌ بالدراية، أكثر من الرواية، ويرى الاشتغال بها قصوراً، كما هو شأن علماء العجم، وله عارضةٌ في علوم المناظرة.

قال: ولم أر أمراً أغمصه عليه، سوى ضعف علم العربية فيه، لأجل ذلك ربما يقع منه في البحث قصورٌ من جهة علم العربية، وله اقتصارٌ على القواعد المتداولة منه، وكان يجري على لسانه كثيراً فتحُ همزة «إن» بعد «حيث»، قال: وكنت أستحي أن أذكر له ذلك، حتى جرى ذكره يوماً، فقلت له: رجَّح أكثر النحاة فيها الكسر، وعدوها من المواضع التي تكسر فيها «إن»، فأنكر ذلك، وأعانه الحاضرون؛ لقصورهم، وقالوا: إن ابن مالك لم يعدها في المواضع التي تكسر فيها إن، وذلك دالٌّ على أنها مفتوحة، فقلت لهم: ليس في كلامه ما يدل على حصره مواضع الكسر، ومع ذلك، فلم يتناولها ضابط الفتح أن[1]؛ حيث لازمت الإضافة إلى الجمل، فإذا كانت في أول جملة، لزم كسرها، إلى غير ذلك من الحجج، فلم يلتفتوا لقولي، ولم يكن بيدي ـ إذ ذاك ـ من كتب الفن ما أستظهر به عليهم، فأعرضت عنهم.

قال: وعلى كل حال، فلم ألق بالبلاد المشرقية كلها أقوى منه عارضةً

---

(١) كذا في الأصل، والصواب حذف «أن».

في علوم المناظرة وتقريرها، وكان لا يستحسن قراءة الحديث روايةً، ويقول: أي فائدةٍ في سماع الحديث من غير بحث عن معناه، منطوقاً ومفهوماً، وما فيه من عموم وخصوص، والنظر بينه وبين معارضه، وما يؤخذ منه من الأحكام، إلى غير ذلك من فوائد قراءة الحديث.

ولا شك أن ما ذكره هو دراية الحديث وفائدته الغائية، ومع ذلك، فلا ينكر فضل رواية الحديث، وفائدته وثمرته؛ فإنه علمٌ شريفٌ قد اعتنى به قدماء الأئمة، وتفننوا فيه، وأكثروا فيه التأليف، ونظموا ونثروا، وشرحوا وحَشَّوا، وقد قلَّ اعتناء أهل العصر به، كما هو شأن علماء العجم، فليس لهم به إلمام، ولا لهم عليه تعويل، متقدمهم ومتأخرهم إلا القليل، ولذلك يقع للمفسرين منهم والفقهاء أوهامٌ كثيرةٌ، واستدلالٌ بأحاديث ضعيفة، بل وموضوعة، إلى غير ذلك مما لا يخفى على متأملِ كلامهم.

وألف «شرحاً» بالمدينة على شفا القاضي عياض، وأخبرني بعض أصحابنا: أن بيته الذي كان يسكن فيه، في الرباط المقابل للحجرة الشريفة، فيه كوةٌ تقابل الحجرة، وكان يجلس وقت التصنيف بإزائها، مكشوفَ الرأس، مستقبلَ الحجرة، بأدبٍ وتواضعٍ، فكأنه يستمد من الحضرة النبوية، وما أجدرَ بحصول المدد، مَنْ طالب نفسه بالقيام بأدب الحضرة النبوية، وأشعرَ نفسَه بعضَ ما لها من التعظيم والإجلال! وكان المترجم ممن رزق السعادة في ذلك.

قال الشيخ عبدالله العياشي: ما رأيت في المجاورين وسكان البلد، من يدانيه في ذلك، فضلاً عمن يساويه، ولقد كان ﷺ محل تدريسه بالحرم الشريف، لا يجلس إلا مستقبل الحجرة بوجهه، وإن جلس أحدٌ بينه وبينها بحيث يحول بينه وبين رؤيتها، أقامه، وحَوَّله عن يمينه أو يساره، فتكون حلقة

تدريسه منفرجةً من ناحية الحجرة، وفي ذلك أدبٌ منه ومن المجالس؛ لأنه يستدبر بذلك الحجرة الشريفة المطهرة.

قال: وما أحسنَه أن يلقَّب بين المتأخرين بإمام الحرمين؛ كأبي المعالي في الأقدمين؛ لأنه مكث فيهما زيادةً على المدة التي مكثها أبو المعالي، وهو يعلِّم ويدرِّس، ويجيب السائلين، وكان له في بلاد الهند رياسةٌ عظيمةٌ، ونيافة قدر بين علمائها ورؤسائها، وله هنالك أولاد وديار ودنيا عريضة، وترك كل ذلك رغبة في جوار المصطفى ﷺ.

وكتب إليه تلميذه الشيخ عبدالله العياشي أبياتاً، يطلب أن يقرأ عليه شيئاً من كتب المعقول، وأن يلقنه الذكر على طريق النقشبندية، وهي قوله:

أمولايَ بدرَ الدين إني ظمآنُ ... لما أنت فيه من علومكَ ريَّانُ

فإنك بحرٌ بالمعارف موجه ... بحر موجه الدهر عرفانُ

فلا تمنعَنْ ذا غُلَّةٍ من صُبابَةٍ ... وقد جاء يسعى نحوَكم وهو لهفانُ

وحاشا تردُّ الكفَّ صِفرًا ونحوكم ... على طمع مُدَّتْ وعلمُك طريانُ

أَنِلْه بفضل حكمة في هداية ... فليس بما أنعمت عندي كفرانُ

ومُنَّ بإصلاح الجَنان بمنطقٍ ... وإيقاظِ قلب دائمًا هو سكرانُ

وتلقينِ ما لُقنتم من شيوخِكم ... فكان لكم بالله علمٌ وإيقانُ

وإن مرادي في انتسابٍ إليكم ... يُنال به عفوُ الإله وغفرانُ

فإن جدت من قصري بما أنتَ أهلُه ... فذلك فضلٌ من علاكَ وإحسانُ

وإن كان منعي أنني أنا أهلُه ... وفضلُك منه ليس يُمنع إنسانُ

فلا زلتَ تولي الفضلَ من جاء قاصدًا ... وتكسو لباسَ العلم من هو عُريانُ

فأجابه لملتَمَسه، وأقرأه ولقنه، وحصل له منه انتفاعٌ تامٌّ.

ولما قدم المدينة الشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني المغربي، كتب إلى المترجَم سؤالاً منطقياً، وهو شكلٌ من القياس الشرطي، يشتمل الحد الوسط منه على جزء غير تام، ما كيفية رده إلى أحد أشكال الحملي، وتبجح السائل بأنه صعب المرمى، يقرب من المعمَّى، فاستسهل الأمر فيه أولاً قبل تأمله، ثم إنه توقف في الجواب بديهةً، وطلب مراجعة كتب الفن، فشنع عليه بعض الطلبة استمهاله، مع الاحتياج فيه إلى المراجعة والتوقف.

وصادف ذلك مجيء الشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي المغربي من مكة إلى المدينة، وكانت له عارضةٌ قويةٌ في علم المنطق، فطولع بالسؤال، وكان له علم بتلك المسألة، فأجاب فيها أحسن جواب، فآل الأمر إلى أن كتب في المسألة المترجم، وكتب إلى الشيخ عيسى، فأورث ذلك جفوةً بينهما، وزعم أن السائل والمجيب قصدا امتحانه، وقد ألف الشيخ أحمد بن تاج الدين الرئيس المدني رسالةً جمع فيها كلام السائل والمجيبين، ونقل كلام كل واحدٍ، وصوب ما ظهر له تصويبه، وحكم بخطأ غيره.

[٧٢٧] أبو بكر بن أحمد صاحب الحال الزيلعي.

ورُفع نسبُه في ترجمة أخيه.

شيخُنا الجمال محمد، أحد العلماء الأخيار، الذين يؤثرون الخمول على الظهور، والأولياء الأبرار، الذين لا يشغلهم عن الله سبحانه شاغل، ولا يعتريهم من عبادته فتور، ومن المتحلين بالصدق والعفاف، والمتصفين بمحاسن الأوصاف والإنصاف، والملازمين للصلاة مع الجماعة، والقائمين

بحقوق الطاعة حسب الاستطاعة.

وُلد بـ «اللحيَّة» عام سبعة عشر بعد الألف ـ كما أخبرني من لفظه ـ، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوَّده، وأخذ عن أبيـه، ثم لازمه[1] بعده أخاه محمداً ملازمةً كثيرةً.

وعنه أخذ جمـعٌ من علمـاء اليمن، وأجمعوا على مهارتـه في العلوم الشرعية، وقد اجتمعتُ به ببلده، وبيني وبينه محبةٌ أكيدةٌ، ومودةٌ شديدة.

ووقع لي منـه مكاشفاتٌ عديدةٌ، منهـا: أني هممت بأمر غير مرضي شرعاً، وصممت على فعله في باطني، فصادفته بعد ذلك، فبمجرد أن رآني، وسلمت عليه، قال لي: ما هذا الحال يا مصطفى؟ قل: يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك، وكررَ ذلك، وهو في غاية التعب مني، فاقشعر حينئذٍ جلدي، ورجعتُ عما أضمرت في قلبي ـ ولله الحمد ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الأحد، ثامن عشر صفر، سنة ألف ومئة وست، ببلدة اللحية، ودفن بتربة أبيه وسلفه ـ رحمهم الله ـ.

[٧٢٨] أبو بكر بن أحمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبدالله العيدروس ﷺ[2].

صاحب دولة إياد، [و]أحد الأسخياء الأجواد، وأحد من ترتجى الرحمة بذكره العباد، المتسربل بسربال الورع والتقى، المتعلق بأستار الوفا والارتقا، الفاضل العالم الفقيه، والعامل الذي لا يقوم الحكماء بما جمع فيه.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: لازَمَ.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧٠).

وُلد بـ «بتريم»، ونشأ بها، وحفظ القرآن وغيره من كتبٍ ورسائل، وصحب أباه، وتربى تحت حجره، وحذا حذوه في مده وجزره، ثم اشتاق للسفر، الذي هو رَوْح للنفوس والخواطر، وأشرحُ للصدور وأقرُّ للنواظر.

فدخل الديار الهندية، وارتفعت رتبته العلية، وهبَّت عليه من ملوكها رُخاء الإقبال، وعاش في أنضر عيشٍ وأنعم بال، واجتمع بأعظم سلاطين تلك الديار في ذلك الزمان، وهو السلطان خُرّم شاهجهان، وحصل له منه من يد الإنعام والإحسان، وقرر له مؤنته كل يوم من ملبوس ومطعوم، ثم ترادفت عليه الفتوحات الباطنة والظاهرة، وتزايدت لديه الخيرات في الدنيا والآخرة.

وهو على ما جبله الله عليه من حين خرج من حجر أبيه؛ من إطعام الطعام، وصلة الأرحام، وبذل الجاه والنفع العام لجميع الأنام، ثم قطن بالمدينة المسماة بـ: دولة إياد، التي لم يخلق مثلُها في البلاد، فصار فيها ملجأ للوافدين، ومأوى للغرباء والفقراء والمساكين، وظله الضافي الوريف ممدوداً على الداني والشريف، والقوي والضعيف، لا يعتريه سأم ولا ملال، ولا يشوبه نقص ولا اختلال، مع خُلقٍ ألطفَ من النسيم، وأعذبَ من التسنيم، والمواظبة على السنن الشرعية، والوظائف النبوية، ولم يزل بدولة إياد، نفعاً للعباد، إلى أن انصرمت من الحياة أيامه، وقُوِّضت منها خيامه، وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وألف، وقبره هناك معروف.

[٧٢٩] أبو بكر بن أبي القاسم صائم الدهر[1].

صاحب القبة المنيرة ببيت الفقيه الزيدية، ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤).

محمد النجيب أخي أبي بكر الملقب بالعربادي، ابن علي بن محمد النجيب ابن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن حسين بن آدم ابن إدريس بن حسين بن محمد الثقفي[1] الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ.

كان شيخاً من مشايخ الطريقة، صاحب كراماتٍ مشهورةٍ، وأحوالٍ مذكورةٍ، روي عنه: أنه قال: من رآني ورأيتُه، دخل الجنة، وأموت متى شئت بإذن الله، وإن شئت أكلت الطعام، وإن شئت تركته عصمة من الله[2]، روى عنه السيد الطاهر بن البحر، وكانت وفاته سنة اثنتين بعد الألف.

[٧٣٠] أبو بكر بن أبي الوفا الحلبي المجذوب.

أحد أكابر الأولياء بحلب، والمشهورين بها بالكرامات الخارقة، كان يغلب عليه الحال، فيغيب أياماً لا يشعر بنفسه، ولا يأكل ولا يشرب، توفي ـ رحمه الله ـ في نيف وأربعين.

[٧٣١] أبو بكر أبو المواهب بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي ابن أبي بكر بن عبد الرحمن عبود بن علي بن محمد مولى الدويلة بن علي ابن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدَّم ﷺ[3].

---

(١) هكذا في النص، ولعلها سبق قلم من الناسخ.

(٢) هذا كله من دعاوى أهل التصوف، وإلا من يستطيع القول بضمان الجنة، أو العلم بوقت الوفاة، إلا من أُصيب في دينه أو عقله، نسأل الله السلامة.

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٢).

الفائقُ الأوصافِ والنعوت، الملحوظُ بعين الحيِّ الذي لا يموت، المتفرعُ من دوحة المعارف والعلوم، المترعرع من صاحب السرِّ المكتوم، البارع في المدارك والفهوم، أحدُ من أوتي الحكمة وفصلَ الخطاب، وجليت عليه عرائس توارت بالحجاب، ملك نفسَه عن المعاصي وحصرها، ولسانَه عن الفضول، فلو شاء العادُّ أن يعدَّ كلماته، لحصرَها.

وُلد عصر يوم الثلاثاء، عاشر جمادى الأولى، سنة ست وعشرين بعد الألف، بمكة المشرفة، ونشأ بها، ولحظته بالسعادة عناية ربها، وغُذي بلبانها، ورتع في ميدانها، وتربى تحت حجر أبيه، وبث ما فيه في فيه، وصحبه فأغناه عن التردد إلى غيره، ومنحه ما عنده من خيره وبره.

ولزم العمل والعبادة، وسلك طريقَ السعادة، ونَهَجَ أجدادهِ وسلفه من السادة، وعُني بطريقة الصوفية، وتدرَّع جلبابَها، وتلفَّع بأثوابها، وأخذها عن الشيخ العارف بالله أحمد بن محمد المدني الشهير بالقشاشي، وعن السيد الجليل محمد بن عمر الحبشي، وحضر دروس شيخنا محمد بن علاء الدين البابلي.

وصحب جماعةً من أكابر العارفين، والأئمة المشهورين، منهم: السيد الجليل علوي بن علي بن عقيل، والسيد محمد بن علي بلفقيه، الشهير كسلفه بالعيدروس، وأكبَّ على كسب العلوم وتحصيلها، وجمعِها من أهلها وتأصيلِها، وجدَّ في ذلك حتى فاق أقرانه الأفاضل، وحاز فصاحةً وأدباً يقصر عنها[1] يد المتناول، ونثرَ ونظم، ففاق من أنشأ ونظم، وقام مقام أبيه بعد موته، وأحيا

(١) كذا في الأصل، والصواب: تقصر عنهما.

مآثره التي كضوء على عَلَم، وأثبت في صحائف الصحائف ما يقال عند رؤيته: ومن يشابه أَبَـهُ فما ظلم، فكان ينظم من بديع الألفاظ قلائدَ العقيان، ويزفُّ من عرائس الأفكار ما تقصر[1] عن نيله يدُ الأقران.

وأخذ عن والده ـ أيضاً ـ الخرقةَ الصوفية بجميع طرقها، وكذلك طريقـة النقشبندية، والذكر السري والجهري، واجتمع إليـه أصحاب والـده، وأقام أعماله من خالده وتالده، واعتنى بتلك الطرقـات، وأحيـا تلك الحضرات، وأعاد عليهم تلك العوائد والصلات، واستمر سنتين على ذلك، ثم ترك تلك المسالك، وفَضَّ تلك الجماعات، وأقبل على الطاعات، وسار أحسن سيرة، وما يرضاه عالم العلانية والسريرة.

ولم يزل حافظاً للسانه، مقبلاً على شانه، حتى انقضت مدته، وتمت عدته، **فانتقل إلى رحمة الله تعالى** يوم الأحد، سادس صفـر، سنـة خمس وثمانين وألف، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة، بالحوطة الشهيرة، في قبر والده وجده وجد أبيه ـ أسكنهم الله فسيح جنته، وتغمدهم برحمته ـ.

وله مؤلفاتٌ، منها: «شرحٌ كبيرٌ على منسك الحج للخطيب الشربيني».

وله شعرٌ كثيرٌ، منه قوله. . .[2].

[٧٣٢] أبو بكر بن حسين بن محمـد بن أحمـد بن حسين ابن الشيخ عبدالله العيدروس[3].

---

(١) في الأصل: يقصر، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذُكر الشعر، وترك صفحة ونصف بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨١).

نزيل مكة المشرفة، الضرير، السيد الكبير، العَلَم الشهير، صاحب الأحوال والمقامات، والمناقب العليات.

وُلد بـ «تريم»، سنة سبع وتسعين وتسع مئة، وحفظ القرآن العظيم، وُكفَّ بصره وهو صغير، وحفظ بعض المتون، واشتغل بتحصيل الفنون، وسمع بقراءة أخيه علوي، وغيره من مشايخ عصره، وصحب أباه وأعمامه، ولبس الخرقة الشريفة من كثيرين، وبرع في الحديث والفقه والتصوف، لكن غلب عليه التصوف، وأخذه عن جمعٍ كثير.

ثم رحل إلى مكة المشرفة فحج، وقضى مناسكه العج والثج، وزار جده محمداً ﷺ، وأصحابه الكرام، وحصل له مزيد الإسعاف والإسعاد، وعاد إلى مكة بالفتح والإمداد، ولقي بالحرمين جماعةً لا يلقون بالمشرقين والمغربين، من العلماء العارفين، والأئمة المعتبرين، منهم: السيد المعظم عمر بن عبد الرحيم، والداعي إلى الله في السر والإعلان، الشيخ أحمد بن علان، وغيرهم من الأكابر والأعيان، وشهد له بالكمال، غيرُ واحدٍ من مشاهير الرجال، ولبس الخرقة من جماعةٍ كثيرين، في اليمن والحرمين، وأذنوا له في إلباسها، فلبس منه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ.

وجلس للتدريس، في كل علم نفيس، وانتفع به جماعةٌ من العلماء، وغيرُ واحدٍ من الفضلاء، وممن أخذ عنه، وصحِبَه في الدين، نحوَ عشر سنين: شيخنا السيد محمد الشلي ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين ـ، وكان من أكمل المتأخرين، في العلم والدين، سالكاً سبيل السادة الأقدمين.

وكان له خلقٌ ألطفُ من نسيم الأسحار، وأزهى من محاسن الأزهار،

مع وقارٍ عليه سيما الجلال، وهيبةٍ لا يقوم الضرغام عندها لنزال، يعفو عمن هفا، ويحسن إلى من أسا، ويقيل من عثـر، ويصفح عن الجـاني إذا قـدر، وكانت له مجاهداتٌ لم تكن لأقرانه بها قُدرة، ولا يعتريه ما كان يعتري غيره من الفترة، وكان أكثر كلامه الوعظ والنصيحة، بألفاظٍ حسنةٍ فصيحة.

ولم يزل بمكة محمود السيرة، على ما يرضاه عالم السر والسريرة، عاكفاً على بـث العلم ونشره، مؤرجًا الأرجـاء بطيبـه ونشره، إلى أن انقضت مدة عمره، وآن أفول قمره، فتوفي بها لتسع خلون من صفر، سنة ثمـان وستين وألف، ودفن بالمعلاة، في حوطة بني علوي، وقبره بها معروف ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[٧٣٣] أبو بكر بن سعيـد بن أبي بكر بن عبـد الرحمن بن عبدالله بن علوي بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدَّم ﷺ، اشتهر جده عبد الرحمن بالجُفْري[١] ـ بضم وسكون الفاء ـ[٢].

الناسك العبّادة، صاحب الورع والزهادة، والفضلِ والاستفادة، محله في ذلك معروف لا يُنكر، وقدره فيه معرفة لا تنكَّر.

وُلد بقرية «قَسَم»، ونشأ بها، واستوفى ما قدره الله وقسم، وتربى في حجر أبيه، وبث فيه ما لديـه، ثم رحل إلى مدينة «تريم»، فوجدها مشحونة بالفضل الجسيم، فحضر بها مجالس العلم والعرفان، وأكثر الأخذ عن الأفاضل

---

(١) في الأصل: بالجعفري.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٤).

الأعيان، وصحب مشايخ عصره، وعلماء دهره.

فمن مشايخه بتريم: الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين العابدين، والشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس، والقاضي أحمد ابن حسين بلفقيه، والعلامة أبو بكر بن شهاب الدين، والشيخ الجليل أحمد ابن عبدالله بافضل الشهير بالسُّودي، والشيخ الكبير زين بن حسين بافضل، وصحب بـ «عينات» أولاد الشيخ العارف بالله أبي بكر بن سالم، منهم: الحسين، والحسن، والمحضار، والحامد، وأخذ عنه العارف بالله حسن بن أحمد باشعيب.

فلما اشتد كاهله، وصفت له من الفضل مناهله، اشتاقت نفسه إلى السياحة، والانتقال من ساحة إلى ساحة، فساح في الأرض، وطوى منها الطول والعرض، ودخل بندر الشحر المعمور، وأخذ به عن السيد حسن باعمر المشهور، وعن النور الأمجد، السيد ناصر بن أحمد، ودخل بندر عدن المحروس، وأخذ به عن جماعة من بني العيدروس، ثم رحل إلى الوهط، للسيد الولي عبدالله بن علي، فأخذ عنه، وصحبه ولازمه مدةً.

ثم رحل إلى الحرمين، فأدّى النسكين، وزار جده سيد الكونين، ـ عليه أفضل صلاة المصلين ـ، وجاور بهما، وأخذ عن جماعةٍ فيهما، منهم: السيد العظيم عمر بن عبد الرحيم، وصاحب العرفان، الشيخ أحمد بن علان، وابن أخيه محمد بن علان، والسيد محمد بن عمر الحبشي، والسيد سالم بن أحمد شيخان، والسيد أحمد بن الهادي، والشيخ تاج الدين الهندي، والشيخ عبد الهادي باليل.

وكان يحضر شيخنا العلامة محمد بن علاء الدين البابلي، وصحب

السيد العارف بالله محمد بن علوي، وأخذ بالمدينة عن العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، والشيخ الإمام عبد الرحمن الخياري، والسيد العارف بالله السيد زين بن عبدالله باحسن، وغيرهم، ممن يطول ذكرهم.

ورحل إلى الهند، وأخذ عن جماعةٍ بها، فهو أوسع أقرانه رحلةً، وأرفعهم نحلةً، وما دخل بلداً إلا جنى ثمارها، واقتطف من محاسن أزهارها، وألبسه الخرقة الشريفة أكثر مشايخه المذكورين، وحكّموه وصافحوه التحكم والمصافحة المشهورين، وأجازوه في جميع مروياتهم، وجميع مؤلفاتهم، وفي التحكيم والإلباس من الناس، هذا مع تمسكٍ من التقوى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة التي هي خير وأبقى، سالكاً من الشريعة على الصراط المستقيم، ومن الطريقة على السنن القويم، ففاح طيب الأعراق من نشر رياه، وأشرق الفلاح من محياه.

وكان يحج كل عامٍ بيت الله الحرام، ملازماً للنوافل والأذكار، في الليل والنهار، والقيام في الأسحار، في الحضر والأسفار، مواظباً على الجماعة في الصف المقدم، وزيارة قبر الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، ثم انقطع بمدينة تريم، ولزم درس السيد العظيم، ذي الإرشاد والإمداد، عبدالله بن علوي الحداد، قانعاً من الدنيا باليسير، ومن المؤنة بالحقير، مع مزيد التواضع والتقشف، فهو ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

وكانت يداه بالكرم مبسوطتين، لا سيما على الفقراء والمساكين، له خلقٌ ألطف من النسيم، وحلم معه الأحنف لا يستقيم، وأصيب آخر عمره في أنفه بداء، لم يجد له دواء، وعجز عنه حذاق الأطباء، فاستسلم لأمر الله، ورضي بقضاء مولاه، حتى انقضت مدة الحياة، وانتقل إلى رحمة الله سنة ثمان وثمانين وألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٤] أبو بكر بن بركات الشيخ تقي الدين الميداني الصوفي الشافعي، المعروف بابن الموصلي، أخـو الشيخ أبي الفضل لأبيه، وأمُّه بنت الشيخ شهاب الدين المحوجب القبيباتي[1].

كان فاضلاً له سخاءٌ وإقدامٌ في الأمور، وكلمةٌ نافذةٌ في أهل محلته، ومساعدة لإخوانه عند الحكام وغيرهم، له دنيا عريضة، وثروةٌ واسعةٌ، وهو ملازمٌ لفعل الخير والإحسان للفقراء، والإعانة لعموم المسلمين في كل أمر مهمّ.

وبالجملة: فإنه كان من أخيار أهل دمشق وأكابرهم، توفي يوم الأربعاء، حادي عشر جمادى الأولى، سنة ثمان عشرة بعـد الألـف، ودفن بتربتهم، بالقرب من مسجد النارنج ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٥] السيد أبـو بكر بن أبي القاسم، هو صاحب النفحة ابن أحمد الأهدل[2].

كان على جانبٍ عظيمٍ من العبادة، والورع والعلم والعمل، وكانت أوقاته معمورةً بالذكر والعبادة، ونشر العلم، وتوزيع الوقت على الأعمال الصالحة؛ والتدريس والفتوى، وغير ذلك، وله مصنفاتٌ بديعةٌ في فنون شتى، وقريحة من الشعر بليغةٌ، ومسكنه المحط من أعمال رفع، وله بها زاويةٌ مشهورةٌ.

وكان عم والدته السيد الشهير أحمد بن عمر الأهـدل، يلقبـه بالفقيـه العالم، وكان يشبهه بجـده أبي بكـر بن أبي القاسم المعمر، ولبس صاحب

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٦) (٨١).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

الترجمة الخرقة من الشيخ الزين بن الصديق المزجاجي ـ رحمهما الله تعالى ـ.

ومن مؤلفاته: «نفحة المندل في أخبار بني الأهدل» المتقدم ذكرها، وهو كتابٌ في غاية الحسن، لم يسبق في بابه إليه، ولم يعرِّج أحدٌ على ما عرَّج عليه، نسب السادة المذكورين، وبعض شيءٍ من فضلهم المبين، وجملة من علمائهم الراسخين، والأئمة العارفين، ورشحه بذكر شيوخه ومروياته، وإجازاته ومسموعاته.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ عام ستة وثلاثين بعد الألف، وأمُّه خديجة بنت محمد بن عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد بن سليمان، وفي محمد هذا تجتمع مع والده ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٦] أبو بكر بن عبدالله المهندس.

كان شيخاً جليلاً، قرأ على السيد أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل، وتهذب به، **وتوفي** ببيت الفقيه بن عجيل، رابع عشر شهر رجب، سنة إحدى وأربعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٧] أبو بكر بن صالح الكُتامي الشامي(١).

الشيخ الإمام، العلامة العارف بالله ـ سبحانه وتعالى ـ.

كان من أجلاء أئمة الدين، وأكابر العلماء العاملين، ومن المشهورين بمصر في علوم الهيئة والميقات والفلك، وكان في علم الأوفاق والزايرجا آيةً من آيات الله الباهرة، وكان له يدٌ طولى في وضع كل وفق أراد؛ كالوفق المئيني

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٥).

وغيره، وكان منقطعاً في خلوة بجامع الطباخ، قريباً من البيبرسية[1]، قريباً من باب اللوق.

وله ماجريات مشهورةٌ في العلوم الحرفية، ومؤلفاتٌ كثيرةٌ منها: كتابٌ سماه: «المنهج الحنيف في معنى اسمه تعالى لطيف» ذكر فيه جميع ما يتعلق بالاسم الشريف، من الشروط والدعوات، وتقسيم الأعداد إلى خمسة عشر قسماً، وما يتعلق به من الخواص، توفي بمصر، في فصل مقصود باشا، سنة إحدى وخمسين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٨] أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي قعود السنفي الحنفي، الشهير كأبيه بقعود[2].

كان من أكابر علماء الظاهر والباطن، وله في علم الخبر والحروف والأسماء الملكة التامة، وكان مشهور البركة بمصر، في التمائم والعزائم وأشباهها، وله معرفةٌ تامةٌ بعلم الأوفاق والأسماء، وله في هذه الفنون مؤلفاتٌ كثيرةٌ، وكانت الوزراء والأمراء بمصر تأتيه للتبرك به، وجلالتُه أشهر من أن تذكر.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وقرأ على والده، وعلى الشمس الرملي، والنور الزيادي، وعلي بن غانم المدرسي، ومن في طبقتهم، وأخذ علوم الطريق عن السيد صبغة الله، وعن تلميذه أحمد الشناوي الخافي، وأجازه كتابةً ولفظاً، ورجع إلى مصر، وأقام بها، وفي أثناء ذلك توجه إلى دمشق، وأخذ عنه كثيرٌ

---

(١) في الأصل: البرسية.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٢٧) (٣٥٥).

من علمائها؛ كالشيخ أيوب الخلوتي، وعماد الدين، وشهاب الدين، وإبراهيم ابن شيخ الإسلام عبد الرحمن العميري، ثم عاد إلى بلده، إلى أن توفي يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة اثنتين وستين وألف، ودفن بتربة المجاورين.

توفي والده أحمد، سنة سبع بعد الألف، وسبب شهرة أحمد بقعود: أنه حج صحبة الأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، فأركبه قعوداً كان الشيخ يركبه، فلما وصل إلى المدينة الشريفة، مات القعود، فتعب لذلك تعباً شديداً، فقال الشيخ: لا تتعب، نُركبك أحسنَ منه، فلم يفده، وذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ، وذكر ذلك تجاه الضريح الشريف، فما رجع إلا والجمَّال جاء إلى الشيخ وهو يخبره وهو يتعجب: أن القعود حيّ، فسُر بذلك، واشتهر من ذلك الحين بقعود، وله في ذلك قصيدة، مدح بها الأستاذ البكري، منها:

أحنُّ إليكم كلما عَنَّ ذكرُكم ... ولا غرو إن حنّ القعودُ إلى البكري

وله تذكرةٌ جمع فيها من لقيه من الشيوخ وعاصره، وكثيراً من نظمه، وله «منظومةٌ في النحو»، ومؤلفاتٌ في فنون.

[٧٣٩] أبو بكر بن عيسى بن أبي بكر بن عيسى...[١] بن محمد بن عيسى ابن الأستاذ أحمد بن عمر الزيلعي.

كان صاحب الترجمة مراد الله في حركاته وسكناته، كثير الاستغراق، قليل الصحو، كبير الحال، له إشاراتٌ غريبةٌ، ومقالاتٌ عجيبةٌ، وكان إذا غلب

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد لفظ عيسى الأخيرة نصف سطر بياض».

عليه الحال، يخشى أهله سطوتـه على الناس، ويخافون على أنفسهم منـه، فيحلون إزاره الذي يتزر به، فلا يقدر على ربطه، ولا يستطيع القيام من مكانه، ولا يخرج إلى مكان حتى يصحو من غيبوبته.

وكان يُخبر بالمغيبات، ويُرجَع إليه في المعضلات.

وكان أهل الجلاب إذا سافروا في البحر، وحصل لهم شدةٌ في البحر، يذكرونه، وينذروا له بشيء، فيزوره عندهم عياناً، وينجيهم الله ببركته، وإذا جاءوا إلى «اللحية» طالبهم بالذي نذروه له، وكان كثير الخمول، مغلظ القول على الـدولـة، ولا يستطيعـون الانتقـام منـه، ويطلـب منهم الـذي يريـد، ولا يمنعوه[1]، وإذا أخذ منهم شيئاً، ذهب به إلى نساءٍ ورجالٍ منقطعين.

وكانت وفاته في حياة والده، وهو شابٌّ ناهز الثلاثين ـ رحمه الله ـ في نيفٍ وسبعين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة جده ـ نفع الله به ـ.

ومن كراماته: أن والده جاء إلى بعض أصحابه بعد موته يشكو له ما حل به من التعب بعده؛ من ضيق اليد، وأنه كان في زمنه لا ينقطع الرزق من بيته، فأجابه صاحبه بقوله: إن بركته ـ إن شاء الله ـ حاصلةٌ حياً وميتاً، وقام من عنده، فما مضت ساعةٌ حتى أتاه رجلٌ يسأل عن ولده، فأخبره بموته، وكان نَذَر له بشيءٍ كثيرٍ من المال، فدفعه لوالده ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأخبـرني بعض أصحابنـا الصـالحين من أهل اليمـن: أنهم لما مشوا بجنازته، أظلتها طيورٌ لا يحصى لها عدد، وسمع صوت أعلامٍ كثيرةٍ، وحصل للناس بذلك غاية الخشوع.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يمنعونه.

[٧٤٠] أبو بكر بن المقبـول بن عبد الغفـار بن أبي بكر بن المقبـول قعيش، الصائم رمضان في المهد ابن أبي بكر صاحب الحال الأكبر بن محمد ابن عيسى بن سلطان العارفين أحمد بن عمر الزيلعي، صاحب اللحية[1].

كان شيخاً جليلاً، كامل العقل، غزير الفضل، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ذا رأي ثاقب، محباً للفضائل، تاركاً للرذائل، باذلاً في أماكن العطاء، ممسكاً في أماكن الحزم، مرجعاً عند الخطوب، مفزعاً عند ما ينوب، جالياً للمشكلات، بغريب الكرامات.

ولد باللحية، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وأخذ عن والده، وتخرج بأخيه العارف بالله أحمد السطيحة، وجد واجتهد، حتى صار أحد مفاخر اليمن على الشام، والمغني بوميضـه عن كل بارقٍ، فما أحـدٌ لبارق من بعد لائحه شام.

روي: أنه لما قدم قانصوه باشا، متوجهاً إلى اليمن، كان المترجم بمكة، فوُشي به إليه، وأنه هو صاحب اللحية وسلطان نواحيها، وواحدها بلا خلاف، وإنسان عين أهليها، وأنه لا يتم له الأمر حتى يقتله، فأتوا به وقت العصر إليه، على حالةٍ غير مرضيةٍ، وذهب معه تلميذه الفقيه مقبول بن أحمد المحجب، فلما دخلا[2] عليه، قام لهما، وتلقاهما وأجلسهما مكانه.

فلما جلسا، أُسكت، ولم يقدر على الكلام والتحرك، واستمر مطرقاً، وأتباعُه والجند واقفون، والجميع مبهوتون، حتى دخل وقت المغرب، فقال

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٧).

(٢) في الأصل: دخل، والصواب ما أثبت.

له: يا قانصوه! قم صل المغرب، فالتفت وقام كالمنتبه من نومه، وقال له: يا سيدي لك حاجـة نقضيها لك؟ فقال: لا حاجة لي عندك، وقام من عنده وزادت جلالته عنده، فلما ذهب من عنده، قال للفقيه مقبول: لعلك خفت منه؟ فقال: نعم، فقال: والله! ما دخلت عليه إلا وأُعطيت التصرف فيه، وفي عسكره جميعاً.

ولما قام من عنده، انقطعت سُبحته، فشرعوا في جمعها، وجمع معهم قانصوه ما تبدد منها، فقال الفقيه مقبول: اللهم شتت شمله، وفرق جمعه كما تفرقت هذه السبحة، واستجاب الله دعاءه، فإنه لما وصل إلى اليمن، وطغى وبغى، وقتل جماعة من السادة الأعيان، قامت عليه عساكره، وأرادوا قتله، فهرب في ليلةٍ منهم، وأتى طائعاً بنفسه إلى السيد الحسن ابن الإمام القاسم، وقال له: ها أنا بين يديك، فافعل بي ما تشاء، فقال له: لو جئتك على هذا الحال، ما كنت تفعل بي؟ قال له: أقتلك شر قتلة، فضحك، ثم سأله عما يريد، فقال له: تبلغني إلى مكة، فأرسل معه من جماعته من بلغه إلى مكة، ثم توجه منها إلى الروم، وتبدد عسكره، ومزق كل ممزق.

ومن خبر قانصوه هذا: أنه لما دخل اليمن، دخل بهيئـةٍ عظيمـةٍ؛ من كثرة العساكر والجند، وزيادة المال، وقوة السطوة، وكان بعض السادة بني بجر بلغه خبره، فأرسل جاسوساً من أتباعه إلى اللحيـة، وكان قانصوه بها، وقال: إذا خرج من اللحية، فابتعد[1] إلى بيت الفقيه الزيدية، وانظر هل يذهب لبيت عطا لزيارة سيدي أبي الغيث أم لا؟ فتبعـه حتى توجه من الزيديـة إلى

---

(١) في الأصل: فابتعدوا، والصواب ما أثبت.

الضحى، ولم يزره، فرجع إلى السيد وأخبره، فقال: هذا الرجل لا يتم له حالٌ باليمن، ولا يفتح عليه؛ فإن مفاتيح اليمن بيد سيدي أبي الغيث يعطيها لمن شاء، كيف شاء، بإذن الله، فكان الأمر كذلك.

ثم إن قانصوه أتى إلى هذا السيد، وكان قد زاد طغيانه، فقال له: اقرب عليّ عسى أقرأ عليك شيئاً من القرآن، فيشرح الله صدرك، فقال له: أنا صدري مشروحٌ بواسطة سيدي أحمد البدوي، ولا يقدر أحدٌ يتصرف عليّ ببركته، فإني أخذت العهد على خلفائه، وأنا من المنسوبين إليه، فقال له: سيدي أحمد البدوي نعلم أنه من أكابر أولياء الله تعالى.

وللمترجم من هذا القبيل كراماتٌ كثيرةٌ عند الناس مشهورةٌ، منها: أنه مرض في مكة مرضاً شديداً، أشرف فيه على الموت، فدخل عليه حينئذٍ الفقيه مقبول بن أحمد المحجب، وحزن عليه لما رأى حاله اشتد، ومرضه زاد، وقال في نفسه: إن هذا مرض الموت، فبمجرد ورود هذا الخاطر عليه، قال له: يا مقبول! لا تخف عليّ؛ فإني لا أموت إلا باللحية، فعوفي من ذلك المرض.

وقدم اللحية، فلما دخل بيته، تباشر أهله بقدومه، وفرحوا، وجمعوا نساءً ليفعلوا على جاري عادتهم من الغطرفة والغناء وغير ذلك، فنادى بناته وقال لهم: ما هذا الذي تفعلونه؟ أنا ما جئت عندكم إلا أموت عن قريب، فصاحوا؛ لما يعرفوه من حاله، فضايع الكلام حينئذٍ، وقال: كل أحدٍ يموت، وأبقاهم على حالهم.

وكانت وفاته ـ نفع الله به ـ عام اثنين وأربعين بعد الألف، وعمره تسعون

سنةً ـ تقريباً ـ باللحيـة، ودفن بقرب تربة جده الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي ـ نفع الله به ـ.

[٧٤١] أبو بكر بن محمد الدلجي الشافعي[١].

كان هذا الفاضل متضلعاً من علوم العربية، واحداً في العلوم العقلية، وُلد في حدود سنة خمسين بعد الألف بدلج من صعيد مصر، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وقدم إلى مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وحفظ عدة متونٍ في جملة فنـون، منهـا: «الألفيـة لابن مالك»، وكان يستحضر غالـب شرحها للأشموني، ويحفظ أكثر عباراته عن ظهر قلب، وأخـذ عن شيوخٍ كثيرين، منهم: شيوخنا: محمد بن علاء الدين، وسلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، ولازم العلامة منصوراً الطوخي، وزوجه ابنته، واختص به.

وكان ـ مع سلامة قريحته، وحسن ذكائه، وصحة تصور فطنته ودهائه ـ مبتلًى بالأمراض والأسقام، على مـدى الليالي والأيام، مسلِّماً لقضـاء الله، راضياً بما حكم سبحانه وأمضاه، متجرِّعاً مرارة مذاق الكد على فنون العلوم، متحمل الصبر على استنشاق دخان الآلام بين الفضلاء ذوي الأفهام، لا يزال رطب اللسان في شكر بارئه، عذب البيان في ذكر أياديه، حتى حام على فريسته الحِمام، وصال عليه صولة الأسد الضرغـام، فتوفي في شهر رمضان، عام خمسة وتسعين بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

قرأت عليه عدة كتب، منها: طرف من «شرح الألفية للاشموني»، ومن «الشرح المختصر على التلخيص» للسعد، ومن «شرحه على تصريف العزي»،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٥).

وصحبته كثيراً، ولازمته سنين وشهوراً، وطالما قلَّد عنقي بفوائده مِنناً، وأذخر بذلك عند الله أجراً حسناً ـ رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس، وجمعنا به في دار القرار ـ.

[٧٤٢] أبو بكر بن محمود بن أبي بكر بن أبي الفضل العمري الدمشقي الشافعي، الشهير بالعصفوري[1].

صاحبنا الأديب الشاعر، الكاتب الناثر، له من بديع الشعر فنون، ولطيف الحاضرة ما يعجز عنه الواصفون، إلى فضلٍ جسيمٍ، وخلقٍ عظيمٍ، وطبعٍ كريمٍ، وشيمٍ حسنةٍ، وأفعالٍ مستحسنةٍ.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وبرع وتأدب، ورحل إلى مصر وتوطَّنها، وأخذ بها عن جمعٍ، منهم: شيخنا حافظ العصر محمد بن علاء الدين البابلي ـ رحمه الله ـ، وغيره، وشرع في نظم جملةٍ من سيرة النور الحلبي، ونظم منها جملةً كافيةً، رجزاً بديعاً، ولم يتمه، أوقفني عليه، أجاد فيه كل الإجادة.

وشعره كثيرٌ، جمع منه ديواناً، جعله باسم الأستاذ الشيخ محمد بن زين العابدين البكري ـ قدس الله روحه ـ، وكان من الملازمين لحضرته السامية، ثم من بعده لولده سيدنا رئيس الديار المصرية، الشيخ زين العابدين ـ فسح الله في مدته ـ.

توفي المترجم يوم السبت ثاني جمادى الثاني، سنة اثنتين ومئة وألف

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨١)، وذكر وفاته في ١٠٩٢هـ، وسماه أبو بكر بن محمود المشهور بابن عصفور الشامي، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٠٤) (١٧)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٦).

ببولاق، ودفن بتربة الشيخ فرج، عند قصر الأستاذ البكري ـ رحمه الله ـ.

ومن بديعه، وهو مما يتغنى به في عصرنا؛ لأنـه في الطريق الغراء في غايةٍ لا تدرك، قوله مادحاً له، وكان ملازماً لمجلسه العالي بالأزبكية بالقاهرة المحروسة.

عِيذت بك الدنيا وعِيدَ لـك الهنـا	واعتدّتِ الحسنى وعُد لك المنـى
عجبًا لمن نظـر الهـلالَ ومـا درى	أن الهــلالَ إذا بــديْتَ لــه بــدا
شــغفاً بطلبتــك التــي قــسماتُها	مهما تندَّتْ تنكسفْ شمسُ الضحى
وبغـــرةٍ قمريـــةٍ فـــي طـــرةٍ	سنجيةٍ كالبدر فـي غـسقِ الـدجى
وبــصبحِ وجــهٍ إن تبــسم ثغــرُه	يبدو الصباح ويَحمد القومُ السرى
غسقٌ على شفقٍ علـى قمـرٍ علـى	فننٍ على غصنٍ على دِعْـصٍ عـلا
ما البدرُ ما الشمسُ المنيرة ما الضحى	ما الظبيُ ما الرشأ الشويدن مـا الطـلا
أرأيــت رائعــةَ الفــلا أرأيــتَ آ	لفـة العـرا أرأيـت شـاردةَ المهـا
مثل الغزالة في السماء وفي الفـلا	فهما وأنت إذا اعتبرت سَـوا سَـوا
يـا قـاتلي مـن غيـر مـا ذنـبٍ ألا	تدنو فتبصر مـا لقيـتُ مـن النـوى
قلبـي تمـزق فيـك كـلَّ ممـزقٍ	أسمعتَ ما قـالوه فـي أَيـدي سَبا
أَلِف الـضنى جسمي فلـو فارقتـه	لضنيت من أسفٍ على فقد الضنى
وتعودت عيني السهادَ فلـو غفـتْ	لرأتْ خيالَ السهد في سِنَة الكرى
وألفتُ سمعَ العذلِ حتى لو صـغتْ	أذنـي لغيـرِ العـذل شـقيت القبـا
وعلمــت أن الــصبر مــرٌّ طعمُــه	لكننــي عاينتُــه حلــوَ الجنــى

ونعمتُ بالضدَّينِ حتى استقطرت   عينايَ ماءَ الدمع من جمر الغضا
وسهامُ جفنك بعد ما ريَّشْتَها   تغشى الكلا وسقيتها بدم الحشا
هيهاتَ تُحسن نزعَها من بعد ما   نبتت وأَطلعَ غصنُها ثمرَ الهوى
ووحقِّ أشواقي لوجهك إن لي   زفراتِ وجدٍ لا أروم لها انقضا
وجوًى تودُّ حُشاشتي لو أنه   كان الطفاء يسوءها مهما انصفا
وشفاءُ سقمي في لَماك وليتَه   يشفي غليلي بَرْدُ ذَيَّاك اللَّمى
ويزيد في قربي إليك حرارة   كالنوقِ في البيداء يقتلها الظَّما
يا سلَّمَ الله المحبةَ إنها   نعشتْ فؤادي أسلمتْهُ إلى الجوى
يا قاتلي وأنا الفداءُ لقاتلٍ   أبدًا لغير حديثه لا يشتفى
العينُ بعدك ما سهت والطرفُ بعـ   ـدك ما غفا والدمعُ بعدك ما رقا
لله جفنٌ تحت وعدك ساهرٌ   أملاً يتوبُ المرسلات بهل أتى
حافظ على صدق العهود فإنه   مما يدلُّ على المحبة والصفا
أتشكُّ أن الصدقَ ينفعُ أهلَه   أو لست تعرفُ خيرَ صحبِ المصطفى
صهرَ النبيِّ وصنوَه وصديقَه   وصفيَّه وضجيعَه تحت الثرى
والمنفقَ الأموال في مرضاته   حتى تخلَّلَ بعد ذلك بالعَبا
والسابقَ المتقدمَ الإسلام في   صحبِ النبيِّ وتلك فاتحةُ العلا
وخلاك ذمٌّ أن تقول هو الذي   فضل الأنام الكل بعد المجتبى
وفَداه في يوم العريش بنفسه   أكرمْ هنالك بالفِدا وبمن فَدى
وقضيةُ الغارِ التي في صدقها   أبدًا وصحةِ نقلها لا يُمترى

والشمسُ بعد طلوعهـا لا يمتـري فيه سوى أعشى البصيرة ذي عمى
وإلــى هلـــم لنـــسله ذريـــة فينـا هـمُ أهـل الـسيادة والحِجـا
سادوا وما شادوا الأكارم عن سدى وعَلَوْا وما ورثوا المكارمَ عن كـلا
ومن الذي يسطيع يحصر فـضلَهم حتى يُعد النجم أو يحـصي الحـصى
وبهم تدور رحى الزمـان ودورهـا لهمُ ولولا القطبُ لم تـدرِ الرحـى
رؤسـاء مـا مـن سيدٍ فـيهم خـلا حتى يكونَ عليه قـد عقـد اللـوى
ومحــلُّ زيــنِ العابــدين ونجلــهِ منهم محلُّ الشمس من كبدِ السما
وســراية الــصدِّيق تــسرى فــيهم سريانَ نـورِ ذُكـاءَ فـي نبـت الربـا
ومحمــدٌ فــيهم كمثــل محمــدٍ فيهم وجـزءُ الـشيء منه بـلا مِـرا
مهــلاً أبــا الــصِّنْوَين إن مــودتي لكم مودةُ من يـرى النسك الوفـا
وإليكَها عـذراءَ قـد شـأت الـصَّبا سـبقًا بـشعر البحتـري إذا شـدا
اخترتُهـا مقـصورةً مـن أجـل أن قُصرت محاسنُها عليكم لا سـوى
جـاءت تهنـي بالمواسـم سـيدًا لولاه لم تكـن المواسـم فـي هنـا
تـــدعو لـــه ولنيِّـــريْه بالبقـــا وتُعيـذه فـي كـل وقـت بالـضحى

وله أيضاً:

بتفاحــةٍ فــي الخــدِّ وكّــلَ لحظَــه ليحفظَها مـن نـاظري أن يؤودَهـا
سها فهوتْ مـن خـده فهـو دائمًـا يردُّدهـــا فـــي كفـــه ليعيـــدَها

وله أيضاً:

حيًّا بكأسين من بُنٍّ وصِـرف طـلا أفديه مـن غـصنٍ يـسمو بـه قمـرُ

هاتيك عينٌ ولكن مسها رمدٌ ... وتلك عينٌ ولكن كلها حَوَرُ

وله أيضاً:

إني لأهوى كلَّ من في حَيِّه ... حتى محبيه وهم أعدائي

ولقد هويت لأجله رقباءه ... ومن العجيب محبةُ الرقباءِ

وله أيضاً:

تراءى لنا بالطاق حتى إذا رنَتْ ... إليه عيونُ القوم أعجلَه السترُ

كما انفرجَتْ عن طلعة البدر مزنةٌ ... وقد أعجلَتْها أختُها فاختفى البدرُ

وله أيضاً:

طاف بها سوداءَ مسكيةً ... فنجانُها الأحمر دونَ الملان

كأنما الفنجانُ في كفه ... شقيقةٌ يحملُها غصنُ بان

ومما أنشدني له قوله:

أظن كاتبَ ميمِ الثغر قد غلطا ... لأنه فوقَه بالخال قد نَقَطا

أستغفر الله إلا أن يريد بها ... نونَ العِذار ولو لم يعنِها كَشَطا

والله سبحانه يأبى لمتخذٍ ... لمثلِ خدِّك طِرسًا أن يَخُطَّ خَطا

وقوله أيضاً:

ليس بِدْعًا عتابُ خيرِ البرايا ... إنما يعتب الحبيبُ الحبيبا

بل عجيبٌ تقديمُه العفوَ قبل الـ ... ـعَتْبِ حرصًا عليه أن يستريبا

وأصل هذا ما ذكره أصحاب السير: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على

النبي ﷺ، وهو ميتٌ مسجًّى، فكشف عن وجهه الشريف، وقبل بين عينيه، وقال: فديتُ من أقسم الله بتراب قدميه، فقال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[البلد: ١ ـ ٢]، فديت من قدم الله له العفو قبل العتب بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة: ٤٣]. انتهى.

ولما قدمت من مكة إلى القاهرة المحروسة، سنة ألف وتسعين، بعد أن فارقتها سنين، كتب إليّ مهنئاً بقوله:

نهنـــي أنفـــسنا بالـــسلامة	ونتحـــف ســـيدَنا بالكرامَـــهْ
فمـــا بـــدأ الله ريعانـــه	بفـــضلٍ أتـــمَّ بفـــضلٍ تمامَـــهْ
وطـــالع ســـيدنا فـــي الـــسعو	د ووردةُ إقبالـــه فـــي الكُمامَـــهْ
تفاءلـــتُ ذلـــك فـــي بـــشره	ومـــن قبلِهـــا مـــا زجـــرتُ حَمامَـــهْ
كـــذلكم اشـــتق وصـــف النـــديم	لأن عليـــه تكـــون الندامَـــهْ
ولـــستُ أريـــدُ علـــى مـــا ذكـــرت	ســـوى أنـــس عالمـــه مـــن علامَـــهْ
وفـــي بـــشره مـــا تلـــوذ البـــروق	بـــصيّبه عنـــد بخـــلِ الغمامَـــهْ
وفـــي وجهـــه القـــسماتُ التـــي	يكـــون إمامًـــا لـــه فـــي الإمامَـــهْ
وقـــالوا العمامـــة زيـــنُ الـــشريف	فقلـــتُ وشـــينُ الوضـــيع العمامَـــهْ
إذا اعـــتمَّ فـــي النـــاس غيـــرُ البليـــغ	فتلـــك تكـــون فِـــدامَ الغرامَـــهْ
وقـــالوا برامـــةَ أســـلافُه	فقلـــت وجُـــلُّ مرامـــي مَـــنْ برامـــه
وقـــالوا ويهتـــز بالمكرمـــات	فقلـــتُ كـــذلك فـــرعُ البـــسامَهْ
وقـــالوا وينفـــع فـــي النائبـــات	فقلـــتُ ويـــشفع يـــومَ القيامَـــهْ

ولو كنتُ أنصفتُه في المديح | لكنت قصرتُ عليه الإمامَهْ
عنيتُ إمامَة أهلِ الحديث | وأهلُ الحديثِ قرومُ الزعامَهْ
وحيثُ تقرِّرُ أن الأنام من | الأرض فالأرض شتى الرغامَهْ
فمنها النضارُ ومنها الأبارُ | وتفلح عن وردة أو ثُمامَهْ
ومن تكُ طينتُه مسكةً | فكيف يطيق الزمانُ اكتتامَهْ
وكل امرئٍ خُلقه خَلقه | وإن الدمامةَ فرع الدمامَه
وتشهدُ سيما الفتى للفتى | بما فيه من كرم أو لآمَهْ
وما عبّر المرءُ عن فضلِه | بشيء كتفخيم أهل الفخامَهْ
وكل الصفات التي ترتضي | إذا مات ملتها في الوسامَهْ
ورَبُّ الجمالِ يَربُّ الجميلَ | فكيف يعرضُه للملامَهْ
وتأتي الطباع بحسب النفاع | فمهما استقامت عرتْها استقامَهْ
ومن تكُ بلدتُه جنةً | فحقَّ له الطيبات المدامَهْ
فصفْ أهلَها بصفات الكمالِ | وأطلقْ على كل ليثٍ أُسامَهْ
وحجَّ فكان سراجَ الدليل | كما كان للسَّفْرِ درعًا ولامَهْ
وكان يدًا فوق أيديهم | وكان على أرؤس الكلِّ هامَهْ
وآبَ إيابَ هلالِ السما | بدرًا وسنبلة الزرع خامَهْ
فحمدًا عدادَ نجوم السما | وما عدَّها من يخاف السآمَهْ
وشكرًا زيادة حسناه أن | يعودَ إلى أهله بالسلامَهْ

وكتب إليّ من القاهرة إلى مكة كتاباً صدره بقصيدةٍ أولها:

أغازلُ منه الطرفَ أكحلَ أوطَفا   وأهصرُ منه القدَّ أحورَ أهيفا[1]

[٧٤٣] أبو بكر بن الخطيب محمود الدمشقي الحنفي الحكيم الشيخ تقي الدين بن شرف الدين[2].

طلب العلم بدمشق، وقرأ على شيخ الإسلام البدر الغزي، وولده أحمد، وبرع في العلوم العقلية، وفضل في الخطب، ثم سافر إلى قسطنطينية، فانتهى أمره إلى أن اتصل بالسلطان مراد، وحظي عنده، وكان يتظاهر بإنكار المنكرات، فتكدرت منه الموالي.

فبينما هو ذات يوم ذاهبٌ إلى سرايا السلطان، تعرض له جماعةٌ من طلبة العلم، فمزقوا عباءة فرسه وأهانوه، ثم رفعوا أمره إلى السلطان، وأدخلوا عليه أموراً مفتراةً، أوجبت أن طرد من القسطنطينية إلى ألواح، من ضواحي مصر، وكان ذلك سنة إحدى أو اثنتين بعد الألف، ثم استأذنه بالمكاتبة، حتى أذن له بدخول القاهرة، ثم ورد الشام سنة ثلاث بعد الألف، ثم ذهب بعدها إلى الروم، ولم يمكنه إلى العودة إلى مكانته بالروم، حتى توفي سنة سبع يعد الألف رحمه الله ـ.

[٧٤٤] أبو بكر بن مسعود المغربي المالكي[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «يكتب باقيه من «السفينة»، كما قال المؤلف، بهامش صورته، وترك نصف صفحة بياض».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥١) (٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٦).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٢) (٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١/ ٩٧).

مفتي المالكية بدمشق، رافق الشيخ أبا الطيب الغزي في الاشتغال بالعلم بمصر، فقرأ في الفقه على سالم السنهوري، وغيره، وأخذ بالشام عن علاء الدين بن المرحل، وكان له معرفةٌ بالعربية، ومهارةٌ بالإفتاء، وولي تدريس الغزالية بدمشق مدةً، ومات في أواسط شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، ودفن بتربة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٧٤٥] السيد أبو بكر مكين القُدَيمي.

كان من الأولياء المشهورين، مات آخر دولة عبد الرحيم بن مصك بن شرف الدين.

[٧٤٦] السيد أبو بكر بن علي البطاح الأهدل.

كان سيداً فاضلاً، من شيوخه: عبد الباقي بن الزين المزجاجي، وعلى الربيع بن إسحاق بن جعمان، وإبراهيم بن جعمان، وأخذ بالمدينة عن الشيخ أحمد القشاشي، وكثير، وكان حسن الخط جداً، اجتمعت به مرةً واحدةً بزبيد، ورأيت منه عالماً نحريراً، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، توفي ببلده الكُدَيف ـ بالتصغير ـ من قرى زبيد، ثالث عشر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وألف، وكان كثير الحفظ جداً؛ بحيث إنه إذا أُملي عليه في ساعةٍ واحدةٍ قصيدةٌ طويلةٌ، حفظها لوقته.

ورأى السيد بكر بن أبي القاسم صاحب «النفحة»، في النوم بعد موته، وقد شق على ظهر رقبته، ووضع فيه شيئاً مثل الزبد، وكان ذلك سبب الفتح عليه في العلوم اللدنية والحقائق، وله كراماتٌ كثيرةٌ.

منها: ما أخبرني به سيدنا السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد الباري

الأهدل: أن بعض العمال جار على بعض السادة من بني الأهدل، وكتب عليه أموالاً كثيرةً لا تستحق عليه، فشكا إلى السيد المذكور بزبيد حاله، وأراد أن يتوجه إلى العامل؛ ليسقط عنه مما في الدفتر شيئاً، فقال له السيد المذكور: ارجع إلى بلدك، ولا تذهب إليه؛ فإن بعض أصحابك أقوياء، ولا يقدر هذا العامل عليهم، فرجع دفتر العامل إليهم بعد أيام، ولم يجدوا فيه ما جعل العامل عليهم، وسقط عنهم جميع المال المطلوب.

وأخبرني السيد المذكور: أنه كان له جرينٌ يحصد فيه الحب، وكان النمل يتلفونه عليه، فينتقص عليه كثيراً، واستمر هذا الحال سنين عديدة، فجاء إليه يومًا بعض الصالحين، فشكا إليه حاله، وتسلُّطَ النمل عليه، وأكلَهم للحب، فقال: انظر حباً يكون لأيتامٍ قاصرين، وخذ منه حفنةً بغير إذن منهم، وضعها على حبك، ففعل ما أمره به، فانقطع النمل عن الحب، ولم يؤذه بعد، وكان كل عامٍ يأخذ حفنةً من حبه القديم الذي خلطه بمال الأيتام، فيضعها على الحب الجديد، فلا يأتيه النمل، وسلم من أذاهم، ثم اتفق بعد نحو خمس عشرة سنة: أنه ذكر للأيتام بعد بلوغهم: أنه أخذ من حبهم حفنةً بغير إذنهم، ورد لهم صاعاً بدلها، وسامحوه، ثم لما ألقى الحب في الجرين بعد ذلك، رجع النمل كعادتهم. انتهى.

وأخبرني السيد عبد القادر المذكور: أنه كان يقول له: أنت بدري المقام، لا تجري عليك الأقلام، وكان يوصيه ويقول له: كن مع العارف كيف شئت؛ لأن لكل شيء عنده احتمالا.

[٧٤٧] الملا أبو بكر ابن السيد هداية الله الحسيني الكوراني الكردي،

المشهور بالمضيف[1].

ذكره شيخنـا الإمام إبراهيم الكوراني في كتاب «الأَمَم لإيقاظ الهمم» في ترجمة المشايخ الذين روى عنهم، فقال: إمامٌ علامةٌ، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها «شرح المحرر للرافعي» في الفقه في ثلاثة مجلدات، انتفع به أهل تلك البلاد، وله كتابان بالفارسية، أحدهما: «سراج الطريق» يشتمل على خمسين باباً، والآخر: «رياض الخلود» يشتمل على ثمانية أبواب.

وكان من أولياء الله تعالى، كثير الاجتماع بالخضر[2] ـ على نبينا وعليه السلام ـ، وممن أخذ عنه، وبـه تخرج: ولده الملا عبد الكريم شيخ شيخنا المذكور ـ نفع الله به ـ، توفي سنة أربع عشرة بعد الألف ـ نفع الله به ـ.

كان؛ كما أخبرني شيخنا إبراهيم ـ قدس الله روحه ـ عالماً كبيراً، خصوصاً في الفقه وأدلتـه، واختلاف الفقهـاء، مستحضراً لأقاويلهم، عارفاً بالكتاب والسنة، شديداً في دين الله، جسوراً مقداماً، لا يهاب أحداً، ولا يرهب مخلوقاً، جميل المحاضرة، بديع المجالسـة والمذاكـرة، مطرحاً للتكلف، متواضعاً لإخوانـه، سـامياً عن رذائل الأخـلاق، قانعـاً بالخشن من العيش، شديـد الغضب في إنكار المنكـر، صادق اللهجـة، منجمعـاً عن الناس، متـوحشاً منهم، قانعاً بالقليل من الرزق، لا تنقضي مجالسه إلا بأحد أمور ثلاثة: إما دعاء إلى الله، أو تحذير مما ارتكبه الناس من المنكر، أو نشر المهمات من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٧١).

(٢) تتكرر هذه الدعاوى عند أدعياء التصوف وأهل الطريق برؤية الخضر عليه السلام وصحبته، وكأنها علامة على كذبهم وزيغهم، نسأل الله السلامة في الدين.

مسائل الأصول والفروع.

مع منطقٍ يسلب العقول، ويستميل الألباب، وحفظ يجاري فيه سعةً واستحضاراً لما يريد، من غير مراجعة كتاب، مع الفقر والخصاصة البينة، والعيال الكثير، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ، وكان يشبه السلف، في سَمْته وهديه، ومنطقه ونسكه، وعيشه وطريقه، وما زال على مكابدةٍ شديدةٍ، وصدق التوجه إلى الله، والدعاء إليه، حتى توفاه الله لأربع بقين من جمادى، سنة أربع عشرة وألف.

[٧٤٨] أبو بكر بن محمد بن محمد، الشيخ العلامة البارع، تقي الدين الزهيري الشافعي[١].

اشتغل بالعلم على محمد الحجازي، وولده عبد الحق، ثم خالط الأفاضل، وحضر دروس القاضي محب الدين الحنفي، وكان عالماً في العربية وغيرها، حسن الخط، حسن السيرة، لطيف العرض، كافاً عن الأذى، ولي نيابة القضاء، ودرَّس بالجوزية، والجامع الأموي، ومات يوم الأربعاء، ثامن جمادى الآخرة، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن بتربة باب الصغير، عن بضع وأربعين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٧٤٩] أبو بكر بن عدي الصالحي الشافعي ثم الحنفي، المعروف بابن سعيد.

خادم سيدي العارف بالله الشيخ أبي بكر بن قوام، كان في ابتداء أمره

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٥) (٧٧٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٣).

يعمل المواليد بدمشق، ثم لازم الشيخ محمد الصمادي، وصار من جماعته، ثم اشتغل بالعلم، وكان خطيباً بجامع الأفرم، بصالحية دمشق، وكان ينشئ خطباً حسنةً، وكان يتردد إلى القاضي محب الدين الحموي، وقرأ عليه في الفقه كثيراً.

ولما عمر سنان باشا جامعَه، خارجَ باب الجابية، نقل الشيخ فخر الدين السيوفي خطيب الدرويشية إليه، ففرغ للمترجم عن خطابة الدرويشية، فتوطن دمشق، بعد ما كان سكنه وسكن أهله بالصالحية، ثم توفي في ذي القعدة، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وعشرين بعد الألف، ودفن بالصالحية، عند قبر الشيخ أبي بكر بن قوام ـ نفع الله به ـ.

[٧٥٠] أبو بكر بن عبد القادر بن محيي الدين الصديقي الشافعي[1].

الشيخ العالم المجذوب، كان من أذكى الناس، طلب العلم، وحصل ملكةً في العربية، وكان لا يفتر عن الاشتغال، قرأ على والده، وعلى تاج الدين القرعوني، وغيرهما، ثم حصل له جذبٌ، قيل: لملازمته للأسماء، وقيل لغير ذلك.

وكان يحب العزلة، ويلازم جامع السقيفة، وللناس فيه مزيد اعتقاد، وكان له كشوفاتٌ بينةٌ، وأخبر بموته قبل وقوعه بسنتين، ووجد ذلك على جدران بيته، وكانت وفاته أول ليلة الثلاثاء، ثاني رجب، سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، ودفن عند أبيه وجده، بتربة الشيخ أرسلان ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٨) (٨٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٧).

[٧٥١] **أبو بكر بن زيتون الصالحي الحنبلي**[1].

كان ذكياً فاضلاً سخياً، لطيف الذات، أخـذ عن شيخ الإسلام موسى الحجاوي، وغيره، وتردد إلى القاضي محب الدين، ولازمَه، وأخذ عنه كثيراً، وحج معه سنة ثمان وتسعين وتسع مئة، وكان حسن السيرة، مدارياً للخاصة والعامة، قوياً على مقاساة الأهوال جَلْداً، وكان لجوده وكرمـه يسمى: أبا مغني، **توفي** شهيداً، بعلة الإسهال، سابع أو ثامن رمضان، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، بالصالحية، ودفن بالسفح ـ رحمه الله ـ.

[٧٥٢] **الشيخ أبـو بكـر بن محمـد باجثـاث ـ بجيم فمثلثتين بينهمـا ألف ـ**[2].

أحـد الصوفيـة المشهـورين، والعلمـاء العـاملين، صاحب المعارف والعوارف، والمناقب الشهيرة واللطائف.

وُلد بـ «تريم» في أمان ونعيم، ولاحظته العناية والسعادة، فجمع بين العلم والعبادة، وصحب أكابر السادة، وشمر ساعد الجد، وحالف السعادة، وتمسك بالعروة الوثقى، من الدين والتقوى.

ولازم تاج العارفين، وصحبه خلقٌ كثيرون، وتخرج به سالكون كاملون، منهم: السيـد العلامـة أبـو بكر بن أحمـد الشلي، والسيـد شيخ بن عبـدالله العيدروس، وجماعةٌ آخرون، وذكره السعد شيخ بن عبدالله في كتابه «السلسلة»، قال: وكان من المشايخ العارفين الكبـار، أهل الأحـوال، صاحب كراماتٍ

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٧) (٨٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٣).

خارقة، وفراساتٍ صادقة.

ولم يزل في خدمة مولاه، إلى أن استوفى ما له من الحياة، **فانتقل إلى رحمة الله**، سنة خمسين بعد الألف، ودفن بمقبرة الفريط الشهيرة بحضرموت ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٥٣] أبو بكر ابن العلامة نور الدين علي بن أبي بكر بن الجمال الأنصاري الخزرجي(١).

الشيخ النجيب، الفطن الأريب، ذو السمت الفاضل، والذكاء الكامل، والأدب الظاهر، والحفظ الباهر، والفطنة النقادة، والقريحة المنقادة، الذكي اللبيب، الحافظ المصيب، رأيت ترجمته بخط من نقلها من خط ولده العلامة علي، وخلاصتها: أنه **وُلد** سنة إحدى وسبعين وتسع مئة، وحفظ «الشاطبية»، و«الجزرية»، و«الأربعين النووية»، و«ألفية ابن الهائم في الفرائض»، و«ألفية ابن مالك»، و«منظومة ابن غازي في الحساب»، وحفظ «متن البهجة»، وكثيراً من متن «المنهج»، وقرأه على الشمس الرملي، وأجازه به وبغيره.

وأخذ عن القاضي جار الله بن أمين بن ظهير الحنفي، وولده علي، والشيخ يحيى الحطاب المالكي، وولده محمد الحطاب مؤلف «المتممة»، وشارح خليل، والشيخ تقي الدين بن فهد الحنفي، والشيخ رضي الدين القازاني الشافعي، ومحمد بن عبد الحق، وشيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد القادر بن فهد الهاشمي الشافعي، وأجازه جميع المذكورين ـ كما رأيتها بخطوطهم ـ، واشتغل بالفقه على الشيخ نور الدين البرنبلالي اشتغالاً تاماً،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٩).

ولازمه، وأذنوا له في التدريس والإفتاء، فدرس وأفتى، وانتفع به جماعةٌ، منهم: الشيخ محمد بن بيري، والشيخ علي طحينة، والشيخ عبد الرحمن الرسام، وغيرهم.

وله الحواشي المفيدة على كثير من الكتب، في كثير من الفنون، وأكثرها في فن الحساب والفرائض، والجبر والمقابلة، وأعمال المناسخات، بالصحيح والكسور والحل، وكانت له يد طولى في هذه المذكورات، ومشاركةٌ تامةٌ في غيرها؛ كفنٍّ المعاني والبيان، والنحو والصرف، والقراءات والفقه، وكان حسن الخط نيّره صحيحه، يكتب كل يوم كراساً، في قطع النصف، مع اشتغالٍ بالدرس والتأليف.

وكان ـ رحمه الله ـ يرى في ليله بما سيقع في غده له.

منها: أنه أخبر بأنه يأتيه رجل بفلفلٍ، يريد بيعه منه، وهو سرقةٌ، وحذره أن يأخذه، فلما أصبح، أتاه رجلٌ بما أخبر، وتبين أنه سرقةٌ كما أخبر.

ومنها: أن جماعةً أرادوا به حيلةً، فأخبر في منامه بأسمائهم ومرادهم، ولقنه الحجة، فلما أصبح، جاءوه أولئك بحيلهم، فحجهم، وانتصر عليهم، وكان ذلك قبل أن يتزوج، فلما تزوج، انقطع عنه ذلك.

وله نظمٌ بديعٌ، وقصائد عظيمة، منها: في مدح رسول الله ﷺ قصيدتان: تائيةٌ، وهمزيةٌ مكسورةٌ، ومنها: في شريف مكة حسن بن أبي نمي.

وكان إذا حضر السماع، تواجد، وغاب عن حسه، فكان لا يحضره، وكان له عقيدةٌ تامةٌ في الصالحين والأوليـاء والعارفين، وكان انتقاله بالوفاة إلى رحمة الله، ضحى يوم الثلاثاء، خامس عشر شهر رمضان، سنة ست بعد

الألف بمكة، ودفن بالمعلاة.

[٧٥٤] السيد أبو بكر بن علي ابن السيد المحدث محمد بن علي بن علوي خَرِد ـ بفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء، وبالدال المهملة ـ اشتهر جده بالمعلم[1].

الشيخ المعظم، والإمام المقدَّم، سيد زمانه وعالمه، ومن شادت به أركان التصوف ومعالمه، شديد الزهد والورع، مديد الباع إذا قام في الأمور الشرعية وشرع.

وُلد بمدينة تريم، ولاحظته عناية الرب الرحيم، فحفظ القرآن العظيم، ولازم تقوى الله، ومشى على طريق السلامة والنجاة؛ من الأفعال السارة، والأعمال البارة، ومصاحبة أهل الخير والصلاح، ومواظبة الطريقة الحميدة في كل غدوٍّ ورواح، واتصف بالصفات المستحسنة، وتجنب الأمور المستهجنة، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، وعلوم الصوفية، والحقائق الربانية.

وأخذ عن عالي الرتب، شهابِ الدين أحمد باجحدب، وأخذ الفقه وغيره، عن جماعةٍ، منهم: القاضي السيد محمد بن حسن، والسيد الجليل علي بن عبد الرحمن السقاف، وولده محمد، وأولاد الفقيه عبدالله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل، وأدرك جده المحدث محمد بن علي، وحكّمه كثيرون من مشايخه المذكورين، وألبسوه خرقة التصوف، وأذنوا له في التحكيم والإلباس، وأجازوه في الإقراء ونفع الناس، فجلس للتدريس العام، في مسجد القوم

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٩).

الكرام، بعد العشاء الآخرة، وقرأ في العلوم الفاخرة؛ كالفقه والحديث والتفسير، وحضره خلقٌ كثيرٌ، من صغيرٍ وكبيرٍ، وجليلٍ وحقيرٍ، وانتفع به الخاص والعام، النفعَ المفيد التام.

وله تدريس خاصّ، بجماعةٍ من الخواصّ، وتخرج به جماعةٌ من فضلاء الأنام، نالوا به الرتب العالية السنام، الحَرِيَّة بالإجلال والإكرام، فجلى لهم عروس فضلٍ زُفَّت إلى كفء مجدها، وشمس علمٍ حلت ببرج سعدها.

وممن تخرج به من الأفاضل والأماجد: السيد الجليل أبو بكر الشلي، والدُ شيخنا الإمام محمد السيد الشلي ـ رحمهما الله ـ، والسيد الجليل عبد الرحمن ابن محمد بن علي بن عقيل، وشمس الشموس السيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وصاحب العرفان السيد عبدالله بن عمر الهندوان، والسيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب.

وكانت شمائله أرقَّ من نسيم الهبوب، وأخلاقه تملأ محاسنها العيون والقلوب، ثم غلب عليه حب العزلة، وعدم الاجتماع بالناس بالجملة، إلا عن حاجةٍ أو ضرورة، أو لزم من ذلك حالة محظورة، وكان ملازماً للطيلسان، في جميع الأزمان، ملازماً على تلاوة القرآن، معرضاً عن أعراض الدنيا، وعن كل ما يعوق عن الرتب العليا، قانعاً بالكفاف، متدرعاً لباس العفاف.

وكانت فصاحته تفوق فصاحة سَحبان وائل، وإذا تكلم، فالعلماء الأفاضل تسمع له، فليس أحد منهم بمتفوهٍ ولا قائل، وله كراماتٌ باهرةٌ، وأحوالٌ فاخرةٌ، وأنفاسٌ طاهرةٌ، وكان تلميذه الشيخ عبدالله بن العيدروس يقول: إنه يشفع في أهل زمانه.

ولم يزل ملازماً للتقوى، في السر والنجوى، إلى أن قضى نحبه، وبوأه الله تعالى قربه، فتوفي سنة سبع - بتقديم السين - بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل - رحمه الله عز وجل -.

[٧٥٥] السيد أبو بكر بن محمد بن الطيب باعلوي[1].

الطيب بن الطيب، الـذي يفـوق كرمـه على الغيث الصيّب، المجمَع على كماله شرقاً وغربًا، والمفوّه بفضله عجماً وعربًا.

وُلد ببندر الشحر، المسمى: سمعون، الذي تنشرح به الصَدور، وتقر فيه العيون، وسلك الطريق التي لا عوج فيها ولا أمتًا، وحاز من الفضل فنوناً شتَّى، وتحلى بالحُسْنَيَيْن نطقاً وصمتًا، ورحل إلى الحرمين، وأدى النسكين، وزار جده ﷺ، ورحل إلى عـدة بلـدان، وأخـذ عن جماعـةٍ من أولي العلم والعرفان.

وكان في الثغر المذكور مرجعاً للأعيان، ومجمعاً لفضلاء الزمان، يشار إليه بالبنان، مكرماً للضيفان، مشهوراً بالولايـة التامة، معروفاً بنفع الخاصة والعامة، وكان يلبس الملابس الفاخرة، ويسكن البيوت المشيدة العامرة، ولم يزل في الفرح والسرور، إلى أن نزل بساحة القبور، **فتوفي** سنة إحدى عشرة بعد الألف بالشحر، ودفن به - رحمه الله -.

[٧٥٦] أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف رضي الله عنهم[2].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٣).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٥).

قال شيخنا محمد الشلي في «مشرعه»: الشريف المعروف[1] كأبيه وأهله بابن شهاب، الذي فاق على الأتراب، المنفرد في زمانه بعلو الإسناد، ملحِق الأحفاد بالأجداد، النضير الذي لا نظير له، والملجأ الذي إذا نزلت المعضلة، أينعت أغصان دوحته في رياض الفضائل، فاكتست حللاً، وأشرقت أزهـار أفنان سوحته، فغدت الشمس كاسفةً، واستتر البدر خجلاً، حوى من العلوم والمعارف ما لا تحصره الأرقام، ولو أن ما في الأرض من شجرٍ أقلام، ومن الفضائل ما اعترف بالعجز عنه الخاصُّ والعام.

وُلد بـ «تريم»، ونشأ بها، فحفظ القرآن العظيم، وعدة متون؛ «كالجزرية»، و«الآجرومية»، و«القطر»، وغيرها، وتفقه بالشيخ الجليل محمد بن إسماعيل، ولازم والده في دروسه، وأخذ عنه علوماً كثيرةً؛ من فقـه وحديـث وأصول وتفسير وتصوف، وكذلك أخذ عن أخيه الهادي بن عبد الرحمن، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس.

ورحل إلى اليمن، والحرمين، وسمع بها عن كثيرين، وجاور بالحرمين، واشتغل على السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، والشيخ أحمد بن علان، وعلى شيخنا عبد العزيز الرومي، في فنونٍ كثيرةٍ؛ كالتفسير والحديث والتصوف، والمعاني والبيان والبديع، وغيرها من العلوم الشرعية والعقلية.

وأكثر الأخذَ عن علماء عصره، ممن هو فوقـه ودونه ومساويه، وجدّ في تحصيل العلوم حتى دخل في عداد الجماعـة، وتخرج في الصناعة، ثم قصده الناس في الاستماع، والاستفادة والانتفاع، فتصدر للتدريس والإقراء،

---

(١) كلمة المعروف سقطت من الأصل.

وانتفع به جماعة من العلماء، وسمعوا منه طبقة بعد طبقة، وتمثلوا بين يديه حلقة بعد حلقة، فأحيا مدارس العلوم، وأبدى دقائق المنطوق والمفهوم.

وممن تخرج به: شيخنا الإمام عبد الرحمن بن محمد إمام السقاف، والسيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وصاحبنا السيد أحمد بن حسين بافقيه، وأخوه عبدالله، والشيخ أحمد بن عتيق، والصنو أحمد بن أبي بكر.

وأمرني الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ بالاشتغال عليه، والاكتساب مما لديه، فقرأت عليه الكثير، وأخذت عنه العربية والتفسير، واستفدت منه ما حقه أن تصرف أعنة الشكر إليه، وتُلقى مقاليد الإحسان بين يديه.

وكان ـ رحمه الله ـ متين التحقيق، حسن الفكرة والتدقيق، يتأنى في التقرير، ويتأمل في التحرير، وكتابته أمتن من تقريره، وقلمه أبلغ من لسانه ولهجته، ورويته أحسن من بديهته، وكان صحيح النقل، وافر العقل، وكان ـ مع كبر سنه، وتبحره في الفنون ـ حريصًا على طلب الفوائد ممن يكون، وكان سيدي الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: ما رأيت عاشقا للعلم أيَّ نوع كان مثلَه، ولا أحدًا ممن سلف قبله، وكانت لذته وتنزهه في المجالس والمحاضرة، في طلب الفوائد والمذاكرة.

ومن جميل سيرته: أنه ما استصغر أحدًا حتى يسمع كلامه، ساذجًا كان أو متناهيًا، فإن أصاب، استفاد منه، صغيرًا كان أو كبيرًا، ولا يستنكف أن يعزي الفائدة إلى قائلها، وكان لا يكتب الفتوى إلا في المسائل العزيزة النقل، وإذا سُئل، لا يجيب على البديهة، بل يقول: افتح كتاب كذا، وعدّ من الصفحة الفلانية كذا، تجد المسألة؛ لأنه ﷺ قلّ نظره في آخر عمره، وإذا سئل عما لم يعلم، يقول: الله أعلم، ويتعجب ممن يتجرأ على الفتيا، ويبادر إليها،

ويتكلف الجواب عما لا يدريه.

وكان غاية في العفاف، قانعًا بالكفاف، معرضًا عن المناصب الدينية، والأسباب الدنيوية، ولما بنى السيد الجليل النبيه محمد بن عمر باقبه مدرسته التي بتريم، فوض إليه تدريسها، فدرس فيها أيامًا احتسابًا، ثم ترك ذلك، وكان لا يسأل في أموره إلا الله، ولا يعول في قضاء حوائجه على سواه، ولا يخرج من داره إلا لجمعة أو جماعة، أو زيارة صديق أو نحوه، ولا يتردد إلى أحد من الأعيان، لا سيما من له أدنى تعلق بالسلطان، ملازمًا للطاعات، في جميع الحركات والسكنات؛ بحيث لا يكاد يوجد في غير عبادة لحظة.

وكان له خلقٌ عظيم، يخجل منه النسيم، وكان يشرح كلام الصوفية وأهل الحقيقة بأحسن بيان، وأتم تبيان وبحث عما يشكل من ذلك، ولبس الخرقة الشريفة من مشايخه، وحكَّموه، وأذنوا له في ذلك، وكان يُلبس الخرقة، ويُلقن الذكر، ويُحكم من يشاء.

وكان غايةً في التواضع، لا يرى لنفسه على غيره فضلاً، ولو كان ذلك الغير نذلاً، ولم يزل مواظباً على السيرة الشرعية، والسنن النبوية، والاستقامة المحمدية، إلى أن دعاه داعي مولاه، فأجابه ولباه، فتوفاه الله سنة إحدى وستين وألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل - رضي الله عنه، ونفعنا به -.

[٧٥٧] أبو بكر بن أبي القاسم بن إسماعيل الحسيني صائم الدهر.

الشريف العريف، الولي الشهير، قيل: إنه استمهل في آخر عمره تسع مرات، وينسئ في أجله، وله الكرامات التي تشهد له، فريدةٌ نادرةٌ، وكان له الجاه العريض مع الدول وغيرهم، وكان صافي القلب، حتى كان يقول:

ما بت ليلةً وقلبي منطوٍ على شنآنٍ لأحدٍ، توفي في شهر محرم، سنة إحدى وألف.

[وأبو القاسم بن أبي بكر هذا كان هذا السيد من أعيان السادة الأولياء، وكان مِطعاماً، وكان من الأبدال، وكان راتبه: يا حي يا قيوم، وكان يقوم في آخر الليل، مات سنة اثنتي عشرة وألف][1].

[٧٥٨] أبو بكر المعصراني الشافعي[2].

الشيخ الصالح المجذوب، العارف بالله تعالى، كان يتكسب بعصر السمسم، وكان يحضر مجالس الذكر، فحضر في بعض الأيام مجلساً فيه جماعة اجتمعوا على ذكر الله تعالى، منهم: الشهاب أحمد الغزي، والشيخ أحمد الصواف الصوفي، وأحمد بن سليمان، وبات تلك الليلة عندهم، فلما كان وقت الذكر، لاحت له بوارق الحق، فأخذته، فتولَّه، ونزع أثوابه، وتعرى دون عورته، ثم انجلت عنه هذه الحالة[3].

وكان كشفه ظاهراً لا شبهة فيه، وله فيه وقائع مشهورة، وكان إذا سريت

---

(١) ما بين [] جاء في نهاية الترجمة، ولعله إدراج من الناسخ لترجمة لم تكتمل، خاصةً وأن تاريخ الوفاة مختلفٌ عما سبق، والله أعلم بالصواب.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٨) (٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١١).

(٣) رحم الله المصنف وغفر له في سرد هذه الحكاية، ولا أدري من أين ساغ لأهل التصوف وأدعياء الطريق فكرة التوله والتعري ويسمونها مرة بالتجلي وأخرى بالكشف، وكل ذلك من تلبيس الشيطان وتضليله.

عنه هذه الحالة، يلازم الصمت والعبادة، ولا يخرج من الجامع الأموي إلا للوضوء ونحوه، وكان يحصل له في جذبه تخريبٌ وشتمٌ للناس، ولا يشتم أحداً إلا بما فيه تأويل ظاهر، مع شدة الحال.

فخطر لي يوماً ما يقاسيه في حالته من الشدة والبلاء، فلما حاذاني، وقف عليّ ضاحكاً مستبشراً، فقال لي بديهةً:

لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكِلُه لن تبلَغ المجدَ حتى تبلعَ الصَّبرا

وسألت الله أن يكشف لي عن مقامه، فرأيته تلك الليلة في المنام، في صورة أسد، ثم تحول إلى صورته، وظهر لي بذلك أنه من الأبدال، فلما كان أول النهار، رأيته وهو في حالته، فضحك، وقال: كيف رأيتني البارحة؟

توفي بين العشاءين، ليلة الاثنين، خامس وعشري محرم، سنة أربع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٥٩] أبو بكر السندي الشافعي[١].

قال النجم الغزي[٢] في «الذيل»: الشيخ العلامة المحقق، كان مجاوراً بالطواشية، شرقي الجامع الأموي، تحت المنارة الشرقية، نحو عشر سنين، وكان بارعاً في المعقولات، صالحاً ديناً مباركاً، آثر الخمول والقناعة، وكانت تخطبه الدنيا، ويأبى إلا فراراً منها، ملازماً للعبادة، والصلاة في الجماعة،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٣) (٩١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٢).

(٢) الغزي: ليست في الأصل.

يسرد الصوم، دائم الصمت، حسن الاعتقاد، متواضعاً، لا يرغب في الحكام، ولا يجتمع بهم، وربما زاره بعضهم، ولا يعبأ به.

لزمه الطلبة، وانتفعوا بـه في المعقولات وغيرها، ودفن مطعوناً وهو صائم، ودام على صيامه حتى مات في يوم السبت، ثالث ربيع الأول، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بتربة الغرباء، بباب الفراديس، ومات قبله بأيامٍ طفيفةٍ، صاحبُه الملا محمـد الهندي، وكانا متلازمين في الحياة والممات، وقبرهما متلاصق، قال النجم: فقلت ملمحاً:

عجبـتُ لطـاعونٍ أصـابتْ نبالُـه ... وأربت على الخطيِّ والصارمِ الهندي
سطا في دمشقَ الـشامِ عـام وآخـر ... تبسَّطَ في الهندي وما ترك السندي

[٧٦٠] أبو بكر الطرابلسي الحنفي[1].

شيخ الإقراء بدمشق، أخذ القراءات عن إبراهيم بن كسباي، وبرع في علومها، وكان له مشاركةٌ في علومٍ كثيرةٍ، وكان ديناً صالحاً وقوراً، منزوياً عن الناس، إماماً بالسياغوسية، داخل باب الجابيـة، وهو آخر مشايخ المقرئين بدمشق، مات يوم السبت، تاسع أو عاشر شعبان، سنة ست وعشرين بعـد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٧٦١] أبو بكر بن الطاهر.

من بني حسان، صاحب التيحتا، كان عبـداً صالحـاً، قائمـاً بحقـوق

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٤) (٩٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٢).

الوافدين، وله في التصوف يدٌ عليةٌ، وسيرةٌ مرضيةٌ، **توفي في** جمادى الأولى، سنة اثنتين وستين وألف.

[٧٦٢] أبو بكر العطار الحلبي.

كان من المنطرحين في زوايا الخمول، يعتريه في غالب أوقاته عن هذا العالم ذهول، وكان في أوائل عمره يتعاطى العطارة، ثم انتقل إلى ما هو أفضل كسب وأربح تجارة، واشتغل بالعلم، وقطع آمالـه من جميع الناس، ولبس لباس القنوط والباس، واتكل على من يمنح الأماني، وزهد في زخرف هذا الوجود الفاني، أنشدني له بعض أصحابنا قوله:

فويلَكَ يا دهرُ من أنبـاكَ تحـسبني	أخافُ إقتارًا أو أَبكـي علـى طَلَـلِ
إني متى ما أخافُ الضيمَ من جهة	بسيفِ باسـي أقطـعُ هامـةَ الأمـلِ

[٧٦٣] فخر الدين أبو بكر بن محمد الخاتوني المكي[١].

كاتب ماهر، وشاعر قلد الطروسَ من نظم عقـود الجواهر، جرى في ميدان القريض ملءَ عنانه، فاجتنى زهر رياضه، واقتطف ورد جنانـه، ولـد بمكة، وبها نشأ على طريقة حسنة، وأخـذ عن شيوخ عصره علومًا عديدة، وبرع في الأدب، وبه اشتهر، وكان عظيم الهيئة، وضيء الوجه، نير اللحية، يغلب عليه صفاء القلب، ورقة الطبع، والانطباع لعامة الناس، والتغاضي عما لا يرضى من أحوالهم، **توفي** بمكة في نيف وخمسين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٢٦) (٣٠٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٠).

ومن شعره قوله في مليحةٍ اسمها غربية:

ربَّ سمراءَ كالمثقَّفِ لمَّا خطرت في الغلائل السندسيَّهْ
غادةٌ تسلبُ العقولَ ولا بد عَ وأعمالُ طرفها سحريَّهْ
جُبلت ذاتُها من المندلِ الرطـ ـبِ ففاقتْ على الرياض الزكيَّهْ
ما لها في الغصون نِدٌّ وليس النَّدُّ إلا من ذاتها المسكيَّهْ

منها:

هي للقلب منيةٌ ولكم مِن صدِّها الصبُّ ذاق طعمَ المنيَّهْ
ذاتُ لحظٍ وَسْنانَ يفعل ما لم يفعل السيفُ في قلوبِ الرعيَّهْ
ومُحَيًّا من دونه يخسف البدرُ إذا لاح بالليالي البهيَّهْ
حوتِ الحسَن كلَّه فهي ممَّا أبدعَ اللهُ صنعَه في البريَّهْ
شَبَّهوها عند التلفتِ بالظبـ ـي وهيهاتَ ما هما بالسويَّهْ
كلُّ شيء يخفى إذا ما تبدَّتْ وهي كالشمس لا تزالُ مُضيَّهْ
ليت شعري وأيُّ شمسٍ بشرقٍ لك تبقى إذا بدت غربيَّهْ

وقوله يرثي السيد أحمد بن مسعود:

على فقدِ بدرِ الملكِ أحمدَ فلتجُدْ لعظمِ الأسى من كلِّ ندبٍ شؤونُهُ
وإلا فمن يا ليت شعري بعدَه إذا هي لم تسمح تسحُّ جفونُهُ
فتًى كان والأيام للجدب كُلَّحٌ إذا أمَّه العافي أضاءَ جبينُهُ
فتبصر بدرًا منه قد تم حسنُه وتنشق روضًا قد تناهت فنونُهُ
يجودُ وإن أودى الزمانُ يسارَه بها قد جرت من كلِّ وقرٍ يمينُهُ

فقل للذي قد جدّ في طلب الندى   رويدَكَ إن الجودَ سارتْ ظُعونُهُ
وقد غاب من أُفْقِ الكمالِ منيرُهُ   كما غابَ من بحرِ النوال مَعينُهُ
وأصبحَ وجهُ المجدِ للحزن كالحًا   كأنْ لم تكنْ من قبلُ قرتْ عيونُهُ
سأبكيه والآدابُ أجمعُها معي   بدمعٍ تودُّ السحبُ يومًا تكونُهُ
ولِم لا عليه الفخرُ يبكي تأسفًا   وقد حقَّ منه البينُ وهو خدينُهُ
فذاك الذي عن مثله يقبحُ العزا   ويحُسن إلا من هوانه سكونُهُ
عليه من الله التحيةُ ما وفَتْ   بفرقته من كل حيٍّ منونُهُ
ورحمتُه ما حنّ أو ناحَ والِهٌ   نأى عنه بعدَ التداني قرينُهُ

[٧٦٤] أبو بكر بن يحيى المنيّري.

قال سيدنا القطب الرباني الشيخ أحمد الشناوي، في كتابه[1] «تجلية البصائر في التمشية على الجواهر» في شأن القطب العارف بالله: كان له جيبٌ من الغيب، في زرّه ينفق منه ما أراد، ولا يرى أحدٌ معه شيئاً، وكان لا يقبل الصدقة، ويقول: الفقراء سلاطين الله في أرضه، وكانت له اليد الطولى في الحديث والفقه والتفسير، ومطارحاتٌ في طامّات المسائل، ومعضِلات المشكلات، مع سيد العالم صبغة الله ـ رحمهما الله تعالى ـ.

[٧٦٥] أبو بكر بن محمد أبي سيرين.

ورفع نسبه في ترجمة والده إلى الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي ـ نفع الله به ـ.

---

(١) كتابه: ليست في الأصل.

كان صاحب الترجمة من الأولياء المعتبرين، والرجوع إليهم في كل حين، كثير العبادة، يقطع ليله في الصلاة، ونهاره في الصيام، حريصاً على فعل الخير، داعيةً إلى البر.

مولده باللحية، عام ثمانية وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وتقدم على الأقران، وقام بمنصب والده بعده أتم قيام، وكانت تخشى سطوته الحكام، إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب جده الأستاذ أحمد بن عمر الزيلعي ـ نفع الله به ـ.

[٧٦٦] أبو بكر بن يوسف السُّكتاني الأمْغَارتي المالكي.

كان إماماً عالماً، حجةً في النقل، وعَزْوِ المسائل، آيةً في المسكنة وحب الخمول، لا تغره الحياة الدنيا وزينتها، ولا يصل إليها، ولا يعظِّم أهلَها، ولا يراهم شيئًا، شديدَ الاحتراس منهم، كثير التحفظ لدينه، كثير العلم والفوائد، محققاً في القراءات السبع والعشر، يعرف من أحكامها ما لا يوجد عند أهل زمانه، وكان كثير النوادر والحكايات، مجلسه أحسن مجلس.

رأيته في مغربنا متواضعاً، يسأله كل أحدٍ، ويجيبه على قدر عقله، صابراً حليماً، ناصحاً محبوباً عند العامة والخاصة، لا يطوي بشره عن أحد، يجلس إلى كل أحد، ويسعى في قضاء حاجته، لا سيما في الشفاعات، ما لم تكن مخالفة للشرع.

وكان يدرس بمراكش بمسجد أم السلطان أبي العباس أحمد، وبمسجد حومته، قرب داره في درب الخلفاء، وبه كان يدرس في زماننا هذا، ورحل إليها ثلاث مراتٍ، آخرها عام أحد وخمسين وألف، وشيوخه بالمغرب

كثيرون، وحدث عن كثيرين من أهل المشرق، في الحديث والعلوم، قراءةً منه عليهم وإجازةً، منهم بمصر: إبراهيم اللقاني، ومحمد مولات الإسكندراني، وبالمدينة عن أبي زيد عبد الرحمن الخياري ـ رحم الله الجميع ـ.

[٧٦٧] الأمير أبو بكر بن علي باشا الأحسائي ثم المدني[١].

أميرٌ جيشه الهمم، وسيفه الحياء والكرم، كان ذا نظرٍ صادق، ونقدٍ خارق، حوى المكارم قليلَها وجليلها، والمآثر جملتها وتفصيلها، كان منه ابتداؤها، وإليه انتهائها، فلو قيل: أين منبت الجود وربيع الآمال، ومن هو للمروءة كافل، وللفقراء ثمال؟ لما انصرفت إلا إليه الإشارة، ولا دلت إلا عليه العبارة.

ولما وردتُ المدينة، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، اتحدت بأخيه يحيى اتحاد الشمال باليمين، والإكليل بالجبين، واتخذته أجل صديق، فكان بها درة تاجي، ولمعة سراجي، وأخبرني أن مولد أخيه المذكور بمدينة الأحساء، في حدود الألف، ونشأ على الاشتغال بالعلم، ثم لما حصل لوالده ما حصل، في قصة ذكرتها في ترجمة أخيه الأمير يحيى، رحل مع والده إلى المدينة الشريفة، وتوطنها، وأقام بها على خير، وفي خير.

وكان بها ملازماً للعبادة، مواظباً لقيام الليل، حتى إنه كان يجيء إلى المسجد النبوي، فيقف ببابه نحو ساعةً حتى يفتحه الخدام، إلى أن أدركه أجله، يوم عرفة بها وهو محرمٌ، فجعل في محفةٍ إلى مكة، ودفن بالمعلاة،

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٧٨) (٣٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

وتوفي والده علي باشا بالمدينة، سنة إحدى وخمسين وألف[1].

وشعره نورٌ عاطرٌ، يصيد القلب برقته والخاطر، **فمنه قوله مادحاً للشريف زيد أمير مكة:**

رقَّتْ لعزِّ مقامك العلياءُ ... وعليك فضَّتْ راحَها الجوزاءُ

فالبدرُ كأسٌ والشموسُ عُقارُها ... فاشربْ بكأسٍ شمسُه الصهباءُ

وحَبابُها نجم السما فكأنها ... ذاتٌ وذاكَ بشكله الأسماءُ

وأتتك بِكرًا قبل فضِّ ختامها ... يقتادُها راووقُها وذُكاءُ

خضعت لعزك فاستقمْ في عرشها ... يا ظاهرًا لا يعتريه خفاءُ

وانصبْ لواءَ العبدِ منتشر الثنا ... قد ضوعت بعبيره الأرجاءُ

يسعى بظل أمانه بين الورى ... ذو الباسِ والأمجادُ والضعفاءُ

فالدهر سيفُك فاتخذْه مجردًا ... متوشحًا بالنصر وهو رداءُ

فالسعدُ قد تَوَّجْتَهُ فله الهنا ... وكذا السعادةُ برجُها السعداءُ

وعلاك قد شهد الحسودُ بفضلهِ ... والفضلُ ما شهدت به الأعداءُ

وحماكَ أمنُ الخائفينَ تؤمُّه ... شمُّ الأنوف القادةُ الأكفاءُ

ولقد حظيتَ من الإله بنظرةٍ ... أردتْ مريدَ الكيد وهو هباءُ

وحُبيت منه بما تقاعس دونَه ... هممُ الملوك الصِّيدِ والعظماءُ

فالله أظهرَ ذا الجنان بنصِّه ... فالخلق أرضٌ والجنابُ سماءُ

لو قيل لي من ذا أردتَ أجبتُهم ... هل غيرُ زيد تمدحُ الشعراءُ

---

(١) جاء في الحاشية: «وفي هامش المسودة سنة (٢٦) بعد الألف».

وإذا أُديــر حديثُــه فــي محفــلٍ فلمــسمعي مــن طيــب ذاك غــذاءُ

ملــكٌ إذا وعــد الجميــلَ وَفَــى بــه وإذا توعَّـــدَ شـــأنُه الإغـــضاءُ

ملــكٌ إذا كتمــت رعــود سـمائنا فعلـى انـسكاب نـدى يديـه نِـداءُ

ملـك إذا مــا القِــرنُ أوقــد نــارَه فـــسيوفُه لخمودهـــا أنـــواءُ

ملك إذا جارَ الزمان علـى امـرئ فجنابُــه الــسامي الرفيــعُ وِقــاءُ

فبسعده أهدى الزمانُ إلى الـورى كأسًــا هنيًّــا لــيس فيــه عنــاءُ

فـالله يُبقـي ملكـه الـسامي الـذي قـــد كللتـــه بنورهـــا الزهـــراءُ

ويديمُـه فـي الدولـة الغَـرّا التـي ظهـــرت بهـــا الآبـــاء والأبنـــاءُ

فإليـــك بكـــرُ قريحـــةٍ بكريـــة رُفعــت إليــك تحفُّهــا الأضــواءُ

كلمـاتُ حـقٍّ شُـرِّفت بمـديحكم ومــديحُكم تــسمو بــه الفــضلاءُ

وكتب إلى الشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي ثم المكي، مادحاً بقوله:

يا من سـما فـوق الـسِّماك مقامُـه ولقــد يــراك الكــلُّ أنــت إمامُــهُ

حُزتَ الفـضائلَ والكمـالَ بأسـره وعلـوتَ قـدرًا فيـك تَـمَّ نظامُـهُ

لو قيل من حـاز العلـومَ جميعَهـا لأقـولُ أنـت المسكُ فيـه ختامُـهُ

كم صنتَ من بِكر العلـوم خرائـدًا عن غير كـفء لـم يجـب إكرامُـهُ

فـاعلم بـأني غيـرُ كـفء لائـق إن لم يكن ذا الفضل منك تمامُـهُ

ثم أتبعه بنثر صورته: لما أضاءت نور المحبة في قنديل القلوب، صفت مرآة الحقيقـة، فظهر المطلوب، فاتضحت الرسوم الطامسة، وبانت الطرق

الدارسة، فاكتحلت عين القريحة، فسالت في أنهر النطق، فأثمرت بالمسطور، وهو المقدور، وأما المقام، فهو أنهى من ذلك وأجل، وليس يدري ذلك إلا من وَهَل، وأما العبد، فهو مقرٌّ أنـه قـد قصرت بـه الركاب عن بلوغ ذلك، وأعاقته عقبات الأسباب عن سلوك هذه المسالك، لكن حيث إن ثياب الستر من فضلكم على أمثالـه مسبولة، فكون أنه يدخل في ضمن الامتثال مطلوبه ومأموله.

فأجابه بقوله:

لله درُّكَ يــا فريـــدَ محامـــد	أربـى علـى البـدر التمـام تمامُـهُ
قد صغتَ من سـر البلاغـة مفـرداً	فـــاق الفرائَـــد نثــرُه ونظامُـــهُ
وكسوته من جـزل لفظـك سـابغًا	وُشـــيت بكـــل لطيفـــة أكمامُـــهُ
وجلوتَـــه يختـــال تيهًـــا آمنًـــا	من أن يـشابه فـي الوجـود قوامُـهُ
أعربت فيك عـن اعتقـادِ خـالص	ومكـــينِ ودٌّ أُحكمـــت أحكامُـــهُ
وحبـوتَ ذا سـكر بنبـتِ قـصيدةٍ	وبفـضٍّ خاتمـة العـلا أسـوامُهُ
أهــلاً بـه فـرداً أتـى مـن مفـرد	وحَبَـا بـه ضـيفًا يجـلُّ مقامُـــهُ
حتمًـا علـــيَّ ولازمًـــا تبجيلُـــه	فـــورًا وحقًّـــا واجبًـــا إكرامُـــهُ
لكنْ على قدري فلستُ بكفءٍ من	وُطيـت علـى هـام العـلا أقدامُـهُ
وإليكهـا عـذرا علـى مهـل أتـت	خجـلاً لمحتـدِك العزيـزِ مرامُـه
فاصفحْ بفضلك عن صحيفة نقصِها	فالفـــضلُ مـــؤتَمٌّ وأنـــت إمامُـــهُ
واسحبْ رداء المجد غيـرَ مـدافَع	فلأنـــت عنـــصرُه وأنـــت ختامُـــهُ

ثم أتبعه بنثر صورته: هذم دام جدك في صعود، ومجدك في سعود، وعجرفة أبرزها فاتر الفكر الأعرج، وقاصر الذهن البهرج، تتعثر في مروط الخجل والوجل، وتتعارج لما بها من الخطأ والخجل، أتت سوح حضرتك الرحراحة الأرجاء، وأملت أن تفوز من كمال صفحك عن زيفها بتحقيق الرجاء، فقابل إقبالها بالقبول والإغضاء، والحظْها غيرَ مأمور بعين التقريب والرضاء، فإنك مأوى الفضل ومخيمه، ومفتتحه ومختتمه.

ولولا نافذُ أمرك المطاع، وواجبُ تعظيمك المتمكن في الأفئدة والأسماع، لما تراءى لراءٍ[1] عجرُها ولا بجرُها، ولا استبان لسامع خبرها ولا مخبرها، ولكن عند الأكابر تلتمس وجوه المعاذير، ولدى أعيان الأفاضل يرتجى الصفح عن التقصير، والسلام[2].

[٧٦٨] الأستاذ أبو الإسعاد المالكي يوسف ابن الأستاذ أبي العطا عبد الرزاق بن أبي المكارم إبراهيم بن محمد أبي الفضل بن أبي المراحم محمد بن أبي الفضل عبد الرحمن الشهيد بن أحمد أخي السيد الكبير الولي الشهير علي بن وفا ابن الأستاذ الكبير أبي الفضل وأبي التداني محمد وفا[3].

الشيخ العلامة، أستاذ الأستاذين، وجمال الإسلام والمسلمين، أخذ عن سالم السنهوري، وأبي بكر الشنواني، وعبدالله الدنوشري، والعارف بالله

---

(١) في الأصل: لرداء، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا ربع صفحة بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٥٠٣).

فائد الأزهري، وعلي الأجهوري، وغيرهم.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ ملازماً لإقراء العلم، والاشتغال به، ويحضر مجلسه البهي، ومحفله الوفي، أكابرُ العلماء؛ كالأجهوري، والمقري، وفتح الله البيلوني، وغرس الدين الخليلي، ومحمد الشبراملسي المالكي، والعلامة الغنيمي، والحلبي، وحجازي الواعظ، وتلميذه علي العزيزي، شارحا «الجامع الصغير»، وكان يقرئ درسه بحضور هؤلاء الأجلاء مجتمعين ومتفرقين، تارةً الشهاب أحمد الدواخلي، وأخرى محمد بن ياسين المنوفي، وكان ممن يحضره دروسه: شيخنا علي الشبراملسي، وبركات البحيري السفطي، ومحمد الحنبلي البهوتي الخلوتي.

وحج سنة خمسين بعد الألف، وحج معه جمعٌ من الفضلاء، منهم: شيخنا أحمد العجمي، واجتمع بمكة بالشيخ تاج الدين النقشبندي، وأخذ كلٌّ منهما عن الآخر، ورجع مع الحج إلى مصر، فتوفي بها سلخ صفر، سنة إحدى وخمسين وألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، في محفلٍ لم ير في هذه الأعصار مثله، ودفن بزاوية سلفه السادات بني الوفا، بالقرافة الكبرى، ورثاه الشهاب الخفاجي بقوله (راجع الريحانة)[1].

وجلس بعده في منصبه، بسجادة بني الوفا؛ لأخذ طريق السادة الوفائية الشاذلية، وإلباس الخرقة الوفائية، وتلقين الذكر، وطبقة الفجر، والمسبعات، والمناجاة، وحزب الفتح، والإجازة بالذكر، ولدُه الأستاذ أبو التخصيص عبد الوهاب، وجلس للدرس مكانه، فدخل عليه الشيخ غرس الدين الخليلي،

---

(١) جاء في الحاشية: «ترك بعد كلمة «الريحانة» صفحة بياض».

وأنشده قوله: إذا رأيت بعيني. . .[1].

ومن شعر صاحب الترجمة:

كيف الوصول إلى اللحوق بمعشرٍ تركوا الشواغل في رضا مولاهم

سِرْ في الطريق ولا تحِدْ عن نهجهم فإذا فعلتَ فربما تلقاهُم

ومن كلامه نفع الله به: ماء زمزم لما شرب له، وطعام الفقراء لما أكل له. . .[2].

[٧٦٩] أبو الحسن بن الزبير السجلماسي المالكي[3].

إمام النحاة في عصره، ومحقق العلماء في قطره، أجمع أهل المغرب على جلالته، وتمكنِه في العلوم العربية، كان كثير الحفظ لشواهد العرب، والاطلاع على أخبارهم، وله المهارة في اللغة، وكان إذا أورد المسائل النحوية، يورد لها شواهد عديدةً لا يجدونها في الكتب المتداولة، وكان يحفظ «التسهيل»، وغالب «شروحه»، فصيح العبارة، حسن التقرير، عظيم الهيئة.

وهو من أجلِّ من نشر العلوم العربية بفاس، وعلَّمها للطلبة، وكان إذا قرر المسألة، لا يزال يكررها بعباراتٍ مختلفة، حتى تظهر بأدنى الرأي، فلذلك كثر الآخذون عنه من أقطار المغرب الأقصى، على كثرة علمائه إذ ذاك.

أخذ عن إمام النحاة أبي يزيد عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن عبدالله

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «بعيني» ثلث صفحةٍ بياض».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «له» سطر بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٦).

إعراب المكناسي وكثيرين، وممن أخذ عنه: الشيخ أحمد بن عمران، والشيخ عبد القادر الفاسيين[1]، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، ومحمد بن ناصر الدراوي، وغيرهم ـ رحمه الله تعالى ـ، توفي سنة خمس وثلاثين بعد الألف بفاس.

[٧٧٠] أبو بكر بن عبدالله الحنفي العلواني الحلبي.

كان من فضلاء عصره، له «نظم بستان الشيخ سعدي الشيرازي»، وقفت عليه، في غاية الانسجام والسبك، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وثلاثين وألف، والعلواني نسبةً إلى العارف بالله الشيخ علوان الحموي؛ لأنه من جماعته، وعلى طريقته.

[٧٧١] الملا إسكندر العجمي.

كان من أكابر العلماء المحققين، اجتمع بتلامذة ملا حبيب الله الشهير بمرزا جان، بل بأعظمهم الملا يوسف القرباغي، وأخذ عنه العلوم الرسمية، وكان له الباع الطويل، في استخراج أسرار أنوار التنزيل، وله الأجوبة الباهرة، عن غوامض المشكلات المائرة.

وله دأبٌ ومثابرةٌ في الاشتغال، وله رسائل في المنطق والحكميات، وسرعة كتابة، وسمع المشكاة معنا على السيد صبغة الله، وكان عنده بعين، توفي بالمدينة، ودفن بالبقيع، كذا نقلته من خط العارف بالله أحمد بن علي الشناوي ـ قدس الله سره ـ.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفاسيان.

[٧٧٢] **أبو جعفر ابن الولي الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان القُلَيْعي المغربي.**

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: من أهل بيتٍ لهم حرمةٌ وصيتٌ في هذه النواحي كلها، سهلها وجبلها وصحرائها، خصوصًا المترجم، فله هديٌ وسمتٌ حسنٌ وتنسك، مثابرٌ على فعل الخيرات، من حجٍّ وجهاد، فقد أفنى غالب عمره في التردد إلى الحرمين الشريفين، وربما رجع من الطريق قبل أن يصل.

ولم يزل ذلك دأبه، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ[1] سنة إحدى وسبعين وألف، ودفن عند والده، بمقبرتهم المعروفة بالأبيض، قرب بوسمغون، وقد حججنا معه سنة تسع وخمسين، ونحن قافلون، وتؤثر عنه كرامات، وله أتباع، وكان يسير للحج غالباً بنسائه وأولاده، ويعظمه الناس كثيراً، الأمراء فمن دونهم، ويتبركون به ـ نفع الله به ـ، كذا ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته».

والقليعة: تصغير قلعة، وهي قريةٌ حسنةٌ بالمغرب، على حجرٍ صلدٍ، في سفح جبلٍ منقطع عنه، وبها آبارٌ كثيرةٌ طيبة الماء، ونخيلٌ ليس بكثير، وهي من طاعة سلطان داركلا، وبها عامله.

[٧٧٣] **أبو السرور ابن الأستاذ الشيخ محمد بن زين بن الحسن البكري المصري الشافعي[2].**

---

(١) رحمه الله تعالى: ليست في الأصل.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٥) (٩٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي =

قال النجم في «ذيله»: كان ـ فيما بلغني ـ أمثل من أخيه زين العابدين، وكان له ذوقٌ صحيحٌ في معارف الصوفية، والبلاغة الكاملة في إلقاء الدروس البكرية، قال: ولما سافر أخي أبو الطيب إلى القاهرة، سنة اثنتين بعد الألف، صحبه، وكان المترجَم يبالغ في إكرامه، وكان يدرس في الجامع الأزهر، وكان لـه اتساعٌ في الدنيا، ومداخلةٌ في أمورٍ كثيرةٍ، ودرس بالخشابية، بعد الشمس محمد الرملي، ومات سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٧٤] أبو السعود بن محمد بن تاج الدين الكوراني الحلبي[1].

أديبٌ لم يوجد له في عصره مثيل؛ لما له من سرعة البديهة ولطائف التمثيل.

وُلد ونشأ بحلب، وبرع وتأدب، ونظم الشعر البديع، الذي يزري بزهر الربيع، فمنه قوله:

كأنما الوجه والخالُ الكريمُ به ... مع العِذار الذي اسودَّتْ غدائرُهُ
بيتُ العتيق الذي في ركنه حجرٌ ... قد أسبلت من أعاليه ستائرُهُ

وقوله:

بدر أدار على النجوم براحة ... شمسًا فنارت في كؤوس رحيقِهِ

= (١/ ١١٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٢).

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٣)، «معادن الذهب» للعرضي (١٦٧) (٤٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦١٩) (١٢٧)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٦٦) (٩٧٥).

شمسٌ إذا لمعت كأن وميضَها ... برقٌ تلألأ عند لمع بريقِهِ
يسقي وإن عزت عليه ورام أن ... يشفي لداء محبه وحريقِهِ
فيديرها من مقلتيه وتارةً ... من وجنتيه وتارةً من ريقِهِ

[٧٧٥] أبو السعود بن تاج الدين البعلي الأصل ابن محمد بن أحمد ابن زكي الدين بن بدر الدين، الدمشقي المولد، الخزرجي، الشهير بالقباقبي الشافعي[١].

صاحبنا الفاضل، الأديب الذكي، الفطن الأريب الألمعي، كان طلق اللسان، ثابت الجنان، ذا فهمٍ ثاقب، ورأيٍ سديد صائب، اشتغل بالفقه والعربية في عنفوان شبابه، ولازم علماء بلده، وتقدم على أصحابه، ومن شيوخه: عبد الباقي الحنبلي، والجمال محمد الخباز، ومحمد بن محمد العيني، وغيرهم.

وبرع في فنون، ودرس في شروحٍ ومتون، وكانت حرفته التجارة، والسير في طلب الرزق مع السيارة، ومن شيوخه ـ أيضاً ـ: علي القبردي، ومحمد بن بلبان، ومنصور المحلي، وحج كثيراً، وقدم مصر، وذهبت به لشيخنا خاتمة المحدثين محمد البابلي، وخاتمة المحققين علي الشبراملسي، وقرأ عليهما من أول «صحيح البخاري»، وأجازاه بمروياتهما، وحضر دروس شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي.

وكان ـ رحمه الله ـ دمث الأخلاق، حسن العشرة، لطيف المحاضرة،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٩).

كامل الأدوات، قوي الحزم، وكان ثرياً في دنياه جداً، مجملاً متجملاً، وأجازه البشبيشي المذكور، وكتبت له إجازات بخطي، بأمرٍ منهم، وتوفي بدمشق، في شهر رمضان، سنة أربع وتسعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٧٦] أبو السعود ابن شيخ الإسلام نجم الدين بن بدر الدين الغزي[١].

مفتي الشافعية بدمشق، فاضلٌ اقتفى آثار آبائه الكرام، وتقلد رياسة الفتوى بعدهم أعوام، وجدّ في تحصيل ما يثني عليه به في مساعيه، مع حسن سريرةٍ مشتملةٌ على تقوى الإله ومراضيه، وكان جليل الشكل، حسن الصورة، نيّر الوجه، عظيم الهيئة، رأيته بدمشق الشام، وقد خضع له الخاص والعام، وهو يدرس بمسجد بني أمية، تحت قبة النسر، في «صحيح البخاري»، وكانت وفاته في حدود سنة سبعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

محاسنُ الشام جَلَّتْ	عن أن تُحَدَّ بحدٍّ
عن حسنِها فتحدَّثْ	وعن سواها فعَدٍّ
واللهِ لولا فناها	لقلتُ جنةُ خلدِ

وكان صاحب الترجمة بينه وبين خالي وأستاذي العلامة محمد بن الحسن المنلا مودةٌ أكيدةٌ، وأسئلةٌ مفيدةٌ، وكان كلٌّ منهما يجتمع بصاحبه في كل أسبوعٍ مرتين؛ للمذاكرة في العلوم، وكنت في خدمتهما أقوم وأنا صغير، ولله الحمد والفضل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٠٩).

[٧٧٧] أبو السعود بن صلاح الدين الدنجيهي الأصل نسبةً إلى دُنْجَيْه ـ بضم الدال، وسكون النون، وفتح الجيم، بعدها ياءٌ ساكنةٌ وهاء ـ، وهي قريةٌ من أعمال دمياط، الدمياطي المنشأ والمولد، الشافعي[1].

صديقي الصادق الوداد، سلالة العلماء الأمجاد، الشيخ الفاضل، البارع في الفقه وغيره من العلوم النافعة، الحسن الخَلق والخُلق، المليح المحاورة والصحبة، صحب الفضلاء والفقراء، وتخلق بالأخلاق الجميلة.

وُلد سنة ستين ـ فيما أظن ـ بدمياط، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوَّده، على الشيخ العلامة أبي السعود بن أبي النور الدمياطي، وقرأ عليه في الفقه وغيره، ثم قدم مصر، ولازم حضور دروس شيخنا أحمد البشبيشي ـ رحمه الله ـ، وجدّ في الاشتغال، حتى صار من فحول الرجال.

وصحبتُه في إبان الطلب، وشاركته في اقتناص شوارد العلم والأدب، وكنت ذا عنايةٍ بالاجتماع به، والتمتع بأدبه، ثم رجع إلى بلده، وأقام بها على بث العلم ونشره، وقدم بعد سنين إلى مكة حاجاً، وكنت ـ إذ ذاك ـ بها، ولم يرد الله سبحانه بالاجتماع عليه، مع كثرة شوقي إليه، والاجتماع مقدر، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

وتوفي ـ رحمه الله ـ وهو راجعٌ من الحج بالمدينة الشريفة، أوائل محرم، سنة ألف ومئة وتسع، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ، ولما وصل خبره إلى والده بدمياط، بعد وصول الحاج إليها، لم يلبث إلا قليلاً، ومات بعده ـ رحمهما الله ـ، وله «حاشيةٌ على شرح الغاية للخطيب الشربيني»، و«أخرى

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٨).

على شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا»، ورسائل في فنونٍ عديدةٍ، وكان قبل موته بسنتين، اجتمعت كلمة أهل دمياط عليه، وصار رئيساً لها، معدوداً من أعيانها، مع ما له من سمو النسب، والرفعة السالفة.

[٧٧٨] أبو الصفا بن أيوب بن أحمد الخلوتي الحنفي الدمشقي.

من الفضلاء المشهورين بالديار الشامية، وممن أنفق نفيس عمره في تحصيل العلوم النظرية، مولده بصالحية دمشق، سنة خمس وأربعين وألف، وقرأ بصالحية دمشق على علي القبردي، ومن في طبقته من علماء عصره، وأخذ عن والده علوم الصوفية، وحصّل طرفاً من العلوم الدينية.

ثم سافر إلى الديار الرومية، ولازم بها شيخ الإسلام يحيى المنقاري، واختص به، ثم رجع، وولي تدريس المرادية بمكة، وأقام بمكة نحو سنتين، صحبة عماد آغا، نائب جدة، وكان له به اختصاص، ثم رجع إلى دمشق، وأقام بها، وولي مناصب سنيةً، ومدارس عليةً، وأقام مدةً، ثم حج وجاور بمكة سنة، وكنت لا أفارقه فيها غالباً؛ للصداقة التي بيني وبينه قديماً.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على بث العلم ونشره، ثم ولي إفتاء الحنفية بدمشق، وعظم قدره، واشتهر أمره، وصار مرجع الشام، عند الخاص والعام، إلى أن توفي بها، لعله في شهر جمادى الأولى[1]، سنة إحدى وعشرين ومئة وألف، ودفن بتربة الغرباء، بقرب والده ـ رحمه الله تعالى ـ، وأوصاه والده وصيةً عظيمةً تكتب من المجموعة.

[٧٧٩] السيد أبو الغيث اليمني، صاحب الهشا.

---

(١) في الأصل: الأول، والصواب ما أثبت.

كان شيخاً صالحاً، زاهداً ناسكاً متورعـاً، مقصوداً بالزيارة، مشهوراً بالكرامات، روي: أن الناس ازدحموا عليه مرةً، وقالوا له: إنك أنت المهدي المنتظر، فلا بد من الخروج، فمنعهم، فلم يمتنعوا[1]، ففر منهم، وصعـد إلى ذروة جبلٍ عالٍ، صعبِ المرور، بناحيـة إبّ، وسكن بها مع رجالٍ من أصحابه وأحبابه، وصار منزوياً منقطعاً، بل مجتنباً عن الناس، حتى من الزوار والقاصدين، مشغولاً بنفسه، منجمعاً عن الدنيا بالكلية، وكان يستر وجهه، ولا يكشفه على أحد من الرجال، وله كراماتٌ ظاهرةٌ، وخوارق باهرة.

[٧٨٠] السيد أبو الغيث اليمني.

ساكنٌ بقرية من أعمال تعز، قريباً منها، وله أحوالٌ وكرامات.

[٧٨١] السيد أبو الغيث بن محمد بن إبراهيم الهادي بن عمر ابن الشيخ شجر القديمي، ينتهي نسبه إلى الشريف القديمي ابن الشجر بن أبي بكر بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر العربادي بن علي بن محمد النجيب بن حسن ابن يوسـف بن حسن بن يحيـى بن سالم بن عبـدالله بن حسين بن آدم بن إدريس بن حسين بن محمد التقي الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ، هكذا نقل نسب السادة بني القديمي العلامة محمد ابن أبي بكر الأشخر في «رسالته»، قال: وأكثر ذرية الشريف الشجر من ولده الشريف القديمي[2].

---

(١) في الأصل: يمنعوا، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٣٩).

كان صاحب الترجمة من أكابر أولياء عصره المشهورين، ومن عظماء السادة المجللين، وله الجاه الواسع عند ملوك مكة الحسنيين، وأمراء الأروام، والخاص والعام، وكان يحب الطيب، ويحيّي زواره به، ويتصرف في الناس، ويأخذ ما يشاء منهم، ويصل به الفقراء والمنقطعين.

وكان تارةً يلبس لباس الملوك، وتارةً ينزعه ويبيعه، ويطعمه الفقراء، ويلبس لباس الفقراء، وكانت تجار اليمن وغيرهم يستغيثون به في شدائد البحر، ومضايق البر، فيجدون بركة الاستغاثة به في الحال، وينذرون له[1]، وإذا حصل لهم الفرج أو الغرض، وفوه، وكان يعمل المولد بالحرم، في الموسم وغيره، على طريقة أهل اليمن، ويعمل أشغالهم، ويلحن ألحانهم بنفسه.

وله رياضةٌ واجتهادٌ في العبادة، وآثارها عليه ظاهرة، **توفي بمكة**، في شهر محرم، عام أربعة عشر بعد الألف، ودفن بالشعب الأعلى، بالقرب من ضريح خديجة ﵂[2] بالمعلاة، وهو المشهور الآن عند المكيين بأبي الغيث بن جميل.

ومن كراماته: أنه وقف بالموسم، في المكان الذي يفرق فيه الصر السلطاني، بالمسجد الحرام، وقال للكتّاب: أعطوني منه ما يخصني، فقال له

---

(١) وهل تصح الاستغاثة إلا بالرب ﷻ أو النذور لسواه سبحانه وتعالى، كذب المبطلون وخاب المدعون، وسبحان الله وتعالى علواً كبيراً عما يقولون، وغفر الله للمصنف ورحمه فيما دونه وذكره.

(٢) ﵂: ليست في الأصل.

بعضهم: إن كنت رجلاً كاملاً، فهات لنا تقريراً سلطانياً بما تروم، ونعطيه لك، فما مضت ساعة إلا وأتاهم بتقرير من سلطان عصره، السلطان محمد ابن مراد خان، بجامكيةٍ وغيرها، فدفعوا له ما هو مكتوب له في المرسوم السلطاني.

وكان السلطان محمد المذكور من أولياء الله، ومن أهل الخطوات، ويقال: إن صاحب الترجمة بعد أن فارق الكتاب المذكورين، دخل الطواف، فرأى السلطان محمد في الطواف، هو مختفٍ، فأمسكه وقال له: إن لم تكتب لي تقريراً بصر يكون لي ولأولادي، وإلا فضحتك بين الناس، فكتب له مرسوماً في تلك الساعة، فأتى به إليهم، وأمضوه ـ على ما ذكرناه ـ.

[٧٨٢] أبو السعود بن علي الزين القسطلاني المكي المالكي[١].

عالمٌ عاملٌ، وناسكٌ غيثُ بركته هامل، وإمامٌ بمثله يقتدى، وطودٌ بنجوم هديه يهتدى، وعلامةٌ في علوم العربية، ومثابرٌ على خدمة خالق البرية، كان متقلداً بقلائد العفاف، متخلياً عما يزيد على الكفاف.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بالعلم مدةً سنين، تقارب العشرين، وأخذ عن أهل الفضل والدين، ببلد الله الأمين، منهم: العلامة علي بن جار الله، والشيخ يحيى الحطاب، وغيرهما، وعنه أخذ العلامة عبدالله بن سعيد باقشير، والفاضل حنيف الدين المشهدي، وغيرهما.

ولم يزل ملازماً لخدمة العلم وإفادته، منهمكاً على مطالعته ومذاكرته، مكباً على إسعاف الطلبة، بجواهر النحو والدر، إلى أن وافاه الردى، من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٢).

لا يغفل عن زيد ولا عمرو، فتوفي سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

وله مؤلفاتٌ، منها: «الفتح المبين في شرح أم البراهين»، و«فوح العطر بترجيح صحة الفرض في الكعبة والحجر»، و«إملاء على الآجرومية» شرحاً لطيفاً، وله «منظومةٌ في مسوغات الابتداء بالنكرة وشرحها».

وله شعرٌ حسنٌ منه قوله:

ألايم القوم حتى أن أرى رجلاً	أخا مذاكرةٍ للعلمِ ينتسبُ
أقامَ ذكرَ عهود بالحمى فله	أحنُّ إلفًا وبالمألوف أنتسبُ
كأنني هل إذا فعلٌ يحيزها	فالمستضيء بأهل النحو يصطحبُ

أشار به إلى ما ذكره النحويون، من أن «هل» مختصةٌ بالفعل، إذا كان في حيزها، فلا يجوز هل زيد خرج؛ لأن أصلها أن تكون بمعنى «قد»، تقول: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[الإنسان: ١]، و«قد» مختصةٌ بالفعل، فكذا «هل»، لكنها لما كانت بمعنى همزة الاستفهام، انحطت رتبتها عن «قد» في اختصاصها بالفعل، واختصت به فيما إذا كان في حيزها؛ لأنها إذا رأته في حيزها، تذكرت عهوداً بالحمى، وحنت إلى الإلف المألوف، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما، وإذا لم تره في حيزها، تسلت عنه، وذهلت، ومع وجوده إن لم يشتغل بضمير، لم تقنع به مقدرًا بعدها، وإلا، قنعت به، فلا يجوز في الاختيار، هل زيداً رأيت؛ بخلاف هل زيداً رأيته. انتهى.

وقوله:

فبينما الشخصُ يمشي وهو في فرحٍ	إذ صار في النعش محمولاً على الكتفِ

فعدّ زاداً هي التقوى وكن حذرًا واكثرْ من الذكر والأحزانِ والأسف

وقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بروضةِ مَنْ بالصدق كان يقولُ
وهل أُبصَرنْ تلك المعاهَد والربا وهل يقعا لي نظرة وقبولُ

وقوله: هل يقعا، جرى على اللغة الضعيفة المشهورة بلغة أكلوني البراغيث، من إلحاق المسند إلى اثنين، أو جمع ضميرهما. انتهى.

وقوله مخمساً لبيتين نظمهما صاحبه العلامة عبد الرحيم بن حسان:

غرامي لرؤيا الطيف[1] في العمر مرةً غريمي بأخذ الروح والقلب هجرةً
ومن شدة الإشفاق أُنشدُ حسرةً ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
بوادي عقيق حلَّ فيه رسولُ
وتُبصر عيني ما بدا من شؤونه وتُبرد نارًا بالحشا من شجونِهِ
ويفرح قلبٌ حزنُه من عيونه وهلا أردَنْ يومًا مياهَ عيونِهِ
وهل يبدُوَنْ لي قبةٌ ونخيل

[٧٨٣] أبو القاسم بن إسحاق بن إبراهيم.

الظاهر أنه ابن جعمان، ورفع نسبه في ترجمة ولده.

كان فاضلاً محققاً، عالماً عاملاً، زاهداً في الدنيا، عُمِّر طويلاً، بلغني أن ولادته سنة سبع عشرة وتسع مئة، وتوفي في حدود الألف، ببيت الفقيه

(١) في الأصل: اللطيف، والمثبت هو الصواب.

ابن عجيل، وقبر عند مسجدهم، وهـو شيخ السيد الطاهر بن بحر، والفقيه محمد بن عمر حشيبر، وغيرهما ـ رحمهم الله ـ.

[٧٨٤] السيد أبو القاسم بن علي، صاحب الضحى.

الولي المشهور، يرجع نسبه إلى محمود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

[٧٨٥] السيد أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن أبي القاسم ابن عمر بن علي الأهدل[١].

الولي المشهور، شُهر على ألسنة العالم بقائد الوحوش؛ لأن الله سبحانه سخرها له كرامةً؛ من تسلطها كثيراً على من آذاه أو قطعه، عادة التزمها بطريق النـذر ونحـوه، وشهرة حاله واعتقاده بين العالم، يغني عن وصفه وتفصيل سيرته.

توفي ـ رحمه الله تعالى[٢] ـ في المحرم، ليلة الثلاثاء، لعشر مضين منه، سنة اثنتين وعشرين وألف، في المحط من أعمال رفع، ودفن بها قبل طلوع فجر الليلة المذكورة.

قال ولده السيد أبو بكر: ولقد شاهدنا منه في حالة احتضاره وغسله، ما يدل على حسن حاله وفضله، واطلعنا له عقب وفاته، على مناقب كثيرةٍ، تشهد بأنه كان ذا ولايةٍ كبيرة، وهو والد السيد أبي بكر مصنف «النفحة».

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٤٤).

(٢) رحمه الله تعالى: ليست في الأصل.

[٧٨٦] أبو القاسم بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهدل.

كان عبداً حصوراً صالحاً، يقوم بواجب الوافدين، ويطعم الضعفاء والمساكين، توفي في ذي الحجة، سنة تسع وثلاثين وألف، وعظم بموته مصاب المسلمين.

[٧٨٧] أبو محمد حسين بن حسن بن أحمد بن سليمان الحسيني الغريفي البحراني[1].

بحر علمٍ تدفقت منه العلوم أنهارًا، وبدرُ فضلٍ عاد به ليل الفضائل نهارًا، شب في العلم واكتهل، وهمى صَيِّبُ فضله واستهلّ، فجرى في ميدانه طلقَ عنانه، وجنى من رياض فنونه أزهار افتتانه.

وكان بالبحرين إمامها الذي لا يباريه مبار، وهمامها الذي يصدق خبره الاختبار، مع سجايا تستمد منها المكارم، ومزايا تستهدي محاسنها الأكارم.

وله نظمٌ منه قوله:

قلت للذي عابَ فعابَ الذي ... قُلتُ وقلت السر مني ضروسْ

لا تمتحَنْها تمتحن أنها ... دليةٌ قد دُلِّيت عن مروسْ

بل وقناتي صَعْدَةٌ صعبةٌ ... تخبر أني الهزبريُّ الشموسْ

وكانت وفاته سنة إحدى وألف، ولما بلغ نعيه شيخه، الشيخ داود بن شافيز البحراني، استرجع وأنشد:

هلك الصقرُ يا حَمامُ فغني ... طربًا منك في أعالي الغصونِ

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٩٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٨٧).

[٧٨٨] السيد العلامة الأصولي النحوي أبو المطهر الحسن بن مطهر ابن محمد الجرموزي الحسني ـ رحمه الله ـ[1].

قال في «قلائد الجوهر» في حقه: هو رب البلاغات الباهرة، والكلمات التي هي بالنجوم ساخرة، وخضم الأدب الذي لا يحصى فضله ولا يحصر، وإمام الفصاحة التي تتلو لنا في ينابعها: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ﴾ [الزخرف: ٤٨]، وصاحب النظم الذي هو عقودُ دُرٍّ وجوهر.

وله الأدب الذي لم ينسج على منواله، والإبداع الذي أعرب عن تحريك أشجان كم من واله، ضرب شطراً[2] صالحاً من عنفوان شبابه في العلوم، وتردى[3] من كأس رحيق الأدب المختوم، وهذا «قلائد الجوهر في أنباء آل المطهر» ألفه الفقيه الأديب علم الدين قاسم بن أحمد الخالدي، وكان من غرس نعمتهم، وممن غُذي بمياه مكارمهم.

وأخذ في صنعاء على جماعةٍ من علمائها، منهم: القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد الحيمي، والسيد محرم الحسني، والقاضي الطبري المعروف بالوحش، والقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم السحولي الخطيب، وغيرهم من المشاهير، ومن جملة مشايخه: القاضي شمس الدين أحمد بن

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٩٠) (٢٢٠)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥٠٥) (١٥٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٣٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥٦٠) (٥٢)، «البدر الطالع» (١/ ٢١٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٢٣).

(٢) في الأصل: سطراً، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وتروّى.

سعد الدين المسوري، والقاضي عبد الواسع بن عبد الرحمن القلعي القرشي.

وأخـذ عن الإمام الأعظم المتوكل على الله؛ فإنـه أيام اتصاله لم يترك الاشتغال عليه.

وممن تتلمذ له: مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، وصنوه الحسن بن علي، وأخذ عليه ـ أيضاً ـ في النحو: القاضي شرف الدين الحسن بن محمد المولى، خاتمة المحققين بصنعاء اليمن.

وله نظم «الكامل في أصول الفقه»، و«تعليقـاتٌ على نهج البلاغـة»، لكنها لم تتم، ولم يزل بعد اتصاله بالمتوكل بالله يتنقل في الأعمال، وكتابة الإنشاء، حتى كان هو المتولي لكتاب[1] سلطان الهنـد، المعروف بمحمـد أورنكزيب بن شاه جهـان، الواصل إلى مولانـا أميـر المؤمنين المتوكل في سنة...[2] صحبة رسوله السيد محمد سعيد.

وهو كتابٌ مجلدٌ يأتي كراس، وصنف فيه ما كان بينه وبين إخوته الذين هم: مراد بخش، وشاه شجاع، ودارا شكور من الحروب، عند قيامه بالمملكة، عند عجز والده شاه جهان، وكان الجواب على منوال كتابهم، وذكر فيه ما كان بين المتوكل وسلطان حضرموت من الحروب، وكان المتوكل قد أمر جماعةً ممن في[3] حضرتـه، من فضـلاء اليمن بالجـواب، ولم ينفـذ غيـر جوابه؛ لاستجادته.

---

(١) في الأصل كلمه غير مقروءة.

(٢) جاء في الحاشية: «لم تذكر السنة».

(٣) في: سقطت من الأصل.

ونقله المتوكل من الكتابة إلى حرار، ثم المخا، ولم يزل به أيام المتوكل، ومدة خلافة المهدي، وخلافة المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، وصدر خلافة الناصر الهادي محمد بن المهدي، حتى اضطرب أحوال اليمن، وهبت زعازع الفتنة.

وفي وروده إلى المخا يقول القاضي جمال الدين علي بن صالح بن أبي الرجال، مؤرخاً ذلك سنة واحد وثمانين وألف:

بعثَ الإمامُ إلى المخا بماجدٍ   أَطْفى بصدقِ العزم نيرانَ الفِتَنْ
قِرم محا رسمَ الفرنج عن المخا   وحمى بحدِّ السيف أطرافَ اليمنْ
باهى المخا به على أقرانه   وسما بمقدمه الشريفِ على عَدَنْ
ودعا لسانُ الحال فيه مؤرخًا   (ملئ المخا عدلاً بمولاه حسن)

وعمّر في المخا قلعة الساحل، ولم تكن قبل ذلك، وجدد غيرها، لما كان يحصل من الإفرنج - أخمدهم الله -، وجدد بها عمارة الجامع الكبير، وعمره عمارةً أنيقةً، وكتب على لوح من الكافور، فيه من شعره مؤرخاً:

جامع مبارك   قد سَرَّنا عامُهُ
شادَ بناه حسنٌ   كما يشا إمامُهُ
وقد أتى تاريخُه   (وبالهدى ختامُهُ)

وذلك سنة خمس وتسعين وألف.

ومن مآثره: نهر أجراه على نحو فرسخ، في مناخةٍ من جهة حرار، وفي أيامه ظهرت نارٌ في جبل قِر، الذي نار اقلعه فضلى، كانت ترمي بشرر

كالقصر، يسمع منها دويٌّ كالرعد القاصف، حتى غشى دخانها مَنْ في المخا، وكان يظهر ضوءها في الليل من الجبال.

وقدم في أيامه السيد محمد بن محمد عبد الرسول البرزنجي، رسولاً من شريف مكة إلى الهند، وحصلت بينهما مكاتباتٌ ومراجعات، وألف برسمه السيد محمد البرزنجي كتاب «الاهتدا في الجمع بين أحاديث الابتدا».

وفي أيامه وصل الشيخ جمال الدين علي بن علي المرحومي المصري الضرير، فأكرمه، ورغبه في سكون المخا، وتردد في أثناء ذلك إلى الهند، وإلى صنعاء ومكة.

ومما كتبه إليه الشيخ علي المرحومي، يطلب منه مملوكاً:

لا يُسترَقُّ العبدُ إلا إذا ... أدخلت هذا الرقَّ في رقِّهْ
فأنت من لو يشاء في دهره ... لاستنزلَ العَيُّوقَ من أُفْقِهْ

وفي أيامه كان خروج السلطان أبي الفتح عبد العزيز خان، سلطان سمرقند وما والاها، وهو سلطانٌ عظيمٌ، صاحب مملكةٍ متسعة، وكان خرج إلى مكة؛ لتغلب ولد أخيه المسمى شيخان ملي خان على مملكته، وشرحُ حديثه ومملكته يطول، وتوفي السلطان عبد العزيز في المخا، ونقل إلى المدينة بوصيةٍ منه.

ومما كتبه صاحب الترجمة إلى شيخه القاضي محمد بن إبراهيم السحولي ـ فسح الله في أجله ـ:

حَتَّامَ تنهلُّ البوادْر ... وإلامَ أعدو والدهر ساهِرْ
ويصدني ريمُ الفلا ... ة أما لذاك الدهر آخِرْ

وهي طويلةٌ منها:

لا تعجبـــوا مـــن عملـــك فـــي الحـــب حـــائر
فـــي المخلـــص لا ى أحلامـــي حـــديثك لا ولا تعـــم المزاهـــر
إلا حـــــديث محمـــــد فخـــرِ الأوائـــل والأواخِـــرْ
أَبْهـــى المـــلا حـــاوي العـــلا جـــمُّ المناقـــب والمفـــاخرْ
نـــور العـــرا ســـدى القِـــرى مـــوهي القـــرا مـــن كـــل فـــاخر
إن قـــــال أزرى بـــــالقلا ئـــد والثمـــين مـــن الجـــواهر

فأجابه القاضي عز الإسلام محمد بن إبراهيم ـ فسح الله في أجله ـ بقوله:

بـــين المفـــاخر والمحـــاجر فُـــتن الأصـــاغرُ والأكـــابرْ
وعلـــى الـــدما طلـــب دمـــا للأوائـــــل والأواخــــــر
وإذا نظـــرت وجـــدت ســـو دَ البابليـــــات الفـــــواتِرْ
بـــيض الـــسيوف المرهفـــا ت المـــشرفيات البـــواترْ
ومعـــاطف البـــيض الـــسوا حـــي للهـــوى الـــسمر الـــسواحر

ومنها:

فلا تتخون[1] خطيئتي إن سلمت والله غـــــــافرْ
بمـــديحِ مولانـــا الكريـــ ـــم بـنِ الكـريم أخـي المفـاخرْ
حـــسنِ ســـليلِ مطهَّـــرِ نجـــلِ الغطارفـــةِ الأكـــابرْ

---

(١) كذا في الأصل.

أهـــلِ الرجاحـــةِ والفـــصا حـــةِ والــسماحةِ فــي الـضرائرْ

أهـــلِ العـــوارفِ والمعـــا رفِ والمحـــابرِ والمنـــايرِ

ومنها:

عـــذرًا إليـــك متـــاعُ شعـــ ـــري عـــن مـــدى علياكَ قاصـرْ

قابلـــتُ هاتيـــكَ القـــصو رَ بهـــذه الـــدِّمَنِ الـــدواثِرْ

علمًـــا بأنـــك كامـــلٌ وبـــأن بحـــرَ يـــديك وافـــرْ

وبـــأن حكمَـــكَ عـــاذرٌ فيمـــا أتيـــتُ بـــه وســـاتِرْ

قـــد كـــان لـــي مـــن قبـلُ نظـــ ـــمٌ تُـستمال بـــه الخـــواطرْ

واليـــومَ دارتْ للهمـــو م علـــى قريحتـــيَ الـــدوائِرْ

ثـــم الـــصلاةُ علـــى النبيْـــ ـــيِ وآلـــه خيـــرِ العـــشائرْ

وكتب إليه الأديب الذي أصبح واسطة عقد أهل الأدب، المفضل الحسن ابن علي بن جابر الهبل، وذلك من أثناء كتاب طويل:

يـا بـنَ الأئمـةِ مـن أبنـاءِ فاطمـةٍ وخيرَ آلِ النبي المختار خيرِ نبي

يا خيرَ مـن رقمـت طـرب أناملـه وأكرَم الناس من عجمٍ ومن عربِ

لله مـن ماجـد حـاز العـلا فَعَـلاَ في المكرمات وحاز المجدَ وهو صبي

أو لـم يـزلْ همُّـه العليـا وسـيدها وهـمٌّ أترابـه فـي اللهـو واللعب

إن هـــزَّ أقلامَـــه قالـــت أناملُـــه نبت غصون الرياض آلـة الحطب

لا زلـتَ تـنظم أسـلاكًا منـضَّدَةً كما تجود على العـافينَ بالـذهبِ

فأجاب في عنوان الكتاب:

أَمِـن لآلٍ تـصوغ الـنظمَ أم ذهـبِ / أم من رحيقٍ تعـالى اللهُ أم ضَـرَبِ
هل تلك روضةُ حربٍ جادها غَـدِقٌ / فحفَّ دوحاتِها بـالزهر والقُـضُب
أم تلك جنـةُ عـدنٍ قـد أتيـتَ بهـا / تجلو النواظرَ أم عقدٌ من الـسهبِ
أم تلـك غانيـةٌ بالحـسن غانيـةٌ / عـن الحـسن دارت بابنـةِ العنـبِ
جاءت تبخترُ في حَلْي وفي حُلـل / وتُخجل البدر إذ تبدو من الحجب
أهانـت الـدرَّ حتـى مالـه ثمـنٌ / دار حـصعمة الأسـعار والحطـب
سـقيًا لهـا دميـةً لـو أنهـا نطقـت / لبـتُّ أُنـشدها مـن شـدة الطـربِ
نفـسي الفـداءُ لثغـرٍ راق مبـسَمُه / وزانـه شَـنَبٌ ناهيـكَ مـن شَـنَبِ
يفترُّ عـن لؤلـؤٍ رطـبٍ وعـن بَـرَدٍ / وعن أقاحٍ وعن طلعٍ وعـن حَبَـبِ
لله مـــا طمهـــا لله راحمهـــا / يا للعجائب كم أبدي من العجـب

وكتب إليـه العلامـة الشيخ محمـد بن الحسين المرهبي بن أبي فاضل رسالةً ذيلها بأبيات عتابٍ مطلعها:

لك الخير ما دامتْ لعبـد صـنائعُهُ / فقد راعه من سُخطك اليومَ رائعُـهْ
نأت فما قلبي بجَلْـدٍ علـى الجفـا / ولا مـستطيع مـا بـه أنـت صـانعُهْ
تجافيتَ حتى ربع لـي مـن أربعـه / وقاطعتَ حتى رقَّ لي من أقاطعُـهْ
وإنك قد أسـلفتَ عنـدي عوارفًـا / أمنـتُ بهـا والـدهرُ جَـمٌّ فجائعُـهُ
وأوردتَني من فضل نُعماك مـوردًا / تعزُّ على الشهب السواري مسارعُهْ
ولـو أننـي فـي أفـق مجـدك ريبـه / فطـائره دونـي محـلاً وواقعُـهْ

فلا تقصدَنْ بالهـدم مـا أنـتَ بانِـه ... ولا تنحُ بالتخريقِ مـا أنـتَ راقعُـهْ

إلى أن قال:

وقد رفع الباري محلَّك في الورى ... علـى كُـرهِ أقـوامٍ لمـا اللهُ رافعُـهْ

فإن ترع تـستوقف ركـابَ مـودتي ... ويأتيك عاصي المدح مني وطائعُهْ

وإلا فـإن الغيـثَ باعـثُ جيـشه ... إلى ربعك العالي وهـذي طلائعُـهْ

وعش سالمًا فالمُلـك بُـرْدٌ مـسهَّمٌ ... وأفعالُـك الغُـرُّ الحـسان وسـائعُهْ

ومن مستحسن مطارحه، ومستبدع سوانحه: ما دار بينه وبين القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، كتب إليه القاضي المذكور إلى المخا، في شهر رمضان، سنة ثمان وثمانين وألف، من صنعاء المحروسة:

أحبة قلبي بعـد عهـدي وعهـدهم ... بـأنهم يبنـون هـدمًا لمـا بنـي

أحبتنـا مـا غيـر النـأيُ حُبَّنـا ... فقلبي لكم مذ غبـتمُ خيـرُ مـوطنِ

أحـنّ إلـيكم كلمـا حـنَّ راعـدٌ ... وأذكر عيشًا كان لـي ولكـم هَني

وأعقد سطحي لم رنت إليه وسـاريا ... وأشـرف بـالغور اليمـاني لعلنـي

ومنها:

سأصبر إذ عهـدي وسـوء عهـوده ... فمثلي بحفظ العهد والعهد ينفنـي

وهل أرتضي نسيانكم بعد فضلكم ... أنيسي كريم الأصل إحـسان محـسن

فحاصـلُ حـالي والأخـلاء أنهـم ... جَفَوْني ولم أجـفُ الأخـلاءَ إننـي

فكتب السيد حسن الجواب:

نعم عن هواكم لستُ واللهِ منثني فعطفُ ودادي منكم الدهرَ منثني

ولي فيكم الوجدُ الذي طاب ذكرُه وطار مع الأمثال في كل موطن

وحسن ولاء والقلوب شواهد فوجه عتابي منكم غيرني

صلوا حبكم أو فاقطعوه فوده كشي أصيل ليس ينفك مني

وهيهات أن يُنسى جميل فعالكم وغير طباع يفضح الدهران مني

وتلهيه دنيا عنكم أو مس بلده إذن فهو في أهل الهوى العاشق الدني

أبي لي أبائي أن أقوض عنكم خيامي أو أنعى بكم غير معتني

فيا جيرة لي قد تكمن حبهم لدي بحمد الله أي تمكن

ثقوا بوثيق الود مني فإنه تمل الندامى ما عداني فإنني

ومن محاسنه قوله:

ساميتَ للنجم قدرًا لله درُّك حامي

إن تردْ بالنحو صرفًا فإن شرحَك حامي

ومن محاسنه ما امتدح به أمير المؤمنين المتوكل:

لك الخيرُ عني أيهذا المعنفُ ونفسي فمنك النصحُ قولٌ مزخرف

فسمعي عن العذال وَقْرٌ فلم يُصِخْ وقلبي عصيٌّ عنهم متأنف

أئن شمتني ذا لوعةٍ وصبابةٍ ودمعي على الخدين هامٍ يكفكفُ

حسبتَ بأني هائمُ القلب في الدُّمى ثكلت وأني بالخرائد أكلَفُ

وأني سباني طرزُ أغيدَ أكحلٍ وأني سباني مائِسُ القدِّ أهيفُ

فيعا لعلي لعلي إلى هواه وسعه الطمر[1] نحو لمـن ريقِهـا العـذبِ قَرْقَـفُ
فيا ناقتي خِفِّي الخطا لـي سـريعة إلى حيث أثمـارُ المعـالي تقطَـفُ
إلى حضرة السامي عن الخلقِ عن يد وأكرمِ من يولي الجميل وينـصِفُ
إمامِ الهدى سمٍّ العدى واسعِ الجدا بحار الندى عن كفـه لـيس ينـزفُ
إمـامٌ بـه الأيـام تـضحك فرحـةً عليها طيورُ السعد والنصر عُكَّـفُ
بدا لي سماءُ المجد بدرًا فأشرقت به الأرضُ وانجابت بذلك أَسْدُفُ

ومنها:

إذا قـال فالـدرُّ الثمـين جنـادلٌ وإن صالَ فالشمُّ الشواهق تزحَـفُ
قـد اقتربـت أعـداؤه فقـراً لهـم إذا جاء نـصر الله والفـتح مرهـف

وله من قصيدةٍ في مدح المتوكل على الله:

هـل يرعـوي العـاذل أو ينـزِعُ ويعقــل اللائــم أو يــسمَعُ
عــلام تلحــو مغرمًــا مـدنفًا إذا هجــع الــسَّمارُ لا يهجَــعُ

ومنها:

لـو أنـه فيمـا مـضى مـا ازدهـى كــسرى ولا قيــصر أو تُبَّــعُ
عمَّــت أياديــه جميــعَ الــورى ونالهــا الأقــربُ والأشْــسَعُ
ألــف مــا لهنــدي سـمل النقــا وأصــبح التــرك بــه تهــرعُ
رُدَّتْ بـه للخلـق شـمسُ الهـدى كأنــــه بيــــنَهم يوشَــــعُ

---

(١) كذا في الأصل.

كـم مـشكلاتٍ قـد جلاهـا ولـو   لاه لمـا نـضا لهـا برقُـعُ

وله من أبياتٍ في مدح صنعاء، وتخلص إلى مدح المولى ضياء الإسلام إسماعيل بن محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين.

فمنها في وصف صنعاء:

بلـدة زُينـت بكـل بـديعٍ   قـد حباهـا بـه الملـكُ الجليـلُ
جنـةُ الأرض تلـك لا ريـبَ فيهـا   نهـرٌ دافـق وظـلٌّ ظليـلُ
خلـع الحسنُ ثوبَهـا[1] وكسـاها   فهـي فـي بُـرده القشيب تجـولُ

ومنها في المديح:

وبصنعا طابت لنـا الروضـة الغنْـ   ـنَا ورقَّـتْ أسحارُها والأصيـلُ
ذا ولـولا مليكُنـا الأوحـدُ النـد   بُ سـليلُ الكـرام إسـماعيلُ
زانهـا مـا غـدا لـدرب السلاطيـ   ـن علـى جميعهـا تفـضيلُ
فلـه مـن زُمُـرد الـدوح ثـوبٌ   ومـن الزهـر غُـرة وحُجـول

ومن مسامة صاحب الترجمة في الزنبق:

انظـر إلـى الزنبـق الأنيـق وقـد   أبـدع فـي شـكله وفـي نمطِـهْ
كمثـلِ قنـديلِ فـضةٍ غُـرزت   شـموسُ تبـرٍ تـضيء فـي وسـطِهْ

وله:

يـا أيهـا الرشـأ الـذي   مـا زال يُعمـل فـيّ لحظَـهْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثوبه.

هـــلا مـــشيت بـــر وفـــضلا ولـــو فـــي الـــدهر لحظَـــهْ

ومن نظمه:

بـــأبي مـــن قـــد ســـباني حـــسنُه وغـــدا قلبـــي بـــه مرتَهَنـــا
فـــالقُ الإصـــباحِ مـــن غرتـــه جاعـــلُ الليـــل عليـــه سَـــكَنا
ثَمِـــلَ العـــشاقُ مـــن عـــشقته وأفـــاقوا ســـكرَة إلا أنـــا

ومما قاله صاحب الترجمة، في شيخه السيد محرم بن محمد الحسني، وقد توفي ليلة الأحـد، الثـاني عشر من رمضان، عام سبعة وستين وألـف، بمحروس صنعاء:

أيـــن زهـــر الربيـــع بعـــد محـــرَّمٍ من رياضِ الـدموع فليبـكِ بالـدمِ
رجـب سـمعها وللجهـل شـعبا ن علـى مـن إلـى العلـوم يقـدم
قالت المشكلاتُ مذ صار في الرمـ ـس منـامُ الجفـونِ بعـد محـرَّم
كـان مفتاحنـا ومـصباحنا الكـشـ ـاف إيـضاحنا منـه نفهَـمْ
حلـو الـدرس والجوامـع غـضبى حـدوداً مـن البكـاء بعنـدَمْ
ووجوهُ الطـروس أصبحْنَ سـوداً ولـسان اليـراع أبكـم أعجَـمْ
ذاك مـن فـوق هامـة الـدهر تـاج ولجيـد الزمـان عقـد مـنظَّمْ

وهي طويلةٌ، وهذا التوجيـه بأسماء الشهور بديعٌ، وجميع بيوت هذه القصيدة عامرةٌ بمعاني البديع.

ومن مقاطيعه:

يـــا زفـــرة العـــين رفقـــا فـــالرفقُ أحـــسنُ صـــنعا

عجبـــت كيـــف يلـــصت بـــي قـــد صـــار دمعـــا

ومن نظمه:

بـــأبي مـــن ســـمت عـــشقته كـــل يـــوم منـــه أمـــرًا عجبـــا
كـــان دمعـــي فـــي هـــواه فـــضةً فغـــدا مـــن نـــار وجـــدي ذهبـــا

ومن بديع نظمه قوله:

إياك أن تـستطِلْ إن التواضـعَ محـ ـمودٌ كما أن ثـوب الكبـر مـذمومُ
وُسْطى البنَان استطالَتْ فهي عاطلـةٌ علـى الحلـيِّ وللـصغر الخـواتيمُ

واجتاز به الشيخ صارم الدين الهندي، فقال فيه:

حدث عن البحر وعن فضل الحسن وعـــن أثيـــلِ مجـــدِه وعـــن وعـــن
أعـدْ أسـانيد العـوالي عـن عُـلا سؤدده الضخمِ الصحيح والحسن
اروِ أحاديـــثَ البحـــار مـــسندًا أو مرسلاً مسلسلاً عـن مـن ومـن
عن سيف ديـن الله نبـراس العـلا لا عـــن رســـول لا بـــن ذي يـــزن

وهي طويلةٌ، وكان مولده رحمه الله، شهر رجب، سنة خمس وأربعين وألف، وتوفي يوم الاثنين، ثامن وعشري شهر جمادى الآخرة، سنة إحدى ومئة وألف، بمحروس صنعاء، وعليه قبة قبلي حريمه.

ورثاه الشيخ إبراهيم الهنـدي، وتوفي الشيخ إبراهيم بعده بثلاثة أيام، وكان إنشاء هذه المرثية في حال مرضه، ولم يطلع عليها إلا بعد وفاته، وهي هذه:

هـــذا ضـــريح حـــلَّ فيـــه مـــزورُه فيـــه مـــن العلـــم الـــشريف بحـــورُهُ

ألقابـه شـرفُ الهدايـة كلهـا   للمجد يـصدع بالجبـال صـخورُه
نجلُ الأئمة من بني حسن ومـن   كـشفت ديـاجيرَ الظـلام بـدورُه
الـسيدُ الحـسنُ الرفيـعُ مكانُـه   المـستقر علـى العـلا معمـورُه

ومنها:

فـالله ينفعنـا بـه مـن سـيد   قد طاب مـوردُه وطـاب صـدورُه
واسـتخلفته مـن الأطايـب سـادةٌ   كـلٌّ علـى رقـمِ الهـدى مـسطورُه
إن رمتَ يا شمسَ الهدى تاريخَـه   (في عام إحدى ساعدتك شهورُه)
زد يـا ثـم دع حرفًـا وقـل   (حسن المطهر في الجنان مصيرُه)

وكانت وفاة الشيخ إبراهيم في الروضة المعروفة بروضة حاتم، وقُبر في المقبرة التي تلي مسجد صلاح حمزة.

وممن رثاه: السيد العلامة عبدالله بن علي الوزير بقوله:

يـا ضـريحًا فيـه روضٌ نـضرٌ   شـفع التنعـيم فيـه بالرضـا
أضـريِّح أنـت أم غِمْـد ففـي   رهنـك اليـومَ حـسامٌ منتـضى

ومنها:

إن يكـنْ فـي جنـة الخلـد لقـد   تـركَ الأحـشاء فـي نـار الغـضا
أو قـضى العمـر حميـدًا فلقـد   هالَنـا مـن بعـده صـرفُ القـضا
أو بُـوِّئ بيتًـا فـسيحا سـوحُه   فلقـد ضـاق بنـا رحـبُ الفـضا
غيـر أنـا قـد رضـينا بالـذي   قـسمَ اللهُ فارضـه رضـا

وعلى الجملة: فأخباره كثيرةٌ، ومحاسنه شهيرة:

مـا سـها نظـري منـه إلـى رتـب   في الفضل إلا ولاحت فوقها رتب

[٧٨٩] السيد العلامة أبو علي المطهر بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن المنتصر بن محمد بن أحمد بن القاسم بن يوسف بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن المفضل بن الحجاج بن علي ابن الإمام يحيى ابن الإمام القاسم الداعي ابن الإمام يوسف الداعي ابن الإمام يحيى المنصور ابن الإمام أحمد الناصر لدين الله ابن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ[1] الحسني، المعروف بالجرموزي ـ قدس الله روحه ـ.

قال صاحب «قلائد الجوهر في أنباء آل المطهر» في حقه ما لفظه: فرع هذا الشرف، وخلف ذلك السلف، يرفع أن يقاس بنظير، وارتفع فالجوزاء له سرير، مؤلفاته رياضٌ وأزهار، وكلماته منها طالع نهار. وساق كلاماً طويلاً في شأنـه، قال: ومن مؤلفاتـه: «الجوهرة المنيرة في سيرة الدولة القاسمية المنصورة» جمع فيه سيرة القاسم المنصور، وولديه: المؤيد، والمتوكل، وهي ثلاثة أجزاءٍ ضخمة.

وله في أصول الدين: «تنبيه أولي الألباب إلى معرفـة رب الأرباب»، وغير ذلك من الرسائل والأجوبة، والأصلين، والفقه، والفرائض.

---

(١) ﷺ: ليست في الأصل.

ولم يزل ينتقل من قبل الأئمة في الأعمال الكثيرة في اليمن، حتى أدركه الحِمام، واحتجبت شمس مجده بالرغام، سنة سبع وسبعين وألف، وقد بلغ من السن ثمان وستين، وتوفي وهو عامل بـ «عنمة» موفور النعمة، بمحل يعرف مسماه، فلا زال وابل الرحمة يتغشاه.

ولما توفي، لم يزل يتكرر منه في المنام إنغاص بعض أولاده، ويقول له: إن في قبري نجاسةٌ، فأخرجها، فكشفوا عنه، فوجدوا شيئاً من الزبل قد اختلط مع التراب، ووجدوه كما هو ليس به تغيّر.

وكان ذا همةٍ في فعل الخير، عمّر نحو ثلاثة عشر مسجداً، من غير ما أجراه من السبل، ووقف كثيراً من الضياع عليها.

ورثاه القاضي شرف الدين الحسن بن علي بن جابر، صاحب الديوان المعروف بـ: «قلائد الجواهر»، فقال:

عزاكم آلَ المطهر في فتًى	قضى فقضى المجدُ المؤثَّلُ والندى
أقام بدار الخلد جاراً لربه	وأورثنا حزنًا أقامَ وأقعدا
وما كان إلا طودَ مجدٍ تهددت	جوانبُه أو عِقْدَ مجدٍ تبدَّدا
ولو كان يُفدى هالكٌ حلَّ رزؤه	لكان بأرواح البرية يُفتدى
وما دمتمُ للمجد والجودِ بعدَه	فركنُ المعالي لا يزال مشيَّدا
وإن جميل الصبر فيكم لعادةٌ	إذا جاء حكمُ الحادثات أو اعتدى
تعودتمُ الصبرَ الجميل وإنما	لكل امرئٍ من دهره ما تعودا

وكان له نظمٌ تهش له الأسماع، وترسلاتٌ أدبيةٌ وقع على حسنها الإجماع، منه قوله ـ نوّر الله ضريحه ـ:

عجيبٌ لمن غدا فيما نراه من التوحيد جهلاً لا يوافِقْ

وما من صامتٍ في الكون إلا وأنت تراه بالتوحيد ناطِقْ

ورزق عشرة أولاد، كلهم نجبوا، ونظموا الشعر، وهذا قليل النظير، وغالبهم يصل في الأعمال الكثيرة، وشاع ذكره، وقصدته الشعراء من كل ناحية، وهم: علي، ومحمد، وحسن، وحسين، وهادي، وأحمد، وعبدالله، وقاسم، وجعفر، وإسماعيل، وهم بيتٌ طيبٌ، خلفٌ عن سلف.

فأمّا جد السيد مطهر، وهو أحمد بن عبدالله، فكان من أهل الرسوخ في المعرفة، وكذلك عبدالله، له مؤلفاتٌ مشهورة منها: «الرسالة العمرية» في الأصول.

ومحمد بن المنتصر كان من المبرزين في العلوم، له «شرحٌ على الأزهار» روى ذلك القاضي ابن أبي الرجال في «تاريخه»، وله «منظومةٌ في الأصول»، ومن نظمه في مدح «المنهاج للمهدي في دين الله» في أصول الفقه قوله:

إن كنت تطلب للعلا معراجَا وتروم نحوَ منالها منهاجَا

فابذلْ جميع الجهد منك بدرس معـ ـيارِ العقول ولازمِ المنهاجا

فهو المناطُ له وكاشفُ سره وكأنه فَلَكٌ حوى أبراجا

تأليفُ مَنْ فخرتْ أئمتنا به وسَما سِماكًا في السما وهَّاجا

ولمحمد هذا كراماتٌ مشهورة، منها: أنه أمر بتسجير نارٍ عظيمةٍ، لمقتضٍ اقتضى ذلك، بمحضر من أعيان العلماء والقبائل، وما زال يتلو عليها حتى خمدت، ثم صلى عليها، ومحل هذه النار معروفٌ في هجرة بني جُرموز ـ على وزن عصفور ـ، وهي قبيلةٌ مشهورةٌ، على نحو بريدين قبلي صنعاء،

وهو أول من وصل من السادة إلى بني جرموز، وكان غالب مسكنهم جهة أنس، بناحية ضوران.

والمنتصر ومحمد وأحمد ـ أيضاً ـ كانوا ممن اشتغل بالعلم، ولأحمد هذا نظمٌ رائقٌ مذكورٌ في ترجمته في «تاريخ ابن أبي الرجال»، وفي «سمط اللآل»، والقاسم بن يوسف كان من أهل المعرفة الراسخة، قتله بنو الرّوية، في جهة أنس، ظلماً وعدواناً، وأخذ لهم بالثأر منهم الإمام صلاح الدين، وقتل عدةً ممن تمالأ على قتله.

وبنو الروية هذه، قبيلةٌ كبيرةٌ، في جهة أنس، وقد روى قصة قتله واستشهاده ابن أبي الرجال، والسيد العلامة أحمد بن عبدالله الوزير في «الإفادة في أخبار السادة»، وهو كتابٌ حافلٌ، جعله فيمن تفرع من أهل بيته.

وعلى القاسم بن يوسف الشهيد هذا مشهدٌ عظيمٌ، جدد بناءه مولانا الحسن بن القاسم المنصور، عام أربعين بعد الألف، وهو بمحلٍ يعرف بفَيْحة، بالقرب من سكن السادة في أنس، في ناحية بني قشيب، وشيد إلى جنبه السيد المطهر بن محمد مسجداً، في عام ثمانية وأربعين وألف، والمرتضى ابن المفضل كان من أعيان سادات أهل البيت، صاحب كراماتٍ مشهورةً، عليه مشهدٌ، وإلى جنبه مسجدٌ بقرية السادة، وهو يُقصد للزيارة من الأماكن البعيدة.

وفي المرتضى يجتمع نسبهم مع آل الإمام شرف الدين، وفي المفضل الأعلى يجتمعون مع السادة آل الوزير، وباقي من ذكر في نسبهم أئمة مكرمون ـ نفع الله بهم ـ.

وللسيد رضي الدين جعفر في مدح والده:

حَمامَ الحمى شوقي إليك شديدُ	وللدمع شرحٌ ما عليه مزيدُ
فلا تطمعي يا وُرْقُ أنك مثلُه	فليس سواء أنةٌ ونشيد

ومنها:

ألا ليت شعري والأمالي لعله	متى نتلاقى والمزارُ بعيدُ
سقى الله أرضًا حلَّها من هواهمُ	معي أبدًا ما دمتُ ليس تَبيد

ومنها في المدح:

ومن يكن المولى المطَّهرُ قصدَه	فقد نال ما يختاره ويريدُ
إمامٌ على هام السماكِ محلُّه	ومقصدُه عند الإله حميدُ

وهي طويلةٌ. انتهى.

[٧٩٠] أبو السعود بن سلامة بن أبي النور الدمياطي الشافعي[١].

الشيخ الإمام العلامة، الفقيه المقرئ، الجامع للعلوم الدينية، المنهك على طاعة الله في السر والعلانية، الصارف جميع أوقاته في التدريس، في كل علم نفيس، الذي شهدت له بالفضل أعداؤه، فضلاً عن أحبابه، وأقامه الله نفعاً للناس، وجعله من خواص أوليائه.

وُلد بدمياط، سنة أربعين بعد الألف تقريباً، وبها نشأ، وقدم مصر، وقرأ جميع القرآن العظيم بالروايات، على شيخنا سلطان المزاحي، ولازمه

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٣).

في دروسه الفرعية، وبقية العلوم العلمية، سنين عديدة، حتى برع في جميع العلوم، وحضر دروس شيخنا علي الشبراملسي، والشهاب أحمد القليوبي، والشمس محمد الشوبري، ومحمد بن علاء الدين البابلي، وغيرهم، وأجازه كثيرٌ من شيوخه، ورجع إلى بلده، وأكبّ الناس على القراءة عليه، وحصل له بها جاهٌ عظيم، ومنزلةٌ جسيمة ـ نفع الله به ـ، وله مؤلفاتٌ في علم القراءات ـ سلمه الله تعالى ـ.

[٧٩١] أبو القاسم بن عبد الرحمن التربلي، المعروف[1] بالحاج.

من ذرية العارف بالله محمد بن داود، وكان رجلاً فاضلاً، حسن الخلق، جمع من الكتب ما لا يحصى كثرةً، توفي سنة ست عشرة وألف.

[٧٩٢] أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم بن أبي القاسم مطير.

كان فقيهاً علامةً، له النوادر والنكت، حسن الخلق، ليّن الجانب، وكان مقيماً في بني معونة، ومات في عشر الثلاثين وألف.

[٧٩٣] أبو القاسم بن المهدي الحكمي العريشي.

من أدباء الدهر، الذين أطلعوا في أفق البلاغة بدورًا، وأجروا في حدائقها من تسلسل النظم نميرًا، وأبدوا للعيون من ملائح القول رياضاً وزهورًا، نشأ بأبي عريش، واختص بالسيد جمال الإسلام محمد بن صلاح الاختصاص المشهور، وكتب عنه لطائف المنظوم والمنثور، فمنه: ما كتب به إلى القاضي الإمام الناصر بن عبد الحفيظ ـ رحمه الله ـ جواب كتابٍ كتبه إلى السيد

---

(١) في الأصل: عُرف.

ـ رحمه الله ـ عن السيد عز الدين بن فضايل :

يـرى فيـه خـطٌّ لابـن مقلـةَ بـاهرٌ ... وجوهرُ لفظ يُطرب العينَ والأُذْنـا

إذا مـا سـمعنا أو نظرنـا لخطِّـه ... طربنا ومن فرط السرور به مِلْنا

ففـاح عبيـرٌ حـين فـاح وعنبـرٌ ... كـأنكم أمسـستموه لكـم رُدْنـا

فقلـت لـه أهـلاً وسـهلاً ومرحبـاً ... بخير كتاب جاء مـن خيـرةِ الأمنا

كـريمٌ وسـيمٌ محـسنٌ متفـضل ... إذا سُئل المعـروف مَـنَّ ومـا مَنَّـا

وأقـربُهم ودًّا لنـا ومحبـةً ... وألطفُهـم لينًـا وأحـسنُهم ظنًّـا

تراه لجفن العين في السّلم كاسرًا ... وإن سل سيفًا في الوغى كسر الجَفْنا

حمـاه إلـه العـرش مـن كـل فتنـةٍ ... وبلَّغه ربُّ السماء المطلبَ الأسنى

كتابـك قـد وافـى إلينـا مـسلماً ... وناهيـك للتعظـيم أنـا لـه قُمنـا

جعلنـاه فـوق العـين منـا مكرمـاً ... وقبلـتُ أفـرادَ الـسطور لـه مثنـى

وكان علـى عـز العـلا فيـه حجـة ... مبرهنـة عنـه بتأييـد مـا قلنـا

بتفضيلنا ربعَ العروش علـى التـي ... تسمى أزالاً في الفواكه والـسُّكنى

فقال لـسانُ الحـال إذ ذاك منـشدًا ... أفرزت لما أن عنيت بـذا المغنـى

فمن بات من ربع العروس معرسًا ... يرى ما يروق الطرفَ أو يصقل الذهنا

فـإن بـه الحـور الحـسان قـواطن ... تراهنَّ كالأغصان تَجني ولا تُجنى

وإن بـه دان الجنـى فـي غـصونه ... من الكرم والرمان في الروضة الغَنَّا

ترى عنبًا فيـه رسـا فيـه سـفرجلاً ... وخوخًـا وتفاحًـا زِدِ المـوزَ والبُنَّـا

وإنجاصُــه والعنبــر وزيتونــه[1] عظيمًا وبُرًّا قد على الـذرة الـدخنا
وفيـه مـن الأزهـار وردًا ونرجـسًا وأسأل الـسمي لـديهم ولا يكنـى
يُرى فـوق مغنـاه حَمـامٌ صـوادحٌ وفي ربعه الظبيُ الأغَـنُّ بهـا غَنَّـى
فيا حبذا طيـبُ الزمـان الـذي بـه وبا حبـذا بـردُ النعـيم بـه الأهنـى
يميـل مقلتـه مـن أربُـع وملاعـبِ أبيـتُ حزينًـا نادمًـا أقـرعُ الـسِّنَّا
فيا ليتنا من بعـد شـط بنـا الهـوى وأحداثـه يـضحى بـه مـسلمًا تينـا
بـلاد إذا طـاف اللبيـبُ بأرضـها وشاهد روحيات بهـا ظنهـا عَـدْنا
فلما رأيتُ الـنصَّ بـالعين ظـاهرًا تخيل الذي قد قست قلت قد أقررنا
فـإن كنـت بـالمغنى غنيًـا فـإنني وحقِّك على أعتاب مغناكَ لا أغنى
فعندي من الأصحاب خيرُ عصابة ممنــون كــلٌّ بالثنـاء لكـم أثنـى
وإنـي بفـضل الله فـي خيـر نعمـة وفـضلِ إمـامٍ بالمكـارم مـا ضَـنَّا
ولــيس عجيبًــا ذاك أن إمامنــا سليمان يغني الطيرَ والأنسَ والجِنَّا
وإن حفتَّ الأعتابُ عندي بخيلِها متى ساقت الريحُ المباركةُ الـسفنا
وعندي عفريتٌ مـن الجـن قومُـه بشرق بلاد الشام قد علمت الأخنا
تقـرب لـي كـلَّ الفواكـه قبـل أن أعوَم وأن يرتدَّ طرفٌ مغفا الوسـنا
وقلتُم لنا قد سرَّكم وصـلُ أحمـدِ فقد سرَّكم ما زادنـا للنـوى حُزْنـا
سُررتم بما جـد سـبانا مـن فراقـه فذاك صديقي أخي صِنْوِيَ الأدنى
وقد سرَّكم من بعده وصـلُ ناصـر فذاك فتًى من كل علم حـوى فَنَّـا

[1] في الأصل: وزوتوته.

إمـامٌ لـه فـي كـل علـم دقـائقٌ إذا رويت في عقـل صـقلَتْ ذهنـا
وبالله قل للصنوِ أحمـدَ ذي النهـى تعجّـل بالأعتـاب مـن فـضله أنـا
إليها لمشتاقون والـصحبُ كلُّهـم وقاصي الورى قد حنّ شوقًا لها حَنًّـا
فخلقُ المحبِّ العالمِ الندبِ عـاطسٌ يريدُ له الأعنابَ والمـوزَ والمزنـا
وحاصـلُ قـولي والـسلامُ علـيكم بـأنكم لا تقطعـوا فـضلَكم عَنَّـا

وله عجائب وغرائب.

[٧٩٤] أبو الإسعاد الوفائي.

له قصائد في «مجموعة الأشخر».

[٧٩٥] أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي البعلي[(١)].

عالمٌ اشتهرت علومُه، وماجد بهرت فهومُه، متضلعٌ من علوم المنقول، عارفٌ بما يقول، حسن العبارة، رائج التجارة، برز في مذهب الإمام أحمد، وأطفأ نار جهل الطلبـة بإفادتـه وأخمد، وسارت فتاويه، وحارت عقولُ من يناويه.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ في بدايته عن والده، وعمن شاركه من شيوخ دمشق، ثم رحل إلى القاهرة، وأقام بها سنين، وقـرأ بالروايات على شيخنا مقرئ مصر محمـد البقري، وختم عليه القرآن من طريق الشاطبية، وجعل له في الأزهر ختماً حافلاً، في يومٍ مشهود، حضره فيه علماء العصر، على عادة أهل مصر في شأن ذلك.

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٨٤).

وقرأ في الفقه على محمد الحنبلي البهوتي، وغيره، وفي الحديث على شيخنا محدث العصر محمد البابلي، وفي الفنون العقلية على شيخنا سلطان، وعلي الشبراملسي، وكثير من شيوخ الأزهر، وأجازوه، ورجع إلى دمشق، فصادف موت والده قرب وصوله، فجلس مكانه، وتصدى للإفادة، وتمسك من التقوى، بالسبب الأقوى، وصار مجلس علمه مقصوداً، وظله على الطالبين ممدوداً.

إلى أخلاق حسنةٍ جداً، وأوصافٍ تكسب كل نادٍ مرت به نَدّاً، وهو الآن شيخ دمشق المحروسة، علماً وعملاً، وممن أحيا السنة ونشرها بها، وممن جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، واكتسب بذلك الدرجة الفاخرة ـ أبقاه الله تعالى ـ.

[٧٩٦] أبو القاسم بن علي.

السيد الكبير الولي، صاحب القبة المشهورة بالضحى، الشهير، أبو الأولياء صاحب الضحى، هو من أشراف يقال لهم: بنو هريرة من «صبيا»، كان ولي وقته، مستغنياً بحاله عن تعبه، ذا حظوةٍ كاملةٍ، ويقيم الأوقات الإقامات، وكان من أصحابه الولي الشهير علي بن العجوز، وكان يرى نفسه في الغاية من الذلة، فخرج السيد للأذان، فقال: تقدم يا علي بن العجوز، فقال: يا ويلي، يا ويلي! فقال: تقدم، ولجلال السيد لا يقدر أحدٌ يعارضه.

فلما صلى دعوا، وذلك في عارضة العباديين، فشد السيد إلى الخيمة ووصل العُرّا وغيره، فبقى فيه أياماً، وكان الحاكي يخدم الشيخ من خاصته، قال: وهما في دار السيد منفرد فيها، فإذا رجلٌ يدق الباب، فقال السيد: افتح،

ففتحت له، فدخل، فسارّه السيد كثيراً، وقال: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، ثم ودعه، وأصبح راجعاً تهامة، فوصل عقبةً هناك، فقال: انت مع الله إلى يوم القيامة، ثم نزل إلى الضحى.

قال الحاكي: وافتسحت، فلم أشعر إلا وصوت السيد أسمعه وأنا بين الجبلين يدعوني، فشمرت ساعدي، ووصلت السيد ثاني أو ثالث يوم، فإذا السيد قاعدٌ، فسلمت، فقال لبعض الناس: ماءٌ فيه ورد، فأعطي السيد، فتطيب حتى قطرت السرير، ثم خرج السيد، ومات ـ أعاد الله علينا من بركاته ـ، وكان يقول: الحمد لله، لا أموت حتى يكون أولادي أولياء، فخلف القمرين المنيرين ـ نفع الله بهما ـ.

[٧٩٧] السيد أبو نمي بن عبد الكريم بن الشريف حسن بن أبي نمي.

كان سيداً يُرجع إليه في المهمات، توفي بالمبعوث، يوم الاثنين، سابع رمضان، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وحمل إلى مكة، ودفن بها.

[٧٩٨] أبو القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف المالكي المسراتي الأصل، القيرواني المولد والمنشأ.

الشيخ الجليل، العلَم الأصيل، عالم القيروان، وعلامتها ورئيسها، الذي أنست برناته وضراعاته خطابتُها وإمامتها، ومسندها الذي اتصل به خبر شرفها المشهور، وأوحدُها الذي سلمت قضايا فضله بين الخاصة والجمهور، ومدرِّسُها الذي أبان في تلخيص الإفادة من زبدة البيان والتحصيل، ومفتيها الذي جاءت فتاويه لمستفتيه بشفاء الغليل، وبركتها الذي بدعواته يتدانى قصيُّ المطالب، ووليُّها الذي بناقد همته تنقاد عَصِيُّ المآرب، الحجةُ الثقةُ أبو

القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف، المسراتي الأصل، القيرواني المولد والمنشأ، ألحفه الله أثواب رحمته، وبوأه من غرف الجنان أوسط جنته.

نشأ ـ رحمه الله تعالى ـ بالقيروان بلدِه على طريقة سلفه، وسيما ذوي شرفه، فحفظ بها القرآن وجوَّده، وصرف عِنان العناية لطلب العلم، فأخذ عن والده، ومشايخ بلده، وعن الحافظ الرحلة أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، وأجاز له جميع مؤلفاته ومروياته، وأجاز له أيضاً شيخنا أبو الإرشاد نور الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري، والشيخ أبو محمد عبد القادر الدشطوطي البكري، وغيرهم.

ووصل وحصل، وبرع فيما أمّ وأمّل، وشارك في فنونٍ من معقول ومسموع، ونظم في قلائد تحصيله فرائد أفراد منها وجموع، ولم يزل على ذلك، حتى صار ببلده المعول عليه، والمنظور في نوازل المسائل إليه، إلى صلاحٍ مكين، وعفافٍ رصين، ونزاهةٍ صافية الجلباب، وسلوك في عمله على جادة الصواب، يخطب ويعظ، وينبه من سِنَة الغفلة ويوقظ، ويفتي ويدرس، ويبني ملخص بيانه على قواعد التحرير ويؤسس، مع لين الجانب، وأداء ما لإخوانه في الله من نفل وواجب، وتواضعٍ في الله ـ زاده الله رفعةً ومجداً ـ، وتحلٍّ بشيمة الإنصاف، أثبت له في القلوب مكانةً وودًّا.

وحج غير مرة، ونال من الله في مناسكه فضله وبره، رافقتُه من ذلك سنة ستين، من داره [في] القيروان إلى بلد الله الأمين، فكان خبره فوق خبره، وآكدُ أصالته في فضله شاهدُ سفره، ثم حج بعدها سنة خمس وستين، ووصل بالعروة الوثقى من الحرمين الشريفين سببه، ولما رجع إلى مصر، **وافاه الحمام المحتوم**، ودعاه داعي الأجل المحتوم، فأجاب داعيه، وانقلب إلى عيشةٍ

راضيةٍ، في صفر من السنة المذكورة ـ رحمه الله تعالى وإيانا ـ. انتهى من «مقاليد الأسانيد» لحافظ وقته الشيخ عيسى المغربي الثعالبي الجعفري المكي المالكي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٩٩] أبو الهدى العُلَيمي المقدسي[١].

الشيخ الصالح، ولي الله، كانت له الكرامات الخارقة، وكان ممن أجمع أهل بيت المقدس على إجلاله وتعظيمه، وممن زهد في الدنيا، فأعزه الله، **مات** ليلة الجمعة، ثامن شعبان، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن يومها، وكانت له جنازةٌ حافلةٌ، حضرها الخاص والعام، ببيت المقدس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٠٠] الشريف إدريس بن الحسن بن أبي نمي[٢].

صاحب مكة، كان سيداً سرياً، تهابه الأشراف والملوك، شجاعاً شهماً، حسن الأخلاق، ذا تؤدةٍ وسكينةٍ، وكان يكنى: أبا عون.

وُلد في ذي القعدة، سنة أربع وسبعين وتسع مئة، وأمه هنا بنت أحمد ابن حميضة بن محمد بن بركات بن أبي نمي.

وكان الشريف إدريس ولي مكة باتفاق من أكابر الأشراف، بعد أخيه

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٦) (٩٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٧) (٢٦٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧٥)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٦٠١).

الشريف أبي طالب، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وأشرك معه أخاه السيد فهد، ثم خلفه في واقعةٍ ذكرتها في ترجمته، ثم أشرك معه ابن أخيه السيد محسن بن الحسين بن الحسن، وكان للشريف إدريس من العبيد والمولدين ومن الرقيق الجلب، ما يزيد على الأربع مئة، ومن المقاديم من العرب جماعةً، وكانوا في أشر وبطر، وتيه وعر، يتخيل الواحد منهم نفسه الملك القاهر، وكان من خدامه الوزير أحمد بن يونس، وإن كان ولاؤه لذوي بركات.

واستمر الشريف محسن مشاركاً لعمه المذكور، على صدق الكلمة، والنصح والمساعدة في الأحوال المهمة، إلى أن كثرت الشكوى من خدام عمه، وعمت البلوى بما يصدر عنهم، من الأمور المشتملة على التلبيس، ولم يلق سمعه إلى ما ينهى من ذلك اليد، ولا ينصف ممن يشكى منهم عليه، راجعه في شأنهم مراراً، وردد القول عليه تذكرة وإنذاراً، فكانت الشكوى إلى غير منصه، والدعوى على غير منصفه، بل متعنت فكر، فرأى وخامة عواقب هذا الحال، ونظر فإذا الأمر آل ما إليه من الضياع آل.

فعند ذلك اجتمع أهل والعقد، ومن إليهم المرجع من قبل ومن بعد، من بني عمه السادة الأشراف، الذابين عن هذه الأكناف، والعلماء والصلحاء، وأعيان سكان البطحاء، فرفعوا الشريف إدريس عن ولاية الحجاز، ومنعوه أن تكون له علاقة في ذلك المجاز، ووسدوا الأمر إلى ذلك الشريف محسن، عدّة مدة ولايته مجبورة؛ فإن ولايته إحدى وعشرون سنة ونصف ـ رحمه الله تعالى ـ.

فأشيع في مكة، في يوم الأربعاء، ثالث شهر المحرم، افتتاح سنة أربع

وثلاثين بعد الألف: أن السادة الأشراف نيتهم إقامة الشريف محسن مستقلاً بالأمر، فحصل اضطرابٌ عظيمٌ بالبلد، وحركةٌ كبيرةٌ، وقسمت آلات الحرب من الجانبين.

فلما كان صبيحة يوم الخميس، ألبس كل منهما بمن معهما من العساكر والجنود، ووقف كل منهما عند داره، فبرز من جماعة السيد محسن شرذمةٌ من جانب عقد السيد بشير، بنية النـداء في البلد للشريف محسن استقلالاً، فقبل وصولهم العقد، رمتهم الجبالية المجعولون في مدرسة السيد العيدروس بالبندق، فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق: السيد سليمان بن عجلان بن ثقبة، والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن، فرجع الباقون.

وفي ضحى هذا اليوم ركب السيد أحمد بن عبد المطلب، ومعه خيلٌ، والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن، ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه، ومن ألطاف الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن الجماعة بالمسجد الحرام قائمةٌ ذلك اليوم، والأسواق موجودةٌ فيها الأقوات، ولم يحصل تغييرٌ أبدًا في ذلك اليوم.

فلما كانت ليلة الجمعة، خامس محرم، وقـع الصلح بينهما، على أن يستقل الشريف محسن بالأمر، ويكون الكف عن المحاربة ستة أشهر، منها ثلاثـةٌ يكون الشريف إدريس فيها بالبلد، وثلاثـةٌ بالبر، فاتفق الحال، ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده، ثم خرج الشريف إدريس من مكة ليلة المولد.

وكان قد أضعفه المرض، فما طاف للوداع إلا في محفـة، وخرج من

مكة كذلك، فتوفي في سابع عشر جمادى الآخرة، من السنة المذكورة عند جبل شير، ودفن بمحل يسمى: ياطب، ومن الاتفاق: أن حساب ياطب بالجُمَّل اثنتان وعشرون سنة، ووصل علم وفاته إلى مكة، في مستهل رجب، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وألف، توغل الشريف إدريس، وابن أخيه الشريف محسن، في الشرق، ووصلا بالفريق إلى قرب الأحساء، واجتمعا بذوي عبد المطلب، وكانوا في العام الذي قبله نافروا عمهم الشريف إدريس، فقام الشريف محسن في موافقتهم لعمهم، فتم ذلك، ودخلوا في الطاعة، وطابت نفوسهم، ووصل الشريفان بفريقهما إلى الأحساء، وضربت خيامهما قبالة الباب القبلي، من سور الأحساء، وأكرمهم صاحبها علي باشا الكرامة التامة، ولم يتفق لأحدٍ من أشراف مكة المتولين من القتاديين دخول الأحساء، كما اتفق لهذين الشريفين.

ونقل الثقات: أن الشريف إدريس لما ضُويق، وأجلبت عليه السادة الأشراف ومن معهم؛ بحيث إنه أصيبت جويريةٌ بين يديه بالبندق، فسقطت ميتة بين يديه، فارتاع لذلك وحزن، ووضع منديلا لطيفاً على وجهه، وبكى أسفاً لفقد الناصرين، فدخلت عليه في تلك الحال أخته الشريفة أرينب بنت حسن، فقالت له: علامَ هذا الحزن والعَنى؟ دعها لابن أخيك، فقد وليتها مدةً طويلةً، فحينئذ أرسل إلى الشريف محسن والأشراف، وطلب مهلة شهرين في البلد، وأربعة أشهر خارجها؛ ليتأهب للسفر إلى حيث يشاء، فأعطاه الشريف محسن ذلك، وشرط عليه أن لا يحدث شيئاً مدة المحالفات، فاستمر شهر محرم وصفر، فمرض فيه حتى خيف عليه، وفي ليلة المولد خرج من مكة.

[٨٠١] إدريس دده المجذوب.

كان مقيماً بقلعة بحوى، من مضافات أيالة بدون، كان مجذوباً مستغرقاً، معتقداً بدياره، مقصوداً بالزيارة، يذكر عنه كراماتٌ كثيرةٌ، وخوارق شهيرةٌ، يقال: إنه كان من رجال الخطوة ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[٨٠٢] إدريس دده، المعروف باسكيجي.

هو ساكنٌ بقلعة طمشوار، من بلاد الروم ايلي بثغر أردل، وهو صاحب أحوالٍ صادقةٍ، منجمعٌ عن الناس، مشتغلٌ بنفسه، يروى عنه كراماتٌ؛ كطي الأرض، وغيرها ـ رحمه الله ـ.

[٨٠٣] السيد إسماعيل بن إبراهيم الحجاف بن يحيى بن الهُدى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن ابن محمد بن الحسين بن محمد بن حيان بن محمد الملقب حجاف بن جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني بن عبدالله بن محمد ابن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين، ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[1].

الإمام الذي بلغ الغاية القصوى، في جميع العلوم العقلية والنقلية، والمفرد الذي عليه المدار، في الأقطار اليمنية، الجهبذ الذي كرع من معين الفضل سلسبيله، وأوضح بتقريره السني دليله وتعليله.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٤٥) (١٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٥٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٠٤).

وُلد بـ «حبور»، سنة أربع وعشرين تقريباً، وحفظ القرآن الكريم، و«الحاجبية»، و«الأزهار» في الفقه، وغيرهما من المتون، وأخذ عن أكابر شيوخ زمانه، منهم: والده السيد إبراهيم، وجده السيد حسين بن علي بن إبراهيم الحجاف، والسيد علي بن حسين الحجاف، والسيد عبد الرحمن بن حسن الحجاف، وعنه أخذ جمعٌ من الأعيان، منهم: السيد العلامة شرف الإسلام والمسلمين، الحسن ابن أمير المؤمنين بن المتوكل إسماعيل، وغالب إخوته، وسادة أهل بلده.

وكانت وفاته ليلة الجمعة، رابع عشر شعبان، سنة سبع وتسعين بعد الألف، وبها دفن ـ رحمه الله تعالى ـ.

وشعره العذب الزلال، والسحر الحلال، منه: قوله يمدح الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم ـ قدس الله سره ـ ويحثه على إحياء مدارس العلم، التي كادت أن تندرس:

أصبح الدهرُ طيبَ الأوقات ... كاملَ الحسن وافرَ الحسناتِ
مشرقَ الوجه باسَم الثغر يزدا ... د بمرِّ الشهور والسنواتِ
كعروسٍ مزفوفة زانها الحلْـ ... ـيُ جمالاً إلى جمال الذات
غادة تسلب العقولَ وتغتا ... ل قلوبَ الأنام باللحظاتِ
بنتُ سبع وأربعٍ وثلاثٍ ... برعت في السكونِ والحركاتِ
تتثنى فينثني من رآها ... خافقَ القلب ساكن العبراتِ
جمعت كلَّ مفرد من جمال ... وتثنت غصناً من المائساتِ
مذ تولى أمرَ الخلافة فيه ... أوحديُّ الأفعال جمُّ الصفاتِ

ثابتُ الجاش ثاقبُ الرأي إسما عيلُ حلفُ الهدى حليفُ الهداةِ

الذي بشرت به الرسلُ حقًّا وحوى ذكره حديث الثقاتِ

فهو مهدي هاشمٍ وهداها ذو الكرامات في الورى والبيناتِ

هَدَويٌّ في نسبة من أبيه قاسميٌّ في نسبة الأمهاتِ

تتلاقى أطرافه في المعالي بين خيرٍ وخيرةِ الصالحاتِ

فهو فرعٌ لدوحة المجد شمسٌ في بروجِ الفخار والمكرماتِ

زاده الله بسطةً في علوم طالما أعجزتْ ذوي الطلباتِ

وحلاها من لفظه ببيان مستنيرٍ واضحِ المشكلاتِ

رغبت فيه بعد طولِ نفارٍ عن سواه وأذعنتْ بالتفاتِ

واستقادتْ صعابُها في يديه تابعاتٍ لفهمه طائعاتِ

يا إمامَ الزمان قد أسعد اللّـ ـه أناسًا رأوك قبل المماتِ

شاهدوا فيك من جميل صفاتٍ جملةً أخبرتْ عن الباقياتِ

علمُه مع بيانه وعلاه مع خضوع وجودهُ مع ثباتِ

وأهنيك يا بن حبر قريشٍ عَودُ عيد الصيام بالخيراتِ

جاء مستوهبًا نوالك فاعمر ه بمسنونه مع الواجباتِ

طامعًا أن يفوز منك بفضل فيباهي أمثالَه الماضياتِ

وكذا شهرُك الكرم مهنِّيك بما حزتَ فيه من القربات

من صلاةٍ ودرسِ علمٍ ووحيٍ وصلاةٍ مقبولةٍ وصِلاتِ

طَبَّقَ الأرضَ جودُ كفيك فيه وعمرتَ الورى بأسنى الهباتِ

يتبـارى كفـاك والـريح جـودًا | فأنافـا سـبقًا علـى الـذارياتِ
صفة مـن صـفات جـدك قـد جا | ء بمـضمونها حـديثُ الـرواةِ
قـد هـدى الله أمـةً قمـتَ فيهـا | قائـدًا وفَـدها إلـى الجنـاتِ
حُطتهـا عـن علاتهـا بمـواضٍ | وجيـادٍ سـوابقٍ مقربـاتِ
كـل مـن رام أن يـضم علاهـا | عـاد مـستوليًا علـى الحسراتِ
حجـةَ الله لا برحْـتَ بخيـرٍ | فاصِـخْ سـامعًا إلـى كلمـاتِ
بقيت فـي الـصدور حاجـة نفسٍ | ذكرُهـا لازمٌ مـن اللازمـات
هُجـر العلـمُ يـا إمـام البرايـا | درسـتْ آيهـا مـع الدارسـات
كـان مـن زارهـا أقـام بخيـر | فـي ريـاض أنيقـةٍ مغـدقاتِ
أصـبحت عبـرة لكـل نـسيب | عرصـات مـن أهلهـا مقفـراتِ
فتميـل القلـوبُ تـشكو إليهـا | هجرهـا دائمًـا بكـلّ الجهـاتِ
لـيس خَلْـقٌ سـواك يحنـو عليهـا | يـا أمـا فـوات قبـل الفـواتِ
وارتعـشْ أهلَهـا وشـيدْ بناهـا | وأعـدْها فـي أحـسنِ الحـالاتِ
أنـت فـي الأرض رحمـةٌ | أهبطهـا اللهُ سـامعُ الـدعواتِ
أنـت للنـاس عـصمةٌ فـي معـاشٍ | ومَعـادٍ تمحـو بـه الـسيئاتِ
خـتمَ الله بالرضـا عنـك سـعيًا | إنمـا الفـوزُ فـي رضـا الخاتمـاتِ
وعلـى الطهـرِ خـاتمِ الرسـلِ والآ | لِ سـلامٌ وأفـضلُ الـصلواتِ

[٨٠٤] إسماعيل ابن العلامة محمد بن عمر بن صديق بن أبي القاسم الشافعي الحشيبري اليمني.

شيخنا الإمام العلامة، الحجة الفهامة، من أعيان أئمة الدين، وأجلاء عباد الله الصالحين، وبقية العلماء العاملين.

مولده ببيت الفقيه الأيمن من وادي سردد، في سابع عشري شهر رجب سنة ثلاث وأربعين بعد الألف، وحفظ القرآن وجَوَّده، واشتغل بعلوم الفقه والحديث والعربية، وغيرها، وأخذ عن الشيخ العلامة علي بن أحمد المدني اليمني الحشيبري، وعن القاضي الفاضل محمد بن أحمد صاحب الحال، وغيرهما، وبرع في علوم عديدة، خصوصًا الفرائض والحساب، والجبر والمقابلة؛ فإنه بلغ فيها الغاية التي لا تدرك، ومهر في علم الحديث، ولازم قراءته في العشي والإبكار، مع ملازمة التلاوة والأذكار، والتقيد بطاعة الله في الليل والنهار، واجتمعتُ به بمدينة «اللحية» عام رحلتي لليمن الميمون سنة أربع وتسعين بعد الألف، **وتوفي** ـ رحمه الله ـ أيام التشريق آخر سنة اثنتين وعشرين ومئة وألف.

[٨٠٥] إسماعيل السيواسي.

أحد علماء الحنفية الكبار بالروم، له «شرح على ملتقى الأبحر» في أربع مجلدات، **توفي** سنة إحدى وأربعين وألف.

[٨٠٦] إسماعيل بن يحيى الشيخ العلامة المفتي عماد الدين بن محيي الدين القُبَيْباتي الشافعي ثم الحنفي، الشهير بملا عماد[1].

كان له ذكاءٌ مفرطٌ؛ بحيث إنه كان يشتغل بفنون من العلم مدةً، فيتقنها،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤١٦).

وينتقل إلى غيرها كذلك، وأراد أن يسلك طريق الصوفية، فاختلى عنه الشيخ أحمد الحرستاني الكاتب، فنظر في الواقعة ستة عشر يوماً: أنه في فلاةٍ فيها كومٌ من أحجارٍ وخِرَق وزبالات، ووجد عليها كسرة خبزٍ، فأكلها، فذكر للشيخ أحمد، فقال له: اخرج من الخلوة؛ فإن لك خولاً في الدنيا.

ثم تعلق بعلم العقائد، وسافر إلى الروم، وتولى بعض المناصب، وحصل له دنيا عريضة، وفضيلة تامة، ثم تفرغ عن جميع ما عنده من ذلك كله، ووهب ما عنده من متاعٍ وغيره، ثم لحق بالشيخ العارف بالله محمود الإسكندراني، وصار من فقرائه، وتوفي بإسكدار، في حدود سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٨٠٧] إسماعيل بن المطهر الجرموزي[١].

فخر العليا، وزينة الحياة الدنيا.

من شعره:

أراك على خديك أثر الخمارْ ... فألقِ يا بدرُ عليه الخِمارْ

وعُد عميدَ القلب مقروحَه ... فما على من عادَ أو زارَ عارْ

كم معجز في الحسن يا جيرتي ... بخدك الورد وماء ونارْ

ومثل ذا في فيك واعشقتي ... خمرٌ وياقوتٌ ودرٌّ كبارْ

يا قاتلَ الرحمنُ ألحاظَنا ... كم ملأتْ أحشاءنا بالشرارْ

تُقامر الغيد ولا ترتضي ... إلا السويداءَ درهمًا للقمارْ

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٥١).

[٨٠٨] إسماعيل ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي الإمام المتوكل على الله[1].

وذكرت بقية نسبه في ترجمة أبيه.

الذي له المكارم الظاهرة، والمفاخر السائرة، مع الإحاطة بجميع العلوم، ما هو أشهر من الشمس في الأرض، في طولها والعرض، وكان ـ رحمه الله ـ بعيداً من الخنا والفواحش، يملك نفسه عن المحارم، ويعد مغانم الفاحشة من المغارم.

سار السيرة الحسنة العادلة؛ بحيث لم يكن له همةٌ بعد الاشتغال بالعلم، إلا في الفكر في أمر الرعايا، فأمنت السبلُ في أيامه، ورخصت الأسعار، ولم يتمكن أحدٌ من ظلمٍ في ولايته، ولو كان كافراً، ولم يجسر أحدٌ من عماله على ظلم أحدٍ من الرعايا، وأمن الناس على أنفسهم وحريمهم وأولادهم، وترددت التجار من سائر الأقطار.

وكان حسن الشكل، مليح الوجه، يعظِّم الشرع الشريف، ولا يخرج عن حكمه، ويوقِّر من يراه من الفضلاء، وإذا اجتمع بأحدٍ من أهل العلم، يُقبِل بوجهه عليه، ويودُّه ويؤانسه، ومن سعادته: أنه كان إذا غضب على أحدٍ في الغالب، لا يزال كذلك المغضوب عليه في خمولٍ وخمودٍ، وتعسٍ ونكدٍ، إلى أن يموت، وبالجملة: فإن جميع أيامه كانت غرراً، وكل أوقاته أصيلاً وسحراً.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٥٣) (١٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤١١)، «البدر الطالع» (١/ ٢٤٦).

وُلد ليلة النصف من شعبان، سنة تسع عشرة بعد الألف، وأرخ ولادته السيد العلامة إسماعيل بن حجاف بقوله:

خليفـــةُ الله إســـماعيلُ مولانـــا أوفـــى البريـــة عنـــد الله ميزانـــا

في ليلة النصف من شعبان مولـدُه (فهاك تاريخه فـي شـهر شـعبان)

وأخذ عن كثير من المشايخ، من علمـاء الشافعيـة والزيدية، وجد في الاشتغال بالعلوم الشرعية والآلية، حتى برع في جميع العلوم السنية، وتولى الإمامة بعد وفاة أخيـه محمد المؤيد، وخلعِ أخيه الإمام أحمد، سنة خمس وخمسين بعد الألف، وأرخ بعضهم ابتداء دعوتـه بقولـه: (توكلت على الله وحده أبداً)، ودانت له الأقاليم اليمنية.

وألف كتباً عديدةً منها: «العقيدة الصحيحة والدين النصيحة» و«رسالة في التحسين والتنقيح العقليين» وغير ذلك، ومُدح، ووُفـد إليـه، وأثنى كل الناس عليه، ولم يزل قائماً بأعباء الإمامة، إلى أن توفاه الله إلى رحمته والكرامة، في ليلة الجمعة، رابع جمادى الآخرة، سنة سبع وثمانين وألف بـ «دوران» ـ رحمه الله، وأسكنه فسيح الجنان ـ، وتولى بعده ابنُ أخيه الإمام أحمد بن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ.

وحج الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، سنة إحدى وأربعين وألف، وكان دخوله من السراة، وخروجه من تهامة، وكان إماماً جليلاً، وملكاً ظله ظليلاً[1]، وعالماً تخفق بالنصر أعلامه، وحاكماً تجري بمصالح الرعية أقلامه،

---

(١) كذا في الأصل.

بيته مشيَّد، وملكه مؤيَّد، وصدره للطالبين مشروح، وبابه لأرباب الفضائل مفتوح، برع في كثير من العلوم، وسلب بأساليب مصنفاته أهل الحلوم، وباشر الأعمال الجليلة، في دولة أبيه وأخيه، ثم ولي إمامة اليمن مدةً طويلةً، وأسدى إلى أهله ما استوجب به شكر مناقبه الجليلة.

[٨٠٩] إسماعيل دده.

هو في قصبة بازارحق من بلاد روم ايلي، اشتغل بالعلوم المتداولة أولاً، ثم اتصل إلى خدمة الشيخ محمد، المعروف بقورة، وحصّل الطريقة عنده، والآن هو شيخٌ بزاوية الشيخ المذكور، بقصبة بازارحق.

[٨١٠] إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي[1].

عين أعيان العلماء، وعنوان ديوان الفضلاء، وقدوة المحققين الأعلام، وأفضل من انفرد في عصره بكمال علم الفقه والكلام، ونور مشكاة العلوم ونبراسها، ومشيد قواعد الفضل وممهد أساسها، وقطب فلك المجد والكمال، وشمس سماء المهابة والجلال.

وُلد بدمشق، ونشأ بها، وأخذ عمن بها من أفاضل عصره.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، **فمن سحر كلامه، وبديع نظامه قوله:**

عجبتُ لقلبي كيف يقوى لهيبهُ ... وطوفانُ دمعي من صدودِك طافحُ
وأعجبُ من ذا أن لحظك قاتلي ... وأحسبُه من فرط عشقي يمازحُ
وأعجب من هذي العجائب كلِّها ... تخاصمني يا منيتي وأصالحُ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ١٣٣) (٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٠٨).

وقوله:

أذكـرتِ بـانَ الحمـى يـا نـسمةَ الـسحر

[٨١١] السيد إسماعيل بن أحمد بن محمد بن شمس الدين ابن الإمام يحيى شرف الدين.

كان سيداً جليلاً، فاضلاً نبيلاً، له أشعارٌ حسانٌ سطرت في ديوانه، وولي حصن «كوكبان» مدةً طويلةً، وكانت له آراءٌ سديدةٌ، وعلوم مفيدة، **توفي** سنة عشر بعد الألف، وأقاموا بعده عم أبيه الأمير علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، وكان مهملاً في شبابـه، فطلبـوه، وولي أمرهم، وكان الأمير عبد الرب القائم بالأمر - رحمهم الله تعالى -.

[٨١٢] إسماعيل بن محمد بن صلاح بن علي بن إبراهيم بن المهدي الحجاف.

مالك نواصي الأدب، البالـغ أقصى الرتـب، السابق لغايات العلوم، والمجلي في منطوقها والمفهوم، كان سيداً جليلاً عارفاً، له اليد الطولى في العربية والبيان، **توفي** سنة خمس وتسعين وألف بضوران.

ومن شعره قوله:

إذا سلَّ دهري سيفَ كيـدٍ ومحنـةٍ وسـدَّد سـهمًا بالرمايـة يرمينـي
فلـي ثقـة بـالله جـلَّ جلالُـه ولي حسنُ ظن بالمهيمن يكفينـي

وقوله:

إن رمتما تحقيقَ ما حكـم الهـوى وطلبتمـا منـي عليـه شـاهدًا

فسلا دموعي عند جـري عقيقِهـا وقفا على سقف العقيـق وشـاهِدا

وقوله:

سلّ الحبيـبُ علـيَّ مغمَـدَ لحظـهِ فدهـشت مـن لمعانـه وبريقِـهِ
وغـدوتُ مـشتغلاً بنـار صـبابةٍ فعـساه يُطفيهـا ببـردةِ ريقِـهِ

وقوله:

جـاد الحبيـب علـيّ بـزورة وشـفى لهيـبَ صـبابتي ورَقاهـا
فلقـد سـما عنـدي منـابرَ رفعـةٍ وعلـوَّ مرتبـة لـديَّ رقاهـا

توفي...(1).

والده السيد محمد بن صلاح الحجاف، كان فاضلاً نبيلاً كاملاً، وكان وزير الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم قائماً بخدمته، مفوض الأمر منه في غالب شؤونه، توفي سنة ثمان وستين وألف بضوران.

[٨١٣] أسعد بن سعد الدين أفندي(2).

رأس الدولة العثمانية، في الأيام الأحمدية، العالم النحرير، صاحب الإتقان والتحرير، شاع فضله وذاع، وملأ الأفواه والأسماع، قدم مكة حاجاً، سنة أربع وعشرين وألف، توفي بالقسطنطينية، في ثاني عشر شعبان، سنة أربع

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر تاريخ الوفاة».

(٢) «معادن الذهب» للعرضي (٤٧) (٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٧٦) (١٤٨).

وثلاثين وألف، وهو مفتي التخت.

ورثاه الشيخ عبد الرحمن العمادي بقوله:

نُــح علــى الكــون أحمــده أعــدم المجــد فيــه موجِــدُه

قــال فــي عامــه مؤرخــه (مــات مــولى الــروم أســعدُه)

[٨١٤] إسحاق ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي.

ممن اشتهر فضلُه، وشاع نبله، وشهد بفضله القاصي والداني، وأنـه ليس له في ضروب الكمال مداني، إلى علمٍ غزير، وأدبٍ شهير، وتفنن في العلوم الغريبة، وتصرفٍ في الأعمال المهمة العجيبة، ومعرفةٍ بالعلوم الحرفية والجفرية، اجتمعتُ به سنة ثمان ومئة وألف، بقصر صنعاء، وقـد ابتلي من أخيه الإمام المهدي لدين رب العالمين، محمد بن أحمد بن الحسن ـ حفظه الله آمين ـ، مع جماعةٍ من بني عمه.

وذاكرني في أشياء من هذه العلوم، فأجبته عن بعضها، وكانت عندي منقولةً، فظن أني من أهل هذه الصناعة، ولست بذلك، فصـار يكاتبني من القصر بأشياء، فما رأيته منقولاً، أجبته عنه، وما لم أره، اعتذرت منه، وأخبرته بحقيقة حالي، وأني ليس لي بهذه العلوم بيان، فلم يقبل ذلك، إلى أن توجهت من صنعاء، ورجعت إلى مكة، فأُطلق من الوثاق، مع جماعةٍ من بني القاسم، وأقمت بمكة، إلى أن بلغني خبر وفاته، بقعطبة سنة... [1].

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ».

[٨١٥] أسعد الدين بن أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي الحنفي[1].

كان من أفاضل مكة المجلّلين، وأبناء العلماء المعظَّمين.

وُلد بمكة قبل غروب يوم الثلاثاء، سادس ذي الحجة، سنة ثمان عشرة وألف، وبها نشأ، وقرأ على مكي فروخ، وعيسى بن أبي سلمة، والسيد صادق بادشاه، وعبد الرحمن بن عيسى المرشدي، والإمام عبد القادر الطبري، وولده زين العابدين، وغيرهم، **وتوفي** بالطائف، قبيل فجر ليلة السبت، ثالث وعشري شهر رمضان، سنة تسع وستين وألف، ودفن صبيحة اليوم المذكور، بقرب تربة ابن عباس رضي الله عنهما.

[٨١٦] السيد أسعد البلخي، ثم المدني الحنفي[2].

أحد الأجلاء العارفين، والسادة الكرام الميامين، وممن طال باعه في علوم الطريق، وفتح عليه بالتحقيق.

أخذ عن العارف بالله السيد صبغة الله، ووقفتُ له على كتاباتٍ على نصوص المحقق صدر الدين القونوي، تدل على وضوح منهجه القويم، ومتانة عرفانه العظيم.

وكانت **وفاته** يوم السبت، خامس عشري ربيع الآخر، سنة أربعين بعد الألف بالمدينة، ودفن بالبقيع الغرقد.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٠٢).

ومن شعره: ما كتبه إلى السيد سالم شيخان، من طيبة إلى مكة، وهو قوله:

ومن كـان فـي أُم القـرى مـستقرُّه ... لما امتطـى الوخّـادَ شـرقًا ليثـربِ

لقــد حــنّ وجــدًا للتــدلي دُنــوّه ... ليبلونــا خيــراً لأمــرٍ محجَّــبِ

أم اشتاقَ من عزٍّ الغنـى ذُلَّ فقرنـا ... أشــدَّ حنـين يـا لـه مـن تحبُّـبِ

كذاك حـوى دورَ التسلـسل دائمًـا ... لينظَم شملَ السُّفل أوج المحـدَّبِ

فأجابه بقوله:

ومن كان عـن أم الكتـاب سـفورُه ... بـسبعِ مثـاني وصـفه للتحبُّـبِ

فتكوينُـه تـدوين إعجـاز محكـم ... بإمكانــه نــشرُ الوجــوه المغيّــبِ

فــأم قــراه مــستقر وجوبــه ... ومـستودع الإمكـان منهـل يثـربِ

إليه امتطى الوخاد من شرق روحه ... ليسفر شمس الذات في لوح مغربِ

ويطلع بدر الوصف من غرب كونـه ... بتفـصيل تـصريف لكنـه معـرَّب

بمـن عـزُّه قـد حـنّ شـوقًا لـذلنًا ... ليبلـو فقـرًا بـالغنى خيـره الأبـي

ويتلو كتابَ الجمع من نقشِ نفسهِ ... على فرض عين في وجود محجب

ليتلـوه منـه شـاهدٌ لاح شـاهِدا ... بـه الوجـه يبـدو سـافرًا يتحجـب

لرحمانه عرش على حكمه استوى ... بخلق وأمر هجرتـي فـي التغـرب

إلـى مـن إليـه كـلُّ أمـر مـردُّه ... مسلسل فـي أدوار عنقـاء مغـرب

عليـه بـه صـلى شـهيد وجـوده ... بآل وصحب ما تُلي المدحُ للنبـي

[٨١٧] السيد أصيل الدين بن حسين بن عبـدالله بن زين العابدين بن

أوليا بن مجتبى بن حمزة البدر أبو محمد بن أصيل الدين، الكرماني الأصل، الحسيني، المكي المولد والدار، ويعرف جده بابن أصيل الدين، ذكر جده عبدالله أو حسين، السخاوي في «الضوء».

[٨١٨] أكمل الدين بن يوسف الكريمي الحنفي الدمشقي.

فاضلٌ لم تنتج مقدمات الأيام بأبدع من لطيف شكله، ولم يجاره أحد من الأنام في مطارح جده وهزله، كان ينظم الشعر بالألسنة الثلاثة: العربية، والفارسية، والتركية، وله في العلوم أوفى مزية، لا سيما علم الموسيقا؛ فإنه كان له فيه المنزلة العلية.

وكان يقـول: لو أدركني الفارابي، لـم يسعه إلا اتباعي، أو رآني معبدٌ وغريض، لكانا من جملة أتباعي، وكان حسن الصوت، بديع المداعبة، وأكثر ملازمتـه للمرحوم الأمير منجك، ولـه فيه مدائح طويلة، وبينهما محاوراتٌ جليلة.

ولـم يزل على هذه الحال، حتى أفسدت السوداء عقلـه، وانقطـع عن الناس جملة، وحبسه أهله، وقيدوه بالقيود، وصار بين الناس كأنه غير موجود، وقد رأيته وأنا صغير، وهو في هذه الحال، وقد ذهب منه الأطيبان: الشباب، والمـال، إلى أن توفي بدمشق، في حـدود سنـة خمس وسبعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره يمدح الأمير منجك المذكور:

أنـــت تختـــال عجبًـــا وافتخـــارًا ....[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر بقية البيت».

[٨١٩] **أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي بن نجيب الدين، مفتي مكة**[1].

وُلد ليلة الخميس، سابع عشر جمادى الأولى، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة. توفي شهيداً بالأعاضيد، وهو اسم محلٍّ به نخلٌ ومزارع، بين الطائف والمبعوث، [والمبعوث] إليه أقرب عنه، بعد ليلة الثلاثاء، ثاني عشر شوال، سنة تسع عشرة وألف، ودفن بالسيل ـ رحمه الله ـ، وكان الشريف إدريس إذ ذاك بالمبعوث.

[٨٢٠] **الأمين بن الصديق بن عثمان، أخي الشيخ العارف بالله الولي ابن الصديق بن إبراهيم بن أحمد الشهيد بن زيد بن علي بن حسن بن عطية الشَّغْذري بلدًا، وهي بطن من همدان، بمغارب صنعاء، ابن علي بن عطية ابن علي بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عاصم بن إبراهيم بن إسحاق الخولاني بن موسى بن محمد بن موسى بن مقبول بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أحمد بن قعر بن شاور بن قُدَم بن زيد بن غريب بن جشم بن حاشد ابن همدان بن مالك بن زيد بن أوسَله بن ربيعة بن خيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن زيد بن مهيابيل بن قنبان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأمه بتول بنت زيد ابن الولي بن الصديق.**

كان من أكابر مشايخ الصوفية، ومن سالكي الطريقة المرضية، ومن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٢).

أجل فقهاء المرواح[1]، **وُلد** بها عام خمسة وستين وتسع مئة، وقرأ بها القرآن، وعمره نحو عشر سنين، وكان نائماً ذات ليلةٍ، فسمع صياحاً، فانتبه من نومه، فسأل أخويه عبد الرحمن وأحمد عن الصياح، فقالا له: مات الولي بن صلاح، وكان من ذرية الولي بن الصديق، فصاح: الله، الله! وحصل له جذبٌ من ساعته، ولم يتمالك نفسه، فرمى نفسه من أعلى السطح، وخرج هائماً على وجهه، حتى وصل إلى «اللحية» في أسرع مدة، فتبعه أخواه ليردَّاه إلى أهله، فامتنع، فلما لم يجدا بداً من ذلك، ذهب معه أخوه عبد الرحمن، ورجع أحمد إلى بلده.

فذهب إلى مكة، فلما وصلا إليها، قال لأخيه: ارجع لأهلك؛ فإني الآن صحوت مما كان لي من الجذب، ولا أرجع حتى يأذن الله لي، فأقام بمكة خمساً وعشرين سنةً، وهو منهمكٌ على خدمة العلم وأهله، والجد والتعب في تحصيله، إلى أن رأى بعضُ شيوخه النبي ﷺ في المنام، وهو يسقي اثنين من تلامذته، وكان الأمين واقفاً، فناداه ﷺ، وقال له: اشرب بنفسك، فأصبح الشيخ، وأخبره بما رأى في منامه، وقال له: ارجع إلى بلدك؛ فقد حصلت لك العناية النبوية، فامتثل أمر شيخه، ورجع إلى اليمن وهو ممتلئ علماً وحكمةً.

ومرّ في طريقه على الشيخ العارف بالله عمر بن جبريل، بمدينة «اللحية»، فأقام عنده، وطلب الأخذ عنه، فقال: بشرط أن تسأل على كل بابٍ من بيوت المِرْواح، وتذكر، فقال له: يا سيدي! سَلني غير هذا، قال: لا، ففعل ما أمره

---

(١) في الأصل: المراوح.

به، وكان يُغْشى عليه عند كل باب، ثم بلغ مبلغاً عظيماً.

ولما فارقه، أمره أن يجعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وهي قريةٌ تحت المِرْواح بأعلى الصلبة، فوصل إلى المِرْواح، وأقام به، وفعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وكان ينزل إليه كل يوم جمعةٍ، فيزوره فيه أهل الصلبة ومن والاها من القرى، ثم يعود إلى المِرْواح، ولما قرب موته، أوصى أن يدفن بمقامه الذي بناه.

فلما مات، امتنع إخوته وأهل المِرْواح من دفنه إلا عند جده الولي بن الصديق بالمِرْواح، بمسجدهم المعروف بها، وحصل بينهم وبين بني قُطَيم ـ مصغراً ـ أهل الشَّبَجَنَة، منازعةٌ في ذلك، أدت إلى أن رفعوا الحال إلى الأمير عبد الرحيم بن مطهر ابن الإمام شرف الدين، صاحب المَبْيَن ـ بوزن أحمد ـ، وكان يحب المترجم، ويعظمه كثيراً، فقال: لا تقبر العادية إلا بين أهلها، وأمرهم بدفنه بتربة جده.

فلما أرادوا رفعه من التابوت إلى القبر الذي أعدوه له في المرواح، لم يقدروا على رفعه عن الأرض، وعالجوا أشد العلاج، فلم يفدهم ذلك شيئاً، فعلموا حينئذٍ أنها كرامة، ودخل خاله عبد الوهاب بن زيد، وأمَرَ بني قُطَيل بحمله؛ ليدفنوه بمقامه الذي أوصى بدفنه فيه، فبمجرد أن أمسكوا التابوت، أطاعهم، وحملوه بأيسر ما يكون، ودفنوه في مقامهم الذي أمرهم بدفنه فيه[1]، وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأول سنة عشر والألف،

---

(١) غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الحكايات، فهذا كله من تلبيس الشيطان الرجيم، وإدعاء الجهلة ومدعي الطريق أنها من الكرامات وعلامات القبول، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد زرته ـ بحمد الله ـ مرات، لمّا كنت بالصلبة، سنة ثمان بعد المئة والألف.

ومن مؤلفاته: «الكشف والعيان في معرفة حقيقة الإيمان ومقام الإحسان»، وهو كتابٌ لطيفٌ، ذكر فيه شيوخه وأسانيده في الخرقة، وقد طالعته عدة مراتٍ، وله رسالةٌ جواب سؤال ألغازٍ من بعض الفضلاء، في مضاعفة الصلاة بمكة، غريبة الوضع، كتبت منها نسخةً بخطي لحسنها وكثرة فوائدها.

[٨٢١] إمام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي العمري الحنفي[١].

مفتي مكة، صاحب الشيخ الفاضل، العالم الكامل، وُلد بمكة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وحفظه وجوده على الفقيه المقري أحمد إسكندر، وحفظ «الكنز»، و«الهاملية»، وعرضها على ابن عمه حنيف الدين بن عبد الرحمن المرشدي، ولازم دروسه، حتى حصل طرفاً صالحاً في مذهب الإمام أبي حنيفة.

وأخذ النحو عن عبدالله باقشير، وأخذ عن الشيخ عيسى المغربي، ومحمد بن سليمان، وقرأ طرفاً على شيخنا محمد الشلي باعلوي «البخاري»، و«الشمائل»، و«شرح الأربعين»، وجملة كتبٍ في علم العربية، وقرأ الفرائض والحساب على أحمد بن علي باقشير، وجد واجتهد في طلب العلوم، لا سيما الفقه، حتى فاق أقرانه، ولبس الخرقة من السيد العارف بالله عبد الرحمن الإدريسي.

وولي منصب الإفتاء بمكة وغيرها، ولم يزل على طريقةٍ حسناء، حتى

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٥٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٤).

توفي يوم الاثنين، منتصف جمادى الآخرة، سنة خمس وثمانين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، في سوح السيدة خديجة، على يسار الخارج من القبة، ثم بعد سنين، رفع عليه السيد إبراهيم بن محمد، أخو الشريف بركات، وبُني عليه بناءٌ مرتفع يشبه التابوت.

[٨٢٢] الشيخ العارف بالله إله بخش، وهو لفظٌ فارسيٌّ معناه: عطية الله، الهندي النقشبندي[١].

كان صاحب معرفةٍ، وكمالٍ وتكميل، وكانت طريقته طريقة الغشقيه، وكان عالي المشرب، نهاية في المعارف، نقلت عنه التصرفات العجيبة، والكرامات العجيبة، وهو من أجلّ مشايخ العارف بالله تاج الدين الهندي النقشبندي، وله معه خوارق سنية.

منها: أن الشيخ أرسله إلى بلد أمروهة لخدمة، فكان يمشي في الطريق، إذ رأى في أثناء الطريق امرأةً جميلةً، فتعلق قلبه بها، وصار مشغوفاً بها، حتى خرج زمامُ اختياره من يده، ونسي تلك الخدمة، وتبعها، فبينما هو كذلك، إذ رأى الشيخ على يمين تلك المرأة، ينظر إليه، وواضعاً أصبعه السبابة في فمه، على طريق التنبيه والتعجب، فلما رآه، حصل له منه غاية الحياء، وانقلع أصل محبتها من قلبه، ومضى لسبيله، ولما رجع من الخدمة، وصل إلى الشيخ، فلما رآه الشيخ، ضحك منه، وعرف منه أنه كان مشعراً بذلك.

ومنها: أن واحداً من أصحاب الشيخ إله بخش، كان يقرأ عليه شيئاً في

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٣).

علم التصوف ذات يومٍ، فجـاء الجراد في البلد، ووقف على أشجار الناس وزروعهم، فجاء راعي بستان الشيخ، وأخبره بالجراد، فأرسل الشيخ واحداً من أصحابه إلى البستان، وقـال لـه: قل للجراد مناديًا بصوتٍ رفيـع: إنكم أضيافنا، ورعاية الأضياف لازمـة، إلا أن بستاننـا أشجارٌ صغارٌ، لا تحتمل ضيافتكم، فالمروءة أن تتركوه، فبمجرد ما سمع الجراد هذا الكلام من الرجل طار، وخرج من بستان الشيخ، ووقع خارجه، وصار زرع كل الناس وبساتينها كعصفٍ مأكول، إلا بستان الشيخ.

ومنها: أن رجلاً جاء إلى الشيخ إله بخش، وشكا إليه الفقر والضيق في المعيشة، وجلس أياماً في خدمته، فقال لـه الشيخ: إذا حصل لك شيءٌ من الدنيا وما تُخرج منه لنا؟ فقال: العشر، فقـال لـه: لا تستطيع، فكرر عليـه الكلام، حتى استقر الحال على أن يخرج له من كل مئةٍ واحداً، فأمره أن يروح إلى واحدٍ من أهل الدين، فحصل له ببركة الشيخ دنيا كبيرة، في أيامٍ قليلةٍ، فكان الشيخ يرسل إليه الفقراء، ويكتب له بأن يعطيهم، ولا يؤدي إليهم شيئاً، ثم اجتمع عنده دراهم كثيرة من حصة الشيخ، فكتب إلى الشيخ: أنكم أرسلوا واحداً من خدامكم حتى نرسل هذه الدراهم إليكم، فلما وصل مكتوبه، حصل للشيخ غيرةٌ وغضبٌ، وقال: سبحان الله! ما قلع أحدٌ من وقت آدم إلى يومنا هذا شجرةً غرسها بنفسه، إلا أنا أقلعـه اليوم، فجاء بعد أيام خبر موته، وله كراماتٌ كثيرةٌ، وإنما أردت التنبيه على عظيم شأنه، لا التعداد والحصر.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ ليلة الاثنين، تاسع عشر رمضان، سنة اثنتين بعد الألف، وعمره اثنتان وثمانون سنةً، وهو على ركبة تلميذه الشيخ تاج،

وأوصاه أن لا يغسله ويكفنه إلا هو، ففعل، وكفنه بموجب وصيته ـ نفع الله الجميع ـ[1].

❐ ❐ ❐

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض».






حرف الباء الموحدة

[٨٢٣] بدر الخليل شيخ الأربعين.

في بلدة سيدنا إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ هو شيخٌ صالحٌ متدينٌ، يحب الفقراء، وهو الذي عمر الأربعين المذكور، وهو الآن ساكن به.

[٨٢٤] بلال الأحمدي.

المقيم بباب الرحمة، بالمدينة المنورة، خليفة الأحمدية، له خلفاء وفقراء، وزاويةٌ معمورةٌ بالأذكار، ومات يوم الجمعة، غرة جمادى الآخرة، سنة عشرين وألف.

[٨٢٥] بيري دده المعروف بقرة باش.

مقيماً بقلعة بشته، تجاه قلعة بدون، وكان شيخاً صالحاً، مجاب الدعوة، روي: أن الوزير مصطفى باشا، نائب السلطنة بمحروسة بدون، أراد أن يبني بها الحمام المسمى بـ: «إيلجة»، وبنى جداره، ولم يقم؛ لكثرة الماء في أساسها، فرجع إلى الشيخ بيري دده، وشكا له من ذلك، فحضر الشيخ على البناء، ودعا لاستحكامه، ثم بناها، فقام وثبت.

وكان إذا لم يجد قوت يومه، يتوجه إلى الله تعالى، فيأتي له الفتوح سريعاً، عزم على الحج بعد سنة ألف، وتوفي وهو ذاهب بالقسطنطينية - رحمه الله تعالى -.

[٨٢٦] بكر البغدادي.

مترجمٌ في المجموعة التي فيها «رسالة الأشخر»[١].

[٨٢٧] السيد بركات بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري[٢].

أحد السادات من بني علوي، صاحب الفضائل الجزيلة، والفعل الحسن الجميل، المتمسك بالسبب الأقوى، من الدين والتقوى، **وُلد** بمدينة «تريم»، ونشأ بها، ولاحظته عناية ربها، وحفظ القرآن، ولزم تلاوته في سائر الأزمان، وصحبة أكابر الأعيان، وكان يتعاطى أمر التجارة السالمة من الخسارة، المقرونة بالأرباح، المتصلة بالغبطة والنجاح، مع سماحة نفسٍ وكرم، ومحاسن أخلاق، وشيمٍ، وأيادي جسيمة، ومكارم عميمة.

وكان كثير الطاعات، ملازماً للجمعة والجماعات، والقيام بالأسحار، ولم يزل مفوضاً أمره للحي القيوم، إلى أن وافاه القضاء المحتوم، **فتوفي** سنة ست بعد الألف، بمدينة تريم - بوأه الله جنات النعيم -.

[٨٢٨] السيد بركات بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن أبي نمي[٣].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٢٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١).

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٣٦)، =

أمير مكة، **مولده** سنة أربع وثلاثين وألف، وتولى ثاني أيام التشريق، بعد الشريف سعد بن زيد، بسعي محمد بن سليمان المغربي، وذلك أنه تشفع عنه في شيءٍ، فلم يشفعه، فحج مصطفى باشا أخو أحمد باشا الوزير الكبرلي، فسافر معه إلى الروم، واجتمع بالوزير، وأشار عليه بعزله؛ لما صدر منه في حق حسن باشا، فأرسل عسكراً لمكة لذلك، فعزل.

وتوجه الشريف سعد من مكة، وتولى صاحب الترجمة، وخرج ومعه من العساكر في طلبه، فسلك طريق الثنية إلى الطائف، وكان الشريف سعد قد سلكها، ونزل بالطائف، ثم ارتفع عنه إلى عباسة، ثم إلى تربة، ثم إلى بيشة، فتبعه الشريف بركات، حتى قارب تربة، ثم عاد إلى المبعوث، ثم إلى الطائف، وأقام بها، ثم رجع إلى مكة.

وحظي عند السلطنة، وكان مقبول الكلمة عندهم، معتقداً؛ لما كان يكثره من مداراتهم، وكان كثير الإحسان للأشراف، والتعطف بهم، وتقووا في زمنه، وقويت شوكتهم، وكثرت أموالهم، وبسبب ذلك بقي كبار الأشراف وصغارهم تحت طوعه، وكان يخرج بهم لحرب العرب، من حرب، من أهل الفرع وغيرهم، ويكون الظفر فيه له وللأشراف.

ولم يزل كذلك، حتى تغلب عليه غالب الأشراف، وخرج السيد أحمد ابن غالب من مكة، مفارقٌ[1] له في نحو ثلاثين شريفاً، من ذوي مسعود وغيرهم، فدخلت الأشراف في الصلح بينهم، فلم يتم، وخرجوا إلى التركان،

= «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٩).

(١) كذا في الأصل، والصواب: مفارقاً.

من وادي مر، واجتمعوا هناك، وتأهبوا وساروا قاصدين الأبواب السلطانية، فوصلوا إلى الشام، فأنزلهم متوليها حسين باشا السلحدار، ببيتٍ عظيمٍ، وأجرى عليهم ما يكفيهم من المصرف، وبالغ في تعظيمهم.

وعرّف بشأنهم إلى الأبواب، فأمروا بكتابة عرضٍ بما يشكونه، فكتبوه وأرسلوه مع اثنين منهم، وهما: السيد محمد بن مساعد، والسيد بشير بن بركات بن فضل، فوعدوا بإزاحة شكواهم، وكان الشريف بركات عرض على الأبواب، لما فارقه السيد أحمد بن غالب ومن معه: أن الأشراف أتعبوه بالطلب الشطيط، وأنه بالغ في رضاهم بكل وجه، وقال: إني رضيت أن أجعل لهم مثل ثلاثة أرباع البلاد، ويكون لي ربعه، فأبرزوا له أمراً سلطانيًا بذلك.

ولما كان حادي وعشري ربيع الأول، وقعت فتنةٌ سببها أن عبداً للسيد حسن بن حمود بن عبدالله، اختصم مع رجلٍ من عسكر مصر، عند البزابيز بالمسقى، فضرب العسكري العبد، وأخذ سلاحه، فحينئذٍ استحشم السيد حسن الأشراف، والعبدُ العبيدَ، فاجتمعوا كلهم عند السيد محمد بن أحمد ابن عبدالله.

ثم انقلب شرذمةٌ من العبيد نحو الخمسين، شاهرين السلاح، فوصلوا إلى المروة، فهربت الأتراك، وأرادوا الرجوع، فرماهم بعض الأتراك الساكنين في الربع بالأحجار، فأرادوا الطلوع إليهم، فكسروا بعض الدكاكين التي تحته، يظن أنها باب الربع، فوجدوه ملآناً من النحاس والأثاث، فنهبوا جميع ذلك، وفعلوا بدكان أخرى مثل ذلك، وصوبوا نحو ثلاثة من الترك بالسلاح، وقتلوا آخر من المجاورين، كان يحتجم عند حلاق بالمروة، ثم ذهبوا.

ثم حزبت الأتراك، وجاؤوا إلى القاضي، وأرسلوا إلى الشريف يطلبون الغرماء، فصُبـِّروا فلم يصبروا، وأتوا إلى بيت الشريف، وبيت السيد أحمد الحارث، وكان بـه جماعةٌ من عسكر الشريف، فرموهم من بيت الحارث، فقتلوا من الترك اثنين أيضاً.

فرجع الترك حينئذٍ، وأرسلوا الشريف بركـات إلى الأشراف، يطلبهم الغرماء، فامتنعوا، وخرجوا إلى الشيخ محمود، وقالوا: من يطلب الغرماء يأتنا، وخرج العبيد جميعهم، حتى عبيد الشريف بركات، وعبيـد حاكم[1] مكة، القائد أحمد بن جوهر، إلى بركة ماجن، ووجدوا جماعة من الأتراك المجاورين مقبلين، فأخذوا جميع ما معهم، وسلبوهم، ونهبوا قريب[2] من أربع مئة رأس من الغنم، ثم أرسل الشريف بركات أخاه عَمْرًا، فرد العبيد.

ثم قصد الشريف بركات تسكين الفتنة، فأمر على عبدين كانا محبوسين في سرقةٍ أن يشنقا، فشنقا، فلم تطب نفوس الأتراك بذلك، ثم وجـد السيد يحيى بن بركات، وكان يعس ليلةً بالليل عبدين سارقين، فضرب أعناقهما، ورمى بجثتهما تحت جميزة المعلا، فرضي الأتراك حينئذٍ، واصطلح الأشراف مع الشريف، ودخلوا مكة.

ثم حصل للشريف بركات مرض، واستمر نحـو شهـر، إلى أن توفي ليلة الخميس، ثاني وعشري ربيع الثاني، سنة ثلاث وتسعين وألـف بمكة، وكانت ولايته عشر سنين، وأربعة أشهر، وستة عشر يوماً، وتولى بعده ولده

---

(١) في الأصل: حكم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قريبًا.

الشريف سعيد، ولم يختلف عليه اثنان من الأشراف، وذلك أنه بعد موته، ذهب السيد عمرو بن محمد في جماعةٍ من الأشراف إلى القاضي، وطلبوا خلعة، فسألهم: هل الأشراف راضون؟ فقيل له: نعم، فأتوا بها إليه، فلبسها، ونودي في البلاد باسمه، ومع المنادي السيد الحسين بن يحيى، والسيد عبدالله بن هاشم.

ثم جُهِّز الشريف بركات، وصلى عليه ضحًى إماماً بالناس الشيخ عبد الواحد الشيبي فاتحُ البيت، في مشهدٍ حافلٍ، حضره الأشراف والعلماء وعامة الناس، ودفن بحوطة النسفي، على يسار الذاهب إلى المعلاة، بوصيةٍ منه، ولم يحصل للناس بموته خوف ولا فزع ـ ولله الحمد ـ، ثم عقد مجلسٌ يوم الجمعة، ثاني يوم الوفاة بالحطيم، حضره الأشراف والعلماء والأعيان والعساكر، فأظهر الشريف سعيد أمراً سلطانياً، كان برز له لما أرسله والده إلى السلطان: أن الملك له بعد أبيه، فقرئ بذلك المجمع، ولم تقع مخالفةٌ من أحد.

ثم ورد الأمر ـ الذي كان طلبه الشريف بركات بالأرباع ـ إلى مكة بعد موته، فأخفاه الشريف سعيد، وكان الأشراف متحققين خبره قبل وصولهم إلى مكة، فطلبوه من الشريف، فأحضره مجلس الشرع، وسجل مضمونه، وقسموا مدخول البلاد والإخوان أرباعاً: ربعٌ لشريف مكة، وربعٌ تشيخ فيه السيد محمد بن أحمد بن عبدالله، والسيد ناصر بن أحمد الحارث، ومعهما جماعةٌ من الأشراف، والربع الثالث تشيخ فيه السيد أحمد بن غالب، والسيد أحمد بن سعيد، ومعهما جماعةٌ من الأشراف، والربع الرابع تشيخ فيه السيد عمرو بن محمد، والسيد غالب بن زامل، ومعهما جماعةٌ من الأشراف.

فحصل بسبب ذلك التشاجر في القسمة، والتعب والتشاحن، ووقع في البلاد السرق والنهب الصريح، واختلفوا فيما بينهم، وصارت الرعية بلا راع، ولزم من ذلك أن كل صاحب ربع، يكون له كتبةٌ وأخدامٌ، يجمعون ما هو له، وجمع السيد أحمد بن غالب عسكراً، وانضم إليه من العبيد كثير، فتعب الشريف سعيد من ذلك، وأمره بترك العسكر، فامتنع، وذكر أن السوالف سبقت بمثل هذا لصاحب الربع، وشهد بذلك كبار الأشراف، فذكر الشريف سعيد أنه يتوهم من هذا الفعل، وطلب من يكفل له السيد احمد بن غالب، فكفله عشرة من الأشراف، واصطلحا على ذلك.

ثم ادعى الشريف سعيد على الأشراف: أن عبيدهم أتلفوا البلاد، والقصد: أن أهل الأرباع يرسل كل منهم سيفاً من جانبه يعس البلاد بالليل مع جماعته، فأرسل السيد أحمد بن غالب أخاه السيد حسن، وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات، وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن موسى بن سلمان، في جماعةٍ من الخيالة والمشاة، ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر.

ولما قدم الحاج، وخرج الشريف سعيد لملاقاته على المعتاد، لم تخرج معه الأشراف في العرضة، فبعد أن حج الناس ونزلوا، عقد الشريف سعيد مجلساً فيه أحمد باشا حاكم جدة، وأمير الحاج الشامي صالح باشا، وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك، وأمين الصرة، وأكابر عسكر الحجين، فلما حضروا جميعهم، شكا من السيد أحمد بن غالب، كتابة العسكر، وأنه مناكدٌ له في البلاد، وأنه أفسد عليه الأشراف، وأنه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد.

فأرسلوا إليه السيد غالب بن زامل ليحضر، فيظهر ممن الخلاف، فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد، وقال: إن كان القصد الاجتماع، ففي المسجد، وإن كان تتم دعوى، فأوكل وكيلاً يسمع ما تدعـون بـه علي، ثم أرسل إليه من أجل كتابة العسكر وما بعده، فأجاب: بأن هذه قواعد بيننا قد سلفت: أن لصاحب الربع أن يكتب عسكراً، وأما قولكم: إنه قد حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة، فأطلقوا منادياً في البلاد: معاشر الناس كافةً! هل أحد يشتكي من أحمد بن غالب، أو من جماعته، أو من عسكره شيئاً؟ أو أخذوا حق أحدٍ ظلماً؟ أو ضربوا أحداً؟ فإن وجدتم مشتكياً، صح ما قاله الشريف سعيد، وإلا، فلا وجـه لـه ولكم، وأما تركُنـا ـ معاشر الأشراف ـ العرضَ معه، فخفنا أن يقع شيءٌ، فينسب إلينا وإلى جماعتنا.

كل هذا والأشراف جميعهم أجمعوا على قلبِ رجلٍ واحدٍ، ولم تزل خيولهم مسرجةً، ودروعهم عيابها غير مسرحةً، بل لبسوها وملؤوا أجياداً إلى العقد، وتحركت الأنفة الهاشمية، التي تأبى الضيم والضهد، ولما أن سمعوا جواب السيد أحمد بن غالب، علموا أن لا وجه له عليه، ولا خلاف ينسب إليـه، فسعوا في الصلح بينـه وبين الشريف سعيد، على أن يكفل كلٌّ منهما جماعته من الأشراف، ولا يتعدى أحدٌ على صاحبـه، وكُتبت بينهما حجـةٌ بذلك، وطلبوا من السيد أحمـد بن غالب أن يأتي إلى الشريف سعيد، فأتاه ليلةً، ثم أتاه الشريف سعيد ليلةً أخرى، وتم الصلح.

وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم: أنـه أمر منادياً ينادي في البلاد بإخراج الأغراب من مكـة، من جميع الطوائف، فحصل للناس مزيد التعب، فتكلم العسكر مع الشريف سعيد بذلك، فرجع عن ذلك، ولما رأى

أحمد باشا حاكم جدة اختلال حال الشريف سعيد، تسطى على ربع الحب، الجزية الذي يرد إلى مكة، وأراد الاستيلاء عليه، فبلغ ذلك الأشراف، فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر محرم، افتتاح سنة خمس وتسعين، أراد النزول إلى جدة، فحشكت عليه الأشراف، بعد أن كلموه في ذلك، فامتنع، وتحزبوا جميعاً، وقالوا: لا ينزل حتى يعطينا ما هو لنا، ولا يبقى لنا عنده شيء، وكان ذلك بعد أن تقدم أهله وأثقاله إلى خارج مكة، قاصدين جدة، فصار حينئذ أحيرَ من ضَبٍّ.

واجتمعوا جميعهم ببيت السيد محمد بن حمود، وأرسلوا إليه السيد ثقبة، فقال له: إن نزلت قبل أن تصلح الأشراف، يأخذوا جميع أسبابك التي تقدمتك، وينهبوا حريمك، ويقتلوك، فأذعن حينئذ بوفائهم، فقالوا: لا نرضى بذلك، حتى تكفِّل لنا، فكفله كرد أحمد آغا المعمار، وجميع رؤساء العسكر، وكتب بذلك حجةً، وأنه إن حصل منه لبعض حقوقهم، يكون عاصي الشرع والسلطان.

ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب، وطلب منهم شريفاً أوصله إلى جدة خوفاً من العرب أن يطمعوا فيه، ففعلوا ذلك، وأرسلوا معه السيد مبارك ابن ناصر، ثم اشتد البلاء بالسرق ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وكسرت البيوت والدكاكين، وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد، خوف القتل أو الطعن، وصار العبيد لا يأتون إلا ثمانية أو عشرة، وانقلب ليل الناس نهارًا؛ لأنهم إنما يبيتون سهارى، وترى الناس من الخوف سُكارى وما هم بسكارى، وكثرت القتلى في الرعية، حتى ضبطت القتلة بمكة في شهر رمضان تسعة أشخاص، فضجت الناس من هذه الأحوال.

فأرسل الشريف سعيد ترجمانه إلى الأبواب السلطانية، يذكر فساد مكة، وأنها خربت، وأحوالها اضطربت، وطلب عسكراً لإصلاحها، وكانت الناس في هذه المدة يتوسلون إلى الله أن يصلح من مكة اعوجاجها، ويؤمن طرقها وفجاجها، فاستجاب الله دعاءهم في الأسحار، وآناء الليل وأطراف النهار، فاقتضى نظر السلطان، وأركان دولته، أنه لا يصلح هذا الخلل إلا أهله العِرِّيفون، وحماته الذين هم في بيت الملك عريقون، وبرز في الوجود ما كان في علم الله كائناً، وما قدر لبلده أن يعود كما كان آمناً، فتولاها الشريف أحمد بن زيد، في قصة ذكرناها في ترجمته.

والشريف سعيد وعمه[1] عمرو ينتظران الجواب، فلما كان سابع وعشري ذي القعدة، سنة خمس وتسعين، ركب الشريف سعيد إلى أحمد باشا صاحب جدة، وكان بالأبطح، ببستان الوزير عثمان بن زين العابدين حميدان، واستمر عنده إلى جانبٍ يسيرٍ من الليل، ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهباً إلى السيد غالب بن زامل، وكان نازلاً بذي طوى، فلما جاوز الحجون، إذا هو برجلٍ على ذلول، فاستخبره: من أي العرب؟ فقال: من بني صخر، فقال له الشريف سعيد: معك كتاب من يحيى بن بركات؟ فقال: لا، وكان يحيى ذهب لملاقاة الحج الشامي، فأمر الشريف بضمه، فضم، وتهدد بالقتل، فأقر بأنه رسول من الشريف أحمد بن زيد إلى السيد أحمد بن غالب، وأنه قد جاء متولي مكة، وأنه لحق الحاج الشامي في العلا.

---

(١) في الأصل: وعن، والصواب ما أثبت.

وذهب الشريف سعيد ليلة[1] الثالث والعشرين من الشهر المذكور إلى إلى بيت عمه السيد عمرو، واستدعى الشريف[2] غالب بن زامل، والسيد ناصر ابن أحمد الحارث، وعبدالله بن هاشم، وتشاوروا في إظهار هذا الأمر، على أي وجه يكون، فاتفق الأمر أن يرسلوا إلى السيد مساعد ابن الشريف سعد بن زيد، فأرسلوا إليه السيد عبدالله بن هاشم، وأتى به.

فلما دخل بيت السيد عمرو، رأى الجماعة مجتمعين، فجلس معهم، فقال له الشريف سعيد: يا سيد مساعد! لم أرسل لك هذا الوقت إلا قصدي أودعك أهلي؛ فإن عمك الشريف أحمد بن زيد تولى مكة، وإنك تقوم مقامه حتى يصل، وأرسل الشريف سعيد إلى أغاوات العساكر الذين معه، وقال لهم: إن الأمر للسيد أحمد بن زيد، فاخدموا سيدكم، وخرج الشريف سعيد آخر تلك الليلة إلى الوادي، وأقام به حتى سافر الحاج المصري من مكة، فذهب معه إلى مصر، وهو الآن بها مقيم.

[٨٢٩] بركات بن تقي الدين بن الكيال الشافعي الدمشقي[3].

الشيخ الصالح، خطيب الصابونية بعد ابن عمه ولي الدين، كان من جماعة شيخ الإقراء العلامة شهاب الدين الطيبي، ثم من جماعة ولده، كان يقرأ القرآن قراءةً حسنةً، نظيف الثياب، يحب الطيب، ويكثر التطيب، وله

---

(١) في الأصل: ثم ذهب ليلة.

(٢) في الأصل: السيد.

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٣٦) (١٢٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٣٦).

حسن سمتٍ واعتقاد، صحب النجم الغزي، ولازمه في مجالسه سنين، وكان يلازم المحيَّا بالجامع الأموي، وبجامع البزوري، بمحلة قبر عاتكة، خارج دمشق، في زمن شيخ المحيا العارف بالله الشيخ عبد القادر بن سوار.

وكان يقرأ العشر المعتاد، من سورة الأحزاب في المحيا، ويحصل للحاضرين خشوع، وكان بيته قريباً من الجامع الأموي، بالقرب من بيت الأمير ابن منجك، وأكثر أوقاته معتكفٌ بالجامع، بالحجرة الصغيرة التي كانت بيد شيخه الطيبي، ثم ولده عند باب جيرون، من جهة القبلة، وتوفي في حدود سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٣٠] بركات، المعروف بابن الجمل، الشافعي الشيخ الإمام العلامة الصالح المعتقد زين الدين[(١)].

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان من أخص الناس بأخي شهاب الدين، حمل عنه القراءات والفرائض والحساب والفقه، وكان شديد التحري في العبادة والطهارة، وكان يحفظ كتاب الله تعالى، ويقرئ الأطفال بالتجويد، وقرأت عليه كتاب الله تعالى، وعرضت عليه شيئاً من «الألفية»، وغيرها، وكان من قرأ عليه، تظهر بركته.

وكان قانعاً متواضعاً، خاشعاً عابداً زاهداً، لا يغتاب، ولا يسمع الغيبة، وإذا لم تنفذ كلمته في الإعراض عنها، قام من المجلس، وتركه، ولم يعد إليه، ويكره فضول الكلام، ولا يعتقد من يرتكب الرخص من الصوفية، ولا من

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٣٧) (١٢٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥١).

يتعاطى الشطح منهم، وكان ممن حضر دروس شيخ الإسلام الوالد كثيراً، وقرأ في الفقه على شرف الدين يونس العيثاوي والدِ شيخنا، وكان يعتقده، ويسأله عن كثير من المسائل، ويرجع إلى قوله، ولا يذكره إلا بالإجلال والاحترام.

وكان إماماً بالمسجد المعروف بالمغيربية؛ لضيق الدرويشية، قائماً بشعاره، حُكي: أنه صلى المغرب، وصعد إلى بيته عند الشاديكية، درجتين أو ثلاثاً، فسقط ميتاً، ليلة الجمعة، ثالث صفر، سنة تسع عشرة ـ بتقديم المثناة ـ بعد الألف، ووجد فيه طاعون.

فترجى له الشهادة من ثلاثة أوجه: كونه مات ليلة الجمعة، خصوصاً بعد تمام فريضة المغرب، وكونه مات متردياً، وكونه مات مطعوناً، صلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي بالسيبانية، ودفن بمقبرة باب الصغير، بالقرب من تربة بني قاضي عجلون، قريباً من ضريح سيدي بلال الحبشي ﷺ إلى جهة الغرب، عن نحو ستين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٣١] بستان الرومي الحنفي[١].

واعظ الترك بدمشق، كان من العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين، ولأكابر الترك وغيرهم فيه اعتقاد، وكان يقرئ «البيضاوي»، وغيره، ومجالس وعظه عليها الهيبة والسكينة، ويحط فيها على المتكبرين، ويبالغ في تقبيح أمورهم ونصيحتهم، وهم مع ذلك يحبونه ويحترمونه.

وكان عفيفاً قانعاً، لا يتكلم إلا بخير، وكان من أحسن الروم، دخل

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤١) (١٣١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥١).

دمشق، وقطن بها، غرة ربيع الأول، سنة ثلاث بعد الألف، ومات يوم موته الشيخ علاء الدين المالكي، وصلى عليهما أحمد العيثاوي، بالجامع الأموي، إماماً بالناس، ودفن بباب الصغير، ولقنه أحمد العيثاوي أيضاً ـ رحم الله الجميع ـ.

[٨٣٢] بعث الله المصري الحنفي[١].

وربما قيل في اسمه: بعث، وهو منقول عن الفعل الماضي، والله منقول عن الجملة، من الفعل والفاعل، شيخ المولد النبوي، وأستاذ أهل الصنعة، كان أعمى، وكان يحفظ القرآن العظيم، وكان حفظه له على كبر، وعرضه وجوّده على أحمد الضرير المقرئ المشهور، وكان حسن التأدية.

وكان أعرفَ أهل دمشق بالموسيقا، وأحسنهم صوتاً، وأقواهم ملكة، له تصرفٌ عجيبٌ في صوته، مع جهارته ونداوته وظرافته، خصوصاً في عمل المولد، وإيراده فصولاً مرتبةً، وكان تأديته للقصائد ما فوقها حسن، وبالجملة: فقد كان من محاسن دمشق وأفرادها.

وحج سنة ثمان بعد الألف، قال النجم الغزي: وكنت حاجاً، وحصل له بمكة حظوةٌ عظيمةٌ، وتوجه إلى الروم قديماً، وعمل للسلطان مراد مولداً، أحسن إليه بسببه إحساناً كبيراً، وسافر إلى بلاد طرابلس، وقرأ للأمير يوسف ابن سيفا بها مولداً، وحصل له منه خيرٌ كثيرٌ، وأقام بدمشق، أكثر من أربعين سنة.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٣) (١٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٣).

وكان يحكي: أنـه لما أراد السفر من مصر، قال له أستاذه ـ وكان من الصالحين ـ: إن شئت فتحت فاك، وإن شئت فتحت يدك، قال: فقلت له: افتح فمي، قال: وظننت أنه يطعمني شيئاً، فقال له: افتح، ففتحت، فوضع يـده في فمي، وقال: بسط الله لك الشهرة في الآفاق، فكان اشتهاره بحسن صوته ببركة شيخه ودعائه.

ورزق الحظ العظيم، وكان له خصوصيةٌ عن غيره أنه لا ينشد إلا شعراً فصيحاً معربـاً، وأكثر [أهل] هذا الفن عوام يغلب عليهم اللحن، حتى إنهم يضربوا لأنفسهم مثلاً: «ما على المطرب أن يعرب»، وكـان لذلك يتعـزز، ولا يذهب لأحدٍ إلا بعد علاج، وبذلِ كثيرٍ من الدراهم، فقال في ذلك مامية الرومي الشاعر:

بعـــــث الله ضـــــــريرًا   أورد القلـــــب عــــــذابَا

قلـــــت لمــــا طـــــروه   بعـــــث الله غرابـــــــا

توفي يوم الاثنين، رابع رمضان، سنة ست عشرة بعد الألف، وصُلي عليه بالجامع الأموي، قبل صلاة العصر، ودفن بمقبرة الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

❑❑❑






حَرْفُ التَّاءِ المُثَنَّاة الفَوقِيَّة

[٨٣٣] تاج العارفين بن أحمد بن أمين بن عبد العال الحنفي المصري(١).

العلامة المفيد، الفهامة المجيد، المنتخب من ضِئْضِئِ الجهابذة الجلَّة، المنتخب من عناصر الأساتذة، فهو لذلك التفصيل جملة، كان بمصر صدر المدرسين، الذين تجملت بفوائدهم المدارس، وفخر المقدمين، الذين تكملت بفرائدهم المجالس.

روى عن والده، ووالده روى عن والده، وهو عن والده، وهو عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، وأجازه شيوخ عصره بالإفتاء والتدريس، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، وأفاد الطلبة وأجاد، وألف مؤلفاتٍ عديدةً سنيةً، ورسائل شهيرةً في فقه الحنفية.

ولما سقط من البيت الشريف الجدار الشامي بوجهيه، وانجذ معه من الجدار الشرقي، إلى حذاء الباب الشامي، ولم يبق سواه، وعليه قوام الباب، ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس، ومن الوجه الظاهر فقط منه نحو

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٨١) (٣٤٣).

الثلثين، وبعض السقف، وهو الموالي للجدار الشامي، وسقطت درجة السطح، وكان سقوطه كذلك بعيد عصر يوم الخميس، العشرين من شعبان، سنة تسع وثلاثين بعد الألف.

ونقل ما فيها من القناديل إلى بيت السادن، وعلق باقي أخشاب سقفه؛ خوفاً عليه من السقوط، وجمع شريف مكة السيد مسعود علماء البيت الحرام، وسألهم عن حكم عمارة الساقط؟ ولمن هي؟ ومن أي مال تكون؟ فوقع الجواب بأنها فرض كفاية على سائر المسلمين، ولشريف البلاد النائب عن السلطان الأعظم ذلك، وأنه يعمرها بمالٍ حلالٍ، ومنه مال القناديل التي بها مما لم يعلم أنها عينت من واقفها لغير العمارة، ووافقهم على ذلك العلامة محمد بن علان المكي، وأفتى به، وألف رسائل حافلة في شأن ذلك.

ثم ورد السؤال من الديار المكية إلى الديار المصرية عن ذلك، وعليه خطوط السادة المكيين بالجواب عن ذلك؛ ليعرض على حضرة سلطان الإسلام، بنظر قاضي مصر في ذلك الوقت العلامة أحمد أفندي المعيد، فسأله أن يكتب أيضاً رسالةً في شأن ذلك؛ لتعرض مع أجوبة المكيين؛ تقويةً لهم، فأجاب لذلك، وألف رسالة سماها: «الزلف والقربة في تعمير ما سقط من الكعبة»، وقفت عليها، وقد أحسن فيها كل الإحسان، وأجاد كل الإجادة.

وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمة من الجوهر، ومنه: ما كتبه إلى العلامة الهمام، مفتي بلد الله الحرام عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي، وهو قوله:

أذكرتَ ربعًا من أميمة أقفرا ... فأسلْتَ دمعًا ذا شعاعٍ أحمرا

أم شاقَك الغادونَ عنك بسحرةٍ ... لما سروا وتيمموا أم القرى

زمُّوا المطي وأعنقوا في سيرهم ... لله دمعي خلفَهم يا ما جرى

ما قُطِّرت للسير أجمالٌ لهم ... إلا ودمعي في الركاب تقطَّرا

فكأن ظهر البيد بطنُ صحيفة ... وقطارها فيه يحاكي الأسطرا

وكأنها بهوادج قد رفعت ... سفنٌ ودمع الصب يحكي الأبحُرا

رحلوا وما عادوا على مضناهم ... واهاً لحظي ليت كنت مؤخَّرا

إن كان جسمي في الديار مخلفًا ... فالقلب منهم حيث قالوا أهجرا

أظهرتُ صبري عنهمُ متجلِّدا ... وكتمت وجدي فيهم متسترا

وغدا العذول يقول لي من بعدهم ... بادٍ هواك صبرتَ أم لم تصبرا

أقسمتُ إن جاد الزمان بمطلبي ... وسلكتُ ربعًا بالمناسك عُمِّرا

وشهدتُ بدرَ الحيِّ بعد أُفوله ... مذ لاح من أفق السعادة مقمِرا

أديتُ خدمةَ سيدٍ سندٍ غدا ... مفتي الأنام وراثةً بين الورى

هو عابدُ الرحمن واحدُ عصره ... فاسأل بذلك إن شككت مخبِّرا

هذا إمامٌ عَرْفُه فينا حكى ... عَرْفَ الرياض إذا سرى متعطِّرا

ذو همةٍ تسري على نَسْر السما ... فيسيف منها هاويًا متحذِّرا

وسكينة تلقاه فيها مفردًا ... مَعْ لطف جسم بالفضائل عُمِّرا

وقريحةٍ منقادةٍ وقادةٍ ... شُبَّت كنار ثم سارتْ أَنْهُرا

كم حلبةٍ في البحث أظلمَ نقعُها ... يمشي جوادُ الفكر فيها القهقرى

آياتُ فضلك مثلُ مجدك أحكمت ... وسنا سنائك نفعُه قد نورا

وجيادُ فكرك كالرماح كواعبٌ وضيا كمالك نَوْرُه قد أزهرا
من كنتَ أنت له ملاذًا كيف لا يزهو بمدحك رفعةً وتكبُّرا
فاسلمْ ودمْ في ظل عيشٍ أرغدٍ ما اهتز غصنٌ في الرياض ونَوَّرا

وكتب إليه ـ أيضاً ـ سنة ثلاثين بعد الألف كتاباً صورته:

اليومُ مثلُ الحول حتى أرى وجهَكَ والساعةُ كالشهر

إن أبهى ما تجملت به السطور والطروس، وأشهى ما استعذبته الأنفس وتطلبته النفوس، دعاء على ممر الدهور لا ينقضي، وابتهال بأكف الضراعة للإجابة مقتضي، أن يديم على صفحات خدود الوجوه، شامة دهرها، وواحد وقتها، وعلماء عصرها، خاتمة العلماء المتنوهين، مالك زمام البلاغة بفضله المتين، شيخ الإسلام والمسلمين، المستجمع لمكارم الأخلاق والشيم، والمنفرد بمزاياها عند الخلق والأمم، المشتهر عند العرب والعجم، بأنه ملك من العلم زمامه، وجعل العكوف عليه لزامه، فانقاد إليه انقياد الجواد، وجرى في ميدانه بحسن السبق والفكر الوقاد، عالم الغرب والشرق، ومزيل ما تعارض من المسائل بحسن الجمع والفرق، الجامع بين رياستي العلم والعمل، والمانع بإخلاص السريرة من لحوق عوارض العلل، كنز العلوم والكشف، بحر الهداية الذي ارتوى منه بالعَبِّ والرشف، صدر الشريعة الغراء، شيخ حرم الله بالإفتاء والإقراء، من لا يمكن حصر وصفه بالتفصيل، فإن الإطناب فيه طويل، وإنما أحيل على ما قيل:

أنت الذي يقف الثناءُ بسوقه وجرى الندى بعروقه قبلَ الدم

فالله سبحانه يمتع المسلمين بهذه الأخلاق، ويديم فخار أهل الوجود ببقاء صاحب هذا الاستحقاق، ولا زال مذهب النعمان متحلياً بعقوده، متوشحاً بمطارفه وبروده.

هذا وإن التفت خاطره بتذكار ودوده، والمخلص في دعائه حال ركوعه وسجوده، فهو بخيرٍ وعافية، ونعمةٍ وافية، نرجو من الله دوامها بدوام دعائكم؛ إذ لا شك أناً من جملة منسوبيكم وأنسابكم، فإنك الأصل في زكاء هذا الفرع ونموه، والسبب الداعي إلى اعتلائه وسموه، بأمورٍ يشهد بها الخاطر، فتشهد بالإقرار بنعم الله في الباطن والظاهر، غير أن الخاطر كله عندكم، وفي تألم لبعدكم، وما حصل له العام من فقدكم:

روضةَ العلم قطّبي بعد ضِحْكٍ — والبَسي من بنفسجٍ جِلبابا
وهبي النائحاتِ منثورَ دمع — فشقيقُ النعمان بانَ وغابا

فالله تعالى يجزل لكم الثواب، ويعوضكم خيراً فيمن بقي من الأنجاب. والسلام.

وكتب إليه ـ أيضاً ـ سنة ست وثلاثين بعد الألف: قوله:

ملكت سورةُ الرحيل عِناني — وأهاجت سواكنَ الأشجان
أتمنى أسري وهل يملك السيـ — ـرَ طريحُ الندى أسيرُ التداني
يا خليليَّ وقفةً بالمصلى — مجد حمد السرى ودرك الأماني
فاعطفا وانزلا وبثّا سلامي — لوحيد العلا فريد المعاني
مرشد الفضل وابنه من يضاهي — عالم الدين عابد الرحمن

أنـا مـا بـين لوعـةٍ علـمَ اللَّـ ـهُ وشـوقي إليـه بطـول الزمـان
أين مني الحنينُ مـن ذاتِ طـوقٍ سـلبتها النـوى غـصون البـان
لـو تطيـق النيـاقُ شـوقي لمـا حَنَّتْ خضوعًا من تربهـا أجفـاني
وبقلبـي مـن الرحيـب إليـه مثـلُ مـا بالنيـاق مـن دمـلان
فـوعيشِ الهـوى وحـيِّ التـصابي وليـالي الرضـا وأنـسِ التـداني
إنَّ قـصدي لقيـاكَ لكـن قيـادي بيـدٍ لـيس لـي بهـا مـن يـداني

فأجابه بقوله:

يـا خليلـيَّ بالـصفا أسـعِداني وبوصـل مـن الإيـاس عِـداني
واحمـلا بعـض مـا ألاقـي وُبثَّـا حـالَ صـبٌّ متـيَّمِ القلـب عـاني
جـسمُه فـي جيـاد والقلـبُ منـه فـي قـرى مـصر دائـمُ الخفقـان
لـم يـزل شـيقًا ولوعًـا دوامًـا شاخصَ الطرف سـاهرَ الأجفـانِ
يرقُـب الـنجمَ ليلَـه وإذا أصـ ـبح أضـحى مُناشِـدَ الركبـانِ
هل رأيتمْ أو هـل سـمعتم حـديثًا عن قـديمِ الإخـا عظـيمِ المعـاني
الـصفيِّ الـوفيِّ ذي العهـ ـدِ النقـيِّ التقـيِّ فخـرِ الزمـان
هـو تـاجُ للعـارفين الـذي قـد نـال إرثًـا عـوارفَ العرفـان
من غدا مفرداً بمـصر بـل العـصـ ـر فـلا يـسمح الزمـان بثـاني
خُـصَّ بـالعلم والرياسـة والـودْ دِ وهـذا مواهـبُ الـرحمن
فهـو كنـزٌ ومجمـعٌ لعلـوم قـد حواهـا بغايـة الإتقـان
وهو صدرُ الشريعة المـشرَعُ العـذ ب البـسيط المحـيطُ والبرهـان

دام فينــا مبلَّغًــا مــا يرجِّــي مــن مــرادٍ ورفعــةٍ وأمــاني
مــا تغنــى علــى الريــاض هَــزارٌ وأجابتــه إلفــهُ بالأغــاني

[٨٣٤] تاج العارفين ابن الأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري المصري الشافعي[١].

كان أكبر إخوته، وأكثرهم مالاً، قال النجم الغزي: رأيته بمكة المشرفة، سنة سبع بعد الألف، فرأيته ملكاً، حالُه حالُ الملوك؛ من الخدم والحشم، وعظم الهيبة، وكثرة المترددين، وكان منزله ببيت البكرية، المعروف عند باب إبراهيم.

وكان معه في حجته تلك أخوه أبو المواهب، وهو يقاربه في سَمْته، وأخوه عبد الرحيم، وكان مجذوبًا مستغرقاً مات بمكة تلك السنة، ورجع المترجم من مكة إلى مصر، فأدركته المنية قبل وصول الحاج إلى مصر بيومين، وحمل إلى القاهرة، ودفن في أوائل صفر، سنة ثمان وألف.

[٨٣٥] تاج الدين بن زكريا بن سلطان العثماني النقشبندي الهندي الحنفي[٢].

محكّم عقد التلقين والتحكيم، ومقدّم وفد العزيز العليم، الناقش بقلم فكره الثاقب هيولى ذكر السادة النقشبندية، في ألواح القلوب الصوفية العرشية، رابطة الإرشاد إلى المنازل للسائرين في السلوك، وواسطة الإمداد للمواهب

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٧) (١٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٤).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٦٤).

الرحمانية من ملك الملوك[1].

كان ﷺ شيخاً كبيراً مهاباً، لنفحاته المسكية وهاباً، حسن التربية والدلالة، على الوصول إلى الله تعالى لا محالة، صحبه خلقٌ كثيرٌ من المريدين، وفاز من سبقت له العناية الإلهية منهم بالنفوذ، فصار من المقربين، ولازم الأستاذ أحمد أبو الوفا العجل العجيل، وولده شيخنا موسى، وشيخنا محمد مرزا، وشيخنا الأمير يحيى بن علي باشا، وغيرهم.

وألف ﷺ كتباً، منها: «تعريب النفحات» للعارف عبد الرحمن بن أحمد الجامي، و«تقريب المرشحات»، و«الصراط المستقيم»، و«النفحات الإلهية في موعظة النفس الزكية»، و«جامع الفؤاد»، و«رسالةٌ في طريق السادة النقشبندية» جمع فيها الكلمات القدسية المأثورة المروية، عن حضرة الخوجة عبد الخالق العجدواني، المبني عليها الطريق، وشرحها بأحسن بيان، لمن ألقى السمع وهو شهيد، في معارك العيان.

توفي بمكة، قبل غروب يوم الأربعاء، ثامن عشر جمادى الأولى، سنة خمسين بعد الألف، ودفن في صبح يوم الخميس، في تربته التي أعدها له في حياته، في سفح جبل قعيقعان، وضريحه ظاهر يقصد للزيارة ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد أفرد الترجمة لشانه، تلميذُه السيد محمود بن أشرف الحسيني، في رسالةٍ سماها: «تحفة السالكين في ذكر تاج العارفين».

قال فيها ما نصه: سمعته ـ سلمه الله ـ يقول: إنه قبل أن يصل إلى الشيخ

---

(١) هذه الألفاظ والمصطلحات لا أصل لها في الدين، ومن بدع المضللين، وخرافات المدعين، نسأل الله الثبات على الدين القويم والسنة المطهرة اللهم آمين.

إله بخش في بداية أمره، في غلبة الجذبات، بعد توفيق التوبة، بواسطة الخضر ـ عليه السلام ـ، كان اشتغاله ـ غالباً ـ بالسياحة في طلب الشيخ.

وكان جعل على نفسه الأمور المقررة المذكورة في كتب المشايخ: أنه ينبغي للمريد أن يجعلها قبل وصوله إلى الشيخ، ثم بعد وصوله إليه الاختيارُ اختياره، وكان تحضر له أرواح المشايخ، وحصل له الكشف.

فلما وصل إلى بلده «أجمير»، التي فيها قبر قطب وقته الشيخ معين الدين الجشتي ـ قدس الله سره ـ، حضرت له روحه، وعلمه طريق النفي والإثبات، على كيفيةٍ مخصوصةٍ، في طريقة الجشتية يسمونها: حفظ الأنفاس، وأمره بالاشتغال به، وأمره أن يجلس ويستعمل الذكر بهذه الطريقة، في بلدة «ناكور»، التي فيها قبر الشيخ حميد الدين الناكوري، وهو من أجلّ أصحابه.

وقال: إني ما جئت إلا اليوم بعد مدةٍ مديدةٍ لأجلك، وإلا، فأنا بمكة؛ لكثرة البدع التي يعملوها على قبره، فسافر بموجب أمره إلى ناكور، وجلس بها يشتغل بالذكر المذكور، ويزور أحياناً قبر الشيخ حميد الدين، ويعلم آداب الطريقة، فكان تظهر عليه الأنوار والتجليات والأحوال، على طبق سلوك الجشتية.

وقال ـ سلمه الله ـ: في تلك الأيام كنت أدخل خلوة كانت داخل ثلاثة بيوت، في ليلةٍ مظلمةٍ، وأصك الأبواب كلها، فكان يظهر نورٌ مثل الشمس، ثم يزيد، ثم يحيط بالبيت، ويصير ضوءه مثل ضوء النهار، فكنت أقرأ القرآن في ذلك الضوء، فحصل لي الأنس بذلك النور، حتى إني يوماً من الأيام كنت أمر ببعض الطرق، فإذا رجلٌ عنده رسالةٌ مكتوبٌ فيها: إن بعض الناس يحصل

لهم في أوان الذكر نورٌ، فيغترون به، وأخذ الرسالة وغاب، وما رأيته بعد، فانتبهت، وزاد تعلقي به.

ثم يوماً كنت جالساً عند قبر الشيخ حميد الدين، فحضرت روحه[1]، وأراد أن يعطيه خرقة الإجازة، وكان مراده أن يأمر في النوم أو الواقعة لبعض من كانوا على مسنده من الخلفاء ليعطي الخرقة، فقلت: لا أريد إلا أن تعطي بيدك، فقال الشيخ: هذا خلاف سنة الله، فاطلب منه، فاستأذنت منه، وخرجت في طلب الشيخ، وكنت أسيح في الجبال والبراري والأغوار والأنجاد، وكنت أصل إلى المشايخ كثيراً؛ لما كان يحصل الاعتقاد لأحدٍ منهم.

وكان وصل ـ في هذه المدة ـ، إلى الشيخ نظام الدين الناكوري، وكان من مشايخ الجشتية، فأراد الشيخ كثيراً أن يجلس عنده، فما جلس عنده، ورأى كثيراً من مشايخ الوقت، حتى وصل إلى الشيخ إله بخش ـ قدس الله سره ـ، فلما رآه حصل له فيه أقصى ما يكون من الاعتقاد، والشيخ ﷺ تلقاه بحسن القبول، وأظهر له أنه كان منتظراً له.

وكان من طريقة الشيخ: أن لا يلقن أحداً إلا بعد إدخاله في الخدمات؛ كما قال الخوجة بهاء الدين نقشبند ـ قدس الله سره ـ: بدايتنا نهاية الطريق الآخر، وقال أيضاً ـ قدس الله سره ـ: معرفة الحق حرام على بهاء الدين، لو لم تكن بدايته نهاية أبي زيد البسطامي.

وقد قال الخوجة عبيدالله أحرار: إن اعتقاد السلف قد يذهب بالبعض

---

(١) انظر رحمك الله إلى تلعب الشيطان بعقول هؤلاء المخرفين، وإلا أي روح تحظر أو تغيب، إلا وساس الشيطان الرجيم.

إلى إنكار هذا الكلام، مع أنه لا ينافي أمراً من أمور الشرع، بل حديث: «مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خيرٌ أم آخره» يدل على خلاف ذلك.

رجعٌ إلى تتمة الكلام السابق: فقال له الشيخ ﷺ في الواقعة، أو في الرؤيا: يا شيخ تاج! طريقتنا كذا أنا لا نلقن الذكر أحداً، حتى يحمل الحطب والماء، فاشتغل أنت بحمل الماء إلى المطبخ ثلاثة أيام. قال سيدي الشيخ: فعبرت ثلاثة أيام بثلاثة أشهر، فاشتغل بحمل الماء إلى مطبخ الشيخ، وكان النهر بعيداً من بيته، فكان يستعذب الماء كثيراً فوق الطاقة البشرية، وكانت تظهر منه الخوارق في تلك الأيام.

وأخبرت: أن أهل تلك البلد يقولون: إن الشيخ ـ سلمه الله ـ حين كان يحمل الجرة على رأسه، وكان يمشي، كنا نرى الجرة منفصلةً عن الرأس على مقدار ذراع، إلا أني سمعته يقول: ما لي علم بهذا الأمر.

فبعد ما تم له ثلاثة أشهر، قال له الشيخ إله بخش: اليوم قد تم أملك، باسم الله اشتغل بالذكر، وكان أمره بالخدمة المذكورة بالباطن، وقال له هذا الكلام بالظاهر، فلقنه ذكر العشقية، فاشتغل بها، ولا زال في خدمته، حتى وصل إلى الكمال والتكميل، ثم قال: إن سيدي الشيخ خدم سيدي الشيخ إله بخش عشر سنين، خدمةً خارجةً عن طريق البشر، وأجازه بإرشاد المريدين، وما كان يناديه إلا بقوله: يا تاج العارفين!.

قال سيدي الشيخ تاج: وحصل لي ما كان قد بشرني به الشيخ إله بخش، إلا أن حصوله بالتدريج، وبعد أمورٍ منتظرةٍ، قال الشيخ تاج: وكانت خدمته أنفع لي من الذكر، وإني كلما وجدت من الأحوال، وجدت من الخدمة.

ثم قال: فصلٌ في ذكر نبذةٍ من خوارقه ومعارفه: سمعت من غير واحدٍ من أصحاب الشيخ: أن سيدي الشيخ كان جالساً يوماً في بلدنا «أمروهة» بالمراقبة، فلما رفع رأسه، انفصل منه نورٌ وقع على شجرة رمان، فبعد ذلك اليوم، كانت تلك الشجرة كلها، ثمرها وورقها وخشبها، دِرياقاً مجرباً للناس يستشفون بها، وكانت هذه الكرامة ظاهرةً حتى فنيت تلك الشجرة.

وسمعت ـ أيضاً ـ منهم: أن الشيخ دخل يوماً في بيته وقت القيلولة، فرقد على سريره، وخرج الأصحاب، ثم لما رجعوا، لم يجدوا الشيخ هناك، فجلسوا متحيرين، ثم ظهر الشيخ على السرير، وقام واشتغل بالصلاة، وما استطاع أحدٌ أن يسأله عن ذلك.

وسمعت ـ أيضاً ـ: أن بنتاً صغيرةً للشيخ كانت مريضةً، وكان الشيخ يتوضأ، فألهمها الله أن جاءت عند الشيخ، وشربت من غسالة رجليه، فشفيت بإذن الله تعالى، ومن ذلك اليوم غسالته درياق مجربٌ، إلى يومنا هذا، كل من فعل ما ذُكر شفي بإذن الله تعالى.

وسمعت ـ أيضاً ـ واحداً من الصالحين يذكر: أن الشيخ كان يوماً جالساً في مكانٍ يتكلم في المعارف والحقائق، وفي أثناء ذلك الكلام يمزح مع أصحابه ويضحك، فخطر لبعضهم أن مقام الشيخ لا يناسبه المزاح، أو نحو ذلك، فاطلع على خاطره، وقال: إن المزاح من سنة سيد المرسلين؛ فإنه كان يمزح مع أصحابه، ولا يقول إلا حقًّا، وذكر قصة وقوع ابن أم مكتوم في حفرةٍ، وضحك الأصحاب في الصلاة.

ومنها: أن واحداً من المكاشفين، كان بشر بعض أصحاب سيدي الشيخ

بأشياء، فلما وصل إلى مكة، كان مع سيدي الشيخ، فخطر له يوماً أن الأمور التي كان بشرني بها ذلك المكاشف ما ظهرت، فما سببها؟ وكان يختلج في قلبه أن ليس لقول ذلك المكاشف أثر، أم كيف شأنه؟ ثم توجـه إلى سيدي الشيخ، فقال له قبل أن يظهر شيئاً: إن أحداً من أهل الله تعالى لو بشر أحداً بشيءٍ لا بد أن يظهر، ولو بعد عشر سنين، أو اثنتي عشرة سنة، ففهم، وحصل له السكون.

وسمعت من الشيخ ـ سلمه الله ـ: أنه خرج إلى سفرٍ، ووصل إلى بلده، وكان جالساً فيها مع الأصحاب بالمراقبة، فحضر في حلقته رجلٌ لا يعرفه، فقرب الرجل، وقبل يده ورجله، وقال: إني من الجن، وهذا مكان سكناها، وإنا بعد ما رأينا طريقتكم، أجبناكم، فأريد أن آخذ منكم الطريق، فلقنه الطريقة النقشبندية، وكان يحضر عنده في الحلقة، وكان يراه، ولا يراه أحدٌ غيره، وقال للشيخ: كل وقتٍ أردتم أن أحضر عندكم، فاكتبوا اسمي على ورقة، واجعلوها تحت أرجلكم، أحضر تلك الساعة.

وسمعت أيضاً منه ـ سلمه الله ـ: أنـه حين سافر إلى كشمير النباتات، فلم يقبل الشيخ منه ذلك. . .[1].

وكان يلازم صحبة الشيخ، إلا أن الشيخ قال: إن من صحبته كان يحصل لي النفـرة؛ فإن الجـزء النـاري غالب على مزاجهم، فيحصل من صحبتهم الأوصاف الغير مرضية التي نشأت من الجزء الناري؛ من الغضب، والكبر، فأردت أن أفعل حيلةً تنفِّره مني، فقلت له: إني لا أقبل صحبتك إلا أن تزوجني

---

(١) الظاهر أن الحكاية هنا ناقصة، والله أعلم.

امرأة منكم، فقال: باسم الله، هـذه سعادتنـا لو تقبلون، وإن لي أختاً بديعة الجمال، عديمة المثال، إلا أني أعرض عليكم أولاً حكايةً، ثم الرأي رأيكم؛ فإن الأُلفة والأُنس بين الجني والأنسي متعسرٌ؛ فإن الجن يصدر منه كثيرٌ من الحركات، التي لا تعرف الإنس حقيقتها، فلا تستطيع الصبر عليها.

قال: إنه كان هنا واحدٌ من الصالحين، زوجناه واحدةً منا، فولد لها منه ولدٌ، وكان يوقد هناك ناراً، فرمت الجنية ولدها في النار، فصبر الرجل، ثم ولد لها ولدٌ، فأعطتـه الكلبـةَ فأكلته، فصبر الرجل، ونسيت الثالثة، فتعب الرجل، وما استطاع الصبر، وغضب عليها، وقال لها: أهلكت الأولاد الثلاثة، فأحضرت الثلاثة، وقالت: كنت أعطيتهم للتربيـة لإخواننا من الجن، فخذ أولادك من بعد اليوم، ولا أجلس عندك، وطارت من عنده، ثم سافر سيدي الشيخ من ذلك البلد.

وسمعت: أن الشيخ كـان في «أمروهـة»، فمرضت امرأةٌ صالحـةٌ من الشرق، وكانت معتقدةً له، فالتجأت إليه، فذهب الشيخ إليها يعودها، فلما رأى حالها، أخذته الشفقة عليها، والرحمة لها، وكانت قد أشرفت على الموت، فأخذها في ضمنه، فبرأت كأن لم يكن بها شيء.

فإن الأخذ في الضمن أمرٌ مقررٌ عند الأكابر النقشبندية، إلا أنه لا يتصور إلا قبل نزول ملك الموت، فبعـد نزولـه لا بـد من بدل، كمـا أن الخوجـة الخاموش ـ قدس الله سره ـ كان أخذ واحـداً من العلمـاء في ضمنه، فشفي ساعتئذٍ، ثم غضب عليه الخوجة، بواسطة تقصير صدر منه، فقال: أخرجته من ضمني، فمات ساعتئذٍ.

وقال ـ سلمه الله تعالى ـ: إني دعوت الله سبحانه في وقتٍ لا يرد بثلاثة أشياء، وقـد استُجيب دعائي، أولهـا: أن لا يصل إلى أحدٍ ضررٌ مني، وإن غضبت بمقتضى البشرية، والثاني: أن لا يـزول مني الكشف، والثالث: أن كل من أخذ الطريق مني تكون خاتمته خيراً، ويجعله الله منكراً علي، ومعرضاً عني، ثم يفعل الله به ما يشاء. انتهى كلامه.

واعلم: أنه ـ سلمه الله ـ وإن دعا بزوال الكشف، وكذلك يظهر من كلامه، فإنه يقول كثيراً للأصحاب: إن الشيخ إما أن يكون صاحب كشفٍ، فلا ينبغي للمريد أن يعرض عليه حاله، بل العرض عليه حينئذٍ سوء أدب، أو لا يكون صاحب كشفٍ، فينبغي أن يعرض عليه حاله، فهم بسؤال أحوال المريدين، فيفهم منه: أنه يظهر أنه ليس بصاحب كشفٍ، إلا أن الظاهر أن له اطلاعاً تاماً وإشرافـاً عظيمـاً على الخواطر والأحوال، فقد جرى لنا معه أحوالٌ، وأمورٌ كثيرةٌ، وكان هذا من قسم الفراسة، التي هي أقوى وأرفع منزلةً من الكشف. انتهى.

واعلم: أنه ـ سلمه الله ـ كان قرأ في فنون العلوم كتباً كثيرةً؛ كـ «الكافية»، ونحوها، ثم غلب عليه الجذب، حتى لم يبق منه أثر، والآن ليس فنٌّ من فنون العلم، إلا وهو واقفٌ على دقائقه، التي تتحير أرباب ذلك الفن من إدراكها، وليس قسمٌ من أقسام المدركات، إلا أدركه على الوجه الأتم الألطف.

وله ﷺ «رسالـة في أنواع الأطعمة، وكيفية طبخها»، وله «رسالةٌ في كيفيـة غرس الشجار»، ولـه أخرى في «أنواع الطب»، ودخلٌ تامٌ في معرفة أوضاع الكتابة، وغير ذلك.

ودخل عنده واحدٌ من الأفاضل، وكان له وقوفٌ تامٌ في الطب، فتكلم معه في بعض أسرار الطب.

ودخل عليه يوماً عالمٌ كان له فيه بعض اعتقاد، وبعض إنكار، فتكلم معه بدقائق المنطق، وغيره من العلوم، حتى صار متحيراً، وكان ذلك سبب سعادته، ودخوله في الطريق. انتهى المقصود منه.

ومن مشايخ الشيخ تاج الدين: السيد علي بن قوام الهندي النقشبندي، مولده ومسكنه ومدفنه «جانبور»، من بلاد الهندية في «دهلي»، على مسيرة شهرٍ منه، كان من أكابر أولياء الله، صاحب تصرفاتٍ عجيبة، وجذبٍ قوي.

قال بعض الصالحين: ما ظهر في الأمة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ـ من أحدٍ بعد القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني، من الخوارق والكرامات والتصرفات، مثلُ ما ظهر منه.

حدثنا شيخنا قال: حدثني رجلٌ: أنه كان من طريقة السيد: أن لا يدخل عليه أحدٌ إلى وقت الضحى، وكان في هذا الوقت يغلب عليه الجذب، والناس كلهم قد عرفوا منه هذا الأمر، فما كان يدخل عليه أحدٌ في هذا الوقت، فجاء واحدٌ من الأعراب، كأنه كان من أولاد شيخ السيد ـ قدس سره ـ، فمنعه الخادم من الدخول عليه، فلم يقبل قوله، وأراد أن يدخل، فلما قرب، وسمع السيد صوته، قال: من أنت؟ قال: أنا فلان، قال: اهرب إلى وراء الشجرة، وكان هناك شجرةٌ كبيرةٌ، وإلا احترقتَ، فهرب الرجل، واستتر بالشجرة، فخرجت نارٌ من باطن السيد أخذت الشجرة فأحرقتها كلها، وبقي أصلها، وسلم الرجل، وكفى بهذا إشارة إلى تصرفاته، وكمال جذبته ـ نفع الله به ـ.

ثم قال صاحب الرسالة: اعلم أن شيخنا ـ سلمه الله ـ مجازٌ من الشيخ إله بخش ـ قدس الله سره ـ بالطريقة العشقية، وبالطريقة القادرية، والجشتية، والمدارية، وله بحسب الباطن إجازة من رئيس كل طريق.

وكذلك سمعت منه ﷺ: أنه سلط طريق الكبروية، من رويحانية الشيخ نجم الدين الكبري في ربع النهار، وأجازه، وله رسالةٌ في بيان سلوكهم، ذكر فيها: أن سلوكهم يتم بتمام الأطوار السبعة، في كل طورٍ يطوي عشرة آلاف حجاب، حتى يطوي في تمام الأطوار السبعة تمام السبعين، ويصل إلى الله، ولهـذا تفصيلٌ، إلا أنـه ليس متقيـدًا بالتسليك بسلوك النقشبندية ـ قدس الله أسرارهم ـ، فإني رأيت في مكتوبٍ له إلى بعض أصحابه، ينصحه أن الأكابر النقشبندية هم أرباب الغيرة.

ثم ذكر: أني بعد ما أجازني الخوجة، ورخص لي، واشتغلت بالتربية، على طريق الأكابر النقشبندية، كنت لو كان يأتيني طالبٌ يريد الطريق العشقية وغيرها، أُلقّنه فيها، وأربيه، حتى إن يوماً حضرت روحانية الغوث الأعظم الخوجة عبيدالله أحرار ـ قدس الله سره ـ للخوجة محمد الباقي، وقال له: إن الشيخ تاج يأكل من مطبخنا، ويشكر غيرنا، فأخرجناه من النسبة، فقال الخوجة محمد الباقي ـ قدس الله سره ـ للخوجة عبيدالله أحرار ـ قدس سره ـ: اعف عنه هذه المرة حتى أخبره، فكتب الخوجة إلي هذه الواقعة، فتركت كل ما كان غير هذه السلسلة، وحضرت التربية والتلقين فيها. انتهى كلامه.

فله ـ سلمـه الله ـ طريق النقشبنديـة من الخوجـة محمـد الباقي، ومن الخوجة الاملنكن، وله من مولانا درويش محمد، وله من مولانا محمد زاهد، وله من الغوث الأعظم الخوجة عبيدالله أحرار، وله من الشيخ يعقوب الحرجي،

وله من حضرة الخوجة الكبير بهاء الحق والدين المعروف بنقشبند.

وله من أمير سيد كلان، وله من الخوجة عبد الخالق العُجدواني، وله من قطب الأقطاب الخوجة محمد بابا السماسي، وله من حضرة الخوجة علي الراميتني، وله من حضرة الخوجة محمود الجريقوري، وله من الخوجة عارف ربوكري، ومن الشيخ يعقوب بن أيوب الهمداني، ومن الشيخ أبي علي الفارمدي، ومن الشيخ أبي الحسن الخرقاني.

ومن سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي، ومن الإمام جعفر بن محمد الصادق، وله من قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومن سلمان الفارسي، ومن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومن سيد الكائنات محمد رسول الله ﷺ، والنسبة للإمام جعفر عن أبيه إلى علي ـ كرم الله وجهه ـ.

[٨٣٦] تاج الدين بن محمد بن أحمد الكفر سوسي الأصل، المدني المنشأ والمولد، رئيس المؤذنين، بالمسجد الحرام النبوي ـ على ساكنه الصلاة والسلام ـ.

كان إماماً فاضلاً، له مشاركةٌ في فنونٍ كثيرةٍ، عالماً كبيراً في الميقات والحساب والهندسة، والأزياج والهيئة.

أخذ عن جماعةٍ من علماء الحرمين، وأخذ عن العالم العامل، الولي الصالح، الشيخ أبي الغيث القشاش التونسي، وسبب اجتماعه به: أنه توجه من المدينة إلى مصر، ومنها إلى بلاد الروم؛ لغرض له في لقاء سلطانه في ذلك الوقت، فركب البحر من الإسكندرية، فحكم القدر بأسره في أيدي العدو.

واستقر في أسره بمالطة ـ دمر الله أهلها ـ، فلما بلغ أسره أهلَ المدينة،

وكانت له فيهم مكانةٌ، كاتبوا الشيخ أبا الغيث في فدائه، وأعلموه بحاله ومكانه، وأنه رئيس المؤذنين بالحرم النبوي، فبذل جهده في فدائه، إلى أن فدي بألف وخمس مئة قرش ريال.

فركب البحر من مالطة إلى تونس؛ لزيارة الشيخ الذي سعى في فدائه، فلما قدم عليه، فرح بقدومه، واستبشر، وأجلَّه غايةَ الإجلال، وأكرمه إكرام مثله لمثله، وأجلسه عنده سنةً غبطةً فيه، فاستفاد في تلك السنة من الشيخ علوماً كثيرةً، ثم رجع إلى المدينة.

وأخبر أنه لما كان في الأسر، تكلم مع راهبٍ من رهبانهم، فقال له الراهب: إنكم ـ معشر المسلمين ـ تزعمون أن كتابكم لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فقال له المترجم: نعم، نقول بذلك، فقال له: أين تجد في كتابكم اسمي؟ فقال له: ما اسمك؟ فقال: كبك، فأخرج له التاج المصحف، فأراه بعد الراء من قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٨]، فتعجب الراهب من ذلك، وصدق بأن في الكتاب كل شيء.

ونظيره؛ من اشتمال القرآن الكريم على أخبار كل شيء، حتى علم الحدثان والوقائع: أن السلطان سليم سلطان الروم، وهو أول داخل منهم لمصر، وملكها من يد السلطان الغوري، في سنة ثلاث وعشرين وتسع مئة، كان سبب تملكه لها: أنه لما تملك بلاد الشام، حدثته نفسه بتملك بلاد العراق؛ إذ هي أصل منشئهم، ومساكن أسلافهم التركمان، فخرج من القسطنطينية، التي هي قاعدة ملكهم، فلما وصل إلى الشام بعساكره، تعذرت عليه العلافة؛ لغلاءٍ حصل في تلك الناحية، واحتاج إلى الميرة، والتزود من مصر، فكتب بذلك إلى الغوري؛ ليستأذنه في الامتيار من بلده، وكان الشاه

ملك عراق العجم في ذاك الوقت، لما سمع بتحرك السلطان سليم، كاتب الغوري، وكانت بينهما صداقة، يطلب منه أن يُشغله، وأن يثبطه ما استطاع، وصادف ذلك من الغوري غيرةً من السلطان سليم، وأنفةً من تملكه لبلاد الشام، وخشي إن اتسع ملكه أن يستولي على مصر، ومصر - إذ ذاك - هي أم البلاد الإسلامية، وملكها أعظم الملوك؛ لانتقال الخلافة العباسية من العراق، بعد واقعة التتار إلى مصر.

وعندما طلب السلطان سليم الميرة، تعلل بأن ذلك لا يمكن في هذا الوقت؛ لغلاء الأسعار، واعتذر بأعذارٍ ضعيفةٍ، ففطن السلطان سليم لما قصد، وعلم أنه إنما أراد تعويقه عن المسير إلى العراق، فحدثته نفسه بالركوب عليه[1]، وصرف العنان عن غزو العراق إلى غزو مصر، فاستشار في ذلك من كان بحضرته من العلماء، وذكر لهم عذره، وأن الغوري منعه. . .[2].

ولا بد من إظهار وجهٍ تعتمده الفتاوى الفقهية، فقال ابن الكمال: أيها الأمير! إن هذا - أيضًا - متيسر، وذلك بأن تبعث إلى السلطان الغوري، وتقول له: إني لما قدمت إلى هذه البلاد، ولم يتيسر الغرض الذي قدمنا من لأجله، عزمنا على التوجه للحجاز لأداء فريضة الحج، وليس لنا طريق ولا تزود إلا من بلادكم، فأردنا أن تأذن لنا في المرور على بلادكم، والتزود منها؛ فإنه - لا محالة - ما نعُك، وصادُّك عن المرور ببلده، فإذا صدَّك عن حج البيت، جاز لك قتاله، وصار محارباً، فاستحسن الفقهاء رأيه في ذلك؛ لأن الحيل

(١) كذا في الأصل، والصواب: إليه.

(٢) سقط قدر صفحة من أصل المخطوط.

في مذهبهم سائغة، وانتهاج طريقها عندهم شريعة شائعة.

فكتب السلطان سليم إلى الغوري بذلك، فرجعه الغوري بجوابٍ سيئ، وصرح بمنعه وصدِّه، وأنه لا يشرب من نيل مصر جرعة ماء، إلا إذا مشى على ظهور الموتى، إلى غير ذلك من التهديد، فتقوى حينئذٍ عزم السلطان على غزو مصر، وتهيأ لذلك، فكان ما كان من استيلائه عليه، ومحو الدعوة الغورية من مصر، وإنحائه وقتله لأكثر العلماء والصلحاء، والخليفة العباسي، وكثيرٍ من أرباب المناصب، وكان أمر الله قدراً مقدورًا، فعظمت بذلك مكانة ابن الكمال عنده، وخُيِّر فيما شاء من الولايات، فاختار الفتوى، فتولاها، وحسنت سيرته فيها، وتصدى لنشر العلم، وتعظيم أهله ـ رحمه الله تعالى ـ.

قلت: الإكباب على مثل هذا، وتعاطي فهمه من القرآن، مما لا ينبغي إلا لذي بصيرةٍ نورانيةٍ، يصدق كشفُه فتحة، وإلا، فالهجومُ عليه ببضاعة العقل خطر؛ فإن الواقع قد لا يكون كذلك، فيؤدي إلى نسبة شبه الكذب لخبر الله تعالى، وإن كان بالفحوى والإشارة، والقرآن ينزَّه عن مثل ذلك؛ فإن الله تعالى ما أنزله على عبده ﷺ لهذا، وإن كان موجوداً فيه، وإنما أنزله هدًى وموعظةً وذكرى لأولي الألباب.

فاستعمالُ الفكر في معانيه، التي حض الله عليها رسولَه ﷺ أولى من استعماله في مثل هذه الأمور، التي لم يرد عن الشارع، ولا عن السلف الصالح اعتبارُ جنسها في أمثال هذه الأمور، وإن اعتبرها بعض السلف، لكن في غير هذا الجنس؛ كاستخراج ابن عباس رضي الله عنهما، تعيينَ ليلة القدر، من بعض آيات سُورية، وأما المتأخرون، فمنهم من اعتبره في هذا الجنس؛ كاستخراج بعضهم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين بن أيوب، من قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ

﴿ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قوله: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[الروم: ٢ ـ ٤]، إلا أنه أمرٌ نادرٌ لا ينبغي أن يعتمده ذو الحال الصحيح، والكشف الصريح، لا يقتدى به، والله الموفق للصواب.

[٨٣٧] القاضي تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين بن محمد ابن محمد بن تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن أقضى القضاة جمال الدين محمد بن يعقوب بن يحيى بن عبد الوهاب المالكي المدني، ثم المكي، ويعرف بابن يعقوب، كذا ذكر نسبه ابن فهد في «ذيله»، المكي المالكي الأنصاري[1].

القاضي الفاضل، والعلامة الحُلاحل، كان بمكة صدرَ الخطباء والمدرسين، ومن أكابر العلماء المحققين، وممن شيد ربوع الأدب، وكان بها ترجمان العرب، غذّته الفصاحة بدرِّها، وكللت تاجه بدُرِّها، مع طيب محاورةٍ تسكر منها العقول، وتهزأ بالشَّمول، وجاهٍ عند الدولة ظاهر، وكلمة مسموعة عند البادي والحاضر.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره؛ كالعلامة عبد القادر الطبري، وعبد الملك العصامي، وخالد المالكي، وغيرهم، وأجازه عامة شيوخه، وتصدَّر للتدريس بالمسجد الحرام، وطار صيته عند الخاص والعام، وكان إمام الإنشاء في عصره، ومفرداً في المكاتبات في دهره، وله «ديوان الإنشاء» الذي جمع من المكاتبات أغلاها، ومن المراسلات أعلاها، فلا برح

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٨٤) (٢٧٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٣٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٢).

يتفجر ينبوع البلاغة من لسانه، ويتلاعب بأساليب البيان على طرف بنانه.

وله فتاوى فقهية، جمعها ولده أحمد، وأضاف إليها فتاوى شيخه الشيخ خالد الأجهوري، والحطاب كذلك، ثم ما رفع إلى ابنه من الأسئلة بعد ذلك، وسماها: «الفواتح القدسية والفوائح العطرية لجمع الفتاوى الفقهية»، وله «ديوان شعر» [وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمةً من الجوهر][1]، وخُطَبُ أنكحةٍ وجُمَعٍ واستسقاء، ومحاضراتٌ ومكاتبات، وأما ما له من الشعر والنحو والصرف، وخطب الأنكحة، والمحاضر والإجازات والمكاتبات، والصلاة على الأموات، فقد جمع ولده ذلك في مجموعٍ سماه: «تاج المجاميع».

وأما خطب الجُمع والعيد والاستسقاء، فجعله مجموعاً مستقلاً سماه: «خطب منابر النبلاء»، وله رسالةٌ في شرح قصيدة العارف بالله العفيف التلمساني، التي أولها:

إذا كنت بعد الصحو في المحو سيدا

سماها: «تطبيق المحو بعد الصحو على قواعد الشريعة والنحو»، وله رسالةٌ في الاستغفار سماها: «فصوص الأدلة المحققة في نصوص الاستغفار المطلقة»، وله رسالةٌ في الكلام على الأسئلة الواردة من بلاد جاوه، فيما يتعلق بالوحدانية، سماها: «الجادة القويمة إلى تحقيق مسألة الوجود ومتعلق القدرة القديمة»، وله رسالةٌ في العقائد سماها: «بيان التصديق» مفيدةٌ جداً، خصوصاً

(١) ما بين معكوفتين ليس في الأصل.

للمبتدئ، وله رسالتان: صغرى، وكبرى، في شرح البيتين اللذين هما: من قصر الليل إذا زارتني . . . إلخ سماها: «منهاج الترجيح والتجريح إلى معراج المعنى الراجح ومسقط الترجيح».

توفي - رحمه الله تعالى - بمكة، ثاني شهر ربيع الأول، سنة ست وستين بعد الألف، وأرخ وفاته الشيخ محب الدين بن ملا حاجي بقوله:

لتاج الدين أصبح كلُّ حرٍّ حزينَ القلب باكي الطرف أوّاهُ

أقامَ بسوحِ بابِ الله حتى دعاه إليه أقبلْ ثم لبّاهُ

فتاريخُ اللقا لما أتاه (جنان الخلد منزله ومأواه)

وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمةً من الجوهر، فمنه: قوله مادحاً الشريف مسعود بن إدريس:

غُذّيتُ دَرَّ التصابي قبل ميلادي فلا ترمْ يا عذولي فيه إرشادي

غَيُّ التصابي رشادٌ والعذابُ به عذبٌ لديَّ كبردِ الماءِ للصادي

وعاذلُ الصبِّ في شرع الهوى حرجٌ يروم تبديلَ إصلاح بإفسادِ

ليت العذولَ حوى قلبي فيعذرني أوليت قلبَ عذولي بين أكبادي

لو شامَ برقَ الثنايا والتثني من تلك القدود انثنى عطفًا لإسعادي

ولو رأى هاديَ الجيداء كان دَرَى أن اشتياق الهدى من ذلك الهادي

كم بات عقدًا عليه ساعدي ويدي نطاقُ مجمع المخفي والبادي

إذ أعينُ العين لا تنفكُّ ظامئة بورد ماء شبابي دون أندادي

فيا زمانَ الصِّبا حُيِّيَت من زمنٍ أوقاتُه لم تُرعْ فيها بإنكاد

ويـــا أحبتنـــا روى معاهـــدكم — مـن العهـاد هَتـونٌ رائـحٌ غـادي

معاهـدًا كُـنَّ مُـصطافي ومُرتَبَعـي — وكم بها طالَ بل كم طالَ تـردادي

يـا راحلـين وقلبـي إثـرَ ظعـنهم — ونـازحين وهـو ذكـري وأورادي

إن تطلبوا شرحَ ما أيدي النوى صنعتْ — بمغَرمٍ حلـف إيحـاش وإيحـادي

فقـابلوا الـريح إن هبـت شـآميةً — تروي حديثي لكم موصولَ إسـنادِ

والهفَ نفسي على مَغْنًى به سلفت — سـاعاتُ أنـس لنـا كانـت كأعيـادِ

كأنهـــا وأدامَ اللهُ مُـــشبِهَها — أيامُ دولةِ صـدرِ الدَّسـت والنـادي

ذو الجودِ مسعودٌ المسعودُ طالعُـه — لا زال فـي بـرج إقبـالٍ وإسـعادِ

عــادتْ بدولتــه الأيــامُ مـشرقةً — تهــزُّ مختالــةً أعطــافَ مَيَّــادِ

وقُلــد الملــكَ لمــا أن تقلَّــده — فخـرًا علـى مـرّ أزمـانٍ وآبـادِ

وقــام بــالله فــي تـدبيره فغـدا — موفَّقــاً حــالَ إصــدار وإيــراد

حقٌّ لك الحمدُ بعـد الله مفتـرَضٌ — فـي كـل آونـة مـن كـل حَمَّـادِ

أنقذتهم مـن يـد الأعـداء متخـذًا — عنـد الإلـه يـدًا فـيهم بأنجـاد

داركتهم شـهدا رمقـى فعـاد لهـم — غمـضٌ لجفـنٍ وأرواحٌ لأجـساد

بُشراك يا دهرُ حـاز الملـكَ كافلُـه — بشراك يا دهرُ أخرى بشرُها بـادي

عادت نجومُ بني الزهراء لا أَفَلَـت — بعـودة الدولـةِ الزهـرا لمعتـاد

واخضلَّ روضُ الأماني حين أصبحتِ الْـ — أجـواد عقـدًا علـى أجيـادِ أجيـاد

وأصـبح الـدينُ والـدنيا وأهلُهمـا — في حفظ ملكٍ لظـلِّ العـدل مَـدَّادِ

يُبيح هـامَ الأعـادي مـن صـوارمه — ما استحصدت بالتعاصي كلَّ حـصادِ

مـــنهم أيـــادي أياديـــه ونائلـــه على الورى أصبحت أطواقَ أجيادِ

يُفضي مُيَمِّمُ جـدوى راحتيـه إلـى طلقِ المحيـا كـريمِ الكـفِّ جَـوَّاد

بـذلُ الرغائـب لا يعتـدُّه كرمًـا ما لـم يكـن غيـرَ مـسبوقٍ بميعـادِ

والعفوُ عن قـدرةٍ أشـهى لمهجتـه صينَتْ وأشفى من استيفاءِ إيعـادِ

مـآثرٌ كالـدّراري[1] رفعـةً وسَـنًا وكثـرةً فهـي لا تُحـصى لعـدَّاد

تسمو مناقبُ مَنْ كُلَّ الكمالِ حوى وأنـت ذلـك عـن حـصرٍ بأعـداد

فأنت من معشر إن غارةٌ عرضـتْ خَفُّوا إليهـا وفـي النـادي كـأطواد

كم هجمةٍ لكَ والأبطـالُ محجمـةٌ ووقفةٍ أوقفتْ ليثَ الشّرى العادي

بكـل أبـيضَ مقـصودٍ لمـضطهرٍ وللمزايـــر والمـــرّان قـــصّادي

وكـلِّ مجتمـعِ الأطـرافِ معتـدلٍ لَـدْنٍ لعـرقِ نجيـعِ القِـرنِ فَـصَّادِ

فخرُ الملوكِ الألى فخرُ الزمانِ بهـم دمْ حـائزًا ملـكَ آبـاء وأجـداد

ولـيهنَ حُلَّتـه إذ رحـتَ لابـسَها أن أصـبحتْ خيـرَ أثـواب وأبـراد

واسـتجلِ أبكـارَ أفكـارٍ مخـدَّرة قد طال تعنيهـا[2] مـن فقـدِ أنـدادِ

كم ردّ خُطابَهـا حتـى رأتْـكَ وقـد أَمَّتـك خاطبـةً يـا نـسلَ أمجـاد

أفرغتُ في قالب الألفاظ جوهَرها سـبكًا بـذهنٍ وريِّ الزنـدِ وقَّـاد

وصاغها فـي معـاليكم وأخلـصها ودّ ضـميرك فيـه عـدل أشـهاد

يحدو بها العيسَ حاديهـا إذا درجَـتْ مـن طـول وَخْـدٍ وإرقـالٍ وإسـآد

---

(١) في الأصل: كالزراي، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تعيينها.

كأنمـا الـراحُ بالألبـاب لاعبـةٌ إذا شـدا بـين سُـمَّارٍ بهـا شـادي
بفـضلها فـضلاءُ العـصر شـاهدةٌ والفضلُ ما كان عن تسليم أضدادِ
فلو غدتْ من حبيبٍ فـي مـسامعِه أو الصفيِّ استحالا بعض حسادي
واستنزَلا عن مطايا القوم رحلَهمـا واستوقفا العيسَ لا يحدو بها الحادي
وحسبُها في التسامي والتقـدُّم فـي عـدّ المفـاخر إذ تعـدو لتعـدادِ
تقريظُهـا عنـدما جـاءت معارضـةً عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الـوادي

وهي عروضُ قصيدة الأديب الفاضل أحمـد بن عيسى المـرشدي التي مطلعها:

عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الـوادي واستوقِفا العيسَ لا يحدو بها الحادي

وعارضها السيد أحمد بن مسعود بقصيدة مطلعها:

ألوى برسم اللوى الترحالُ والحادي وقرض الـصبر عـن قلـب بأجيـاد

وعارضها ـ أيضاً ـ العلامـة الشيـخ علي ابن الشيـخ خالـد المـالكي الجعفري، فقال مادحاً بها الرسول ﷺ:

حُبـِّيكَ أعذبُ من عذبٍ إلى صادِ لـم لا تفـين لموعـود بإيعـادي

إلى أن يقول:

أبغي الوصالَ لمن حلَّ الوصالُ له وخُصَّ بالقرب وهو الخاتم البادي
محمـدٌ سـيدُ الكـون غوثُهمـا مـولى الخلائـق أتباعًـا وأسـيادي

وهي طويلةٌ جداً، وقـد ذكرهـا القاضي أحمـد ابن القاضي تاج الدين

المالكي ـ رحمهما الله تعالى ـ في «تاج المجاميع»، وعارضهم الأديب محمد ابن أحمد حكيم الملك، بقصيدةٍ مدح بها الشريف زيد بن محسن مطلعها:

صوادحُ البانِ وهنًا شجوُها بادي فمن عذيرُ فتًى في فَتِّ أكباد

وقد ذكرتها جميعاً في تراجمهم.

ومن فوائده: أنه سئل عن قول الصفيِّ الحلِّي:

فلئن بسطت أيدي الفراق وأبعدت بدرًا تحّجب نصفهُ بنصيفِ

فلقد نعمتُ بوصلهِ في منزل قد طال فيه مَرْبَعي ومَصيفي

فأجاب بقوله: لا يخفى أن النصيف هو الخمار، فكأن الشاعر تخيل أن الجبين بدرٌ تامٌ، كامل الاستدارة، ستر الجمال نصفه الأعلى، فلما تخيل ذلك، قال: بدراً تحجب نصفه بنصيف، ثم ضمنه بقوله:

أفدي التي جلبَ الغرام جبينها تحت الخمار لقلبيَ المشغوفِ

فصبا له لما تحقق أنه بدرٌ تحجب نصفهُ بنصيفِ

وقد سئل عنه ـ أيضاً ـ الإمام زين العابدين الطبري الحسيني، إمام المقام، فأجاب بما لفظه: النصيف خمارٌ، وكل ما يغطى به الرأس، والوجه هو البدر في التشبيه، فمراد الشاعر: أنها تلثمت ببعض النصيف الذي على رأسها، فصارت ساترةً نصف وجهها الأسفل المشبه بالبدر، فصار نصيفاً ونقاباً.

والنقاب: ما انتقبت به المرأة؛ كما في «القاموس»، وهو شاملٌ لما كان مستقلاً، أو بعض شيء آخر، كما يقال مثله أيضاً في النصيف، فهو نصيف، وإن غطاء غير الرأس مع الرأس، وهذا الذي ذكرناه هو عادة غالب النساء

الحسان في قطر العرب؛ فإن الواحدة منهن تنتقب بفاضل خمارها، فتفتن العقول بما ظهر من لواحظها وأسحارها. انتهى.

وكتب إلى القاضي أحمد بن عيسى المرشدي معتذراً عن وصوله إليه، بعد وعده له به لعرُوض مانعٍ له عنه:

أيها المعشرُ الذين إليهمُ ... واجبٌ أن يكون سعيي براسي

لا تظنوا تركي الوصولَ إليكم ... لملالٍ ودادِكم أو تَناسي

أو تَقالٍ عنكمُ وإن كان عذري ... هو أني قد بتّ خير أناس

فأجابه بقوله بديهاً:

قد أتاني اعتذاركم بعد أني ... بتُّ من هجرِك الأليمِ أقاسي

فتلقيتهُ بصدر رحيبٍ ... ولصقت الكتاب عزاً براسي

غير أني لم أرتضيه إذا لم ... تُنعموا بالوصول والإيناسِ

وأقِلْني العثارَ في النظم أني ... قلتُه والفؤادُ في وَسْواسِ

وكتب إلى شيخه العلامة عبد الملك العصامي مسائلاً بقوله:

ماذا يقول إمامُ العصر سيدُنا ... ومن لديه يَنال القصدَ طالبهُ

في الدار هل جائزٌ تذكيرُ عائدِها ... في قولِنا مَثَلاً في الدار صاحبُه

ومن إبانِة همز ابن أراد فهل ... يكون موصوفُها اسمًا يطالبُه

أم كونه علمًا كافٍ ولو لقباً ... أو كنيةً إن أردتَ الحذفَ كاتبهُ

أَفِدْ فما إن رأينا الحقَّ منخفضاً ... إلا وأنت على التمييز ناصبُه

فأجابه بقوله:

يا فاضلاً لم يزل يُهدي الفرائد من	علومـــه وتروِّينـــا ســـحائبهُ
تأنيثُك الدارَ حتمٌ لا سبيل إلى التـ	ـتَذكير فامنعْ إذاً في الدار صـاحبُه
والابن موصـوفه عَمِّمْ فـإن لقبًا	أو كنيةً فارتكـابُ الحـذف واجبُـه
هذا جوابي فاعذرْ إن تجـد خَلَـلاً	فمـصدرُ العجـز والتقـصير كاتبـهُ
لا زلتَ تاجًا لهاماتِ العـلا عَلَماً	في العلم يحوي بك التحقيقَ طالبـهُ

ومن شعره أيضاً:

غَنِيَـــتْ بحليـــةِ حـــسنِها	مـــن لـــبسِ أصـــنافِ الحلـــي
وبـــدت بهيكلهـــا البديـــ	ـــع تقـــولُ شـــاهدْ واجتلـــي
تجـــدِ المحاســـنَ كلَّهـــا	قـــد جُمِّعَـــتْ فـــي هيكلـــي

ولما وقف عليها، ورآها وشاهدها(١)، وشيد كل أبيات من أبياته قصراً، وابتز ذلك المعنى باستحقاقه قسراً السيد أحمد بن مسعود، فقال:

لله ظبـــــيٌ ســـــربُه	يزهـــو بـــه فـــي المحفـــلِ
قـــنصَ الأســـودَ بغالـــبِ	قيـــدِ الأوابـــد هيكلـــي
ولـــه الجـــوارِ المنـــشآ	تُ جـــو الحـــشاشة للحلـــي
مـــن كـــل رَوْدٍ لحظُهـــا	يـــسطو بحـــدِّ المفـــصل
مـــشتاقُها مـــن ثغرهـــا	وأثيثُهـــا فـــي مـــشكل

---

(١) في الأصل: ورآها وشاها وشاها.

فاق الغواني خاليا ... ت عاطل في هيكلي
ما قال في ظلمائه ... يا أيها الليل انجلي

وحذا حذوهما القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، فقال:

يا ربة الحسنِ الجَلِي ... لمؤملِ المتأملِ
صَدْري ووجهي منية ... للمجتني والمجتلي
فالحَظْ بديعَ محاسني ... من تحت أنواعِ الحُلي
تجد الهياكلَ والحُلِي ... جمالها من هيكلي

[٨٣٨] تاج العارفين بن عبد الجليل الحمصي الشافعي[١].

الشاب الفاضل العلامة، قرأ في الفقه على أحمد العيثاوي، وعلى تلميذه النجم الغزي، وقرأ على الشمس الميداني، وصارت له ملكةٌ وشهرةٌ في الفقه، ومشاركةٌ حسنةٌ في بقية العلوم، وحج سنة سبع بعد الألف، صحبةَ النجم الغزي، ومات بدمشق، من نحو ثلاثين سنة، يوم الأربعاء، ثالث عشر صفر، سنة سبع عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، وصُلي عليه بجامع دمشق ـ رحمه الله ـ.

[٨٣٩] القاضي تقي الدين التميمي الغزي الحنفي[٢].

عالمٌ مشهور، وإمامٌ لواءُ فضله بين الأنام منشور، أخذ عن أكابر الأمجاد،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٩) (١٣٤).

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٢٧) (٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٥).

وكان جَوَّاباً في البلاد، يومًا بحزوى، ويومًا بالعقيق، وبالعذيب يوماً، ويوماً بالخليصاء، وألف مؤلفاتٍ وقفت عليها، في مجلدٍ ضخمٍ، جمع فيها فأوعى، وأحال وأجاد، وسماها: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»، أتم تأليفها بمدينة «فوة»، وهو قاضٍ بها، في رجب، سنة تسع وثمانين وتسع مئة، وقرظ له المولى سعد الدين المعروف بخواجه أفندي، والمولى جوي زاده، والمولى زكريا، والمولى عبد الغني، والمولى أحمد الأنصاري.

ومنها: «طبقات الحنفية» جمع فيها جملةً من علماء الروم وعظمائها، وأكابر سراتها ورؤسائها.

وكانت **وفاته** بمصر، يوم السبت، خامس جمادى الثاني، سنة عشر بعد الألف، وهو في سن الكهولة ـ رحمه الله ـ.

قلت: وذكره الخفاجي في «ريحانته»، وأثنى عليه، وذكر أنه كان أول أمره، وإقبال طلائع عمره، حرفته الزهادة، وحانوته السجادة، ثم ساقه القدر والقضا، فرضي بما قدره الله وقضى، بعد ما كان يقول:

مَن تمنَّى القضا فلا يعطينه ... واجعل الموتَ سابقًا للقضاء

وقد قالوا: من تولى القضاء ولم يفتقر، فهو لص، والآن وقد افتقرت اللصوص، لما سرقت الأمراء من الخواتم والفصوص، والسارق إذا سرق من سارق، فقد عامله برأس ماله، وقال الربح والفائدة السلامة من خسران وباله، وما يسلب قاطعُ الطريق العريان، بل يهديه للسبيل، ويعطيه الأمان.

وأورد من شعره قوله: وقد لبس من القضاء خِلَع المذلة، وحاكت له

الأطماع من نَصب المناصب حُلَّة:

أحبابَنـا نـوبُ الزمـان كثيـرة ... وأمـرُّ منهـا رفعـةُ الـسفهاء
فمتـى يُفيـق الـدهر مـن سـكراته ... وأرى اليهـودَ بذلَّـةِ الفقهـاء

وقوله أيضاً:

مـا أبـصرتْ عـينُ امـرئ ... فـي الـدهر يومًـا مثلَنـا
عـشقٌ وحرمـانٌ بـه ... أبـدًا ترانـا فـي عَنَـا
الـدونُ لا نرضـي بـه ... والعـال لا يرضـى بنـا

والعال بمعنى: العالي؛ كقولهم: لم نبل، إلا أنها عاميةٌ مبتذلةٌ، وقيل لابن المقفع: لم لا تقول؟ قال: ما يجيء ما نرضاه، وما نرضاه لا يجيء.

وله أيضاً:

إذا أكثر العبدُ الذنوبَ ولـم يكـن ... له شافعٌ من حسنه يوجبُ العـذرا
وأبصرتُ مولانا مع الذنب مهملاً ... عليـه فحقـق أن بينهمـا أمـرا

وله:

وإذا أسـاء إليـك خـادمُ سـيدٍ ... فـأقره وارحـل ولا تتوقَّـفِ
واعلـم بأنـك قـد ثقلـت وأنـه ... أعطـاك إذنـاً للرحيـل فخِّفـفِ

وله مضمناً:

لنـا صـديق لـه بالغانيـات هَـوًى ... وأيـره لا يـزال الـدهرَ طراقـا

كأنما هـو حربـاء الهجيـر ضُـحًى		لا يرسل الساق إلا ممسكٌ سـاقا

وقد سبقه لهذا ابن الأنباري المصري، فقال:

لا يشغَلنَّكَ شيء في زمانـك عـن		وصل الملاحِ وحاذرْ كلَّ مـا عاقـا
وكنْ كما قيلَ في الحرباء من فطن		لا يرسلُ الساق إلا ممسكٌ سـاقا

وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية:

أنـى أتـيح لـه حربـاء تنـضبه		لا يرسل الساق إلا ممسك سـاقا

والساق فيه: غصن الشجرة، ومن الإنسان معروفٌ، وبه قامت التورية، وضربه بعض العرب مثلاً بألد الخصام، الذي كلما انقضت حجـة، أقام لـه أخرى، والحرباء: دويبةٌ تسمى: أم حُبَين تتلون ألوناً مع الشمس، وتكنى: أبا قرة، ويقال: حرباء تنضب، كما يقال: ذئب غَضا، وهو شجرٌ تتخذ منه السهام، جمع تنضبة، وفي المثل: «أحزم من حرباء»؛، لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصنٍ حتى يمسك آخر، وهو الذي عناه الشاعر، وضربه ابن الرومي مثلاً للقبح، ويضرب به المثل في كثير التقلب أيضاً.

[٨٤٠] تقي الدين القِرَبي القادري الدمشقي.

كان من تلامذة الشيخ موسى الكنَّـاوي، وكان من العلمـاء العاملين، والصلحاء الكاملين، ولم يقبل شيئاً من الجهـات، حتى توفي بدمشق، في أوائل صفر، سنة تسع بعد الألف.

[٨٤١] تقي الدين بن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن مصطفى

الحنفي السنجاري المكي[1].

سابق فرسان الإحسان، وعينُ أعيان البيان والتبيان، رفع للعلوم راية، وجمع بين الرواية والدراية، وغاص في بحار الأدب فاستخرج درره، وسما إلى مطالعه فاستجلى غُرره، فنظم اللآلي والدراري ونثر، وجدّد ما درس من مغاني المعاني ودثر[2].

مولده مكة، عام عشرة بعد الألف، وبها نشأ، وبرع وتأدب، وأخذ عن أكابر الشيوخ، وكانت وفاته عام سبعة وخمسين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، وجاء تاريخ وفاته (تقي الدين في المطالع).

ومن شعره ملغزاً في نخلةٍ، مراسلاً للقاضي تاج الدين المالكي ـ رحمهما الله ـ:

أيها المِصْقَعُ الذي شرَّفَ الدهـ	ـرَ وأحيا دوارسَ الآدابِ
والهمامُ الذي تسامى فَخارًا	وتناهى في العلم والأحسابِ
والخطيبُ الذي إذا قال أما	بعد أشفى بوعظه المستطابِ
والإمامُ الذي تهذب طفلاً	وزكا في العلوم والأنساب
وحوى ما حوى الأصول إلى أن	حاز ما لا يُحاز بالاكتساب
جئت أرجو كشفًا لشيء تناهى	في العلا واكتفى عن الحجَّابِ

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٢٩) (٢٨٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٣٠).

(٢) في الأصل: ودر، والصواب ما أثبت.

إن تــصحِّفْه كــان فيــه شــفاءٌ   وبـه الـنصُّ جاءنـا فـي الكتـاب

ولـك الفـضلُ إن تـصحفه أيـضًا   بالعطا لا برحتَ سامي الرحـاب

مفــرَّد إن حـذفت منــه أخيــراً   صـار جمعًـا لـه بغيـر ارتيـاب

أو وصـلتَ الأخيـر منـه بـصدر   كـان عـدًا بـرأي أهـل الحـساب

وتبــال إن ضُــمَّ ثــانٍ إليــه   فهـو خِـلٌّ مـن أعظـم الأحبـاب

وإذا مــا صــحفته لــذّ للنفــ   ــس مـذاقًا فـي طعمـه وشـراب

خــلٍّ نـصفاً يحـل عنـه وبـادر   قلعَ عين مـا إن لهـا مـن حـساب

قلـع الله عـينَ شـانيك يـا مـن   قـدرُه قـد سـما عـن الإسـهاب

وابــق فــي نعمــةٍ وعــزٍّ منيــعٍ   ما حدا بالحجازِ حـادي الركـاب

فأجابه القاضي تاج الدين بقوله:

يــا إمامــاً صــلّى وسـلَّم كـلٌّ   خلفَــه مــن أئمــةِ الكتَّــابِ

وخطيبًــا رقــا فــضمَّخ طيبًــا   منبرَ الـوعظ منه فـصلُ الخطـاب

لــم ينــافس لــدى التقــدم إلا   قـال محرابـهُ هـو الأحـرى بـي

أشرقتْ شـمسُ فـضلِه لا تـوارَت   عينُهــا مــن عياننــا بحجــابِ

دائمــاً روضُ فكــره بعــروسٍ   قـد أُمِـدَّت أنهارُهـا مـن عُبـاب

تقـضى منـي الجـواب وعـذري   في جوابي حوشيت أن الجوى بي

شـبّه فــي حـشاي فقـد فتـاة   دخلـت تمتطـي متـونَ الرقـاب

وانطوتْ بعـد بَيْنِهـا بُـسْطُ بَـسْطي   وانقضت دولـةُ الهـوى والتـصابي

ليت شـعري بمـن أهـيمُ وشـمسٌ   مـا لهـا مـن أُفولهـا مـن إيـاب

كيف أصبو ووردةٌ كان روض الـ — أنس يزهو بها ثوتْ في التراب

لا وعيشٍ مضى بها في نعيم — لست أصبو من بعدها لِكَعابِ

هاتِ قل لي يا ملعبَ السرب ما لي — لا أرى فيك ظبيةَ الأتراب

قال سل حاسب الكواكب عمَّا — حار في دفعه أولو الألباب

أصبحتْ من بنات نعش وكانت — بدرَ تَمٍّ فهل ترى من جواب

فابسطِ العذرَ يا أخا الفضل فَضْلاً — إن تجدني أخطأت صوب الصواب

أتصيبُ الصوابَ فكرُة صبٍّ — يحتسي كأسَ فرقة الأحبابِ

وتطوَّلْ وأَسبل السترَ صفحًا — فهو شأن الخِلِّ المحبِّ المُحابي

في جوابٍ عن نخلة قد أتتنا — بجنى النحل في سطور الكتابِ

أتحفتنا باللغز في اسم أختِ — لا بينا قضت بذا الانتسابِ

وكساها المَرْوِيُّ من شَبَه المؤ — من فضلاً في سائرِ الأحقابِ

وهي تُرقى من غير سوء فطورا — يستحقُّ الجاني أليمَ العذابِ

ثم طوراً وهو الكثيرُ يرى الجا — ني عليها من أفضلِ الأصحابِ

ولها إن تشأ تصاحيفُ منها — مفردٌ فيه غايةُ الإغرابِ

جاء قلبُ اسم جنسه وهو لحنٌ — لا تُنافيه صنعةُ الإعرابِ

ومسمَّى التصحيف هذا إليه اللْـ — ـلَهُ أوحى سبحانه في الكتابِ

وهو ذو شوكةٍ وجندٍ عظيم — خلفَ يعسوبه بغير حسابِ

ذو دويٍّ في جحفلٍ يملأ الجوْ — وَ كرعد في مكفهِرِّ السحابِ

حيوانٌ وإن تصحف جمادٌ — مفصح عن مرادِ سامي الجنابِ

يـا خليلـي بـل يـا أنـا فاتحـادي　　　بـك يقـضي بـذا بغيـر ارتيـابِ

إن صـنعي فـي حلـي اللغـز　　　بـاللغز بـديعٌ فـلا تَفُـهْ بعتـابِ

وابقَ في نعمةٍ وفـي جمـع شـملٍ　　　ببنيـك الأفاضـلِ الأنجـابِ

مـا سـرَتْ نفحـةُ الأزاهـر تَـروي　　　ضحكَ الروضِ من بكـاء الـسماءِ

❑❑❑




حَرْفُ ٱلجِيمِ

[٨٤٢] جمال الدين بن عبد اللطيف بن جمال الدين بن تاج الدين أبي السعود بن جمال الدين بن محمد أبي الفرج، ابن القاضي الجمال محمد الكازروني المدني الزبيري الشافعي.

وُلد بالمدينة، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وكتباً في المذهب، وكان من عباد الله الصالحين، وله اعتقادٌ في الأولياء والعارفين، صحب الأعلام، وتخلق بأخلاقهم الكرام؛ من لطيف الطباع، وحسن الأخلاق، والمواظبة على الطاعة، والجُمعة والجماعة، وكثرة الأوراد، وملازمة التهجد، والدعاء بالأسحار، والبكاء والاستغفار.

وكان له في الأسبوع أيام يلازمها بالصوم، وقد هجر النساء والنوم، مع التمسك بالتقوى، والخوف من الله سبحانه في السر والنجوى، ولم يزل على هذا الحال، حتى توفي في رجب ـ الفرد، عام ثلاثة وستين، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع الغرقد، على آبائه وأجداده ـ رحمهم الله وإيانا ـ.

[٨٤٣] جمال الدين الهندي النقشبندي، نزيل المدينة الشريفة.

كان من أجلاء المشايخ النقشبندية، مربياً كاملاً، أخذ بالهند عن آدم

النقشبندي، وبه تخرج، حتى صار من أكابر الشيوخ، ولما قدم المدينة، نزل رباط الشيخ عبد القادر، شرقي المسجد، وكان يجلس فيه للمراقبة، ومريدوه حوله، وكانت له هيبةٌ عظيمةٌ؛ بحيث إن المار عليه يحصل له خشوعٌ وتأدب.

وكان في بدايته مشتغلاً بالعلوم الرسمية، حتى طرقه طارقٌ من الله، واشتغل بما ينفعه في معاده، وكان يحث مريديه على الإكثار من مجالس المراقبة، وترك الاشتغال بالعلوم الرسمية، ويقول: إنها تشوش الفكر، وتحجبه عما هو بصدده، وتحول بينه وبين ما يترقبه؛ من تجلي أنوار الحضرة الصمدية على القلب.

ويقول: إن الذكر لا يشتغل به الإنسان إلا حيث أمكنه ذلك، والمدينة الشريفة قلَّما يتأتى ذلك في غيرها؛ لحصول الجمعية بها؛ بخلاف هذه العلوم الكسبية، التي هي من جملة الأمر الصناعي، أينما حاول الإنسان أمرها، أمكنه ذلك، ولو بعد الرجوع إلى بلده، والعاقل يقدم ما يخشى فواته على غيره، وإن كان مساوياً، فما بالك إذا كان المخشي بذاته أشرف؟!.

وكان شديد المثابرة على الذكر الخفي، بالقلب والسر، فأثر ذلك فيه حرارةً قويةً، وخفقان القلب، وانضغاط الروح، في أوقات مخصوصة في الليل والنهار، ومع ذلك هو مقبلٌ على الجد والاجتهاد، فيما هو بصدده.

وقد نص كثيرٌ من الأئمة: أن حرارة الذكر تورث مثل ذلك، لا سيما الأسماء المفردة، وخصوصاً الذكر على طريقتهم العلية، بحبس النفَس، وضبط الحواس، وسكون الأطراف؛ فإن ذلك مما يقوي حرارة الباطن ويثيرها على القلب، فيحصل له خفقان، وللروح الذي سلطانه في القلب انضغاط.

قال الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: وقلت له: يا سيدي! لو مزجت الذكر بغيره من الأذكار، التي يحصل بها التسكين للروح، مثل الصلاة على النبي ﷺ، وغيرها، ومثل مناجاة ابن عطاء الله؛ فقد نص الأئمة على أنها تورث البسط، فإذا استعملها من غلب عليه القبض، اعتدل حالـه، فلم يلتفت إلى شيء من ذلك، وقد أنحله ذلك، حتى صار مثل الخِلال، وغلبت عليه آثار الجلال، فكل من رآه، علم أنه من الحضرة الجلالية.

قال الشيخ عبدالله العياشي: وأخبرنا عن شيخه آدم النقشبندي: أنه كان لقوة حاله ربما سرى مدده في بعض العجماوات. قال: ومن ذلك: أن كلباً كان يتبع الشيخ في أسفاره، ويلازم محله، ولا يعرف من أين هو، قال: وسافرنا إلى مكة، وتبعنا، فأخذه بعض الفقراء، وربطه إلى شجرةٍ بالبادية، بعد ما ذهب الرفقـة، فلم يشعروا إلا وهو معهم في مكة. قال: وغار منه بعض الفقراء، وأنف منه، فقتله، فكانوا يرون أن ذلك الكلب حصل [له] من الشيخ التفاتٌ إليه في بعض أحواله الغالبة عليه.

قلت: ولا بدع في ذلك؛ فقد ذكـر الشيخ عبـد الوهاب الشعراني في «طبقاته» في ترجمة سيدي يوسف العجمي: أنه كان إذا خرج من الخلوة، بعد انتهاء أمره، فأولُ من وقعت عليه عيناه، ظهر أثر تلك النظرة فيه، واكتسب بها أحوالاً نفيسةً، فخرج مرةً من الخلوة وقـد احمرت عيناه، فلم تقع عيناه إلا على كلب، فصار ذلك الكلب يتبعه الكلاب أينما ذهب، فتسامع الناس به، وصاروا يأتونه، فاشتهر أمره، حتى صاروا يُهدون له الأطعمة وللكلاب التي معه، فبلغ خبره إلى الشيخ، فبعث من أتى به، فلما وصل بين يديه، قال له: اخسأ، فدارت عليه الكلاب التي كانت تتبعه، فصارت تنهشه حتى قتلته.

قال: وكان الشيخ يأسف على تلك النظرة، ويقـول: لو وقعـت على إنسانٍ، لصار عيناً من عيون الله، أن ينتفع به الخلائق، وهذا أمرٌ لا يحيله عقل، ولا يمنعه شرع، ولله في خلقه أسرارٌ لا تحيط بها أفهام كثيرٍ من العقلاء الأكابر، فضلاً عن غيرهم. انتهى[1].

قال الشيخ عبدالله العياشي: ولما لقيتُه بمكة، شاورتـه عما أرومه من المجاورة بالمدينة، فحضني عليهـا، ورغبني فيهـا، فقال لي: قـد ورد في الحديث: «إن حب الوطن من الإيمان»، والمدينة هي وطن كل مؤمنٍ؛ لأنها وطن الإيمان، فلذلك يحبها كل مؤمن.

قلت: ويشهد لما قال ﷺ من أنها وطن الإيمان، وهو أشرف أوصاف المؤمن، بل هو في الحقيقة كليته التي بها صار معتبر وجوده، ولولا الإيمان، لكان العدم المحض أفضل منه، فإذا ثبت هذا، ثبت أن وطن الإيمان هو وطن المؤمن.

وقد ثبت بالحديث المتقدم: أن المدينة وطن الإيمان، وفي هذا إشارةٌ حسنةٌ إلى أدبٍ حسنٍ، وهو أنه لا ينبغي لساكن المدينة، بل ولو لمن بات بها ليلةً، بل أقام لحظةً من المؤمنين، أن يرى في حال إقامته بها أنه غريب، بل يرى نفسه كأنه في ذلك الوقت بوطنه، الذي هو أحبُّ أوطانه بين أهله وأقاربه؛ إذ المدينة وطنه الحقيقي ـ كما تقدم ـ.

بل ينبغي أن لا يطلق على أحدٍ ممن في المدينة من أهل الآفاق أنه غريبٌ

---

(١) وأي صورة أوضح للخذلان وضياع الدين من تمثل الكرامات في الكلاب، غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الخرافات والأباطيل.

أو مجاور؛ تأدباً لما يشعر به ذلك من غربته في وطن الإيمان، الذي هو روحه وحقيقته، ولا يكون غريباً في وطن الإيمان الذي هو، إلا من لا عبرة بإيمانه، فأي صفةٍ ذات قبحٍ من وصف المؤمن بكونه دخيلاً في الإيمان، غريباً فيه؟! فليتأمل هذه النكتة؛ فإنها حسنةٌ عند من له ذوقٌ سليم، وعرف الإشارة، ولم يتقيد فهمه بصريح العبارة، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن كانت المدينة وطنه حِسّاً ومعنًى، ونال من جميع الآفات سلامةً وأمناً.

توفي المترجم، سنة ست وسبعين وألف، ودفن بمقبرة شيخه بدر الدين، بالبقيع، بحش كوكب ـ رحمهما الله تعالى ـ.

[٨٤٤] جمال الدين الهندي النقشبندي، نزيل مكة، المجاور بالداودية.

كان من أفضل الطائفة النقشبندية في عصره، ومن أعبد أهل زمانه، مقبلاً على شأنه، مراقباً للحق في سره وإعلانه، منقطعاً بالحرمين الشريفين لعبادة ربه، ولا مال له ولا أهل، إلا أصحابه المشتغلون بالطريق على يديه، ولهم سيما ولهجةٌ لا تخفى على ذي بصيرة، وطريقهم طريق جدٍّ واجتهاد، قريبٌ فتحها، كثيرٌ خيرها، بعيدٌ عن الرياء والسمعة، إلا أنها تحتاج ـ كغيرها من الطرق ـ إلى مرشدٍ عارف.

توفي في نيف وسبعين وألف، بالمدينة الشريفة، وبها توفي، وقبره الآن مشهورٌ يزار، بجانب قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وهو [ممن] أخذ عن أحمد بن عبد الأحد السرهندي.

[٨٤٥] جلون بن الحاج المجذوب الثاني.

ظهر بعد سيدي عبد الرحمن المجذوب، وعظم قدره، واشتهر ذكره

بفاس، أخذ عن السيد الحاج محمد الرامي التواني، توفي سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن بباب الجَبْسة من فاس، وممن أخذ عنه: عالم المغرب الشيخ عبد القادر الفاسي، وغيره.

[٨٤٦] الجيلان بن أحمد هريرة، صاحب بيت عكاد.

من أعيان سادة تهامـة اليمن، [كان] ولياً عارفاً، مشهور الذكر، رفيع القدر، له كراماتٌ مشهورة، ولما قرب موته، كان يقول: قرب لقاء الله، وقد اشتقنا إلى لقاء الله.

مات ـ نفع الله به ـ في العشر الأول من هذا القرن، ببلده بيت عكاد، بقرب بيت الفقيه بن حشير، المعروفة بالزيدية، وبُني عليه قبةٌ عظيمةٌ، وقد زرته ـ بحمد الله ـ، وأعقب ولداً صالحاً اسمه محمد، سكن المخا، ومات بها.

[٨٤٧] السيد الجيلان بن محمد.

كان إماماً عالماً، مدرساً ببيت بَرْخِل، من تهامة اليمن، وكان ينكر شرب القهوة، ويلوم عليه، وكان له تلميذٌ يشربها سِراً، فلما كان ذات يوم، نام إلى الفجر، فقام يفعل القهوة، وأبطأ على السيد، فأتاه، فوجد القهوة، فقال له: أتشرب القهوة؟ أما تخاف الله تعالى؟ فتاب التلميذ وتركها، ومضى مع شيخه، وبات بأسوأ حال، وأصبح مريضاً.

فرأى السيد في تلك الليلة رجلاً عنده تنور، عليه مقـلاة يحمص بهـا البن، وينشر لحيته لدخان البن، فقال: من هذا؟ فقال له بعض الناس: هذا رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أتفعل هذا؟ وهل القهوة حلال؟ فقال: هي حلال، [فلما] أصبح، أتى تلميذه، وقال: يا فلان! صب لي قهوةً، فقال:

تركتها يا سيدي، قال: لا، هات لي قهوةً؛ فإنه كان من الأمر كذا وكذا، فحمد الله، وفعل للشيخ قهوة.

[٨٤٨] الشيخ جناح صاحب صنعاء.

كان من أصحاب السيـد عبـد المعطي الكاظمي، وكان من الصالحين الصابرين الصامتين، مات بصنعاء، وبُني عليه قبةٌ عظيمةٌ، وكان مشهوراً بأنه من النجباء ـ رحمه الله ـ، وكان أخبرني بعض أهل صنعاء: أنه توفي سنة خمس وثمانين وتسع مئة، ولكن أخبرني بعض المشايخ الذين أدركوه بصنعاء أنه توفي سنة ألف وواحد ـ رحمه الله ـ، وقد زرته، [و]لله الحمد بصنعاء ـ نفع الله به ـ.

[٨٤٩] جعفر باشا الوزير الخطيب[1].

كان من أكابر أهل العلم، نقلت من «تاريخ الإمام علي الطبري»، قال: سمعت من لفظ والدي ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: تباحثت أنا وإياه في خمسة علوم: التفسير، والحديث، والمعاني، والبيان، والقراءات، فوجدته في كلٍّ منها كاملاً.

وذكر محمد بن كاني في «تاريخه»: أنه كان حاكم بلاد الحبشة، فأنعم عليه السلطان ببلاد اليمن، فوصل إلى بندر الصليف، من حدود اليمن، في تاسع عشر شهر ربيع الآخر، سنة ست عشرة بعد الألف، ودخل مدينة صنعاء، في رابع وعشرين شوال، من السنة المذكورة، وكان خليقاً بأن يقال:

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٠) (١٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٨٥).

ثلاثــةٌ تــشرق الــدنيا ببهجتهــا   الــشمسُ والبــدرُ المنيــرُ وجعفــرُ

لأنه جمع بين محاسن الخصال، ومراتب الكمال، وكان عالماً عاملاً، وفيه من الديانة والتهجد، خليقاً للملك، وكان يحب الفخر، وفيه من التيه شيءٌ لطيف، كانَ يزينه، ولا يشين حسنَ خلقه، ومن نظر إليـه في بعض مجلس أنسه، وكثرة انبساطه، ظن أن يعتريه الجذب، ولو أمن من سفك الدماء، في آخر مجيئـه إلى اليمن، لكان ممن ملك القلوب والأبدان، وهـو معذورٌ في هذا الأمر.

فلما وصل صنعاء، تصفح أحوال البلاد، فشاهد أنْ قـد تقـوى الإمام القاسم، بمساعدة أخيه عبد الرحيم بن المطهر، وذلك بسبب عزم سنان باشا، فاستحسن مصالحة الإمـام، فصالحـه يوم الاثنين حادي وعشري شهـر ذي الحجة، سنة ست عشرة وألف، على جهاتٍ معلومـةٍ، وهي بلاد الأهنوم، وبلاد عـدور، والعصيمات، ووادعـة، وبلاد برض، وشرط الإمـام خروج أولاده ومكالفه وأصحابـه من حصن كوكبـان، فأطلقهم الوزيـر المذكـور، وأحسن إليهم، وإلى ولده السيد محمد.

وتوجهت العساكر على عبد الرحيم، فأسره، وأرسله إلى العتبة العلية السلطانية، في شهر رمضان، سنة ثمان عشرة وألف، وواجه أخوه الأمير أحمد، والأمير محمد، فأكرمهمـا بسنجقين سلطانيين، وفتح بلاد حجة، والشرف وبلاده وحصونـه، وفتح بلاد نيوه، ووصاب، وشرع في نظام البلاد، وسار سيرةً رضية.

فوصلت الأخبار: أن ولاية اليمن قد توجهت من الأبواب العلية، إلى

آغاة الينكجرية، الوزير إبراهيم باشا، فخرج الوزير جعفر باشا قاصداً إلى الأبواب العلية، في حادي عشر شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وألف، ووصل الوزير إبراهيم باشا إلى بندر الصليف، في سلخ صفر، وخرج إلى البر في غرة ربيع الأول، سنة اثنتين وعشرين وألف.

فطلع من اليمن متوجهاً إلى صنعاء، فمال إليه الأمير عبدالله جلبي كيخية الوزير جعفر، وانضم إلى إبراهيم باشا، ولم يرع لولي نعمته حرمةً، ولا راقب فيه إلاً ولا ذمة، فعيَّن الوزير إبراهيم مع عبدالله جلبي عسكراً جراراً، وجعله سرداراً عليهم، وعلى من بصنعاء من العساكر، وأمره بالتقدم قبله إلى صنعاء، فتقدم الأمير المذكور إلى صنعاء، ونهض إبراهيم باشا إلى صنعاء، فوصل إلى ذمار وهو مريض، ثم نهض من ذمار، فلما وصل إلى «منقذة»، وهي على مرحلةٍ من ذمار، انتقل إلى رحمة الله تعالى.

وفي سبب موته أقاويل، وذلك يوم الاثنين، خامس وعشري جمادى الأولى، من السنة المذكورة، وقد كان الوزير جعفر وصل إلى «زبيد»، واستقر بها؛ لأجل تكميل مهمات يحتاج إليها في الطريق، فوصلت إليه الأخبار بموت الوزير إبراهيم باشا، فرجع قاصداً لصنعاء، لما أرسل إليه أعيان البلاد المجتمعين في مدينة ذمار، خارجاً عمن كان مع الأمير عبدالله جلبي؛ لأنه كان وزير السلطان، وأولى الناس بالولاية؛ لأجل الحفظ، حتى يرى السلطان في ذلك برأيه السديد، فلما بلغ الأمير عبدالله جلبي رجوع الوزير جعفر، ضاقت أنفاسه لجرأته، وضاقت عليه الأرض بما رحبت؛ لإساءته لولي نعمته، وأحاطت به الأوهام، وما أجدَرَه بقول من قال:

أســأتَ إلــيَّ فاستوحــشتَ منــي ولــو جَمَّلْــتَ آنــسَك الجميــلُ

فحينئذٍ اجتمع الذين أساؤوا إليه من الأمراء والجند، فتشاجروا، وتحاوروا على الخلاف، وكان الأمير عبدالله يعدهم ويمنِّيهم بالذي يوافق أهويتهم، فساعده بقية العسكر، وكان بينهم من ينكر فعلهم، وأظهروا الاستقلال بالأمر[1]، ولما وصل الأمير جعفر إلى ذمار، أرسل إليه كتاباً بالصفح والعفو، فتعذر بالعسكر الذين نصبوه كرهاً، وخوَّفه من الوصول، بل كان يلوِّح بالرجوع.

فلما ترددت الرسل، وما نفع، بل زاد ومن معه عدواناً، عين الوزير كيخية الأمير حيدر سرداراً على العسكر، والصفح عن الذين يرجعون من الضلالة إلى الهدى، فلما تراءى الجمعان، انخزل بعض العسكر الجنود إلى جانب السردار، وثبت بعضهم للقتال، فتقدم بمن معه عليهم، فهزمهم، ولما بلغ الأمير عبدالله هزيمة أعوانه، تحصن بحصن في صنعاء، فأرسل [الأمير حيدر] إلى الأمراء بالأمان، وآنسهم، فطلبوا الأمان، فأرسل لهم بالأمان، فخرجوا إلى حمرا علب، الأمراء والعسكر، فتقدموا إليه، وسلموا عليه، فحينئذٍ تقدم الجميع في الحال.

ودخل صنعاء على أحسن حال، وأنعمِ بال، فما وسع الأمير عبدالله إلا النزول إلى السردار، والوقوف بين يديه، ولما وصل الأمير عبدالله، شاهد السردار أشقياء العسكر يتزايدوا ويتناقصوا[2] في الكلام، فلأجل حسم مواد

---

(١) في الأصل بعد كلمة بالأمر زيادة: الأمير عبدالله جلبي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يتزايدون ويتناقصون.

الفتن، قطع رأس الأمير عبدالله، فسكنت الفتن، وخمدت نيران المحن، وذلك في أوائل شعبان، سنة اثنتين وعشرين وألف.

ووصل الوزير جعفر باشا بعده إلى صنعاء، وكان نزوله في البستان، الذي هو نزهة الحكام، قبال باب السَّبحَة، وهو أحد أبواب صنعاء في اليوم الرابع والعشرين من شعبان، من السنة المذكورة، وصام رمضان في قصر صنعاء، وتتبع من كان سبباً للفتن، وساعد الأمير عبدالله، فقطع دابرهم، وعفا عن بعضهم.

وكان الإمام القاسم قد غنم الفرصة مدة الفتنة، بين الوزير جعفر وبين الأمير عبدالله، فبسط يده على أكثر بلاد القبلة والمغارب، وتقوت شوكته، فجمع الوزير جعفر جيشاً عرمرماً، وعين كيخيته الأمير حيدر سرداراً عليهم، فتوجه، فظفر بالسيد الحسن ابن الإمام القاسم، في عرة الأشمور، فقبضه، وأرسله إلى الوزير جعفر باشا، فأودعه في دار الأدب.

ثم كانت الحرب بعد ذلك سجالاً، وفي آخر الأمر حصل الحرب الأكيد، فقتل من الجانبين عالمٌ كثير، وجمٌّ غفير، في أماكن متعددة، وبينت الحروب عن قتل السيد علي ابن الإمام القاسم، فكان سبباً لإطفاء نيران الحرب من الطرفين، وفي خلال ذلك وصلت الأخبار بأن ولاية اليمن قد توجهت من الأبواب العلية، إلى الوزير حاجي محمد باشا، فاختارا[1] الصلح؛ لاشتغالهما بأنفسهما، فانعقد الصلح بين الوزير جعفر باشا، وبين الإمام القاسم، بأن لكل واحدٍ منهما ما تحت يده من البلاد.

---

(١) في الأصل: فاختار، والصواب ما أثبت.

والخيار لمحمد باشا، فعند وصوله إلى صنعاء في تمام الصلح وعدمه، خرج الوزير جعفر باشا من صنعـاء، متوجهـاً إلى العتبـة العليـة، يوم تاسع وعشري شهر شعبان، سنة خمس وعشرين وألـف، وكان أول دولته حربٌ ونصر، وأوسطها سلمٌ وراحةٌ ونعمةٌ لا تكاد تنسى بين الناس، وآخرها حربٌ وفتنة، ومحنةٌ وحقد. انتهى.

وقال النجم الغزي في «ذيله»: الوزير جعفـر باشا نائـب اليمن، دخل دمشق منفصلاً عن اليمن، بعد أن دخل مصر، وأقام بها مدةً، ثم سافر في البر، ودخل دمشق، يوم الخميس، رابع وعشري جمادى الأولى، سنة ست وعشرين بعد الألف.

واجتمعنا به في الميدان الأخضر، فوجدناه من أفراد الدهر، فصيحاً في العربية، عالماً بالتفسير والكلام، ومعرفة مذاهب الفرق، ويحسن الرد عليهم بالأدلة العقلية، عارفاً بالخلاف بين المذاهب، شديد التعصب على المعتزلة والروافض والزيدية، لا يمل من المباحث العلمية، ذائقاً حاذقاً، وسافر من دمشق إلى الروم، ثم عاد سنة سبع وعشرين، متولياً نيابة مصر، فتوجه إليها، فمات بها مطعوناً، سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

[٨٥٠] جعفر أبو البحر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد، الإمام الشهير بالخطي البحراني العبيدي، أحـد بني عبد القيس بن شن بن قصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[١].

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٢٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٨٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٠٤) (١٨٧).

قال في «السلافة»: ناهجُ طرق البلاغة الفصاحة، الزاخر الباحة، الرحيب الساحة، البديع الأثر والعيان، الحكيم الشعر، الساحر البيان، ثقف بالبراعة قداحـه، وأدار على المسامـع كؤوسـه وأقداحـه، فأتى بكل مبتدعٍ مطرب، ومخترع في جنسه مغرب، ومع قرب عهده، فقد بلغ ديوان شعره من الشهرة المدى، وسار به من لا يسير مشمراً، وغنى به من لا يغني مغرداً.

وكان قد دخل الديار العجمية، فقطن منها بفارس، ولم يزل وهو لرياض الأدب جانٍ وغارس، حتى اختطفته أيدي المنون، فغرس بفناء الفنا، وخلد عرائس الفتوة، فكانت وفاته سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

ولما دخل أصبهان، اجتمع بالشيخ بهاء الدين العاملي، وعرض عليه أدبه، فاقترح عليه معارضة قصيدته التي مطلعها:

سرى البرق من نجد فهيج تـذكاري ... عهوداً لجزوى والعذيبِ وذي قار

فعارضها بقصيدةٍ طنانةٍ مطلعها:

هي الدار تستسقيك مدمعَك الجاري ... فسقياً فخر الـدمع مـا كـان للـدار
ولا تستـضع دمعـاً تريـق مَـصونَه ... لعزَّتــه مــا بــين نــوءٍ وأحجــارِ
فأنت امرؤٌ بالأمس قد كنت جارها ... وللجار حقٌّ قد علمتَ على الجار
عشوتَ على اللذات فيها على سَناً ... ســنَاء شــموسٍ مــانعين وأقمــارِ
فأصبحتَ قد أنفقتَ أطيبَ ما مـضى ... من العمر فيها بـين عُـونٍ وأبكـار
نواصعُ بيضٌ لو أفضن على الرجا ... سناهُنَّ لاستغنى عن الأنجم الساري
خرائـدُ يبُـصرن الأصـولَ بأوجـهٍ ... تغــصُّ بــأمواهِ النــضارةِ أحــرارِ

معاطيرُ لم تغمس يدٌ في لطيمة ... لهنَّ ولا استعبقْنَ جونةَ عطارِ

أَبَحْنَك ممنوعَ الوصول نوازلاً ... على حكمِ نادٍ كيف شاء وأمَّارِ

إن ابت تستسقي الثغور مدامةً ... أتتك فحيتْكَ الخدودُ بأزهارِ

أموسمَ لذاتي وسوقَ مآربي ... ومَخْبا لُباناتي ومنهبَ أوطاري

سقتك برغم المحل أخلافُ مزنةٍ ... تلفُّ إذا جاشت سهولاً بأوعار

وفجٌّ كما شاء المجالُ حسوتُه ... بعزمةِ عَوَّادٍ على الهَوْلِ كَرَّارِ

تمرَّسَ بالأسفارِ حتى تركته ... لدقته كالقِدْح أرهنَه الباري

إلى ماجدٍ يغري[1] إذا انتسب الورى ... إلى معشرٍ بيضٍ أماجدَ أخيارِ

ومضطلعٍ بالفضل زُرَّ قميصُه ... على كنزِ آثارٍ وعَيْبَة أسرارِ

سميٍّ النبي المصطفى وأمينه ... على الدين في إيرادِ حكمٍ وإصدارِ

به قام بعدَ الميلِ وانتصبت به ... دعائمُ قد كانت على جُرُفٍ هارِ

فلما أناختْ بي على باب داره ... مطاياي لم أَذْمُمْ مَغَبَّةَ أسفاري

نزلتُ بمغشيٍّ الرواقينِ دارُه ... مثابةُ طوافٍ وكعبةُ زوار

فكانَ نزولي إذ نزلتُ بمغدِقٍ ... على المجد فضلَ البر عارٍ من العار

أَساغَ على رغم الحوادث مشربي ... وأعذبَ وردَ العيشِ لي بعد إمرار

وأنقذني من قبضة الدهر بعد ما ... ألحَّ بأنياب عليَّ وأظفارِ

جُهلت على معروف فضلي فلم يكن ... سواه من الأقوام يعرفُ مقداري

ولما انتهى إلى هذا البيت في الإنشاد، قال ـ وأشار إلى جماعةٍ من سادة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يُعزى.

البحرين ـ: وهو لا يعرف مقدارك إن شاء الله.

علـى أنـه لـم يبـق فيمـا أظنـه ... من الأرض شيء لم تطبِّقه أخباري

ولا غـرو فالإكسيرُ أكبـرُ شـهرةً ... وما زال من جهل به تحت أستاري

متى بـلّ لـي كـفٌّ فليس بآسـف ... علـى درهـمٍ إن لـم ينلْـه ودينـارِ

فيا بنَ الألى أثنى الوصـيُّ علـيهم ... بما لـيس تثنـي وجهـه يـد إنكـار

بـصفين إذ لـم يلـف مـن أوليائـه ... وقد عض نابٌ للـوغى غيـرَ فـرارِ

وأبصر منهم جِـنَّ حـربٍ تهـافتوا ... على الموت إسراعَ الفراش على النار

سراعاً إلى داعي الحروب يرونَهـا ... على شربها الأعمارَ مـوردَ أعمـار

أطاروا غمودَ البيض واتكلوا على ... مفـارقِ قـومٍ فـارقوا الحـقَّ كفـارِ

وأرسَوْا وقد لاثوا على الركب الجثي ... بروكـاً لهـديٍ أبركـوه لجـزار

فقـال وقـد طابـت هنالـك نفسُه ... رضًـى وأقـرُّوا عينـه أيَّ إقـرار

فلـو كنـت بواباً علـى بـاب جنة ... كما أفصحتْ عنه صحيحاتُ آثارِ

يشير إلى همدان، وهي قبيلةٌ من اليمن، ينتهي إليهم نسب الممدوح، وكانوا قد أبلوا يوم صفين بلاءً حسناً، فروي: أنهم في بعض أيامها حين استحَرَّ القتل، ورأوا فرارَ الناس، عمدوا إلى غمود سيوفهم فكسروها، وعقلوا أنفسهم بعمائمهم، وجَثَوا للركب، وبركوا للقتل، فقال فيهم أمير المؤمنين ﷺ:

لهمـدانَ أخـلاقٌ وديـنٌ يزينهـا ... وبـاسٌ إذا لاقـوا وحـسنُ كـلام

فلـو كنت بواباً علـى بـاب جنـةٍ ... لقلـتُ لهمـدانَ ادخلـوا بـسلام

وقال فيهم يوم الجمل: لو تمت عدتهم ألفاً، لعُبد الله حقَّ عبادته.

وكان إذا رآهم، تمثل بقول الشاعر:

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مغلقةٌ ... ومثلُ همدان سنى فتحة البابِ

كالهندوانيِّ لم تفلَلْ مضاربهُ ... وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجَّابِ

ذكره ابن عبد ربه في «العقد»، وهمدان: ـ بسكون الميم، وبعدها دالٌ مهملةٌ ـ، وأما هَمَذان ـ بفتح الميم والذال المعجمة ـ، فبلدٌ من بلاد العجم، وهي أول عراق العجم، وإليها ينسب بديع الزمان الهمذاني، صاحب «المقامات»، التي اقتفى الحريري أثره فيها، وتمام القصيدة موجودٌ في ديوان صاحب الترجمة، وقد قرظ له عليها الشيخ بهاء الدين تقريظاً حسناً، ذكره في «السلافة».

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

عاطِنيها قبلَ ابتسام الصباح ... فهي تُغنيك عن سما المصباحِ

أنت تدري أن المدامة نارٌ ... فاقتدحْها بالصبِّ في الأقداحِ

فهي تمحو بضوئها صبغةَ الليـ ... ـل فيغدو وجه الدُّجى وهو صاحي

وإذا ما أحاط بي وفدُهم ... مهدياً لي طرائفَ الأتراحِ

فأسِلْها وردية كدم الكبـ ... ـشِ أسالته مديةُ الذبَّاحِ

فهي تُقْصي إمَّا دَنَتْ واردَ الهمْـ ... ـمِ وتُدني شواردَ الأفراح

ألحفت في السؤال هل من فكاكٍ ... لأسيرٍ ما إن له من براحِ

مزجوها فقيدوها فلو تتـ ... ـرك صِرفاً طارتْ بغير جناحِ

يـا خليلـي ولا أرى لـي مـن النـا سِ خلـيلاً إلا فتًـى غيـرَ صـاح
يتلقــى عــذلَ العــذولِ بهيهــا تَ ويحثـو فـي أوجُـهِ النـصَّاحِ
ألِـف الـراحَ فهـو بـين اغتبـاقٍ لا ينــادي وليــدَه واصــطباحِ
رُحْ على الراح بي فليس على الأجـ ـسام غيـبٌ فـي الـسعي لـلأرواح
واسـقِنيها صـرفاً فللنّـارُ أنـأت جانبـاً عـن وصـالِ مـاءٍ قـراحِ
خيـرُ مـا يُـشرب المـدام عليـه وجـهُ خَـوْدٍ مـن الحـسانِ رداحِ
ذاتُ قَـدٍّ تُثنـي الغـصونُ عليهـا حـين يهفـو بهـا نـسيمُ الـصباح
فوقـــه طـــرةٌ تظـــل محيًّـــا جـائلاً مـاؤه مـضيّ النـواحي
فهي من نور وجهها وظـلامِ الـشـ ـعرِ فـي حَـالتَيْ مَـسًا وصـباحِ
وثغـورٍ يُخَلْـنَ فـي بـارد الظَّلْـ ـم حَبابًـا يطفـو علـى وجـهِ راحِ
ما ترى الـدهر كيـف رقَّـتْ لياليـ ـه فـشفَّت عـن أوجـهِ الأفـراحِ

[٨٥١] جعفر بن المطهر بن محمد الجرموزي الحسني[١].

السيد المبرز في حلبة البيان على أقرانه، وأديب اليمن وشاعره في أوانه، وفارس سوابق المعاني المسفرة الغرر، ومعدن جواهر الألفاظ المنسقة الدرر، غزير النظم العزيز، في اللفظ الوجيز، هبَّ نسيمُ نظمه، فعطر بذكاه المغارب والمشارق، وتزينـت بفوائـده سطـور المهـارق، وفخرت بشنوفـه الأسماع على تيجـان المفارق، مع فضل لا يشق لـه غبار، وتبحُّر في العلم لا يُدَرك له قرار.

---

(١) «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٤٧٥) (٤١)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٣).

ولما قدمت المخا، عام أربعة وتسعين وألف، واجتمعت بصنوه السيد العلامة الحسن بن المطهر أمير المخا، أنشدني له أشعاراً، منها **قوله**:

تمايلــت أغــصانُ بــان النقــا فأشــبهتْ أعطــافَ أحبــابي
ومــذْ صَبا قلبـي صـبا حـاجبي إيهًـا علـى الـصاحب والـصابي

وقوله:

بــي أحمــرُ الوجنــة مــشروطُها لَــدْنُ التثنــي نــاعسُ المقلتــينِ
لــو لــم تكــنْ جفنــاه مكــسورةً مــا جعلــوا تحتهــا خَفْــضَتينِ

قوله:

عــاتبتُهم حــين حــالَ ودُّهُــمُ عنــد انعكــاس الزمــان ممتحنــا
قـالوا فمـن ذا تـراه لـم يـكُ يسـ ـــتحيل بالانعكــاس قلــتُ أنــا

وفيه لطيفةٌ لا تخفى.

وكتبت إليه وأنـا بالمخا، عند سماعي لأخباره، أن يكتب لي نبذةً من أشعاره، كتاباً افتتحته بقصيدةٍ، وهي:

يـــا نـــسمةً كـــالعنبري عـــن ســـاقِ جـــدِّكِ شَـــمِّري
هبـــي مـــن أعلـــى مكـــةٍ بالليـــل حتـــى تُـــسفري
وتـــوجَّهي نحـــو الحطيــــ ـــمِ وزمـــزمِ والمـــشعَرِ
والبيـــتِ والأركـــانِ مـــع ذاك المقـــامِ الأفخـــرِ
والمـــروتين ولَعْلَـــعٍ وحِـــرا وثـــورِ النَّيِّـــرِ

واسـري[1] إلـى أن تبلغـي بلـدَ النبـيِّ الأطهـرِ

فتطيَّبـي مـن طيـب ذيْـ ـيَاكِ الثَّـرى وتعطَّـري

وقِفـي هنالـك سـاعةً فـي روضـةٍ والمنبـرِ

ثـم ارجعـي وَهْنـاً علـى أكتـافِ أرضِ المَحْـشَرِ

القـدسِ والطُّـورِ البهـيِّ وصـخرةِ المتكبـرِ

جـادَ الإلـهُ ربوعَهـا صـوبَ الـسحاب الممطـرِ

ورعـى هنالـك سـادةً لـسواهُم لـم أَذكـرِ

بلـدِ الكلـيم ورُسْـلِ ربـي والخليـلِ الأكبـرِ

فتبركـي بحمـاهُم وبتـربهم فتعفَّـري

وبكـربلاءَ فعرِّجـي واسـري[2] بروضـات الغـري

وطُفـي المـشاهدَ كلَّهـا وعلـى الكناسـةِ فـاعبُري

ثـم اقـصدي وادي دمـشـ ـقَ ومائِـه المتحـدِّرِ

والغوطـةِ الفيحـا ومـا ءِ النَّيـرين الكـوثري

هـي جنـةُ الـدنيا ومـا وى كـلِّ أغيـدَ أحـورِ

وعُجـي علـى مـصرِ ومـا فـي نيلهـا المتكـدِّرِ

والروضـةِ الغنـاء مـع مقياسِـها الإسـكندري

وبـديعِها والمـشتهى وجبينِهـا والأزهـرِ

(١) في الأصل: وسرى، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: وسرى، والصواب ما أثبت.

أرضِ الخلاعـــــة والـــــصِّبا		مجـــرى الجيـــادِ الـــضُّمَّرِ

ســـقيًا لهـــا مـــن بلـــدةٍ		فـــي حـــسنها لـــم تـــسهرِ

فيهـــا أصـــيحابٌ لنـــا		غُـــرٌّ كـــرامُ المعـــشرِ

واللهِ مـــذ فـــارقتُهم		فارقـــتُ حـــسنَ تَـــصَبُّري

بـــاللهِ يـــا نـــشرَ الـــصَّبا		إلا ســـريتِ كمـــا تـــري

حتـــى تُـــوافي أرضَ قحـــ		ـــطانٍ ومغنـــى حِمْيَـــرِ

حيـــثُ الخورنَـــقُ والـــسدير		ـــرُ وتُبَّـــع ذي المغفـــرِ

فخـــذي طريـــقَ تهامـــةٍ		واســـتنجدي واســـتخبري

الـــصادقَ الحبـــرَ الرضـــي		الطـــاهرَ بـــنَ مطهـــرِ

الطيـــبَ الأصـــلِ الـــذي		يُنْمـــى لحـــضرةِ حيـــدرِ

صـــنوِ النبـــيِّ وصيِّـــه		الفـــارسِ المتبختـــرِ

فهـــو الكـــريمُ بـــنُ الكريـــ		ـــمِ أو الـــسريُّ بـــنُ الـــسرِّي

خلـــقٌ كمـــا شـــاء الكمـــا		لُ ورقَّـــةٌ لـــم تُنْكَـــرِ

وتواضُـــعٌ مـــع عِـــزَّةٍ		وإذا ســـطا كَغَـــضَنْفَرِ

ومناقـــبٌ عَلَويـــةٌ		مـــن عـــدّها لـــم تبـــدر

وفـــضائلٌ وفواضـــلٌ		لمحلِّـــقٍ ومقـــصِّرِ

ومعـــارفٌ وعـــوارفٌ		لمعـــرّفٍ ومنكّـــرِ

وعلـــومُ آلِ محمـــدٍ		جُمعـــتْ لـــه بتبحُـــرِ

قـــلْ مـــا تـــشا مـــن مدِحـــه		لـــذرى عـــلاهُ وقـــرر

إذ قـــد متعنـــا بـــسيدٍ ملـــكٍ جليـــلِ المنظـــرِ
ثـــم ابلغيـــه تحيـــةً منـــي إليـــه وكَـــرِّري
بتـــأدُّبٍ وتواضـــعٍ وتـــذلُّلٍ وتحقُّـــرِ
وتخـــضُّع لمقامِـــهِ يـــا ريـــح لا تتكَبَّـــري
وصـــفي لـــه شـــوقي علـــى ســـمعي وإن لـــم أُبـــصرِ
فـــالأذنُ تعـــشقُ بالـــسما ع لطيـــبِ حـــسنِ المخبـــرِ
ثـــم اشـــرحي حـــالي لـــه وعلـــى لـــساني فـــاخبري
قـــولي لـــه يـــا ســـيداً قـــد حـــار فيـــكَ تفكُّـــري
لمـــا اجتمعـــتُ بـــصنوِكم الـــسيدِ المتبـــصِّرِ
المنتقـــى الحـــسن الـــذي أوصـــافُه لـــم تُحْـــصَرِ
يفنـــى الزمـــان وفـــضلُه وأبيـــكِ بـــاقٍ فاشـــكرِ
جمـــعَ الفـــضائلَ كلَّهـــا فعلـــى ســـواهُ فكبِّـــرِ
وكـــذاك إســـماعيلُ مـــن يـــسمو بحـــسنِ تـــدبُّرِ
وجمالـــةٍ وجلالـــةٍ ومهابـــةٍ وتـــوقُّرِ
ولطافـــةٍ وشـــهامةٍ وتعفـــفٍ وتطهُّـــرِ
وتـــذاكر أخبـــارَكم فبقيـــتُ كالمتحيِّـــرِ
وثملـــتُ مـــن شـــعرٍ لكـــم عـــذبٍ رحيـــقٍ مـــسكِرِ
رقَّ انـــسجامًا فهـــو فـــي ألفاظِـــه كالـــسكَّرِ
بحـــلاوةٍ وطـــلاوةٍ وملاحـــةٍ وتحبُّـــرِ

وغريـــبِ معنًــى رائـــقٍ   بـــسهولةٍ وتيــــسُّر
قطــعٌ هـــي الـــسحرُ الحـــلا   لُ بـــل النظـــامُ الجـــوهري
فحبيـــبُ أضـــحى عـــاجزًا   عـــن مثلِهـــا والبحتـــري
وابـــنُ الحـــسينِ مقـــصِّرٌ   عـــن شـــأوِها وكـــذا الـــسَّري
لـــم أســـتمعْ مـــثلاً لهـــا   فـــي حـــسنِها لـــم أُبـــصر
فاســـمعْ فـــديتك مهجتـــي   لعُبيـــدِ رقٍّ أصـــغرِ
بالوصـــلِ مـــن أشـــعاركم   لا زلـــتَ غيـــرَ مكـــدَّرِ
فـــأبو القـــصيدةِ مـــصطفى   للفـــضلِ أفخـــرُ مـــشتري
خُـــذْها إليـــك غريبـــةً   يـــا بـــنَ المُطَهَّـــرِ واعـــذرِ
بكـــرًا بنيّـــةَ ليلـــةٍ   مـــن نـــازحٍ لـــم يحقـــرِ
مـــصحوبةً بمحبـــةٍ   فـــي القلـــب لـــم تتغيـــرِ
لا تهملَـــنَّ جوابَهـــا   مـــن تحـــتِ ســـبعةِ أبحُـــرِ
وعـــسى الإلـــهُ يجـــود لـــي   بلقـــاكَ فـــي ذي الأشـــهرِ
فـــي مكـــةَ الغـــراءِ جمـــ   ـــعِ والحجـــيجِ الأكبـــرِ
وأُنـــزِّه الأحـــداقَ فـــي   بـــستانِ فـــضلِك الاخـــضرِ
وأقـــولُ شـــكرًا يـــا زمـــا   نُ فـــذمتي لـــم تَخْفِـــرِ
واســـلمْ ودمْ فـــي عـــزةٍ   تعلـــو عـــلاءَ المـــشتري
مـــا غـــردَتْ وُرْقٌ علـــى   أفنـــانِ روضٍ مزهِـــرِ
ثـــم ابلغـــنَّ تحيتـــي   أولادكـــم مـــع معـــشرِ

وذويكـــــــمُ وصـــــــحابكمْ بــــل كـــلَّ ظبـــيٍ جـــؤذري

فأجابني بقوله:

إن كنـــتَ ممـــــن يمتـــــري فـــي الحـــبِّ فاعـــشق تعـــذر[1]

[٨٥٢] الجنيد بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن محمد بن علي بن أبي بكر بن موسى بن عمر النهاري، أخو المولى المشهور محمد بن عمر، بنته حفصة تزوجها أبو بكر بن موسى، فالذرية منه، وعمر هو ابن موسى بن محمد بن علي بن يوسف بن بهاء بن موسى بن عمر بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ النهاري.

السيد الجليل، كان على قدمٍ كاملٍ من العبادة والزهد، توفي تاسع شهر ربيع الأول، عصر الأحد، سنة ست وستين وألف، وقبر في رباط النهاري، قريباً من قرية جده محمد بن عمر النهاري، المشهور بقمر الصالحين ـ نفع الله به ـ.

[٨٥٣] الأمير جوهر برهان نظام شاهي[2].

ذكره شيخنا السيد محمد الشلي في «تاريخه»، فقال: الموفق بتوفيق الله وعنايته، المسدّد بحفظ الله ورعايته، طهر الله من الأغيار باطنَ سريرته، وفتح بنور الإيمان عينَ بصيرته، واشتهر في الأمصار بحسن سيرته، جُلب إلى الديار

---

(١) جاء في الحاشية: «ذُكر في الهامش: يُكتب من المجموعة، وتُرك صفحتان بياض».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٦).

الهندية وهو صغير، مع أخ له، فاشتراهما السلطان العادل برهان نظام شاه، ثم حفظ القرآن وغيره، ثم سلِّم إلى من يعلمـه الفروسيـة، واللعب بالسيف والرمح والسهام، إلى أن مهر في ذلك، ثم ترقى إلى أن صار أميراً على مئة فارس.

وكان شافعي المذهب، وسمع الحديث من جماعةٍ كثيرين، وقرأ كتباً كثيرةً، وصحب المشايخ، ولازم صحبة الشيخ الإمام السيد شيخ بن عبدالله العيدروس، وألبسه خرقة التصوف، وحكمه، واجتمعت به في رحلتي إلى الهند، وعرفت فضله ودرجته في العلم ومحله، فأقمت برهةً أرتع في رياض فضائله، وأكرع من حياض نمير وابله.

وقرأ عليَّ في الفقه والنحو والحديث، وشملني بإحسانه الكثير الوافر، وعضدني ببره وجميله المتواتر، وكان له من العبادة والتهجد، والقيام والصيام، والأوراد والأذكار، وكثرة التلاوة، شيءٌ كثيـر، لا يفتـر ساعـةً عن تلاوةٍ أو ذكـر، أو صلاةٍ على النبي ﷺ، وهي أكثر أوراده، وخشوعـه وخضوعه في عبادته يعد من حسناته، وكان له مطالعةٌ في كتب الرقائق.

وكان كثير الاعتقاد فيمن ثبت عنده صلاحه من السادة والعلماء والصلحاء، ومن شدة عقيدته في السادة: أنـه إذا شاهد ما يكره منهم، حمل نفسه على قصور الفهم، ويقول: لعل هذا مما يخفى حاله في هذا العالم، فحملُ حاله على الصلاح أسلمُ.

وكان له بشاشة وجهٍ تَسرّ القلوب، وطلاقة محيًّا تفرج الكروب، وتغفر للدهر ما جناه من الذنوب، وكان شهماً شجاعاً، ذا سياسةٍ للرعايا، يتلطف

بالعبيد والخدام، ويتفضل عليهم بأنواع الإكرام، وكانت أيامه كلها أيام خير، كأنها أعراس، وكان كثير الغزو والجهاد، لقتال أهل الكفر والفساد، وما قيل له قط يوماً في فعل خير فامتنع منه، بل يبادر إليه، ومن خلاله الجميلة: أنه كان يعرف حق الصحبة، ولا يتغير على أصحابه، ولا يضجر منهم، وهم عنده في حظوة.

ثم رماه الدهر بسهمه الصائب، وصيّره غرضاً للمصائب، فأصابه مرضٌ طال به، حتى أفسد مزاجه، واستمر به، ثم لم يلبث أن فارق محل مملكته المعمور، وتوجه إلى بلاد «بيجافور»، من أرض الهند، إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ست وخمسين بعد الألف، ودفن بمقبرة السادة والعرب، تحت المدينة، واعتنى السادة بتجهيزه؛ من غسله والصلاة عليه، وإدخاله القبر، والقراءة عليه، وكان له مشهدٌ عظيمٌ ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ، وخلف ولدين صغيرين، وأُقيما مقام أبيهما، وقُررا في محله.

[٨٥٤] جعفر بن علي الوَدِّي الحنبلي المصري.

الشيخ الصالح المشهور بجميل الاعتقاد، وعظيم الحرمة والبركة، كانت له مشاركةٌ في فنون عديدة، وكان من حسن السمت بمكان مكين، متقدماً في علم الميقات، ومداخلِ الشهور والسنين، وله مؤلفاتٌ فيه شهيرة، وكان شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي يشير إليه في هذه الأمور، ويعتمد عليه في مداخل الشهور.

قرأ في بدايته في الفقه على منصور البهوتي الحنبلي، وأخذ جملةً من علوم الحديث وغيره عن النور علي الأجهوري، والشمس محمد الشوبري،

وسلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، وأحمد العجمي، وعمموا له الإجازة، وقدم الحرمين سنة تسع وثمانين وألف، وجاور بالمدينة، ورجع إلى مصر، وأقام بها، إلى أن مات في نيف وتسعين وألف ـ رحمه الله ـ، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومكاتباتٌ عديدة.

[٨٥٥] جعفر بن المطهر الجرموزي الحسني[١].

سيدٌ عقد لبيته في نجم السمـاء أسمى طنب، واستملح نظمـه في كل ناظرٍ، على أنه في الأسماع قد عزب، أكرم بني مطهر، الذين لا يمس صحفَ مجدِهم إلا المطهرون، وأفصحُهم لساناً، فإن سجع، أورقت أقلامه، فتلذ الأسجاع البديعة فوق الغصون.

كانت جهة العُدَين تتيه به على حبلة، وتعز، وتفترض لذة الافتخار بدولته على سائر البلاد وتهتز، أيام ألقيت إليه بها الإمارة، وظهر عليها من الابتهاج الأمارة، وما زال جيدها به حالياً، ومورد معتنيه به خالياً، وساعاته مفوفة[٢] بالفضائل والفواضل تفويف المطارف، ومقسمة بين إفاضة العوارف ودراسة المعازف، وأيامه مواسم وأعياد، ومقاماتـه يرتج وصفُها بابَ وصف الفتح لمقامات ابن عباد.

حتى أصابت كمالَ حسن تلك الجهة عينُ الإحن، وصرف عنها وهو ذو العدل والمعرفة وذلك من لحن الزمن، ولما استبان بها صرفه، وغفل عن

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٩٧) (٢٢١)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٤١)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٤٧٥) (٤١).

(٢) في الأصل: لفوفة، والصواب ما أثبت.

حراستها طرفه، ثل عرش الخلافة المهدية، وهوى نجمها، ووهى ركنها، وطمس من صحف الوجوه رسمها، وهبت من الفتن ريح ذات إعصار، وجرى من الأرض ما لم يجر في سالف الأعصار، وبث في ساحاتها عقارب كل خطبٍ مريب.

وما زال وَبْلُ الفتن ونبلُها يَصوب ويُصيب، وبقي معتزلاً في داره، رافلاً من النعيم في حلل هي منتهى أوطاره، لم تمح منه ديباجة الملك، ولم تنحط من فلك عزه إلى الفلك، وكانت «مذيخرة» غاية مآربه، ونهاية مطلبه، كم له بها من قصر زاحم السماءَ بالمناكب، وجعلها على رأسه تاجاً مرصعاً بلآلئ الكواكب، وحفّت به رياض التفَّ فيها أزرق النهر، وأشرقت أجياد غصونها في حلبة الزهر.

أخبرني أخي الصدر الرئيس شهاب الدين أحمد: أنه لما عزل عن إمارة العُدين، بأخيه ضياء الدين إسماعيل، وكان عزله أعزّ له وأحمد، عزم عليه في العزم معه إلى العُدين، لمودةٍ له شد عليها باليدين، فلما ألقاهم إليه الإرقال والوجيف، تلقاهم في موكبٍ عظيم، وأنزلهم من أنسه في ظلٍّ وريف.

ولما ارتحل إلى مذيخرة، كتب إليه أبياتاً يستدعيه بها، كأنما هي عقود الدر، اقترن بها إليه، وهي:

يــا أحــمَ دعــوة ذي ودٍّ تكنفــه	شوقٌ إليـك وتـوقٌ لـيس ينحـصرُ
يهـوى لقـاءك مـشتاقٌ ويزعجُـه	إليك يـا أحمـدَ الأنفـاسُ والفِكَـرُ
في روضة كلَّمـا غَنّـى الهـزار بهـا	وصفَّق النهرُ مالت بالنُّهى الـصدر
صِلِ افضلِ اقبل تعال اسعد فما حَسُنت	إلا بطلعتــك الغــراءِ يــا قمــرُ

فكتب إليه الجواب مع ذلك البريد، بنظمٍ يسحر بالجوهر الثمين، والدر الفريد:

هذي الدراريُّ حقًّا أم هـي الـدررُ ... وهذه الزهرُ قل لي أم هـي الزُّهـر

وهــذه الروضــةُ الغنــاءُ باكَرهــا ... صوبُ الحيا أم تمشَّى فوقها الخَضِـرُ

أم ذي طلاسمُ من سحر البيان أتتْ ... في نظم ملـكٍ لـه الأمـلاك تـأتمرُ

قد جاءني منه يـدعوني إليـه ومـا ... سـواه قَـطُّ بـه مـا عـشتُ أفتخـرُ

فقلت سـمعاً لأمـرٍ منـك شَـرَّفني ... وطاعةً لك يـا مـن سَـيْبُه البِــدَرُ

ولما كان من الغـد، رحل إليـه هـو وأخوه السيد صفي الدين أحمد، والشمس قد توسطت الظهيرة، وألقت من أشعتها الضفيرة، ثم سترت محياها بنصفٍ من الغيم رقيق، وذر كافـور الرذاذ على بحـار الشقيق، ولما طمرت الغزالة في كناس غربها، وصارت كمقلة عليها التهويم، فغارت في غربها، وصاروا من مذيخرة الفؤاد، ومنشد القـول المعتمد بالله محمد بن إسماعيل ابن عباد:

أهلاً بكم صَحِبتكم نحـويَ الـدِّيَمُ ... إن كان لم يـنجح لـي بكـم حلـمُ

حُثُّـوا المطايـا ولـو لـيلاً بمجهلـة ... فلن تضلُّوا ومن بشرى لكـم علـمُ

لأنتمُ القـومُ إن خَطُّـوا يجـدْ قلـمٌ ... وإن يقولوا يُصِبْ فصْلَ الخطاب فمُ

لا عيَّ إن رقموا كتبًـا ولا حـصرًا ... إن يبتـدون ولا جـورًا إذا حكمـوا

هذا فـؤاديَ قـد طـار الـسرورُ بـه ... إن كنـت تنقُلـك الوخَّـادة الرُّسُـمُ

ثم أنزلهم في ذلك القصر، وقد كاد خدامه أن يقوموا لهم على الرؤوس،

وأمر بإسراج الشموع فيه، فكأنها منه بها مطلع الشموس، والعنبر الأشهب ينفخ في مجامر اللجين، وقد أعدّ لهم ما تشتهيه الأنفس، وتلذ به العين، فباتوا يتوعكون في غرفه، ويتنقلون فيها تنقل البدر في منازل شرفه، لم يقف لهم من السرور طرف، ولم يربهم من الشرور هجومُ صرف.

ولبثوا عنده أسبوعاً ممنوحين ما تتوق به النفس، وتلتذ به الحواس الخمس، وخيلُ الأفراح مقيمةٌ لهم في طرادها، وأماني الأرواح معطيةٌ لهم من قيادها.

ومن نظمه الذي تحكيه غمزات الجفون الوُطْف، وتماثله إشارات البنان الذي لا يكاد ينعقد من اللطف، ويضاهيه السحر، إلا أنه خال عن تعقيد العاقد، ويشبه الدر، إلا أن بعض الدر فرائد: **قوله:**

يا صاحبيَّ حمامةُ الـ ... ـوادي أصاحت لي غراما

غنت فغنت مغرماً ... فيهم وَهَى جسمي وهاما

فقِفا سلامًا نبتغي ... في سجعها قالت سلاما

وفي هذا البيت إبهام التوكيد، من أنواع البديع، وهي من المحسنات التي شأوها رفيع، اخترعه العلامة زين الدين بن الظفر، فأتى بما هو دليلٌ على أنه بكل بديعةٍ مظفر، واستشهد عليه بقوله:

تعشقت أحوى لي إليه وسائلُ ... وإصلاحُ أحوالي لديه لديه

أمرُّ به مستعطفاً متلطفاً ... فينقل تسليمي عليه عليه

ومن بديع شواهده: قول فخر الدين بن مكانس:

نعـــم نعـــم محَّـــضتهم صـــدقَ الـــولاء تطـــوُّلا

ومـــا رَعَـــوا عهـــدًا ولا مـــــــــــودةً ولا ولا

وهو ما استشهد بـه عليه العلامة الشهاب الخفاجي، فكشف بصبحه المنير ليل الإشكال الداجي، لكنه قال: وزعم ابن الوردي أنه من مخترعاته العديمة الأشباه، وهي في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ١٢٤]، ولعمري! لقد مال عن الجـادة المستقيمة؛ إذ لا جامع بين ما استشهد به من الشعر، وبين الآية الكريمة.

فإن ابن مكانس أتى في شعره بكلمةٍ لا، ثم كررها معطوفةً على الأولى بواو العطف، فصارت: ولا، ثم أتى بكلمةٍ أخرى بلا فاصل مثلها في اللفظ، وفي أولها واوٌ أصليةٌ، وهي: ولاء: اسم من الموالاة، التي هي ضد المعاداة، فكأن الكلمة الأولى مع واو العطف قبلها مع الكلمة الأخرى جناسٌ مركب.

ومع ذلك، فإنه قد يصح اشتراكهما في اللفظ والمعنى، وذلك إذا جعلت الواو التي للعطف في الكلمة الأولى أصليـةً، فتصير الكلمة الأخرى مؤكدةً للأولى، وإذا جعلت الواو الأصليـة التي في الكلمـة الأخرى للعطف، مثل الواو التي في الكلمة الأولى، فيصيران كلمتين مكررتين، اكتفي بهما عن كلام لم يذكر؛ لوجود القرينة الدالة عليه، وحينئذٍ يمتنع التأكيد؛ لفصل الواو بينهما؛ لأنه لا يفصل بين المؤكد والمؤكد؛ لشدة اتصال كل منهما بالآخـر، فإيهام التوكيد حاصلٌ في الكلمة الأخرى؛ لصلاحيتها للتوكيد، إذا لاحظنا أصالة الواو فيها، وفي الواو التي قبلها، وعدم صلاحيتها للتوكيد، إذا لاحظنا عدم أصالة الواو فيها، وأنها حرف عطف.

وهذا ليس في الآية الكريمة، ولا في قول ابن الوردي، وإن كان فيه التكرار الموهم إيهام التوكيد، فقول ابن مكانس هو الأليق بإيهام التوكيد؛ فإنه رقى منه أوجه، وغدا بما اشتمل عليه من المحاسن والإبداع في الصنعة، أشرف من النيرين وأوجه.

ولا يخفى اختلاف الإعراب في الآية الكريمة التي استشهد بها الخفاجي، وأنسب منها قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[التوبة: ١٠٨]، لاتفاق الإعراب، كما هو في أبيات ابن الوردي، وفوق كل ذي علمٍ عليم، ومنه قولي:

يا من أطعت حبهم ... مخالفا معنّفي

الله في محافظ ... على الولا وفي وفي

قولي:

وبديع الطوق له صدحُ ... في الدوح يثير به الحُرَقا

أبدى منا فرقا فرقا ... غُصْناً لَدْنا ورَقا ورَقا

وقولي:

لله غزالٌ واصلني ... سَحَرًا فملئت به جَذَلا

وأبان عواذله فجلا ... كربًا مني وحَلا وحَلا

وقولي:

ما أول بعدك عن كلِفٍ ... بالصدِّ إذا ما أوله

فارحمْه وصلْه فإن له ... بك فرطَ هوًى وله وله

وقولي:

إذا لم يكن يا غصنُ وصلٌ فإنني ... سأقنع بالأوراق منك على كَمَدْ

فقدْ فقدَ الطرفُ القريح منامَه ... وقد وهن القلب الجريح وقَدْ وقَدْ

ولصاحب الترجمة:

أقسمتُ بثغرك إنَّ له ... معنًى يصطاد به المُهَجا

ما شام له فلحاً فلحَا ... فيه أحدٌ فرجًا فرجا

ومن شعر صاحب الترجمة وقد دخل الحمام هو وصديق له، فاتفق أن تولى خدمة الصديق رجل ألحى، فلما أخذ في خدمته، تساقط العرق منها، فقال مرتجلاً:

خُويدم الحمام ذو لحية ... مثالُها في الطول لا يشهرُ

قلنا وقد بَلَّلَنا ماؤها ... ما ذاك إلا عارضٌ ممطرُ

انتهى. نقلته من «طوق الصادح المفصل بجواهر البيان الواضح» للشيخ الفاضل العلامة يوسف بن علي بن الهادي الكوكباني ـ سلمه الله تعالى ـ[1].

❐❐❐

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».




حَرْفُ الحَاءِ المُهْمَلَة

[٨٥٦] السيد حاتم بن أحمد بن موسى الأهدل الحسيني[1].

السيد السند، الشريف الأمجد، المحقق الباهر المبجل، العارف بالله الأكمل، قطب دائرة المشرق، وعماد بيت المجد العالي المشرق، وبحر العرفان الخضم، وصدر المكارم الذي جمع شملها وضَمّ، سالك مسالك الشريعة والحقيقة، ومالك ممالك الفضل الذي أظهر حقه وتحقيقه.

ذو الكرامات الظاهرة، والمقامات السامية الباهرة، الجامع بين الفرع والأصل، والعارف بمواقع الفضل والوصل، المتحلي من حلى الأدب بما أبان تفضيله، والحائز من محاسنه ما تحكم له شواهده بالسبق، وتقضي له إن نثر ماء زهر الربيع، يختال في وشيه الربيع[2]، أو ترسَّل إلى النظم وتوصَّل، فما عقد الثريا يتعرض بعرض أبناء الوشاح المفصل.

رحل إلى كثيرٍ من البلدان؛ لطلب العلوم والعرفان، وأقام مدةً بالحرمين

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٤١) (٢٣٥).

(٢) كذا في الأصل.

الشريفين، ونال خير الدارين، ولما أراد الله تعالى بأهل المخا خيراً، أطلعه في أفقه بدراً منيراً، وقدر له أن توطن هذا الثغر الشهير، وصار له فيه الشأن العظيم الكبير، والشأوى التي تجل عن التعظيم، فزانت به البلاد، وافتخرت به العباد، كما قال بعضهم:

تأهبت بكم أرض المخا وتجملت فالبنـدر المحـروس زهـواً يرفـل
لمـــا طلعـــتَ بأفقـــه مـــتهللاً أمـــسى وبـــاتَ بنـــوره يتهلَّـــلُ

وكان يدخل المخا في أيامه السعيدة، مراكبُ عديدة، من البنادر البعيدة، وكل من حل عليه نظره، تبدلت أحوالُه السيئة المعهودة، بصفاتٍ محمودة، وحكي أنه قال: ولاّني النبي ﷺ هذه البلاد، وهذا القطر.

وقصده الناس من البلاد، من كل ناد، وأذّن بفضله كل مناد، واهتدى به جمٌّ غفير، وتخرج به جمعٌ كثير، منهم: ولي الله بلا نزاع، وأحد الإمامين بالإجماع، السيد محمد بن علي باسعـد، والشيخ نور الدين علي ابن الفقيه عبـد الرحمن الجازاني، والشيخ عبد الوهاب بن فتح الله الهندي، وغيرهم ممن صاروا كالنجوم، يهتدى بهم في المعارف والعلوم.

وقد أفرد ترجمته السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، في كتابٍ سماه: «الدر الباسم من أرض السيد حاتم».

وبالجملة: فكل أحوالـه ﷺ، وأقوالـه وإشاراته وأفعاله، له كراماتٌ ظاهرة، وآياتٌ باهرة.

وحُكي: أن السلطان في بعض السنين جدد السكة، وكان بعض السادة من أهل زبيد، رأس ماله كله من الدراهم القديمة، فتضرر لذلك جداً، وشكا

حاله على[1] السيد حاتم، فدله على بعض الأولياء بزبيد، فذهب إليه، فقال له: السيد حاتم أقدر مني على قضاء حاجتك، ولكن اذهب إلى المكان الفلاني، تجد شخصاً في المسجد، فذهب ووجد الشخص، وقال له: ادخل حتى تجد في المحل الفلاني رجلاً يخرز النعال القديمة، فدخل ووجده كذلك، وعنده إناء فيه ماءٌ متغير الرائحة من النعال التي يخرزها، فجعل الخراز يجر الخرز بقوةٍ؛ لكي يلحقه الرشاش فينفر عنه، فأدخل الرجل يده في الماء المتغير، ورش على نفسه، فعرف الخراز أنه لابدّ له منه، فأخذ الجراب الذي فيه الدراهم، وجلس عليه ساعةً، ثم أعطاه إياه، فإذا هو على السكة الجديدة، ثم قال له: الرجل الذي لقيته بالمسجد هو الخضر ـ عليه السلام ـ، وجعل يقول: فضحوني، ومات بعد ثلاثة أيام ـ نفعنا الله بالجميع ـ.

[٨٥٧] السيد حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن علي الأهدل الحسيني[2].

قد أفرد ترجمته السيد الجليل عبد القادر بن شيخ العيدروس، في كتابٍ سماه: «الزهر الباسم من روض الستاذ حاتم»، وهو مجلدٌ حافلٌ في نحو أربعين كراساً، فمما نقلته منه ملخصاً:

إنه قطب الوجود، وإمام أهل الشهود، والإنسان الكامل، والخير الذي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إلى.

(٢) كرر المصنف رحمه الله تعالى الترجمة، وزاد في أخبار المترجم له.

غـدا للكل شامل، أبـو الأرواح، وشيخ الأشياخ، صاحب المخـا، وأخـو الحاتمي، وسَمِيُّ حليف السخا، وفارس ميدان هذا الشأن، وترجمان الحقيقة بالدليل والبرهان، العارف بغوامض الحقائق، الجامع للطائف أسرار الدقائق، الدال بالقول والفعل على الله، والناصر بسيف الحجة لدين الله، المعرب عن مغيبـات الأسرار، المغرب بلدنيات الأخبار، مظهر الصفات الأزلية، مهبط الرحمات الأبدية.

كان من آيات الله الكبرى، وأعجوبة الزمان الذي بهر الورى، ليس له نظيرٌ في أحواله وأقواله ومقاماته، وكانت له يدٌ طولى في جميع العلوم، لكن غلب عليه علم التصوف، فكان ابنَ عربي في زمانه، وبونيَّ أوانه، بل أبا[1] يزيد عصره، وجنيدَ دهره، لم ير مثل نفسه، ولا رأى الراؤون مثله في كماله وبراعته.

جمع بين علم الشريعة والحقيقة، وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة، وكانت لـه أحوال فاخرة، وكراماتٌ باهرة، ظهرت بركات أنفاسه على خلقٍ كثيرٍ من العصاة، فتابوا وأنابـوا إلى الله تعالى، ووصل به خلقٌ إلى الله ﷻ، وصار له أصحابٌ وأتباعٌ كالنجوم.

وكان ﷺ متضلعـاً من العلوم الظاهـرة، جامعـاً لفنونهـا؛ من تفسيرٍ وحديثٍ، ونحوٍ وأصول، وفقهٍ وآداب، ومعانٍ وبيان، وبديعٍ وشعر، وعلم التعبير، وعلم الطب، وكانت جميع هذه العلوم قد صارت له بها ملكة، فكان لا يراجع كتاباً، ولا يُرى يطالع في كتـاب، وإذا سُئل، أجاب على البديهـة

---

(١) في الأصل: أبو، والصواب ما أثبت.

بما يحير الألباب، وأتى من ذلك بالعجب العجاب، حتى كان جميع الكتب؛ من الحديث والأصول، والفروع والرقائق، على طرف لسانه نقل مسطرة.

وكان بعض أئمة العلوم والمعارف، ممن أفنى عمره في كسب العلوم الدينية والمعارف الربانية يقول: والله! لا ندري من أين هذا الكلام الذي نسمعه من هذا الأستاذ؟ ولا نعلم له أصلاً يؤخذ منه، ولولا أن العلم يسدّ باب النبوة، لاستدلينا بما نسمعه منه على نبوته.

وقال بعض أهل عصره مادحاً له:

إذ ما ذكرنا الأكرمين فإنه	هو الكوثر الفياضُ والعارفُ النَّدِي
ومهما مدحْنا الصالحين فحاتمٌ	به نختم الذكرَ الجميل ونبتدي

وسمعت الأديب أحمد بن رضي الدين القازاني المكي ـ رحمه الله ـ، وكان شاعراً مفلقاً يقول: ما كنت أحسن نظم الموشح والحميني، وغيرهما من أنواع الشعر، حتى لقيت الأستاذ حاتم ـ نفع الله به ـ، فاستفدت منه أشياء في ذلك، وكلامه ـ نفع الله به ـ نظماً ونثراً يدل على كثرة اطلاعه على العلوم، وتبحره فيها، مع ما خصه الله به من جودة الفهم، وحسن الحفظ، وحلاوة العبارة، وحسن الأداء والتقرير، مع كون ما يلقيه من ذلك كله في ألفاظه مخترعة، بالغة في الفصاحة والبلاغة، والجزالة والإيضاح، إلى الغاية التي ليس وراءها ـ مع كون أكثرها أو جميعها مسجعاً مقفًّى، معرباً ـ موضوعاً في محله الذي لا يرى أولى به.

ولم يحفظ له أحدٌ هفوةً من ألفاظه؛ من جهة إعراب أو تصريف، أو تقديم أو تأخير، أو غير ذلك من هفوات الألسنة، في تقرير العلوم.

وقال محمد الدهدار ـ رحمه الله ـ، وكان من أهل العلم والعقل، ولقي كثيراً من الشيوخ: ما رأت عيناي مثل الأستاذ حاتم الأهدل ـ قدس الله روحه ـ؛ فإنه لم يكن له نظيرٌ في التصوف والحقائق.

وحكى الشيخ عبد الوهاب، قال: جاءت إلى الشيخ الكبير، والعلم الشهير، سراج الدين عمر بن عبدالله العيدروس ـ نفع الله به ـ أسئلةٌ في التصوف، فأرسلها إلى الأستاذ حاتم، وكان منفرداً في عصره، بعلم الأسماء والحروف، والتكسير والأعداد، بل وعلم الصناعة، حتى قيل: إنه يعرف الاسم الأعظم، والحجر الكريم.

ومع كون علم الأسماء علماً شريفاً، غامضاً دقيقاً، بل كادت العقول الكاملة أن لا تهتدي إليه، إلا بمحض الكشف، كان الأستاذ لا يفتح لأصحابه باب التعلق به، بل ربما أشار لهم إلى الإعراض عن تعلمه، والتعلق به، وإنما كان يأمرهم بملاحظة أقواله وأحواله وأخلاقه، والاقتداء به في جميعها، نظير ما كان النبي ﷺ يأمر به أصحابه، وذلك لكمال متابعته النبي ﷺ، وعظيم شفقته على أصحابه.

وأما زهده في الدنيا، فيستدل على الزهد في الدنيا، بالزهد في الرياسة، ويستدل على الزهد في الرياسة، بالزهد في الاجتماع، حتى إنّ الوزير الكبير حسن باشا طلب منه أن يقدم عليه، فامتنع من ذلك، ومن زهده: أنه لم يكن له معلوم، ومنه: أنه خرج من الدنيا، وما وضع حجراً على حجر، ولا اتخذ بستاناً، ولا استفتح سبباً من أسباب الدنيا، ولا خلف وراءه رزقاً، مع أن الزهد وصفٌ من أوصاف القلوب.

وأما توكله على الخالق، ورفضه . . .[1].

[٨٥٨] **حسام الدين العشاقي.**

كان من قصبة «عشاق» في بلاد الروم، صحب الشيخ بيكيت باشا مدةً، إلى أن صار من جملة خلفائه، ثم لقي رجلاً شريفاً، ومرشداً كاملاً من السياحين، وكمل عليه الطريقة، وصار مجازاً بالإرشاد، فتوطن بلدة «معنيا»، واشتغل بإرشاد الطالبين، واشتهر اسمه، واعتقده الناس.

ويقال: إن السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان العثماني، لما كان والياً ببلده المذكور، قبل التسلطن، ومعلمه المولى سعد الدين كانا مريدين ومعتقدين له، فلما تسلطن، جاء معهما إلى دار السلطنة، وسكن بها مدةً، ثم حج بإعانة السلطان، ورجع، فلما قرب إلى قسطنطينية، ونزل بمنزل يقال له: محار نال، توفي به، فأتوا بجنازته إليها، ودفن بقاسم باشا، وذلك في سنة اثنتين بعد الألف تقريباً.

[٨٥٩] **حسن بن أحمد ابن الشيخ إبراهيم المصري، المعروف بالكلشني.**

كان من أحفاد الشيخ إبراهيم الكلشني[2].

[٨٦٠] **حسن بن أحمد إبراهيم باشعيب الحضرمي**[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «رفضه» بياضٌ صفحتان».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران ونصف بياض».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٤).

الشيخ الإمام، العالم العامل، الزاهد الموصوف، العابد الذي عُلا فضله معروف، كان قدوة في القول والعمل، وإماماً ينيل من أمّه غاية الأمل، أخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتخرج به، وصحب جماعةً من أكابر العارفين، واشتغل بالعلوم الشرعية، حتى حصل منها طرفاً صالحاً.

وحج، وأخذ بالحرمين الشريفين عن الشيخ أبي بكر الشامي الجبامي، وقرأ عليه في الفقه وغيره، ثم رجع إلى بلده، وانتهت إليه رياسة العلوم والمعارف في بلده، وكان بها كهفاً للوافدين، وأخذ عنه جمعٌ كثير، منهم: الشيخ زين العابدين العيدروس، وأخوه شيخ، وابن أخيه سقاف، والسيد أبو بكر بن أحمد الشلي، والسيد محمد بن علوي، والسيد عبد الرحمن المعلم.

وصنف كتباً مفيدةً، منها: كتاب «سرور السرائر وفسحة الأرواح وراحة القلوب وترويح النفوس والأشباح في سالك أسباب الربح والفلاح»، وهو كتابٌ مفيدٌ جداً، وكتابه «حقيقة زبد لبن الشريعة بحركة محض سلوك الطريقة»، قال: ووسمته بهذا الاسم؛ ليكون اسمه دالاً على مسماه، وعنوانه على مقتضى معناه، وكتاب «عافية الباطن وسلامة الدين والصدق الصحيح بنفي كل مين ورين»، وهو شرح الأبيات التي أولها:

الحمد لله الذي كَوَّنَ الكون ... وقَطُّ لا يشبهه كون

وشرح قصيدة السودي التي أولها:

غريب أمطرت بلادك ... إلى كم سيكون قعادك

سماه: «التعرض للنفحات الفيضية للحضرة القدسية في شرح القصيدة السودية»، و«شرح قصيدة السودي» ـ أيضًا ـ التي مطلعها:

وكان حلو العبارة، لطيف الإشارة، **توفي** ـ رحمه الله ـ سنة ثلاثين بعد الألف، بالعزية الشهيرة بالواسطة، من أعمال حضرموت، وقبره بها معروفٌ يزار.

[٨٦١] حسن أبو البقاء بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي المكي الحنفي[(١)].

شيخنا جامع الفنون العلمية النافعة، والمقدَّم فيها على أقرانه، والحائز قصبَ السبق في حفظ نفائس الفوائد الغريبة الشريفة في زمانه، وممن جمع الله له بين العلم والعمل، والعقل الرصين، ومزيد المعرفة والتمكين، والفصاحة والحفظ العجيب، وقوة الفهم، والاستحضار الغريب، وله القدمُ الراسخة في علوم الحقيقة والتربية، وسلوك الطريقة، ومعرفةٌ جيدةٌ لكلام المحققين؛ كالشيخ الأكبر محيي الدين.

وُلد سنة تسع وأربعين ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف، كذا أخبرني من لفظه، وذكر أنه وجده بخط والده بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وعدةَ متون، وأخذ عن أكابر علمائها؛ كالشيخ زين العابدين الطبري، وعلي بن الجمال، وعبدالله ابن سعيد باقشير، والسيد صادق، وحنيف الدين المرشدي، وحافظ العصر محمد البابلي.

وأخذ بالمدينة عن سلطان العارفين في زمانه، وختمِ عصرِه وأوانه،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٤٤٣) (٨٥١)، «هدية العارفين» (١/ ٢٩٤)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٨٨٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٥).

أحمدَ القشاشي، وتلقن منـه الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه علوماً جمةً، ورباه وأحسن تربيته، وأخذ عن جمـعٍ من الوافدين إلى مكة، منهم: الشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي المالكي، لازمه كثيراً، وبه تخرج.

ومنهم: محمد بن محمـد العيثاوي الدمشقي، وعبد القادر بن أحمد الغصين الغزي، ومحمد بن محمـد بن أبي بكر الدلائي المغربي، وعبدالله العياشي المغربي، وأجازه جل شيوخه.

وكتب إليه بالإجازة غالبُ مشايخ الأقطـار الإسلاميـة؛ كالشيخ أحمد العجيل اليمني، وهو من المعمّرين، وشيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وعبد القادر الصفوري الدمشقي، والسيد محمد بن كمال الدين نقيب الأشراف بدمشق، وعالم المغرب عبد القادر بن محمد الفاسي.

وشيوخـه الـذين أخـذ عنهم، وأجازوه كثيـرون، لا يحصرهم عَـدّ، ولا يحيط بهم حَدّ، وله اعتناءٌ تامٌّ بأسانيد الشيوخ الأعلام، وجلس للتدريس في جميع العلوم بالمسجد الحرام، وانتفع بـه جماعـةٌ من الفضلاء العظام؛ كالشيخ الفاضل علي المـزجـاجي، وسليمان حنون، وتاج الدين الدهـان، الحنفييـن المكيين، والشيـخ الفـاضل أحمـد بن محمـد بن علي المـدرس المدني، وغيرهم.

قرأت عليه ـ حفظه الله ـ كثيراً، وانتفعت به، واستفدت منه أشياء كثيرةً، لم أستفدها من أحـدٍ من المكيين، ومما قرأته عليه: طرفٌ من «إحياء علوم الدين» للغزالي، ومن «قوت القلوب» مدونـة التصوف لأبي طالب المكي، وجميع «الأمر المحكم المربوط فيما يلزم طالبي طريق الله من الشروط» للشيخ

الأكبر، وطرفاً من «موطأ مالك»، وجميع «شرح إيساغوجي» لشيخ الإسلام، وغالب شرحه للمحقق الشمس الفناري، وجملةً كافيةً من «الشرح المختصر على تلخيص المفتاح» للسعد التفتازاني، وغير ذلك مما يطول ذكره، وأجازني بمروياته، بإجازةٍ كتبها لي بخطه الشريف ـ سلمه الله ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ ظهر يوم الجمعة، ثالث شوال، سنة ألف ومئة وثلاث عشرة بالطائف، ودفن بقرب تربة ابن عباس رضي الله عنهما.

[٨٦٢] حسن البدوي المحلي البصير.

الشيخ الإمام العالم الكبير، والقطب العارف الشهير، المجمَع على ولايته، وفضله وجلالته، وتمييزه بالكرامات الكثيرة الخارقة على أقرانه، من أهل زمانه، حتى قال تلميذه العلامة علي المحلي: لو جُمعت كراماته، لكانت مجلداً ضخماً.

اشتغل في بدايته بالعلم، وأخذ عن النور الزيادي، وغيره من علماء وقته، ولازم الشيخ العارف بالله عز الدين السمنودي، وأخذ عنه الطريق، وانتفع به، وكان الشيخ يحبه، ويشير إليه كثيراً، ويقول في حقه: لم يقع لنا إلا ذلفوط، وهو باصطلاح أهل مصر نوع من السمك يقال له: القرموط.

أخبرني به شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي، ثم اشتهر حاله، وظهرت بركاته، وكان ملازماً لتلاوة القرآن آناء الليل، وأطراف النهار، مواظباً للجماعة، متقيداً بالأوراد والأذكار، وأخذ عنه العلم كثير من أكابر شيوخ العصر، وانتفعوا به، ومنهم: شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي، لازمه مدةً مديدة، وكان في ابتداء طلبه عليه يمس بدنه، ويقول له: يا أحمد!

أضلاعك ملآنـة من العلم، وقـد حقق الله لشيخنا ذلك ببركاتـه، وهـذا من كراماته.

ومنها: ما أخبرني به صاحبنا الفاضل محمـد النبلاوي الدمياطي: أن رجلاً كان له ولدٌ ليس له غيره، فمرض مرضاً شديداً، أشرف فيه على الموت، فأتى إليه، وقال: يا سيدي! إن ولدي في غايـة المرض، وأنا واقعٌ عليك، فتوسَّلْ إلى الله أن يعافيه، فقال له: هات خمسة قروش، فتوقف الرجل عن دفعها له، فقال له: ما يرضيك هذا العبد يكون فداه، وثمنه خمسون قرشاً؟ وكان عبدٌ للشيخ ـ نفع الله به ـ واقفاً بين يديه، فدفعها له، فقال الشيخ للعبد: اذهب للبيت نام، فلما وصل للبيت، نام، فمرض فمات، وعوفي الولد.

ومنها: أن رجلاً كان له ولدٌ، ففقد أربع سنين، وهو لا يعلم لـه خبراً ولا أثراً، فأتى والده إليه، وقال: يا سيدي! إن ولدي فقـد منذ أربع سنين، وأخبره بخبره، فقال له: قم افعل لنا بسيسة، وتجتمع بولدك في هذا اليوم، وكان الشيخ محمود القباني تلميذه من أكابر العلماء حاضراً، فخطر له في سره أن قال: إن هذه مجازفةٌ من الشيخ، في قوله: تجتمع بولدك في هذا اليوم.

فذهب الرجل، وأتى بالسبيسة، وقدمها للشيخ، فنادى الشيخ الجماعة الحاضرين يأكلوا معه، وقال للشيخ محمود: إن أكلت منها، مرضت سنةً، فما تجرأ أن يأكل؛ لعلمه بحاله، وعرف أن الشيخ اطلع على سره، فلما فرغ هو والجماعة من الأكل، قال لوالده: اذهب إلى مسجد الطريني الكبير، وهو مسجد في بلدة المحلة، كان غالب جلوس الشيخ ـ نفع الله به ـ فيه، تجد ولدك ببابه، فذهب الرجل كما أمره الشيخ، فوجده كما قال ـ نفع الله به ـ، فحصل

لوالده دهشة لما رآه من الفرح والسرور الذي حصل لـه، وقال لـه: من أين جئت؟ فقال: ما شعرت بنفسي إلا هنا، وكان في بلد أخرى، ثم أخبره بخبره.

ومنها: أن الشيخ العلامـة محمد الشبيتي الدمياطي أخبره: أن والدته محتضرةً للموت، وكانت في نفس الأمر كذلك، فقال له: هات نصف قرش، واذهب للبيت تجدها تتغدى، فأعطاه إياه، وذهب فوجدها جالسةً تأكل، وقد أفاقت.

وكان من خبره ـ نفع الله به ـ مع الشيخ عز الدين: أنه كان جالساً عنده مع جماعةٍ من تلامذته كثيرين، فدخل عليهم رجلٌ مجذوب، فبمجرد دخوله عليهم، ونظرهم إليه، بال جميع من بمجلس الشيخ دماً، فذكروا ذلك للشيخ، فأطرق رأسه، وظهر عليه الغضب والتغير، فما كانت لحظةٌ إلا والمجذوب يصيح بأعلى صوته وهـو خارجٌ: قتلني عز الدين، قتلني عز الدين، ويكرر ذلك، حتى وصل إلى مكانه، فمات بمجرد وصوله إليه.

وصحب الشيخ العارف بالله عبدالله الخلفي السمنودي، وكان بينه وبينه مودةٌ أكيـدة، وكان دائماً يهـدي لـه عسل النحل، ويقول الشيخ حسن: إني ما أكلت قـط أحسنَ من عسل الشيخ عبدالله، وكان الشيخ عبدالله من أكابر الأولياء.

أخبرني شيخنا أحمد البشبيشي ـ حفظه الله تعالى ـ: أنه كان بينه وبين والده مودةٌ كبيرةٌ، فاتفق أن الشيخ أتى ليلةً، ونام عندهم، فقال له: يا شيخ عبدالله! قم بنا نشرف على الجُـرن، وكان لـه جرن فول؛ فإن مرادنا نكيله، وكان عادته يأتي دائماً معهم نحو أربعين إردباً، فلما جلس يكيله، جلس الشيخ عبدالله على الجرن، وكان معـه رجلٌ آخر، فبلغ نحـو مئـة وعشرين إردباً،

فتعجبوا من ذلك، وقالوا للشيخ عبدالله: بركته يا شيخ عبدالله، فقام حينئذٍ، وعرفوا أنها من كراماته ـ نفع الله به ـ.

ومنها: . . .[1].

[٨٦٣] حسن بن أحمد بن إلياس بن أبي سعيد المكناسي المالكي[2].

مولده بمكناسة الزيتون، سنة اثنتين وخمسين وألف، قرأ على محمد ابن أحمد الفاسي، نزيل مكناس، وحضر دروس سيدي عبد القادر الفاسي وكثيرين، وقدم مصر سنة أربع وسبعين وألف، وحج، واجتمع على سيدنا السيد عبد الرحمن المكناسي، وحضر دروس شيخنا علي الشبراملسي، ومنصور الطوخي، وأحمد البشبيشي، ويحيى الشاوي، قرأ عليه غالب كتاب «التسهيل».

وله «منظومةٌ لطيفةٌ في العقائد» وقفت على كثيرٍ منها، وهو من أعز خلاني وأحبابي، وممن اختصصت به أيام شبابي، وكان فاضلاً نحريراً، له مهارةٌ في علم الكلام والأصول والعربية، ومشاركةٌ في العلوم كلية، وكان يحفظ كتب الإمام السنوسي، ويستحضر غالبها، ويحفظ «منظومة ابن ذكرى» في علم الكلام، ويستشهد بها في مجالسه الكلامية، وكان حسن الخط، بقاعدة المغاربة جيدة؛ بحيث يضرب بخطه المثل في الحسن.

وكان يغلب عليه السوداء والخمول، وأقام مدةً بمصر، بخلوة بالظاهرية، التي بين القصرين، لا يشرئب إلى الدنيا وزينتها، ولا يعبأ بما تُلهى به السلالة

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٢) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٩).

من طينتهـا، وكان عفيفـاً فقيراً، لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي البحث، لا يكاد أحد يجاريه في بحث.

وكان يبحث على قواعد الجدليين، مع شدة الحلم، وعدم الغضب، ولو استغضب، مع شدة حدته، وطالما تمتعت بخطابه، واكتسبت من آدابه، وكان ـ رحمـه الله تعالى ـ لا يفارقني، في غالـب الأيام، حتى توجهت إلى بلد الله الحرام، ويلغني انتقاله إلى رحمة الله ورضوانه بالقاهرة غريباً، في شهر ربيع الثاني، سنة إحدى ومئة وألف، فشق ذلك عليّ، وهذا مصير كل حَيٍّ.

[٨٦٤] السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال.

كان مبرزاً في الفنون على أنواعها، وهو من أهل بيتٍ كبيـر، ومنهم: العلامة صلاح بن الجلال، صاحب «تكملة الشفـا»، ومن مؤلفـات السيـد الحسن شرحٌ على «الفصول» سماه: «نظام الفصول»، وشرحٌ على «الأزهار» سماه: «ضوء النهار»، و«شرح تهذيـب المنطق»، وهـو أحظاهـا، و«شرح الحاجبية»، و«شرح مختصر المنتهى»، و«شرح شرح مقدمة البحر»، وحاشيةٌ على «الكشاف» سماها: «منح الألطاف».

[٨٦٥] القـاضي الحسـن بن أحمـد بن صالح اليـوسفي الجمـالي، المعروف بالحَيْمي[١].

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢٩) (٢٣١)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٩١) (١٥٤)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥٥٦) (٥١)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨٢).

قال ابن أبي الرجال: كان من علية أبناء الزمان، وحيداً في صفات الفضل، منقطع القرين في كل فضيلة، يعد في الحكام، بل هو الحري بقول أبي الطيب:

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عنّ له رأيٌ يفرق بين الماء واللبنِ

وهو من العلماء الجلَّة، محقق في الفقه والعربية، وله إشراف على أيام العرب كليٌّ وعلى الأمثال، حتى كان يأتي على أمثال «المستقصى» غيباً، وكان عالماً بالحديث، وكان من أعيان أصحاب المؤيد بالله محمد بن أبي القاسم، وجعله سفيراً إليه إلى السيد أحمد بن الحسن أيام نفوذه إلى جهة يافع، فأحسن القاضي السفارة، وحمد أثره، وانتظمت به الأمور.

وأما الإمام المتوكل على الله، فكان القاضي أحد أساطين الدولة من الكفاة، والناهضين في الوزارة والمشورة، وهو السابق في هذا المضمار، وهو من أبرع الكتاب في حضرته، وله مع ذلك ولايات وأمور منوطة به نحو أقاليم الحَيْمة، وكانت أعمال كوكبان تصدر وتورد عن رأيه.

ومع هذه الكلف، كان صدره أوسع من الدهنا، وعظائم الأمور لا تغير له ذهناً، لأصحابه منه الحظ الأوفر من الأدبيات، والملاطفات الإخوانيات، والتدريس في العلوم على أكمل وجه، وكان مظهره مظهر أمير، وقلبه قلب مسكين خاشع فقير، ولا ينبئك مثل خبير، وله في النظم يد طولى، وسابقة أولى، وبالجملة: فما من فضيلة يحتاج أهلها إلى شيوخها عند مهماتهم إلا وهو في ذلك بغية الطالب.

ووجَّهه الإمام المتوكل على الله إلى جهة حضرموت لما اتفقت الفرقة

بين السلاطين إلى كثير منهم ممن تخلف على رسوم رسمت عليه، فقدمه الإمام يفتقد معالم من هو قدم الصدق من السلاطين، ومن نكث، لمن السداد منهم، ويزيل المناكر، ويظهر من المعالم، ويقرر من القضاة من رضيه، ففعل، وكان فتحاً مبيناً، ومقدمة لنزول الجنود المتوكلية تحت لواء السيد أحمد بن الحسن بن القاسم.

ووجهه الإمام ـ أيضاً ـ إلى مدينة «دنبيا» من أعمال الحبشة إلى سلطانها سَجَّد، وذلك أن السلطان أرسل مراسلة أطمع في نفسه، وأفهم أنه قابل للحق، فسارع الإمام إلى إرساله، فتوجه من بندر المخا نصف شعبان سنة سبع وخمسين وألف، ونفذه في طائفة من المسلمين نحو خمسين رجلاً، ثم توجه، فلبث في الطريق مدة مجموعها من وقت شخوصه إلى دخوله محل السلطان تسعة أشهر.

ولقي في الطريق أهوالاً جساماً ولكن الله سبحانه تولاه بحياطته، ولما وصل إلى السلطان، كان ذلك اليوم يوم عيد النصارى، فتقدم القاضي، وكان قد أظهر السلطان بشارته وأبهته، وجميع أمراء دولته وكبار مملكته، فدخل القاضي لا بساً شعار الإسلام من الثياب البيض، وكان معه من الفقهاء جماعة، فعظم وصوله، وكان السلطان. . .[1] مريد ما فهموه، إنما قصده مراسلة الملوك، وأنه يرسل للإمام طالباً إصلاح طريق من أطراف الحبشة مما يسامت «المخا» إلى «دنبيا».

فلما استقر القاضي، أراد السلطان أن يخلع عليه، فوجه إليه بخلعة من

---

(١) بياضٌ في الأصل قدر كلمة.

الحرير الخالص، وسوارين من الذهب الخالص، فقال القاضي: هذا لا يحل في شريعتنا، وإنا ـ ولله الحمد ـ من حملة العلم المحمدي، فما أخالف، وقد كان النصارى أغضبوا قبل هذا على عالم لهم يسمى: الأيون بلسانهم، وكل عالم يكون بذلك المنصب يسمونـه: الأيون، فعابـوا عليه أشياء، ففعلوا به أموراً شنيعة، فقال لهم القاضي لما لم يرضوا عنه: ألستم عبتم على الأيون مخالفـة الشريعـة العيسويـة؟ قالوا: نعم، قال: وهـذه إن فعلتهـا في الملة المحمدية هفوة أخاف أن لا أجد الإقالة فيها.

فسأل السلطان رجلاً سيداً بخارياً عن هذا الأمر، فقال: الأمر كما قال القاضي، هو محرم في شريعة محمد ﷺ، فقال لـه السلطان: ما بالك أنت تلبس الحرير؟ فقال: أما أنا، فوجدتكم على هذه الحالة، فتركت ديني، فأعفاه السلطان عن لبس ذلك حينئـذ، ولكن بعد هذا تلقى القاضي هدية السلطان بالقبول، وجعله موئلاً لأولاده وبناته، واستطاب ذلك السلطان، منه وصار مجللاً معظماً.

ثم إن القاضي طلب السلطان في إيابه إلى الديار الإسلامية، فتثاقل عنه، فتوسل بوزير من الوزراء، قال القاضي: هو أعقل من رأيت منهم، فقال: في غد نجمعك بالسلطان، وتستأذنه في السفر، فأذن له، فأخذ الوزير في أهبة توجيه القاضي، فوجهه بعد مدة، وكان مجموع إقامته عند السلطان نحو ثلاث سنين، ووجه معه السلطان وزيراً لضيافته، ووصل القاضي إلى «شهارة»، فلقيه الإمام بالطبول، وعظمه كثيراً.

ثم لم يزل في الحضرة المتوكلية تارة، وفي منزلـه «شبـام» لمهمـات لا يقـوم بها غيره، وقد صنف مؤلفاً مشتملاً على أحوال هذه الرحلة، وفيها

عجائب وغرائب، ومن أعجب ما أكتبه هنا: ما أخبرني به الثقة: أن في إقليم الحبشة سحائب تمطر النار، ليس لها وابل غير النار، فتقع على البلد فتهلكه، وسحائبها معروفة، وهي لاتزال على ذلك، ولا تستغرب أهل الحبشة أمرها.

ومن شعره أيام إقامته هنالك:

على كلِّ سعيٍ في الصلاح ثوابُ ... وكلُّ اجتهاد في الرشاد صوابُ
وليس على الإنسان إذ ذاك عابةٌ ... ودون مداها للعيون حجابُ
ولو علم الساعون غايةَ أمرهم ... لما كان شخصٌ بالشرور يصابُ
فقل لأمير المؤمنين لقد دعا ... وحُقَّ له بعد الدعاء يجابُ
ولكن دعا قلب يظنون أنهم ... رموا غرضاً في دينهم فأصابوا
تراءى لهم لمعٌ فهم يحسبونه[1] ... شراباً فأضحى ذاك وهو سرابُ
يقولون إن الله جل جلاله ... هو الروح عيسى إن ذا لعجابُ
وحسّاً وقالوا بالأقانيم فريةً ... فيحصرها ضبطٌ لهم وحسابُ
وقالوا هي الربُّ الثلاثةُ كلُّها ... بذالك[2] أفتتْ فرقةٌ وأجابوا
ولكن يقولون الثلاثةُ واحدٌ ... وهُوَّ لتكميل الإلهِ نصابُ
وهذا ضلالٌ بينٌ وجهالة ... تَفَطَّرُ منه الصمُّ وهي صلابُ
عَذيريَ من دينٍ خسيسٍ فما لهُ ... نكالٌ وخزيٌ دائمٌ وعذابُ
لقد ضاق ذَرْعي [في] احتباسي بأرضهم ... وكُدِّرَ مني مطعمٌ وشرابُ

---

(١) في الأصل: يحسبون، ولا يستقيم معه الوزن.

(٢) في الأصل: بذاك، ولا يستقيم معه الوزن.

وحبّ أوطاني إليّ بأن لي … بها جيرةً طاب الزمانُ وطابوا

وللعدلِ والتوحيدِ فيها مسارحٌ … وربع منيعٌ شامخٌ وجنابُ

فهل لي إلى تلك المنازلِ عودةٌ … وهل لي إليها مرجعٌ ومآبُ

وهل أرِدَنْ للشرع موردَه الذي … يدلُّ عليه سنةٌ وكتابُ

وهل أسمعَنْ صوت المنادي بجمعةٍ … ينادي بأعلى صوته فيُجابُ

وهل أنظرُ الدارَ التي ضُربت لها … مدارسُ علمٍ حولها وقبابُ

فإن لم تكنْ يا دهر عتبي فطالما … عتبتُ فلم ينفع لديك عتابُ

ولكنني أقفو مقالة شاعر … فالقول[1] حكمٌ بالغٌ ولبابُ

إلى الله أشكو أنني في منازل … تَحَكَّمُ في آسادِهِنَّ كلابُ

تمرُّ[2] الليالي ليس للنفع موضعٌ … لدي ولا للمُعْتَفينَ جنابُ

أرى الكفرَ مقشوعَ القناع وأهله … يظنون خيراً فخاب وخابوا[3]

فشمِّرْ أميرَ المؤمنين لحربهمْ … فهم بعد البيدا وأنتَ عقابُ

وأنت سليلُ القاسم القائم الذي … رمت شُهْبُهُ أهلَ الضلال فغابوا

إذا طلعتْ منهم طلائعُ ماردٍ … تلقاه من تلك الرجومِ شهابُ

ونادِ بني المنصور من آل قاسمٍ … تجدْهم لثوب الحرب ليس تهابُ

وقل يا بني الهادي أجيبوا إمامكم … يجيبُ شيوخٌ منهمُ وشبابُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ففي القول.

(٢) في الأصل: ثم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يَطنون خيراً فيه خاب وخابوا.

يفـــادون بـــالأرواح دون إمـــامهم ... ويـصدقُ طعـنٌ مـنهمُ وضِـــرابُ
ونـــادِ بأبنـــاء المكـــرَّمِ حمـــزةٍ ... تجئْـك سـيوفٌ مـنهمُ وحـرابُ
إذا صَـبَّحَ الأعـداءَ مـنهم سـريةٌ ... تصب منهمُ جيشاً ولـيس تـصابُ
ولا تـنس أشـرافَ القواسـمِ إنهـم ... أسـودٌ لـديها صـولةٌ ووِثـابُ
هـم الـسمُّ للأعـدا يـرون قتـالهم ... يسيراً فإن[1] قالوا الحرابُ صعابُ
ونادِ بني الحـور الكـرام بأسرِهـم ... لتُجلِـبَ خيـلٌ مـنهمُ وركـابُ
هم القوم كـلُّ القـوم يـا أمَّ مالـكٍ ... على الحرب شَبَّ الأصغرون وشابوا
ومن كان مـن آل الحـسين فـإنهم ... هم العِلب يومـاً كـان فيـه عِـلابُ
أولئـك أبنـاء الـشهيد الـذي بـه ... أصـبناكم غـم القلـوب مـصابُ
ومن بعدِ هذا نادِ من كـان يقتـدي ... يريـد إمامـاً حبـذاك صـحابُ
فهـم نِعْـمَ أشـياعٌ لآل محمـدٍ ... ونعـمَ رجـالُ النائبـات حـسابُ
إذا أقبلت يومـاً طوائـفُ جمعِهـم ... تـضيقُ لهـم عـن شَـطِّهن رحـابُ
فحـسبُك بعـد الله مَـنْ قـد ذكرتُـه ... وتُمطـر بالنـصر العزيـز سـحابُ
ولا تـسمعَنْ قـولَ العـذولِ فربمـا ... يـشير بقـولٍ بـالخمول يُـشابُ
يقـولُ بـلادُ الكـافرين بعيـدةٌ ... وقد حالَ مـن دون البعيـدِ عُبـابُ
وكـلُّ مـشيرٍ لا يـرى غيـرَ ظنـه ... ولـيس علـى مـا يقتـضيه تعـابُ
ورأيُ الذي قد شاهدَ الحالَ راجحٌ ... على رأي من لم يـشهدوه وغـابوا
ولله علـمٌ سـابق فـي أمورنـا ... فمـا كـان فيـه لـيس عنـه ذهـابُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وإن.

فيـا ربِّ وَفِّقْنـا وأَيِّـدْ إمامَنـا ... فأنـت لكـلٍّ فـي الأمـور مَثـابُ

وصلِّ على المختار والآلِ ما جرى ... على كلِّ حال في الزمـان خطـاب

وأصحابِـه الغُرِّ الذين مـشوا علـى ... مناهجـه فيمـا يـدين وحـابوا

وله من قصيدة:

مـن لقلـبٍ وطـرفٍ مـا هجـع ... ولـصَبٌّ لـم يـزل حلـفَ الوجـعْ

ومنها:

يـا بنـي المنـصور أنـتم عـصبةٌ ... أُسْـدُ حـربٍ لـيس يثْنيهـا الجـزَعْ

فانصروا الـداعيَ مـنكم واذكـروا ... حـربَ بـدرٍ ثـم ردّوهـا خـدَعْ

فالـذي قـام بـه والـدُكم ... وجبـال الكفـر فيهـا قـد صـدَعْ

والفتـى إن يَتَّبِـعْ والـدَه ... فهـو شـيءٌ لـم يكـن بالمبتـدَع

توفي في ذي الحجة، عام أحد وسبعين وألـف، ببلده «شبام»، ورثاه كثيرٌ بقصائد طنانة، منهم: القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ذكرها في «تاريخه».

[٨٦٦] السيد الحسن بن أحمد الجلال اليمني[١].

الإمام العلامة الذي بهر بتحقيقه، واعترف الفضلاء لتدقيقه، له المؤلفات

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٧)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٨٧) (١٥٢)، «البدر الطالع» (١/ ١٩١)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨٢).

الشهيرة، والمحاسن السائرة المنيرة، وهو أحد شيوخ شيخنا الحسين بن الناصر، وبينه وبينه مراجعاتٌ في علومٍ كثيرة، أحسن من النجوم السوائر، وأشرق من الشموس الزواهر.

ومن مصنفاته: تكملة الكشف على الكشاف، سماها: «منح الألطاف»، و«شرحٌ على التهذيب» و«على الشمسية»، وشرحٌ على الفصول في علم الأصول، للسيد إبراهيم بن الوزير، سماه: «نظام الفصول»، و«شرحٌ على الكافية» في النحو، و«شرحٌ على منتهى السول لابن الحاجب»، وله «مختصر في علم الأصول» شرحه شرحاً يدل على فضله، واختار اختياراتٍ كثيرةً مخالفةً لعلماء الأصول، وشرح على الأزهار سماه: «ضوء النهار»، و«شرح تهذيب المنطق»، وهو أحظاها، و«شرحٌ على الحاجبية»، و«شرح مختصر المنتهى»، و«شرح مقدمة البحر»، و«حاشيةٌ على الكشاف».

وله شعرٌ طيب النفس، في فنونٍ كثيرة، ومن شعره القصيدة البائية، وله عليها شرحٌ مبينٌ لمقاصدها، سماه: «نبض الشعاع الكاشف القناع عن أركان الابتداع»، وأولها:

العلمُ علمُ محمدٍ وصِحابِه ... يا هائماً بقياسه وكتابِهِ
ولآلِه منه الخلاصةُ كلُّها ... إرثًا تُنوسِخ عن هدى أصلابِهِ
علموا بمُحْكم كلَّ آيِ كتابِهم ... فجَنَوْا به الإيمانَ بالمتشابهِ
آصرهم(١) والعلمُ كلُّ فنونِه ... للهِ غيثُهم بآمَنَّا بِهِ

---

(١) كذا في الأصل.

بلـغ الوقـوف علـى طريقتـه بهـم ... عـينَ اليقـين فأسـكروا بـشرابـِهِ

رأوا[1] حقيقـةَ أمـرِ آمـرِهم بـه ... فتجـاهلوا ذلاً لعــزِّ جنابـِـهِ

وتجنَّبـوا فـي الـدين داءَ جـدالهم ... حذراً لمـا علمـوه مـن أوصابـِـهِ

وتبـادروا الأعمـالَ حـين تيقَّنـوا ... أن النفـيس أهــمُّ مـا يُعنـى بـِهِ

إن أبهـمَ القـرآنُ حكمًـا أَبهمـوا ... حــذَر ابتــداعٍ خُوّفـوا بعقابـِـهِ

وبَقُوا على حكم الأصول لعقـدِه ... وكـذاك مـا يجـري علـى آدابـِـهِ

قد كان لا أدري لهم فـي علمهـم ... ثُلُثيـه إذ كانـت عمـودَ نـصابـِهِ

بل آثروا حُبَّ الكتـاب لهـم علـى ... تـركِ الـسؤال تخوفًـا لمـآ بـِـهِ

فـالمرءُ يلـزم غيـر حكـم نفـسه ... فيعــود حكمًــا لاصــقًا بثيابـه

قــد أبــدع الرهبــانُ رهبانيــةً ... بـاؤوا بـشؤم بـديعها ومـصابه

وأبو حنيفة إذ رأى الإيجـاب فـي ... نفـل فباشـر مـن هنـا أفتـى بـه

تـاللهِ مـا عجـزوا ولا مـن دونهـم ... أن يكتبــوا إلا لكتــب خطابــه

أو يدَعوا نقصَ النصوص ليحبطوا ... فـي كـل وسـواس أتـى بعجابـه

فيفرقــوا دينًــا لأمــة أحمــدٍ ... كمذاهب اتـسعْت علـى إذهابـِـهِ

ومنها:

وعن الحديث نهى العتيق وحمله ... كتبـا محرّمهـا حـذارَ كذابـِـهِ

وعـن ابـنِ مـسعودٍ مقـالٌ مقـسطٌ ... ويطولُ بسط القول مـن أضرابـِـهِ

---

(1) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فرأوا.

بالاجتهاد قضوا ولكنْ رخصة لمكلَّفٍ يدريه عن أسبابه

وهي طويلةٌ، **يقول في آخرها:**

يا راكبًا يهوي لقبر محمدٍ عَرِّجْ به مستمسكًا بترابه

واقْرَ السلامَ عليه من صَبٌّ به تبلغْ ألذَّ القدسِ في محرابه

وقلِ ابنُك الحسنُ الجلال مجانبٌ من قد غلا في الدين من تلعابِهِ

لا عاجزًا عن مثل أقوالِ الورى أو خائفًا في علمهم لصعابِهِ

بالمشكلاتِ شواهدٌ في أنني أشرقْتُ كلَّ مدقِقٍ بلُعابِهِ

لولا محبةُ قدوتي لمحمد زاحمتُ سرطاليسَ في أبوابِهِ

يا سيدَ الرسلِ الكرام دعاء من أودى به الهجرانُ من أحبابه

ومنها:

ولك الشفاعةُ والكرامةُ عنده فاشفعْ فجاهُك ما له من جابِهِ

سلْ لي وراثةَ كنزِ علمِكَ فالغنى يُبغى نفيسُ الكنز في أعقابِهِ

وقد انفردتُ عن الرجال ومؤنسي قربٌ إليه أعودُ حِلْسَ فنائه[1]

ومن نظمه:

رفعت عمامتي فرأت برأسي شيباً اشتعلا

فراحت بعدُ تُنكرني فقلتُ لها أنا ابنُ جلا

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: قبابه.

ومن نظمه:

قـالوا بلغـتَ مـن العلـوم مبالغًـا ... قصرَتْ خُطا العلماء عن إدراكِهـا

لـو كـان فيـكَ سـلامةٌ مـن حِـدَّةٍ ... عينُ الكمالِ رمتك عـن أشـراكها

فأجبتُهم موسـى أحـدٌ وقـد سـما ... فوق السِّماك وعُـدَّ مـن أملاكهـا

وكانت **وفاته** ـ قدس الله روحه ـ في منزله بالجراف، من أعمال صنعاء، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين وألف.

[٨٦٧] الحسن بن أحمد الحيمي اليمني[١].

فائق أقرانه، وسابق ميدانه، وأحد أعيان الأفاضل، الذين بدا سنا الإقبال في سيماهم، وأعرب مبتدأ عمرهم عن منتهاهم، وممن غدا نجمُ نجابته سابقاً لائحاً، وراح مسك شذا رشده متعبقاً فائحاً، وطبعه في صياغة الشعر آية، إذا رآه اللبيب يقضي له بأنه آية.

كان ـ فيما أخبرني به تلميذه سيدنا العلامة صالح بن المهدي المقبلي ـ إماماً في الفقه، له مشاركةٌ تامةٌ في غيره من العلوم، صاحب تدبير وسياسة، ومعرفة بالأمور المهمة، معظماً عند الدولة، مشاراً إليه، ولذلك أرسله الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم رسولاً إلى الحبشة، في أغراضٍ مهمة، قُضيت بنظره على أحسن حال، وهو والد سيدنا القاضي محمد المتقدم ذكره، ويحيى الآتي ذكره.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢٩) (٢٣١)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٩١) (١٥٤)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٩)، «خلاصة الأثر».

ومن شعره قوله:

فؤادٌ على هجرِ الأحبةِ لا يقوى وكيف وربعُ العامرية قد أقوى

وصبرٌ ولكن غاله الهجر والنوى فلا نفعَ للمهجور فيه ولا جدوى

ولكنني قد ذُبتُ في الوصل بالرجا وكمْ ذي لبانات تمتعَ بالرجوى

فيا أيها الخِلُّ الذي أنا صَبُّه عليكَ بآداب الحديث الذي يُروى

ومُنَّ علينا بالرسائل إنني رأيتُ حديثَ المنّ أحلى من السلوى[1]

[٨٦٨] السيد الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[2].

كان آيةً من آيات الله في كل خصلة، أما الفقه، فكان يعرفه أحسن المعرفة، وأما النحو، فكان فيه بارعاً، وأما بقية العلوم، فكان فيها مذاكراً أحسن المذاكرة، وكان في مظهر ملكٍ عظيم الشان، واسع الجنود، ما عرف الناس حواشي أصحابه، فضلاً عنه، فإنه كان يركب معه من الكبراء جمعٌ غفير.

وناهيك بما استأصله من أعيان الدولة الرومية؛ كحيدر باشا، بعد أن كان استعجل أمره، وعرف اليمن معرفة أهله، وأطاعه غالبهم، ثم عابدين باشا، ثم كانت الطامة الكبرى على قانصوه باشا، الذي عسف ما دخله من البلاد، ولا أظن أن يقوم في وجهه أحد، ونفذ إلى اليمن بجنودٍ لا يعلمها إلا

---

(١) جاء في الحاشية: «مكررةٌ، فيها ما لم يكن في المتقدمة».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٤٣) (١٩٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١١).

الله سبحانه، فشتت شمله، وفرق جمعه، ورجع بعد هذا إليه خاضعاً، ليبلغه مأمنه، ففعل ذلك، وكان آخر من وصل من أمراء الروم إلى اليمن.

واشتغل المترجم باليمن، واختط الجبل المسمى بـ: «ضوران» ـ بضاد معجمةٍ مضمومة ـ، فبنى به الحصن المشيَّد، المسمى: حصن الدامغ، تم في حدود سنة أربعين وألف، وعاش بعد فتحه مدةً، وأحيا أرضه وأوديته، وعمارة جوامعه وحماماته، وبنى الدور الواسعة، وصار مدينةً يضاهي صنعاء، وأجرى الله الأنهار فيها، حتى صارت روضةً من الرياض، وفيها السعة الكلية، وأما الطرق، فإنه فعل نحو عشرين نقيلاً مدرجةً إلى جهات، والمزارع يقال: إن المثمر من البن عند موته، مئة ألف غرسة.

وفي هذه السنين، غزا جيوش تهامة، وفيها بقية الأروام، وأخذ منهم زبيد، والمخا، وحيس، وبيت الفقيه الزيدية، وبيت الفقيه ابن عجيل، واللحية، والحديدة، وموشيح، والصليف، وموزع، فضلاً عن جزائر البحر؛ نحو: كمران، ومواضع عظيمةً في البحر، هي تبع لهذه المذكورات، وهذا كافٍ في معرفة حاله، وكان همّ بغزو البلاد القاصية، إلا أنه فاجأه الأجل.

مولده بعد صلاة عشاء ليلة الاثنين، غرة شهر رمضان، سنة ست وتسعين وتسع مئة، ووفاته أول المغرب من ليلة الأحد، ثالث شوال، عام ثمانية وأربعين وألف، بمرض ذات الجنب، ودفن بالحصين، أسفل ضوران، وبني عليه قبة عظيمة إلى جانب مسجده الذي أسسه وأتمه ولده محمد، وأجرى المياه هنالك إليه، وكان مرضه نحو ثمانية أيام، وحصل بموته التعب العظيم، والأسف العميم؛ لعموم نفعه، ورياسته وشجاعته، وحسن أخلاقه.

حتى إنه لما انتصر على الأروام في زبيد، كان يغريه المجالسون بالإيقاع بهم؛ لما صدر منهم من حربه، فلم يؤثر فيه العذل، بل عفا عنهم، وكساهم، وأحسن إليهم، وكانت مدة إمارته بعد خروجه من صنعاء، نحو خمسة عشر عاماً.

وحضر موته، والصلاةَ عليه ودفنه، صنوُه شقيقه الحسين بن القاسم، وقرر أحوال العسكر، ونظم البلاد، وعرفهم بما يجب له، واستقر في الحصين بعد موته، وتجهز للعود إلى صعدة، فبلغ إلى مقام عمه الإمام المؤيد بالله، ويلغه الخبر بموت والده، فرده الإمام، فوصل مبادراً إلى عمه الحسين، وقد كان يظن هو وأخوه أحمد أن الإمام يجعل لهما ولاية البلاد، التي كانت لوالدهما.

فرأى الإمام أن يجعل النظر في جميع البلاد، التي كانت للحسن بَنادرها وحصونها وغيرها، إلى أخيه الحسين، ويكون تصرف ولدَي الحسن، على نظر عمهما الحسين، وأرسل الإمام إليه بولايةٍ عظيمةٍ، وكتب إلى الرؤساء بذلك، فلم تطب نفوس خواص الحسن وولديه بذلك، ولا انطلقت أعمالهم باستئذانه، بل كل واحدٍ تصرف على ما يريد.

ثم استقر السيد محمد بن الحسن في ذمار، بأكثر أعيان والده، وخيله ورَجِله، وأخوه السيد أحمد بن الحسن في الغراس، من أعمال ذي مرمر، كذلك بجماعة من الخيل والرجل، وفي النفوس ما فيها.

وكان المترجم مع اشتغاله بالحروب، وقيامه بأمر الملك على ضروب، يهتز للشعر هز النشوان، ولا يشغله شاغلٌ عن المذاكرة في كل آن، فلو رآه ابن الرومي، لما قال:

ذهـب الـذين تهـزُّهم مُـدَّاحُهم هَـزَّ الكمـاة عـواليَ المـرَّانِ

وكان يبيّن بجودة ذهنه النقاد، الجوادَ والمقصرَ في ميدان الإنشاد، وكان عظيم العطاء، كثير المعروف، محباً لفعل الخير، وكان يجل أولاد الأولياء والعلماء، ويعرف لهم حقهم، ولذلك تم له الدَّستْ، وكان سعيداً منصوراً في حروبه، وما اتفق أنه ركب في جيشٍ إلا وعاد منصوراً.

وبالجملة: فكان حسنة في بني القاسم، على وجه الزمان، ولا يدانيه في شجاعته في عصره مُدان، وأما ما قيل فيه ـ رحمه الله ـ من المدائح، فيطول ذكره، وللقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين أرجوزةٌ كتبها على قبره، ذكرها القاضي أحمد بن صالح في «تاريخه»، وهي بديعة.

[٨٦٩] الحسن ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم ابن محمد بن علي.

ورفعُ نسبه ذكرناه.

كان هذا السيد من أكابر أئمة اليمن ووجوههم، ومن أعيان بني القاسم ورؤوسهم، له المنزلة العظيمة، والمكانة الجسيمة، إلى ما حوى من لطيف الشيم، والجمع بين فضيلتي السيف والقلم، أما الحلم، فكأنه مقصورٌ عليه، وأما البذل والعطاء، فشيءٌ جبله الله عليه، وحبّبه إليه، وله من الحزم وسياسة الأمور، ما لا يدانيه فيهما مدانٍ في سائر الأمور، ومن المعروف والإحسان، مكانٌ أي مكان.

ولي المناصب الجليلة في حياة والده، منها: بلاد رازح وما يتبعها، ثم أمّره والده على تهامة، فولي جازان، واللحية، والحديدة، وما والاها من البلاد

العظيمة، وأقام باللحية، وجُبيت إليه الأموال من كل جانب، وخفقت عليه البنود، وانقادت إليه الجنود والكتائب.

ولم يزل وهو مقيمٌ في أرغد عيش ونعيم، حتى ولي الإمامة محمد بن أحمد بن الحسن، فعزله عن عمله، وجهز عليه العساكر، ففر في سفينته إلى جدة، وقصد شريف مكة، وأمير جدة؛ ليعيناه بالعسكر، ويأخذ اليمن لسلطان الروم، فلم يتم له مراده، فرجع لليمن ثانياً، وألزمه الإمام محمد بالجلوس ببيته بذمار، وبدل ذلك الصفو بالأكدار.

مولده في نيف وخمسين بعد الألف، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم، وأخذ عن شيوخٍ، منهم: السيد العلامة إسماعيل بن حجاف، والسيد الجليل الحسن بن المطهر الجرموزي، وجدّ في الطلب، وبرع وتأدب عن كثب، وله العناية بالكتب وتحصيلها، والحرص على مطالعتها، والإدمان على القراءة.

مع ما هو عليه من تقلد الأعمال المهمة، وتدبير المملكة، وسياسة العساكر، وحفظ البلاد، وكثرة الاشتغال بالوافدين والمترددين، لكنه ـ مع ذلك ـ لا يشغله عن ذلك شاغل، وإذا قدم عليه أهل العلم، عظمهم، وفضل عطاياهم على غيرهم، وإذا مدحه الشعراء، أحسن جوائزهم، وقد اجتمعتُ به في رحلتي لليمن، وحضرت بعض دروسه في الأصول والكلام، ومدحته بقصائد طنانة، منها قولي:

باكرْ إلى الحانِ ببدرِ التمام فقد دعا داعي الهوى للمُدام

وحرِّكِ الأوتار وانشدْ لنا شعراً بديعَ السبك والانسجام

واغتنم الأوقات إذا طاب لك الوقتُ وقمْ يا غلام

وعـــاطِني صـــهباءَ مـــشمولةً   قد عُتِّقَـت مـن عهـدِ سـامٍ وحـام
وصـانَها للفـرس كـسرى ومـن   تــلاهُ مــن تلـك المـلاك القـدام

توفي يوم السبت، سلخ شهر ربيع الثاني، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بقبة عمه الحسين بن القاسم.

[٨٧٠] الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي ابن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب، وابن البتول فاطمة بنة الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين(١).

قال الشهاب الخفاجي ـ رحمه الله ـ في ترجمته: خلقه الله حسن، ومن حديثه مناقبه مستفيض حسن، وما محاسن شيءٍ كله حسن؛ فقد سارت بمآثره الركبان، وتحلى بذكره كل لسان، فالحِلُّ يعرفه والحَرَم، والمجد ينطق بمحامده والكرم:

إنمـا المـرءُ حـديثٌ بعـدَه   فكـنْ حـديثاً حـسناً لمـن روى

خفقت في الخافقين رايات مكارمه، ونصبت على أعلام كماتها بين معالمه، سرت سحائب كرمه ولها من غرته بريق، وتفرقت أنهار جوده في كل

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٨٨) (٥٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١٨).

فريق، حتى طغت على هضاب العذيب والعقيق، وله فضل قضاء علوي حل بين الرفق والباس، وأيس عن إدراك حديثه فيه إياس، بين حماسةٍ وسماحة، وفصاحةٍ وصباحة:

إذا زان قوماً بالمناقب واصفٌ ... ذكرنا له فضلاً يزين المناقبا

وجلالة هيبةٍ لا تريد حاجباً، وشيمٍ شُمٍّ لو تجسمت، لكانت لوجه الدهر عيناً وحاجباً، فكم أوردَ النجيعَ سيفَه المجرد عن العلائق، وأصدره ثائراً على غدير لأمته من الدماء شقائق، من فتية إذا تصافحوا بالصفاح، تهللت ضاحكةً بالنجيع ثغورُ الجراح. شعر:

حليمٌ إذا ما الحِلْمُ فكَّ حزامه ... وقوفٌ ولو كان الوقوفُ على جمر

مع محاضراتٍ لو سمع الراغب، سعى إليها راغباً، وأبكارِ أفكارٍ لا يكافيها إلا من كان بمتاع الحياة خاطباً. شعر:

ما عذرُ من ضربتْ به أعراقُه ... حتى بلغْنَ إلى النبيِّ محمدِ

أن لا تُمَدَّ إلى المكارم باعُه ... وينال غايات العلا والسؤدَدِ

متخلعًا حتى يكون ذيولُه ... أبدَ الزمان عمائمًا للفرقدِ

انتهى كلام صاحب «الريحانة».

وُلد لسبع بقين من ربيع الأول، سنة ثنتين وثلاثين وتسع مئة، وأمه فاطمة بنت سباط بن عنقا بن وبر بن محمد بن عاطف بن أبي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة، حملت به سنة وفاة جده بركات، ونشأ في كفالة والده سعيداً رئيساً حميداً، ولبس الخلعة الثانية بعد وفاة أخيه أحمد، سنة ثنتين

وستين وتسع مئة.

ثم فوض إليه والده الأمر، فلبس الخلعة الكبرى، التي هي لصاحب مكة، ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية، واستمر مشاركاً لوالده في الإمرة، إلى أن انتقل والده [إلى رحمة الله] يوم تاسوعاء، افتتاح سنة ثنتين وتسعين وتسع مئة، فاستقل بسلطنة الحجاز، وقام بها أحسن قيام، وضبط الأمور على الأحكام، على أحسن نظام، وأمنت البلاد. . .[1].

أظهـره الـرحمنُ فـي ربيـع بظـلٍّ سـوحِ الحـرم المنيـع

أشار إلى أنه شريفٌ من أمه أيضاً ـ كما قدمناه ـ، وأنها حملت به عام أحد وثلاثين وتسع مئة، وهو حساب ظلا الذي ذكره:

فلـم يـزلْ يـصعدُ فـي المعـالي ويرتقـي بـصَعْدَةَ العـوالي
حتـى أتتـه صـفوةُ الخلافـة منقـادةً طوعـاً بـلا مخافـة
في عام إحدى بعد ستينَ مضتْ مـن قبلهـا تـسعُ مئـينَ حُفظـتْ
فـشارك الوالـدَ فـي الملـك إلـى أن أم بـدء عـام حتـف نـزلا

أشار بقوله: أن أم، إلى انتقال والده، عام اثنين وتسعين ـ كما تقدم ـ، واستقلاله بعده بجميع الأمور:

وذَبَّ عـن بيـت الإلـهِ بالأَسَـلْ منزهـاً عـن التـواني والكـسلْ
وآمـنَ الـسبلَ جميعًـا وحمـى كـلَّ المخـاليف فأضـحت حَرَمـا

(١) سقط قدر ورقة من أصل المخطوط.

فطالمـا قـد شُـدَّتِ الرحـالُ مـوقرةً مـن فوقهـا الأمـوالُ

مـن مكـةٍ لبـصرةٍ ونحوِهـا قاطعـةً لقفرِهـا وبـدوِها

ولـم يكـن مَعْهـا سـوى حاديهـا مـن حاضـرِ البلـدةِ أو باديهـا

فتـصلُ المقـصدَ وهـي سـالِمَهْ ثـم تعـود مثـلَ ذاك غانمـهْ

وشـاع هـذا الأمـن فيـه وانتـشر معطـراً بـاقي الممالـكِ الأُخَـرْ

فكلُّ من حجَّ إلـى البيـت الحـرام وشاهدَ الأمن استخارَ فـي المقامِ

أشار بذلك إلى: أنـه لم يزل حامياً حوزة بيت الله المعظم، وذاباً عن سوحه المطهر المفخم، حتى إنـه من مزيد أمنه اختلط فيه العرب والعجم، ورعى الذئب مع الغنم، وأمن السبلَ الحجازية، ومهد الطريق الحرمية، فكانت تشد الرحال في سائر جهاتها، وليس معها خفير، سوى الأجير، لا يُفقد منها صواع، ولا يُختلس منها ولا قدر صاع، وربمـا ترك المتاع، أو المنقطع في القفر السبسب، ليؤتى له بما يحمل عليه أو يركبه، فيوجد سالماً من الآفات، ولـو طالـت الأوقـات، مع كثـرة الطارقين لتلك المعاهد، والسالكين لهذه المواطن والمقاصد.

ولم يعهد هذا إلا في زمن هذا الملك العادل، ولم ينقل مثلُه عن مثله من الملوك الأوائل، فلقد كانت هذه الطرق إلى مبدأ ولايته مخوفة، والمخاليف كانت كلها غيرَ مألوفة، حتى إن من أراد أن يعزم من مكة إلى التنعيم للاعتمار، لا بد له أن يأخذ خفيراً من أرباب الدولة الكبار، وإن لم يفعل ذلك، يعطب في نفسه وماله، ولا يرثى [له] في أخذ الثأر بحاله.

وطالما نُهبت الأموال ما بين مكة وعرفة، ليلة الصعود إليها، وسُفكت

الدماء في تلك المشاعر، وجُندلت الأجساد لديها، وإذا سرق متاع، قلّ أن يُظفر بـه، وربمـا قُتل صاحبـه عنـد طلبـه، في سببه، وكل ذلك من العرب المحيطين بأطراف البلاد، الساعين في الأرض بالفساد.

قد بسط الله بساط الأمان بولايته، ألزمهم بحراسة هذه المواطن، وغُرم ما يذهب للناس بهذه الأماكن، وعاملهم بصنوف العقاب، وأنواع العذاب، من الصَّلْب وقطع الأيدي، وتكليف منهم بالقتل أن يدي، إلى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية، والآراء السلطانية المرضية، حتى صلح حال العالم غاية الصلاح، ونادى منادي الأمن بالبشر والفلاح.

فاطمأنت النفوس، بإقامة هـذا الناموس، واعتدلـت أحوال الرعايـا، واتصل ذلك إلى علم الملوك البقايا، فشكر كل سعيه في هذه المآثر الحميدة، وحمد الله تعالى في هذه المعدلـة الظاهرة المجيـدة، وكثـر حجاج بيت الله العتيق، وضربوا آباط الإبل إليه من كل فجٍّ عميق، فيرون ما كانوا يسمعون به عياناً، فيستخيرون الله تعالى، في أن تكون بلده لهم مسكناً، وأهلها إخواناً.

فمـن هنـا مكـةُ صـارت مِـصْرا	محـسودةً بالعـالمين طُـرَّا
وقبـل هـذا العهـد لـم يقـم بهـا	إلا أنـاسٌ شُـغفوا بحبِّـها
نحـو ذوي البيـوت ممـن قطنـوا	دهـراً بهـا واسـتوطنوا وسـكنوا
لـذا انتهـت إلـيهمُ الرياسـهْ	بطـيهم مناصـبَ النفاسـهْ
والغيـر يـدعى بمنـادي الملـك	يـا مـن قـضى مرامـه مـن نُـسْكِ
ارحـلْ إلـى بـلادك الأصـليهْ	مـن يمـنٍ أو جهـةٍ شـامِيَّهْ
فـإن هـذا البلـدَ لحرامـا	وادِ بـلا زرعِ يـرى ولامـا

فيرحلـون مـا عـدا مـن ذكـرا　　مـن أهلهـا خلّـص مـن قـد أمـرا

فـإنهم شـوكته القويـهْ　　وخـادمو حـضرته العليـهْ

فلـم يزالـوا هكـذا أبـاً بـأبْ　　مقتـرنين مـن أعـالي ذا النـسبْ

أشار إلى: أن من القواعد القديمة، لولاة مكة الكريمة: أن ينادوا بعد تمام الحج: يا أهل الشام! شامكم، ويا أهل اليمن! يمنكم، فيرحل كلٌّ إلى بلده، ولا يقيم بمكة إلا خواص سكانها، من ذوي البيوتات القديمة، فلما تولى مكة، شاع ذكره، ورغب كل أحدٍ في المجاورة بها، وصارت مصراً من الأمصار.

فعنـدما قـد أفـضتِ الخلافـهْ　　لحـسنٍ وجـاوزتْ خلافَـهْ

ومهَّـدَ المـسالكَ المخوفـهْ　　وشَـيَّدَ المعاهـدَ المألوفَـهْ

وكثـرتْ بعدلِـه الأرزاقُ　　وعمـرت بأمنـه الأسـواقُ

وفجَّـرَ الله عيـونَ الأرض　　بيمُنـه البـاقي ليـومِ العـرضِ

أقـامَ كـلٌّ بفنـا البيـتِ العتيـقْ　　وأملـوه مـن ورا الفـجِّ العميـقْ

ونـال كـلٌّ منـه مـا قـد أمّلَـهْ　　لمـا أتـاه قاصـداً وأمّ لَـهْ

والناسُ في عيشٍ بعدلِـه خـصيبْ　　وقد حوى من فـضلهِ كـلَّ نـصيبْ

أمـا أُولـو العلـم ففـازوا بـالنعَمْ　　ونـشروا علـى رؤوسـهم عَلَـمْ

وتُوِّجـوا لديـه بالوقِـار　　فمـا رآهـم قَـطُّ باحتقـارِ

لا سـيما مَـن منهم ينتـسبُ　　إليـه بـالإخلاص وهـو الـسببُ

ويخـدم الخزانـةَ المعمـورهْ　　بكـل آيـة لـه مـسطورهْ

مـن كـل تـأليف عظيمِ المنقبـهْ | بـــه اســـتحقَّ نيـــل المرتبـــهْ
وهـــم لعمـــري فرقـــة كبيـــرهْ | ومـــنهم نـــاظمُ هـــذي الـــسيرهْ
فإنـــه فـــي كـــل عـــامٍ شمـــسي | يُبـــدع تأليفـــاً بـــديع الأنـــس
ممـــا ذكرنـــادرة الأصـــدافِ | أســـسها فـــي ذروة الأوصـــافِ
كـــذا عيـــونٌ لمـــسائلٍ حـــوى | مـــن العلـــوم أربعـــين بالـــسّوا
وشـــرحه القـــصيدة المقـــصورهْ | لابـــن دريـــد نـــسبة مـــشهورهْ
وشـــرحه أيـــضاً لحـــسن الـــسيرهْ | بمالـــه مـــن حـــسن الـــسريرهْ
وغيـــر ذا مـــن غـــرر القـــصائدْ | وكـــل نثـــر زيـــن بالفرائـــدْ

أشار إلى: احتفاله بالعلم وأهله، حتى ألفوا له التصانيف اللطيفة.

وكـم بـشعر فـائقِ الـنظم امتُـدِحْ | مـن كـل قطـر أمّ قـصداً وامتُـنح
ومدحُـه فـي كـل عـام لـو جُمـع | لكـان أسـفاراً كبـاراً يجتمـع

إشار إلى: كثرة ما قيل فيه من المدائح، وممن مدحه: الناظم، والشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، والإمام محمد علي بن إسماعيل الطبري، وغيرهم ممن لا يحصى كثرةً.

وكـــل هـــذا خدمـــة للـــسيدِ | الحسنِ الـشريفِ عـالي المحتـدِ
فهـو الحقيـقُ دائمـاً أن يُخـدما | وأن يكـون مالكـاً للعُلمـا
لبـــرِّه إلـــيهمُ وعطفِـــه | علـــيهم بنـــشرِه ولطفِـــه
يُجيـز بـالألف علـى التـأليف | ويصنفُ الشخصَ على التصنيف

ثـــم إذا قُـــدِّم تـــأليفٌ لـــهُ طالعَــــه غالبَـــــه أو كلَّـــــهُ
وأظهـــرَ الرغبـــة فيـــه جِـــدًّا وبالـــــدعا لربـــــه أَمَـــــدَّا
وزادَ فـــــي رفعتـــــه وقـــــدرِه لـــيعلم العـــالم شـــأن فخـــرِه
قصداً لترغيب الـورى فـي العلـم مُـــشَحِّذاً لفكـــرهم والفَهْـــمِ
وكـــــل ذا ابتغـــــاء وجـــــهِ اللهِ مـن غيـر مـا شـكٍّ ولا اشـتباهِ
فمـــن هنـــا تبـــادرَ النـــاسُ إلـــى درس العلـــوم بعـــدَ درسٍ وبـــلا
فأنتجـــتْ مكـــةُ بعـــد العُقـــم أفاضـــــلاً شـــــتَّى كأبنـــــا أُمِّ
ملتحمـــين فـــي العلـــوم والأدبْ كلحمـةٍ فـي سـببٍ أو فـي نـسبْ
نـــالوا علومًـــا جمـــةً مرتبـــهْ عَلَـوا بهـا علـى الـشيوخ مرتبـهْ
مـــا ذاك إلا حيـــثُ كـــان الـــسيدُ ملتفتًـــا لمـــا بَنَـــوا وشـــيدوا
ولـم يَـضِـعْ صـنيعُهم لـه سُـدى لا زال منـــصفًا بحـــقٍّ أَبـــدَا

أشار إلى: أن الأفاضل كانت تتقرب إلى خدمته، ومنهم: العلامة خضر بن عطاء الله الموصلي، ألف له: «الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف»، ومنهم: الناظم، خدمه بكتبٍ منها: «شرح المقصورة الدريدية»، وأجازه عليه بألف دينار، واتفق أنه حكم تاريخه قوله:

أَرَّخنـــــــي مـــــــؤلِّفي ببيـــتِ شـــعرٍ مـــا ذهـــبْ
أحمـــــدُ جـــــودَ ماجـــــدٍ أجـــازني ألـــفَ ذهـــبْ

فلما قرأ البيتين، قال له: والله! إن هذا لنزرٌ جداً بالنسبة لهذا التأليف، ولكن حيث وقع الاقتصار عليه، فعلى الرأس والعين، وأعطاه ذلك.

وما أرى ذا الأمرَ إلا أثرا | لطالع السيد حيث أثرا
في أهل عصره السعيد الأبدي | فإنه آلة فعل الأحدِ
وليس بدعاً فلهذا السيدِ | طالعُ سعد فالقِ للجلمَدِ
فما رأيناه أحبَّ أحدَا | إلا وكان كاملاً مسدَّدا
ينمو كما تنمو الثمار بالعلل | ولم يزل دهرًا مجانبَ العِلَلْ
ويُرزق القبولَ والمحبهْ | فكلُّ من خالطَه أحبَّهْ
ولم يكنْ ينقص شخصًا إلا | كان لدى الأنامِ رذلاً نذلاَ
يَذْبُل دهرًا ثم يضمحلُّ | وعندنا لكل قسمٍ مثلُ
وحكمةُ التأثير عند العالم | أن المليك مثل قلب العالمِ
فلم يزل مؤثرًا للبسط | والقبض شبه آلة للربط

ينبغي أن يعلم: أن ما تقدم من صلاح الزمان وأهله، فهو من طالعه، قال الأبوصيري:

وإذا سخَّر الإله أناساً | لسعيدٍ فإنهم سُعداءُ

والمثل المشهور: لأجل عين ألفُ عينٍ تُكرم، والأصل فيه قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأنفال: ٣٣]، وقد اتفق انعلماء على أهل التنجيم، أن للطالع تأثيراً، وكل ذلك بمنزلة الشرط والآلة، وإلا، فالتصرف للفاعل المختار، لا له، وقد منحه الله بأنه ما توجه لأحدٍ بالرضا إلا ونَما.

فمن ذلك: المولى خضر بن عطاء الله المذكور، فإنه ورد إلى الديار

المكية بحالةٍ من الفقر لا تذكر، فلما حصل عليه نظره، تقلب في النعيم، إلى أن جنت يده عليه، ورمت بسهام العذر إليه.

وقد ورد من البصرة رجلٌ من أهل العلم، يُسَمَّى: نجم الدين، حصلت لـه عنـده حظوةٌ، فنال منها خيراً عظيماً، حتى وقعت منـه زلةُ قدم ردته إلى الحضيض.

وكذلك أحمـد بن إبراهيم بن ظهيرة، فإنه كان في غايةٍ من الإجلال، ونهايةٍ من الرعاية في سائر الأحوال، حتى تجرأ بسوء أدبه، لينحط بذلك عن رتبه، فعامله بمتعلقات السحر في نفسه الجليلة، وأثر ذلك عنده مدةً طويلة، حتى أطلعه ببركة طالعه على هذا العمل، فتفحص عنـه وسأل، فوقف على أنه هو الصانع لذلك، فأدبه بالضرب، ثم تركه وحاله، وتركه ظهرياً، إذ كان بعواقب الأمور غبياً.

وبهـذا القـدر يكتفي اللبيب العاقل، ولا بدع فيما ذكره لملك ظل الله على عباده.

وقد حكي: أن بعض الملوك توجه بجمعٍ قليلٍ على بعض البغاة، وهم طائفةٌ كبيرة، فمذ رأوه سلَّموا له البلد، ولم يقاتله منهم أحد، فقيل لهم في ذلك، فقالوا: رأينا شخصين بين يديه امتلأنا منهما رعباً، فسئل بعض الأولياء عن ذلك، فقال: هذان الخضر والقطب، ما زالا يؤيدان كل ملك يقيمه الله ويختاره على عباده.

وناهيك أن قلـب الملك بين إصبعين من أصابـع الرحمن يقلبـه كيف يشاء، وهو بمنزلة القلب للعالم، فبسطه يسري إليهم، وقبضه ينشر عليهم،

ولله درُّ بعضهم بقوله، وقد عاد ملكاً عليلاً:

ولمـا اشـتكيتَ اشـتكى كـلُّ مـا ... على الأرض واعتلَّ شرقٌ وغـربُ
لأنــك قلــبٌ لجــسم الزمــانِ ... ومـا صـحَّ جـسمٌ إذا اعتـلَّ قلـبُ
هــذا ومــا عــاداه قَــطُّ أحــدُ ... إلا وخــابَ خيبــةً لا تُجحــدُ
فكــم نــوى جانبَــه بالأســوا ... جماعــةٌ فــامتُحنوا بــالبلوى
وهلكــوا فــي مــدة يــسيرهْ ... فليعتبــرْ ذا مــن لــه بــصيرَهْ
وعنــه كافــا كــلَّ مــن والاهُ ... وكــفَّ عنــه كــلُّ مــن عــاداهُ
فقــد جــرى لجــدِّه النبــيِّ ... هــذا الــولا وأَبِــه عَلِــيِّ

من كراماته: أنه ما عاداه أحدٌ، إلا وعاد بالخيبة، وقبحِ الأوبة، ولا نواه أحدٌ بسوءٍ، إلا ودارت دائرته عليه.

ومنها: أن الوزير الأعظم مصطفى باشا قصده بالأذى على قدر ما يشاء، وجهز العساكر الرومية، إلى الديار المكية، وصمم على إيذاء هذه الذرية، الباقية من خير البرية، فما زال كلُّ من في قلبه ذرة إسلامٍ يثبطه عن هذا العزم إلى البلد الحرام، فلم يجد فيه نفعاً، فاجتمع جماعةٌ من أهل الخير، وقرؤوا الفاتحة، وقالوا: إن كان هؤلاء الجماعة أولاد النبي ﷺ، فنسأل الله بحرمة جدهم وحرمتهم، أن يرينا في الوزير أن يكون عبرةً لمن اعتبر، فما فارقوا مجلسهم، إلا وجاءهم الخبر بأنه أصيب بالقولنج، ومات لوقته، فأدخلوا الخبر على السلطان، وقصوا عليه القصة، فرجع عن ذلك، واستغفر الله.

ومنها: أن الشيخ العلامة القاضي عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، قصد السفر إلى اليمن، فاستأذنه، فلم يأذن له، فكان منعه له عن السفر عين

المصلحة، والنجاح والظفر؛ فإن الأمر ـ بعد ذلك ـ أسفر عن تغيير قطر اليمن، وانقطاع سبله، وكثرة الخوف في طرقه؛ بموجب بعض الفتن؛ فإنه قام ثمةَ قائمٌ من أهل البيت، يسمى بالقاسم، وادعى الإمامة، وقويت في الجبال دون التهامة شوكته، والناس حينئذٍ إذ ذاك في أمرٍ مريج، وقد عزم جماعةٌ إلى تلك الديار، فعادوا مبادرين إلى الفرار، وأراد الله للمذكور الراحة؛ حيث استقر، والسلامة من وعثاء السفر، بدون نيل الظفر.

مـن أنـه مـن مـستجابي الـدعوهْ   ومـا لـه فـي عمـره مـن صَـبْوَهْ

وكيف لا وقد حمى البيتَ الحرامْ   بنفـسه خمـساً وأربعـين عـامْ

مؤيـداً شـرائعَ الإسـلامِ   مـشيداً مـشاعرَ الإحـرامِ

مـع أنـه فـي زمـن أيِّ زمـنْ   مَظِنَّـةٍ لكـلِّ هـولٍ وفـتنْ

وقد حُكي بين الورى عن السلَفْ   وذاك محفوظٌ لهم عند الخلَفْ

أن ولـيَّ مكـةٍ يـصير فـي   مرتبـةِ القطـبِ يقينـاً فـاعرفِ

فمـن هنـا الـصلاحُ فـي الرعايـا   وفـي ملـوك الـدولِ البقايـا

وقد اشتهر عنه أنه مجاب الدعوة، منها: أنه كان في عام أربعة بعد الألف، بمحلٍ يقال له: غدير، فأصاب الناسَ غايةُ التعب من الظمأ، فورد إليه رعاءُ إبله، وتفاوضوا معه في ورودها، ومن أي محل ترد؟ فعددت أماكن بعيدة عن منزلهم هذا، فما ارتضى ذلك، فتوجه إلى الله قائلاً: اللهم اسقِها، اللهم اسقِها، فما كان بينهم وبين السقيا إلا ليلتهم تلك، فانهلَّت عليهم السماء كأفواه القرب، ثلاثة أيام، حتى إن الإبل صدرت منتهلة من مباركها، واستمروا مدةً لا يردون إلا من مآثر دعوته المباركة.

ومنها: أن الناس أرجفوا سنة ثلاث بعد الألـف، بوصول عزيز أحمد باشا إلى مكة، في عدة من العساكر، وكذلك وزير اليمن حسن باشا، فانزعجت لذلك الرعية؛ إذ صح عزمها للجهات المكية، فتوجه بخاطره إلى الله سبحانه، فصرف الله أولئك عن العزم، وأشغلهم بموت السلطان مراد بن سليم.

وقـد حُبـي بـصالح الذريَّـهْ ممتعـاً بعيـشةٍ رضـيَّهْ
أمـا البنـونَ فهـم عـشرونَ مـعْ أربعـةٍ فخـذهمُ ممـن جمَـعْ
لاقـى الإلَـه مـنهم ثمانيـهْ إذ علمـوا الـدنيا يقينـاً فانيـهْ
من بعـدِ أن قـد ملكـوا أو سـادوا وللمعـالي أسـسوا وشـادوا
ثـم البنـاتُ وبنـو الأولاد كثـرتُهم تـسمو علـى التعـداد
كـذا الأقـاربُ الـذين وصـلوا إليـه أولاهـم جـدودٌ أُوَلُ

وقـد تقـدم ذكـر أولاده، وقد مات قبلـه منهم ثمانيـة: أبـو القاسم، والحسين، ومسعود، وباز، وعقيل، وهزاع، وعبد العزيز.

إن ركبـوا فـي موكـب فـإنهم كواكـبُ الجـوزاء وهـو بـدرُهُمْ
لا سـيما إذ يلـبس التـشريفا ثوبـاً سـنياً فـاخراً شـريفَا
يأتيـه مـن سلطنةِ الـروم العظـامِ فـي غايـة مـن البهـاء والنظـامِ
مـا نـال مـن أسـلافه مـا نالـهْ مـن التـشاريفِ وذي الجلالـهْ
فإنـه قـارنَ فـي ذي المـدَّهْ مـن الملـوكِ الأكـرمينَ عِـدَّهْ
مـنهم سـليمانُ مليـكُ الـرومِ ثـم سـليمٌ صـاحبُ التكـريمِ
ثـم مـرادٌ ثـم ملـكُ العـصرِ محمـدٌ لا زالَ ربَّ النـصرِ

وهْــوَ لعمــري قَمِــنٌ جــديرُ بكــل مــا قــد صــرَّح المنــشورُ
فمـا سـمعنا مثـلَ نـشرِه الأمـانْ قَطُّ ولا في صـدور سـابق الزمـان
ومــن رأى تــاريخ مكــةٍ أَقَــر بـذاك فهـي الآن أولـى مـستقَر
يُعـين مـن يقـيم بالإحـسان فـضلاً بـلا مَـنٍّ ولا تـواني
مـا أحـدٌ مـن الملـوك صـنعا صــنيعَه فإنــه تبرعــا
بمـال بيـتِ المـال تقريـراً لمـن يحتاج طبقَ ما مـضى مـن الـزمن
ومنـذ دهـرٍ لـم يقـم ذا الواجـبْ ولـم يكـن لبيـت مـالٍ راتـبْ
حتـى أتـى اللهُ بمولانـا الإمـام غيث بني الآمال بل غـوث الأنـام
فرتـبَ المـال لـذي الحاجـاتِ والعلمـا وخالـصي النيَّـاتِ
منزهـاً لنفـسه عـن مـالهم وموصـلاً لهـمْ إلـى آمـالهم
أكـرمْ بهـا منقبـةً عظيمـهْ ورتبـةً فـاخرة فخيمـهْ
ما أحد يُقـصْد فـي قطـر الحجـازْ حقيقـةً سـواه مـن غيـر مجـاز
لـه الكرامـاتُ التـي لا تُحـصر والكـرمُ الـذي دهـوراً يُـذكر
ومـا غـزا إلا وفـازَ بـالظَّفر وافتـتح البلـدانَ فتحـاً اسـتمَر
لـه مَغـازٍ فـي الأنـام عِـدَّهْ حكـى بـه فيهـا أبَـهُ وجـدَّهْ
أمـا سـراياه فـذاتُ كثـرَهْ وكلُّهـا مقرونـة بالنُّـصرَهْ
ولـم يكـن مـؤمِّراً فيـه سـوى أولادِه الكـرامِ أربـابِ اللـوا
وقلمـا أمّـر غيـرَهم علـى بُعوثـه والكـلُّ مـنهم ذا عـلا
وحاصـلُ الأمـر بـأن النـصرا خادمُـه دهـراً طـويلاً عُمـرا

لـــم يتفـــق وربُّنـــا الـــشكورُ لــه انكــسارٌ بــل هــو المنــصورُ

كأنمـــا ملائـــكُ الـــرحمن جنـــودُه فـــي ســـائر الأزمـــان

ولـــيس بـــدعاً فهـــم فـــي بـــدرِ كـــانوا جنـــودَ جـــدِّه الأغَـــرِّ

سراياه كثيرةٌ شهيرة، لم يؤمِّر فيها إلا أولادَه النجباء، وممن بعثه منهم: ولده الحسين، ومنهم: أبو طالب؛ فقد أرسله غير مرة، ومنهم: مسعود، ومنهم: عقيل، ومنهم: عبد المطلب، ومنهم: عبدالله، فكان بعزمه إصلاحُ جهة اليمن.

فـاقَ الملـوك بـالنهى والحَـدْس كمـا بـه يـشهد عـدلُ الحـسِّ

وكـــم لـــه قـــضيةٌ شـــهيرهْ بين الورى كالشمس فـي الظهيـرهْ

قد فاق الملوك بمزيد الفطنة، وله في ذلك قضايا مشهورة.

منها: ما وقع في بعض السنين، وهو إذ ذاك بجدة: أنه سرق من الفرضة السلطانية وهي مغلقة، جملةٌ كثيرةٌ من صنوف الأقمشة، ووجد حبلٌ معلقٌ على جدار الفرضة، فرفعت القضية إليه، وكثر الكلام من أمين جدة، ومن باقي الأروام، واتهموا بذلك جماعته؛ لحلولهم في البندر، ففكر ساعةً، ثم طلب الحبل الذي وجد على الجدار، فجيء به إليه، فأخذه وتأمل فيه، ثم شمه، فأمر بإحضار من بجدة من العطارين، فحضروا، فأشرفهم على الحبل، وسألهم: هل اشتراه أحد منهم؟ فقال شخص منهم: نعم اشتراه فلان مني، وكان من جماعة أمين جدة، فطلبه وسأله، فأنكر، فأمر بالهجوم على محله، فذهب جماعةٌ لذلك، وفتحوه، فإذا هو خالٍ من الأمتعة، فمشوا في وسطه، فإذا الأرض تنخفض بهم، فكشفوا الفراش، وحفروا الأرض حفراً خفيفاً،

فإذا السرقة تحت التراب، ما فقد منها شيء، فأخرجوها، ووصلوا إليه بحضور جمعٍ من الناس، فخجل الأمين؛ حيث ظهرت خيانة جماعته، وبرأ الله ساحة جماعة الشريف.

ومن ذلك: أنه اختصم عنده رجلان: مصري، ويمني في جارية، وادعى كل منهم أنها له، وأقام بذلك بينةً، فأجال فكرته الوقادة، وطلب قليلاً من الحَبّ، وقال لها: ما اسم هذا في بلادكم؟ فقال: بُرّ، فحكم لليمني، فظهر بعد ذلك أنه مالكها.

ومن ذلك: أنه اختصم لديه رجلان: شامي، ومصري في جمل، وادعى كل منهما أنه له، وأقام بذلك حجةً، ثم قال لهما: إني سأحكم بحكمٍ، فإن ظهر لي أن الحق بيد أحدكما، غرمت الآخر ثمنَ الجمل، فأمر بذبح الجمل، فذُبح، وأمر باستخراج مخه، فاستخرج، فتأمله، وقضى بالجمل للشامي، وأمر المصري بتسليم القيمة، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت مخه منعقداً، فاستدليت بذلك؛ فإن أهل الشام يعلفون دوابهم الكَرْسَنَّة، وهي تعقد المخ، وأهل مصر يعلفونها الفول، وهو يعقد الشحم دون المخ، فظهر الحق بعد ذلك كما قال.

ومن ذلك: أن شخصاً دفن مالاً بالمزدلفة، وكان شخص يرقبه، فلما قصد النفر منها إلى منى، وجد المال قد حفر عنه وأخذ، ولم يظفر بأثرٍ من آثار الغريم، إلا بعصًا ملقاةٍ، فأخذها، ورفع شكواه إليه، وذكر له القصة، فسأله: هل وجد من أثر؟ فقال: نعم وجدت عصًا ملقاة، فطلبها منه، فأحضرها، ثم تأملها، فأمر بإحضار جماعةٍ مخصوصين من العرب، فحضروا، فأشرفهم على العصا، وسألهم: هل يعرفون صاحبها؟ فقالوا: نعم، هي عصا فلان،

فأحضره، وسأله، فأنكر، فشدد عليه، فأقرّ بالمال.

ومن ذلك: أن شخصاً من سادات اليمن، وصل إلى مكة بجاريةٍ حسناء، سنها نحو العشر سنوات، فتعصب عليه طائفةٌ من الجَبَرْت، وادعى بعضهم أنها حرة الأصل، وأنها بنت فلان، وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك، واستخلصوها من يد ذلك السيد قهراً.

فرفع القضية له، فطلب الشاهدين، وأخذ يستدرجهما بمدحهما، وأنهما من مشاهير من جاور بمكة، من مدةٍ طويلةٍ، وأن شهادتهما مقبولة، ثم سألهما عن الشهادة، فأدياها على ما سبق، وأنها بنت فلان الجبرتي، ولدت ببلده، ونحن بها قبل وصولنا إلى مكة، فقبل شهادتهما.

ثم سألهما عن مدة إقامتهما بمكة، وهل خرجا منها بعد دخولها، فذكرا أن المدة تنوف عن ثلاثين سنة، وأنهما ما خرجا منها إلى بلدهما بعد أن دخلاها، فشاغلهما بالكلام ساعةً، ثم سألهما عن سن الجارية، فقالا له: نحو عشر سنين، فأخذ يسبهما، ويتكلم عليهما؛ حيث شهدا بولادتها وهم ببلدها، وقصد إتلافهما، وأعاد الجارية إلى سيدها، وكانت هذه الحكومة منه حكمةً بالغة؛ فإنه فطم بها طائفة الجَبَرْت عن مثل هذا؛ لأنهم سلكوا مثل هذا المسلك مدة، واستخلصوا.

هذا ومولانا رفيعُ العَلَم ... ممن حظي بسيفه والقَلَمِ
فإنه إنْ بالمدادِ رَقَما ... فكل ما أبداه كان حِكَما
له الكلامُ الجامُع المهذَّبُ ... في فهمِه لكل شخص مذهبُ
وكم له من حسن المحاضرهْ ... ما فات للعرب به والحاضرهْ

قد ذقتُ من حديثه حلوَ السمرْ ... كم ليلةٍ لذّ بها طولُ السهرْ

فلفظُه الدرُّ إذا ما نُثِرا ... على بساطِ السمعِ من غيرِ مِرا

كأنه من نفَس النبوَّةْ ... أَجَلْ لما فيه من البنوَّةْ

فطالما أوقرتُ منه سمعًا ... قد أوتي الحكمةَ منه جمعا

وكلُّ ما فيه أنا من نِعَمِ ... فإنه آثارُ تلك الحِكَمِ

فالله يُبقيها ويبقي مددي ... منها ويُغنيني بهذا السيدِ

دهراً طويلاً سالماً من الغِيرَ ... ولن يشوبَ صفوَه شربُ الكدر

ممتعاً له خصوصاً بالقوى ... وناشراً لنصرة ذاك اللوا

وكافيته كلَّ ما أهمَّهْ ... من عين كلِّ حاسدٍ مُلِمَّهْ

يُبيد بالقدرة من عاداهُ ... بطالع السعد الذي حواه

ومن تولى نصرَهُ اللهُ فمن ... يخذله وذاك مولانا الحسن

والى عليه ربُّنا مكارمَهْ ... موصولةً منه بحسن الخاتمهْ

وأما ما قيل فيه من المدائح، فلا يحصر، غير أني أذكر منه هنا ما يُستحضر.

فمنه: قول الإمام العلامة عبد القادر الطبري، على لسان ولده زين العابدين:

فتنتني بأعينٍ غزّالَهْ ... خَوْدُ خدرٍ تفوقُ كلَّ غزالهْ

وأرتني من الجبين هلالاً ... مخجِلاً بالسَّنا ضوءَ الغزالَهْ

لاحَ في جبهةٍ تفوق ضياءً ... ولها حندسُ الغدائر هالَهْ

فــاخر الــشمسَ بالبهــا فــأقرتْ ... فــي مقــام الفخــارِ أن البهــا لَــهْ
حــلَّ فــي قلــبِ عقــربٍ لحمــاه ... صــنعت مــن ذوائــبٍ أوفعــى لــه
وأقامــتْ عليــه إكليــلَ شــعرٍ ... أظهــرتْ مــن جَنــاه لــي أفعالــه
مــا بــدا للعيــون إلا وقلنــا ... جــلَّ ربُّ الــسما أهــلَّ هلالَــهْ
يــا أهيــلَ الهــوى المقيمــين شُــكًّا ... فــي حمــاهُ مــستيقنين هلالَــهْ
ســطعتْ للعيــون أنــوارُه مــن ... أفــقِ وجــهِ الحبيــب ربِّ الجمالَــهْ
من على خـصره المنـاطقُ شُـدَّتْ ... كــي نراهــا لردفــه حَمّالَــهْ
ربــةُ الــدلِّ مــا مــدحت محيّــاً ... منــك إلا لكونــه شــبهَ آلَــهْ
حيــث يــدعى للبــدر وهــو اسـمٌ ... نجلُ المصطفى صـانهَ الإلـهُ وآلَـهْ
حَسَنُ الإسم والمسمَّى أميـرُ الــ ... ـمؤمنينَ الجليلُ حـاوي الجلالَـهْ
الإمــامُ الخليفــةُ العــدلُ أعلــى ... مجــدَه ربُّنــا وزاد جلالَــهْ
الهُمــامُ الــذي تــأزَّرَ بالمجــ ... ـدِ وأضــحى مجــدِّدًا أســمالَهْ
وبــه الفخــرُ لــم يــزل فــي فخــارٍ ... حيــث يــدري بــأن ذا أســمى لــه
من أهبَّ الإلهُ فـي مـوطن النصْــ ... ـرِ صَـباه مـن الـصَّبا وشَـمالَهْ
وبــسعدِ الإمــدادِ مــدَّد منــه ... ســاعديه يمينَــه وشِــمالَهْ
الوقـورُ الحلاحـلُ الملـكُ الـشهـ ... ـمُ الذكيُّ الأديـب صـفوُ الـسلالَهْ
الــرؤوفُ الــذي لرأفتــه مــا ... لاذ شــخص بحبــه وســلاله
من علـى رأسـه تـرى طـائر العـ ... ـز مقيماً والـسعدُ أضـحى حُبالَـهْ
منحــة مــن إلهــه إذ رآه ... حاميــاً ســوحَ بيتــه وحِبالَــهْ

مـا رأينـا مـن أمّ فـضلَ جـداه سـائلَنه إلا أجـابَ سـؤالَهْ

عـمَّ إحـسانُه الأنـامَ جميعًـا بالعطايـا لا سِـيَّما سُـؤّالَهْ

هو بحرُ الندى وكهفُ المنادي وهْـوَ ربُّ الجميـل ربُّ الجمالَـهْ

وهْـوَ مـن بالحيـاء أنعـمَ فـضلاً وهْـوَ مـن للثنـاء أخـرجَ مالَـهْ

وهـو ليـثُ العـرينِ عنـد كفـاحِ فبنـوهم تـراهمُ أشـبالَهْ

لـم ينازلْـهُ مقـدمٌ قَـطُّ إلاَّ رأى المـوتَ عنـد ذا أشـبى لَـهْ

لم يكابرْ في سعدِ مولى الموالي غيـرُ مـن وصـفُه قبيحُ الجهالَـهْ

كيـف والـسعدُ منزلُ البـدر حقّـاً والـسعوداتُ مَخـضتْ بُرْحَهـا لَـهْ

يـا إمـامَ الـورى ومَلْـكَ البرايـا وابـن مـن خـصّ بالغمـام ظلالَـهْ

ومليكـاً بعدلِـه وهـداه أذهـب الله أصـلَ كـلِّ ضـلالَهْ

هـاكَ عـذراءَ مدحـة هَـذَّبتْها فكـرةٌ فيـك لـم تَـشُبْها كَلالَـهْ

هي من عبدك الذي مَدْحُك المشـ ـهورُ آتٍ لـه بـدون كلالَـهْ

مخلِصِ الودِّ باذلِ الجهدِ زينِ الـ ـعابدين الإمـامِ منـشي الرسـالَهْ

لكـنْ قـد زَفَّهـا يـروم نثـارًا فأجبْـه فإنـه قـد رسـالَهْ

دمـتَ فـي صـحةٍ وصـفوِ سـرورٍ وهنـاءٍ ينمـو علـى كـلِّ حالَـهْ

وصـلاةٌ علـى النبـيِّ وآلِ وصـحابٍ لـم يبرحـوا بحجالَـهْ

وقوله ـ أيضاً ـ على لسان ولده الإمام زين العابدين، مادحاً له ـ أيضاً ـ:

رَبْـرَبُ الأخـدار مـن شـممه لا يراعـي الـنقض فـي ذممـه

حجـب الأبـصار رؤيتُـه وتجلَّـى فـي خبـا خِيَمِـهْ

وأرى أحبـــابَ حـــضرته غـضباً مــا كــان مــن شـيمِهْ

مـــا يـــراه حـــالَ نفرتـــه غيـرُ مـن بـارى بـسفك دمِـهْ

زرتـــهُ والعـــزمُ يـــسعفني آمـــلاً منـــه ابتـسام فمِـــهْ

جُـــنْحُ ليـــل مـــسفر بـــسنا طلعتـه المـأمول عـن ظُلَمِـهْ

فحـــداني عَـــرْفُ ســـاحته وهـــداني مرتقـــى أَكمِـــهْ

فَبَـدَا لـي فـي الحجـاب فَمِـن راسـه نـورٌ إلـى قدمِـهْ

هـــو للرائـــي معاينـــةً مثـلُ طيـفٍ مـرّ فـي حُلُمِـهْ

هِمـتُ مـن حبـي لـه زمنـاً فـي رُبـى نجـد وفـي سَـلَمِهْ

أنظِـــمُ الآدابَ مـــن غـــزلٍ أســنه الإعجـاز عـن كَلِمِـهْ

لنـسيب فـي المـديح يُـرى حـسناً عنـد اجْتِنـا نعمِـهْ

ســـيدًا مـــن آلِ حيـــدرةٍ وعريقـــاً باقتفـــا عـــصمِهْ

وحكيمًـــا فـــي ممالكـــه قَـطُّ مـا انحلَّـتْ عُـرا حِكَمِـهْ

فـــاقَ قُـــسّاً فـــي فـــصاحته وســما الطـائيَّ فـي كرمِـهْ

وابـنُ سـعدى لـو يقـاس بـه كـــان مطروحـــاً بهنزمِـــهْ

هَـــزِرٌ للمكرمـــات سَـــنَا عنـصرٍ منـه انتِهـا هِمَمِـهْ

كيـــف لا يهتـــزُّ مغتبطًـــا وكتـــاب الله فـــي عِظَمِـــهْ

وملـــوكُ الأرض قاطبـــةً كلُّهـــم واللهِ مـــن خَدَمِـــهْ

جـــدُّه طـــه الـــشفيعُ فيـــا فـوزَ مـن يـأوي إلـى عَلَمِـهْ

طـبْ نفـساً يـا مليـكُ بـه فـي غـدٍ طـوبى لمعتـصمِهْ

أُمُّـــك الزهـــــراءُ ابنتُـــــه — وأبـــوك الـــسِّبطُ مـــن رحمِـــهْ

أبّـــــد الـــــرحمنُ قِبلَتَـــــهُ — بــكَ واســتحمى حِمــى حُرمِــهْ

وحبــــاكَ المجـــــدَ أجمعَـــــه — حيثمـــا ذَبَّيْـــتَ عـــن حرمِـــهْ

قـــسماً بـــالله يقـــسمُه — عبـــدُ بـــرٍّ بـــرَّ فـــي قـــسمِهْ

إنـــك المَهْـــدي وحجتُـــه — عـــدلُك المعـــدودُ مـــن قـــسمِهْ

يـــا أميـــرَ المـــؤمنين ومـــن — شـــاد بالعليـــا عُـــلا أُطُمِـــهْ

خـــذْ مـــديحًا كلُّـــه دررٌ — جـــاء يـــسعى نحـــو مـــستلمِهْ

هـــزأت بـــالفجر غُرَّتُـــه — حيـثُ لاحـتْ مـن دجـى لِمَمِـهْ

نظـمُ عبـدٍ نثـرُ مـدحِك مـا — زال يُـروى عـن حِجـا قلمِـهْ

هـــو زيـــنُ العابـــدين ومـــن — طبـــري بـــدا[1] مختتمِـــهْ

قالـــه طفـــلاً وســـوف تـــرى — بعـــد مـــا يأتيـــك مـــن خدمِـــهْ

فابـــسطِ الأعـــذارَ وادعُ لـــه — إن هـــذا أخيـــرُ مغتنمِـــهْ

دمـــتُ مـــولاه وســـيدَه — مـــا شـــدا القُمْـــرِيُّ فـــي نَغَمِـــهْ

[٨٧١] الحسن بن أبي القاسم بن علي.

كان من أجلاء السادة، وأكابر الأولياء، عظم حالُه بعد موت أخيه الحسين، وارتفعت درجته، وبعدُ صِيتُه.

[٨٧٢] السيد العلامة الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم بن

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بَدْءُ.

محمد بن علي[1].

السيد العارف بالله، المتسربل بثوب الخمول، والقاطع لنفسه ـ مع كماله ـ عن دواعي الفضول، له معرفةٌ جيدةٌ في النحو، وأصول الفقه، وسائر الفنون، وأما علم المنطق والتصوف، فمما انفرد به في قطر اليمن.

ومن مؤلفاته: «شرحُ تهذيب المنطق» لم يكمل ـ فيما أحسب ـ، و«حاشيةٌ على شرح التهذيب» للسيد الحسن الجلال، لم يدع شيئاً مما أورده السيد إلا ردّه أحسن رد، ومنها: «حاشيةٌ على شرح التهذيب للنيردي»، و«شرح رسالة الوضع العضدية»، ومنها: «شرح عقيدة عمه الإمام إسماعيل»، ومنها: «شرح لب الأساس» للإمام محمد المؤيد بن إسماعيل، ومنها: «شرح منظومة الورقات» للسيد محمد بن إبراهيم المفضل، وله «مؤلفٌ لطيفٌ في التصوف»، وغير ذلك من الفوائد، وله نظمٌ بديعٌ، أغلبه في منهج التصوف.

مولده سنة أربع وأربعين وألف بالدامغ، الجبل المشهور بجهة ضوران، **ووفاته** في شهر جمادى الأولى، سنة ألف ومئة وأربع عشرة بصنعاء، ودفن بحريمه ـ رحمه الله تعالى ـ.

قرأ على السيد علي العبالي، «هداية العقول» لوالده.

وله شعرٌ بديع، منه: هذه القصيدة الرفيعة، والحكمة البديعة، وهي قوله:

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٩٧) (١٥٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٩٧)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٤٦٨) (١٣٩)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥٠٦) (٤٥)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٦٤) (١٩٨).

لكمالِ ذاتِك في الوجـود تطلُّعـي ولنيلِ وصلِك في الحياة تطمُّعـي

ولوجهِك الزاهـي بحسنِ جمالِـه حَجِّـي وتطـوافي بـذاك المربَـعِ

وإذا استلمتُ الركنَ كنـتُ مسلِّما قلبـي المتـيمَ للمليـك الأرفـعِ

وإذا سعيتُ فللـصَّفا نحـوَ الـصفا وإن اعتمـرتُ فللجنـاب الأمنَـعِ

يـا مـن تمنّـع أن أراه حقيقـةً الله لـي مـن حـسنه المتمنِّـعِ

أرضى الحجابَ ولو تجلَّى مسفراً لاندَكَّ طـودُ القلـبِ عنـد المطلعِ

ومحت وجودي ساطعاتُ جمالِـه وجـهٌ بغيـر النـور لـم يتبرقَـعِ

لـولاه مـا ظهـر الأنـامُ ووصـفُهم فوجـودُهم مـن جـوده فـافهم وعِ

واعلـمْ بـأن الكـون معـدومٌ إذا لـم يـرتبط بوجـوده المترفِّـعِ

إن القـديم لـه التفـردُ والبقـا والانعـدامُ لحـادثٍ متقـشِّعِ

فإليك أشكو منك فاجعـلْ بُغيتي كـشفَ الغطـاء لغيـر قهـرٍ مفـزِع

فالنفسُ قد حبست بـسجنٍ مظلـمٍ ترجو من السجن الخلاصَ فأسرع

والبعدُ أضرمَ في الحشا جمرَ الغضى والعـينُ تـسقيه لفـيضِ الأدُمـعِ

لله أيـامُ اللِّـوى اللاتـي مـضت مـا كـان أطيبَهـا بـوادي لَعْلَـعِ

حيثُ الحـصى دُرٌّ وتـربُ مسيله مـسكٌ يفـوح بنـشره المتـضوع

فتبـدلتْ تلـك المـسرةُ ترحـةً لما تناءى عن حِماهـا موضِـعي

يا كعبةَ الـشرفِ التي طافـت بهـا تلـك النفـوسُ لـسرِّها المستودعِ

جودي علـى روحٍ بلطـفِ إفاضـةٍ لتعـود سـامعةً بمـا لـم تـسمعِ

فـالنفسُ تطلـب عطفـةً تحيـا بهـا أبـداً ولا تـصغي لـروع مـروِّعِ

بمعادِها ارتفعتْ وعزَّتْ بعدما	هبطَتْ إليك من المحلِّ الأرفعِ

[٨٧٣] السيد الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي، ورفع نسبه في ترجمة جده القاسم.

من أكابر علماء العِتْرة، وعظمائهم وسراتهم وكبرائهم، مقيمٌ بصنعاء، لا يعرِّج على الدنيا، ولا ينظر إليها، وله تصانيف تدل على غزارة علمه، ودقة نظره وفهمه، منها: «شرحٌ على عقيدة عمه الإمام إسماعيل المتوكل»، وبينه وبين شيخنا القاضي الحسين المهلا مكاتباتٌ ومراجعات، منها: ما كتبه إليه، وقد أرسل إليه مؤلفه المذكور، وما علقه السيد الهادي بن أحمد الجلال:

الحمد لله المحمود بنطق كل حامد، والصلاة والسلام على الرتبة الجامعة لجميع المحامد، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الهادين لأشرف المقاصد، الحضرة الجامعة لفنون المحاسن، التي تقر رؤيتها عيون الأعيان، والرتبة المطهرة لعوارف المعارف، التي تتشنف بسماعها آذان الأذهان.

فجنابها الرفيع مشرقٌ بأنوار التدقيق، ومدرجها المنيع مطلع على دقائق أسرار التحقيق، الذي لو ذاقه الفخر الرازي، لما كانت نهاية إقدام العقول له عقال، ولو فهمه المعلم الأول والثاني، لاتضحت لهما جلية الحال، ولم يلتفت إلى وساوس أهل الجدل، وهواجس أهل القيل والقال:

لمن غدا لذوي الألباب والفِطَنِ	يهدي إلى مسلك الآراء والسننِ
ومَنْ أثارَ المعاني من معادنها	وساق منهاجَها العالي على سَنَنِ
ومَنْ أقام مباني العلم فارتفعتْ	فقصرُه شامخُ الأركان في اليمنِ
وسوحُه ممتعٌ للنازلين به	مُسْلٍ عن الأهل والأحباب والوطنِ

سيدنا العلامة، مبرز التحقيقات الرضية الدقيقة، وبركتنا الأوحد الفهامة، مظهر التدقيقات المتينة، الفائق منطقه بروج أوج المفاخر، وسما فخراً كسمو الظاهر، شمس العلوم والدراية، وبدر الكمال والنهاية:

نجلُ الأفاضل من صَـفَّوا قلـوبَهم	لفيض إشراقِ سرِّ الروحِ في العطَـنِ
ففاض منها على العافين بحرُ هدى	رواهم مـن معيـنٍ غيـر ذي أسـنِ
أعني الحسينَ الذي أبدى لنا نُحُناً	مـن علمـه طوَّقتنـا أعظـم المـننِ
لازال فـي نعمـة موصـولة برضًـا	ما دام يُذكر اسمُ الحق فـي الـزمنِ

من رقا بشريف همته أرفعَ المقامات العلية، وصعِد بصحيح عزمِه إلى منتهى الحضرات السنية، ورفع الله سبحانه به منار الحقيقة، وأعلى شرف الإسلام والمسلمين، الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، شيد الله بعلومه أركان الهداية القويمة، وأوضح بفهمه منهاج الطريقة المستقيمة.

وساق الكلام فيه حتى قال: إنه صدر إليكم، مـع ما اقتضيتم إصداره من الحضرة الجلالية، والبرزة الرفيقة الكمالية، حضرة سيدي الوالد، السيد العلامة معدل معاني المنقول والمعقـول بميزان الاعتدال، الهادي بن أحمد الجلال ـ أنار الله العالمين بنور علمه، وهدى السالكين لطريقه المستقيم بطريق فهمه ـ شرحٌ لرسالة مولانـا أميـر المـؤمنين المتـوكل على الله رب العالمين إسماعيل ابن الإمام المنصور بالله القاسم ـ زيّن الله بعدله الآفاق، ونفع بعلومه أولي الفهم والأذواق ـ.

أخرجه حكم الوقت إلى حضرة الإمكان، على يد العبد الفقير، المعترف بالعجـز والتقصير، والخطـأ والنسيـان؛ ليتشرف بالمثـول بين يـدي نظركم

الشريف، ويأتي بقبس يهدي إلى العروج إلى معارج العلم المنيف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأخذ المترجَم عن السيد عز الدين العبالي علومَ المنطق، وعن السيد الهادي بن أحمد الجلال، قرأ عليه «شرح المنتهى للعضد»، و«الشرح الصغير على التلخيص»، وأخذ عن القاضي صالح بن أحمد العيشي علومَ العربية.

وله من المؤلفات: «حاشيةٌ على شرح السيد حسن بن أحمد الجلال على شرح التهذيب للسعد المسمى بالتهذيب»، و«شرحٌ على التهذيب»، و«شرحين[1] على الرسالة الوصفية» بسيطٌ ومختصر، و«مختصرٌ في علم الكلام»، و«شرحٌ على الإيجاز مختصرٌ لتلخيص المفتاح» للشيخ لطف الله العباب، و«حواشٍ على مواضع من البدر الساري» في علم الكلام للسيد محمد المعنى.

توفي ـ رحمه الله ـ في شهر محرم، سنة ألف ومئة وأربع عشرة بصنعاء.

ومما كتبه إلى القاضي الحسين المذكور ـ أيضاً ـ: هذه الرائقة الفائقة، وهي قوله:

إلى مَن به سحبُ المعارف أغدقَتْ	فروّى غليلَ الطالبين نَميرُها
ومن سره النفسُ النفيسُة آزرتْ	نتائجَ فكر لاح في الخلق نورُها
وحازت به تلك المعاني فأظهرتْ	له ملكاتٍ فاق فينا ظهورُها
وصار له المعلوم منها مشاهداً	فإن رام بحثًا لم يَعُقْه حضورُها

(١) كذا في الأصل، والصواب: شرحان.

وما وقفتْ بالمستفاد بل ارتقتْ | إلى عقلها الفعلي دام حبورُها
وإني لأرجو أن تراني قابلاً | لفيض نوالٍ ناله مستميرُها
فيخرج لي من دُرِّ بحرِ علومِها | عقودَ لآلٍ قلدته نحورُها
فيا من بهم تلك الصفاتُ تحققت | ولولاهمُ لم يلف منها عشيرُها
ومن أدركوا غاياتِ كلِّ فضيلةٍ | فمنهم إليهم عَوْدُها وصدورُها
ومن أوضحت أنظارهُم لأولي النهى | خفايا المعاني فاستنارت بدورُها
ومن عمروا ركن الحقيقة وارتقَوْا | ذُراها فطالت في الأيام قُصورُها
ومن أَنشقوا الأنفاسَ عطرَ هدايةٍ | تضيَّعُ ريَّاها وفاحت زهورُها
ومن كشفوا عنا حجابَ شكوكِنا | وقد أُسدلت في الأكثرين ستورُها
ومن أنباؤنا[1] عن لطيفةِ كونهم | بما دلّنا أن الجنانَ مصيرُها
بعثتُ إليكم قطرةً من علومكم | تغطَّت بأمواج لديكم بحورُها
فجودوا على الصادي بنهلة شاربٍ | فنيرانُ أشواقي شَبَّ سعيرُها

وبعدها نثرٌ أشار فيه إلى دقائق العلوم، وأتى فيه بما يعجز عنه أرباب المنثور والمنظوم، وكتب إلى شيخنا الحسين المذكور قوله:

هل في ربوعٍ بجرعا الحِمى طللُ | يحلُّه من له في حبهم شُغُلُ
وهل لمن لم ينل في الدهر بُغيتَه | من آل ليلى وصالٌ ليس ينفصلُ
يا جيرةً طاب بين الخلق ذكرُهم | لأجلكم بُعثت ما بيننا الرسلُ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أنبؤونا.

فعاملونـــا بقـــدر الـــودِّ إن لنـــا بـــشأنكم همـــةً دانـــت لهـــا الأُولُ

ومـــا انتفـــاعُ أخـــي الـــدنيا بعزمتـــه إذا تحولـــتِ الأحـــوالُ والـــدولُ

فـــإن تقاعـــد كـــان العجـــز غايتَـــه وإن تقاعس أضحى غابة الأسل[1]

سيدنا الذي مقدمات قياسه بديهة الإنتـاج، وموضوع محمولـه بجـده الأوسط ظاهر الاندراج، تمثيل استقرائه حجة يقينية، وترتيب دلائله أشكال اقترانية، شرطياته الاتفاقية لزومية، وافتراض عكسه مسقطٌ لعقم الجزئيـة، وكيف لا وقد أشرقت به مدارس العلم وشرفت، وعمـرت أركانهـا بمشيـد أفكاره وما اندرست.

فهـو شرف الدين، والشرف على حـدود الفـلك بل خلاصـة اليقين، واليقين أقوى أوصاف الملك، فأنهـارُ علومـه لا ينضُب ماؤها ولا يغيض، الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ ـ حفظه الله بالمعقبات من أمره، ولحظه بعين العناية من سره وجهـره، وأهـدى إليـه من السلام أتمـه، ومن الإكرام والإنعام أوفره وأعمه ـ.

وإنه ورد إلي ما أنتجه طبعه السليم، وفكره المستقيم، من فوائد ذلك الشكل الكريم، فحملني ثالثاً[2] على وضع هـذه الرسالـة، مجـاراة سوابق الأفاضل، ومباراة لسهام المناضل، فإن جاءت مقبولةً، فذلك ما كنت أبغي، وإن عادت مردودةً، فمما اطُّرح وألغي، ومن لديكم من الطلبـة والإخـوان الكرام، مخصوصون بالتحية والسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

والسلام على رسول الله.

فأجابه بقوله:

يا من حلا بهم التفصيلُ والجمـلُ ... هل في ربوعٍ بجرعاءِ الحمى طللُ

بـه مظـاهرُ آيـاتٍ بهـم بهـرت ... يحلُّهـا مـن لـه فـي حـبهم شُـغُلُ

وهل لمن لم ينل في الدهر بغيتَه ... من وردهم سهل[1] يرتاح أو عَلَـلُ

فما مرامي سـوى علـم يكـون بـه ... من آل ليلى وصـالٌ لـيس ينفـصلُ

يا جيرةً طار بـين الخلـق ذكـرُهم ... عليّ مـن ودِّكـم مـا دونـه الأمـلُ

بعثتمُ مـن علـوم الجفـرِ أسـرحَها ... لأجلكـم بُعثـت مـا بيننـا الرسـلُ

فعاملونـا بقـدر الـودِّ إن لنـا ... لرتبـةٍ فيـه راقـت عنـدها الوُصـلُ

لا تتركوا جانب الأحباب إن لهـم ... بـشأنكم همـةً دانـت لهـا الأُول

ومـا انتفـاعُ أخـي الـدنيا بعزمتـه ... إن لم يكنْ مستقيمًا عنـده العمـلُ

ومـا اسـتقامتُها إلا بهمَّتـه ... إذا تحولـتِ الأحـوال والحِلـلُ

فـإن تقاعـدَ كـان العجـزُ غايتَـه ... وما لـه فـي المعـالي بعـدَ ذا نُـزُلُ

وإن تقاعس أضحى غابـة الأسـل ... وبعـد ذاك فللجـوزاء ينتقـلُ

كما عدى ابن أميـر المـؤمنين لنـا ... كهفًـا بـه نعـم الخيـار يتـصل[2]

فإن للحَسَنِ المولى الذي شـرفَت ... بـه مـدارسُ علـم منـه يعتـدلُ

ما لستُ أحصر من علم ومن عمل ... يا حبـذا منـه ذاك العلـمُ والعمـلُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: نَهَلٌ.

(٢) الخيار جاءت في الأصل غير منقوطة، ولعل الصواب: نعمُ الجبارِ تتصلُ.

مولانا الذي اطلع على أسرار العلوم الشرعية والعقلية، واستولى على ممالكها الذاتية والآلية، من أوتي في العلم مقاماً جليلاً، وبلغ فيه الرتبة التي أحلته منزلاً رفيعاً جميلاً، وعَلِمَ من جاراه فرأى باهرَ علمه معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[الإسراء: ٨٥]، إمام العقل والنقل، وصاحب القول الفصل الجزل، وبركة جهابذة هذه الأمة، الذي تنتهي إليهم رسالة العلم والعمل، وبقيةُ سلف الأمة، الهداة الذين استووا على عرش الكمال في تلك الحلل، شرف الإسلام والعلوم والفضائل عن كمل، ومرجعُ الأئمة في مهمات الدين لتعود رائقة الحلى والحلل، طيبة الفروع والأصول والوُصل، الحسن بن الحسين ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، خمسةٌ أسماؤهم من سرب صوب الغمام، أيّده الله بتأييده، وقرن أموره بتسديده، وأبقاه ملاذاً للعلم وأهله، موصولاً بسلامه ورحمته وفضله، وإنه وصل إلى مترفه في أحسن ساعةٍ وحالة، وعليه رونق البهاء والجمال والجلالة، مصحوباً بنفيسات تلك الأسرار في تلك الرسالة.

وإن الكامل ليقصِّر عن درك براهينها اللمية، ويتحقق عند ذلك معنى الخطاب: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[الإسراء: ٨٥]، إلى ما منّ الله به من تلك العلوم الوهبية، إذ معنى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾: ما أعطيتم، فجعلها موهبةً لا عطية، وقال في عبده الخضر ـ عليه أشرف التحية ـ: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾[الكهف: ٦٥] بالإشارة إلى تلك المكرمة اللدنية، وقال في السورة الرحمانية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[الرحمن: ١ ـ ٢] مشيراً إلى ما يؤخذ عن الملكة السرية.

ومن هنا ذهب ذاهبون إلى أن المراد بالعلم الذي آتاه: هو ما خُصَّت به

العترة الزكية، وأتباعهم المرتقين[1] إلى الدرج السنية، من العلوم الوهبية، وأن لو كان المراد به ما يشمل الكسبية، لقال: أوتيتم الطريق إلى تحصيل تلك اللطائف، ونحن نقول: المراد به: مطلق العلم؛ ليشمل العلمين، وذلك حاصلٌ من فضله بلا مين، ونحن نعلم أن ثم علماً اكتسبناه من أفكارنا وحواسنا، وأن ثم علماً يفتح الله به علينا عند النظر فيما أهمنا من علومنا، تشرق به شموس النظر، وتتحلى به الآراء والفكر.

وقد يمنُّ الله سبحانه بأمرٍ من العلم عظيم، ويورده على أرباب العلم والتعليم، موهبةً منه وفضلاً، وإن فضله لعميم، ومن هنا اختلف في العلوم الحاصلة عن التقوى أَوَهبية هي أم مكتسبة؟ رجح قومٌ الثاني، فهي الثانية في الرتبة؛ إذ التقوى مما جعلها الله سبباً وطريقاً إلى علومٍ هي عينها متسببة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأنفال: ٢٩]، فما أعظم فضل الله وأطيبه!.

وعلى هذا: فالتقوى طريقٌ إلى العلم بالمعلومات؛ كالفكر، والنظر، والعلمُ الوهبي مما يمن الله به، لا من طريقٍ على الحد المعتبر، وهو السر المطلوب من اسمه عبد الوهاب عند أرباب النظر؛ فإن الوهاب هو الذي يكون عطاؤه على هذا الحد الذي بهر؛ بخلاف الاسم الإلهي، أو الكريم، أو الجواد؛ كما هو مبسوطٌ بما هو أظهر من القمر.

ولذا كان العارف بحقائق العلوم، وحقائق الأسماء لخالق القوى والقُدر، عارفاً كيف ينزل الثناء على الوجه اللائق، بمن خلق الإنسان في أحسن تقويم،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المرتقون.

وشَقَّ له السمع والبصر، ومن هنا وصل أرباب الفضل المؤيد، المأخوذ من طور سيناء آل محمد، إلى رياض علومٍ ومعارف، ومحاسن ولطائف، فأنشدوا بين تلك المطارف:

خليلـيَّ إن الجِـزْع أضـحى ترابُـه ... من الطيـب كـافوراً وأغـصانه نَـدَّا

وأصبح ماءُ الجزع خمراً وأصبحت ... حجاراتـــه دُرّاً وأوراقُـــه نـــدَّا

ومـــا ذاك إلا أن مـــشتْ بجنابـــه ... أُميمـــة أو جَـــرَّت بتربتـــه بُـــردا

وعند بلوغهم إلى تلك المشاهد، وكروعهم من[1] سلسل تلك الموارد، قالوا:

من فاته منـك وصـلٌ حظُّـه النـدمُ ... ومن تكن همَّـه تـسمو بـه الهِمَـمُ

وناظرٌ في سوى الأسباب حُقَّ لـه ... يقتصُّ من جفنـه بالـدمعِ وهـو دمُ

والسمعُ إن جال فيـه مـن يحدثـه ... سوى حديثك أمسى وَقْره الـصمَمُ

مـن المنـازلُ لـولا أن تحـلَّ بهـا ... وما الديارُ ومـا الأطـلالُ والخِـيَمُ

لولاكَ مـا شـاقني ربـعٌ ولا طلـلٌ ... ولا سعت بي إلى نحو الحمى قَـدَمُ

فـي كـلِّ جارحـةٍ عـينٌ أراك بهـا ... مِنِّي وفـي كـل عـضوٍ بالثنـاء فـمُ

فـإن تكلمـتُ لـم أنطـقْ بغيـرِكم ... وكـلُّ قلبَـي مـشغوفٌ بحبِّـــكمُ

سعيتُ كلَّ طريق [لـست] أعرفُـه ... إلا طريقًـــا تـــؤدِّيني لـــربْعِكم

أما أسرار تلك الرسالة التي برزت في تلك الحلة، وظهرت من نحو كريم

---

(١) في الأصل: في، والصواب ما أثبت.

تلك الجلة، المصدرة بالمبدَع الأول في مراتب الحرفية، الخبرة عن مقام الخليفة مقام المستخلف في العلوم الجفرية، ناطقةً عن الألف عنه بالواحد الذي لا يتجزأ، مشيرةً إلى القلم الذي صدر عنه أول ما أصدره الله من تلك الأجزاء، لمناسبته القلم في تلك الصورة اللطيفة.

ولذلك كان ما بعده من الحروف في تلك الاعتبارات الشريفة، وقد شرح أرباب العلوم الجفرية ذلك، ووسعوا في درك تلك المدارك؛ نظراً منهم إلى أن الحرف ومظهره هنالك، ليس هذا الذي يكتب في الصفحات والمسالك، ولكن فيه معناه الشريف؛ إذ هو أصل مظهره، ومنه مبدؤه، وإليه عودُ معناه، وخبره ومخبره، ولذا استخرج عندهم من صوره، التي هي أ ل ف عده اسماً من أسمائه تعالى، وأعظمها اسم. . .[1].

[٨٧٤] حسن باشا[2].

. . . يحب الأشراف، وينصفهم غاية الإنصاف.

ومن أعجب الأمور: أن بعض أعداء آل المطهر حسّن له القبيح إليهم، فقال: لا أغير نعمة لآل رسول الله ﷺ، ولا أرميهم بالنار؛ رعاية لجدهم المختار ﷺ، وفي دخوله إلى صنعاء دبر وفكر، وطول وقصر في أحوال اليمن، وشاور العقلاء، وجالس ذوي الفطن من الرؤساء، ثم نهض لحرب اليمن.

ونحن نذكر من فتوحاته نبذةً على جهة الاختصار، فعين على العساكر المنصورة كتخداه الأمير سنان بيك، وفتح حصن ظفار داود في سنة تسع

---

(١) سقط قدر ورقة من أصل المخطوط.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٧٣).

وثمانين وتسع مئة، وقبض على حاكمه السيد محمد بن الناصر الحوفي، وفتح حصن عمران في شهر صفر، سنة تسعين وتسع مئـة، وفتح حصن مدع في شهر صفر المذكـور، وحصن ذي مرمر في ذي القعدة من السنة المذكورة، وخرج إلى يده حاكم الحصن المذكور، السيد لطف الله بن المطهر.

وفتح صعدة وبلادها في سنة إحدى وتسعين وتسع مئة، وقتل حاكمها السيد أحمد بن الحسين المؤيـدي، وسلم الفقيـه عبدالله بن المعافى حصن السودة طاعةً للسلطان، فكافؤوه بالسنجق السلطاني، وقـررت بلاد السودة تحت يده، وهي الآن تحت يد أولاده، في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئـة، وفتح حصن ثلا في جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة، وخرج إلى يده السيد علي يحيى بن المطهر، وقبض على الإمام الحسن بن علي المؤيدي، وفتح بلاده في شهر رمضان، من السنة المذكورة، من الصاب بجبل هنوم.

وفتح حصن عفار في ربيع الأول، من السنة المذكورة، وخرج إلى يده السيد غوث الدين بن المطهر، وفتح بلاد أصاب، في سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة، وقبض الوزير حسن على أولاد المطهر المذكورين؛ لأنهم بعد طاعتهم لم يسكنوا من إثارة الفتن، وأرسل بهم إلى الأبواب العلية السلطانية، وذلك في شهر ذي القعدة، سنة أربع وتسعين وتسع مئة، وهم: الإمام الحسين بن علي المؤيدي، وعلي يحيى بن المطهر، ولطف الله بن المطهر، وغوث الدين ابن المطهر، وحفظ الله بن المطهر، ومحمد بن الهادي بن المطهر.

وعيّن الوزير حسن باشا ففتح بلاد يافع كيخية الأمير سنان بيك سرداراً على العساكر، فتقدم على بلاد يافع في العشر الأوسط من ذي القعدة، سنة ست وتسعين وتسع مئة، فلم يزل الأمير سنان يغاديهم ويراوحهم بالحروب،

فكان بينه وبينهم ثلاث مئة وقعةً سجالاً، تارة عليهم، وتارة عليه، فأعطاه الله النصر عليهم، وفتح بلاد يافع في سنة سبع وتسعين وتسع مئة.

وفتح حصن أحوب، وحصن الغراب، ورجع سالماً غانماً في شعبان، سنة تسع وتسعين وتسع مئة، وقد فتح اليمن بأسرها، ولما استولى حسن باشا عليها، وسكنت عنه الفتن، وساعدته الأقدار، ودانت له الأقطار، ونامت عنه عيون الحوادث، استكثر العساكر وجوامكهم، وشرع في تقليلهم، فظهر في بلاد الشرف الإمامُ القاسم بن محمد بن علي، وادعى الإمامة في سابع وعشري محرم، سنة ست بعد الألف، فأطبق أكثر أهل جبال اليمن على طاعته، وسارعوا إلى إجابته، وصاروا من جملة جماعته، فاشتعلت نار الفتن، وثارت من الناس الحفائظ والإحن.

وضاقت أحوال الوزير من تردُّد أصحاب الإمام إلى صنعاء، وتفلَّت البلاد من يديه جميعاً، وقام عليه الأعلى والأدنى، وحاربه من كان لديه بالمحل الأسنى، وله عليه التفضل الأهنى.

ولم يبق مستقيماً على قدم الطاعة للسلطنة العلية ـ أعز الله أنصارها، وضاعف علوها واقتدارها ـ إلا الأمير شمس الدين أحمد بك بن محمد بك ابن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، الحاكم بمحروس كوكبان؛ فإنه لزم ما التزمه والده الأمير محمد من الطاعة للسلطنة، حسبما تقرر بينه وبين الوزير الأعظم الحاج سنان باشا، فبذل المذكور النفس والنفيس في إشادة نصرها المأمول، حتى نال بذلك ما نال، وفاز فوزاً عظيماً.

وقفاه ما فعله ولداه: الأمير وجيه الدين، [و]عبد الرب، فشيدا من الخدم

السلطانية ما فاقا به غيرهم، فنهض الوزير حسن باشا، وجمع أهل النجدة من الرجال، وبذل الأموال، وعين كيخية الأمير سنان بيك سرداراً على العسكر، وأمده بالمال والرجال، وطلب حاكم الحبشة علي باشا الجزائري، فوصل، وكان لوصوله تأثيرٌ في تسكين الفتن من بلاد اليمن الأسفل، ثم توجه على بلاد بنوه، فاستشهد بها سنة ثمان بعد الألف، وانضافت خزائنه بالعساكر إلى جانب الوزير حسن باشا.

وتوجه السردار الأمير سنان إلى جهة كوكبان، فاجتمع هو والأمير أحمد ابن محمد بن شمس الدين بن شرف الدين، ففتحا به كوكبان جميعها، بعد استيلاء أصحاب الإمام عليها، ثم توجه السردار على سائر البلاد، ففتح بلاد ثلا، وحصن ثلا، وبلاد عمران، وحصن مدع، وحصن عفار، وبلاد الظاهر، وبلاد نهم، وبلاد حصور، وبلاد الحيمة، وبلاد سخان، وبلاد مغرب آنس وذمار، وبلاد يريم، وفتح بلاد جبل اللوز، وبلاد خولان.

ثم عطف على بلاد الظاهر، فاستقر بخمر والصَّرَارة، وهما بلدان يتوسطان بلاد الزيدية، فوصل إليه الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر، وكان المذكور موالياً للسلطنة، فحصره الإمام القاسم في حصن مَبْيَن ببلاد حجة، فاستولى الإمام على بلاده، فخرج من حصن مبين إلى عند الإمام بالأمان، فلما أتى إلى عند الإمام، أخذ عليه العهد بأنه منه وإليه، فأرسله الإمام لحرب السلطنة.

فكان طريقه من عند الإمام إلى عند السردار، فافتتح بلاده بلاد حجة، وألزمه السردار باستفتاح بلاد الشرف، فاستفتحها، فلما شاهد الوزير حسن باشا علو همته، ومناصحته ومحبته لجانب السلطنة، أنعم عليه ببلاد الشرف،

وقرره على بلاد حجة والشرف، وكانت له إنعامات من جانب السلطنة تبهر العقول، فلم يرع لحقوق السلطنة في آخر مدته، بل طغى وبغى، وقد قيل: من رفع إنساناً فوق قدره، فقد أطغاه، وسنذكر فيما بعد ما آل إليه أمره.

واستولى الإمام على بلاد صعدة، فقام على ساق الحرب الأمير مصطفى بيك، وانتقل إلى رحمة الله، ثم قام مقامه الأمير محمد بيك الكردي، فاتفق الصلح بينه وبين السيد محمد المؤيدي، فحصل الفتح بمساعدة السيد المذكور، فأنعموا عليه بالسنجق السلطاني، ونال من السلطنة ما رغم بـه أنف أعدائه، وكان ذلك في شهر صفر سنة سبع بعد الألف.

وضعفت شوكة الإمام القاسم، ولم يبق في يده إلا حصن شهارة، في بلاد الأهنـوم، فتحصن بـه، فعين السردار الأميـر سنـان عسكراً وسرداراً، فأحدقوا به، وحازوه في حصنه، فخرج الإمام، وهرب من الحصن متنكراً، ولم يشعر به أهل حصنه، فضلاً أن يشعر من كان في حربه.

وبقي ولده محمد متحصناً في مكان أبيـه، وعجز عنه، وخاف حاله، فخرج بالأمان، وأن يكون محل قراره عند صاحب كوكبان، فأعطوه الأمان على ذلك، وقبض حصن شهارة، فخرج السيـد محمد بمن معه من إخوانه وأهله، وسكن في كوكبان، وسنذكر سبب خلاصه كيف كان من الأسر ـ إن شاء الله تعالى ـ، وكان ذلك سنة عشر بعد الألف.

ولما طالت مدة صاحب الترجمة باليمن، عزل عنه، وخرج على وجه مستحسن، فتوجه إلى الروم، يوم حادي وعشري صفر، سنة ثلاث عشرة وألف، وتولى بعده سنان باشـا كتخـداه، ثم توفي حسن باشا في القسطنطينية، في سادس عشر رجب، سنة ست عشرة بعد الألف.

[٨٧٥] حسن باشا بن عبدالله المعروف بشوريزي حسن[١].

كان جندياً بدمشق، ثم ترقى به الحال إلى أن صار من أمراء الجند، ثم ثار عليه الجند، وأرادوا قتله، فسلمه الله منهم، وصولحوا بعزله، فسلك طريقة التيمار، حتى صار جاويش السلطان، وسافر إلى القسطنطينية مراراً، وكل مرةٍ يأتي الشام بحسنةٍ إلى بعض المستحقين من العلماء والصلحاء، إما وظيفة، وإما صدقة.

وكان يستنهضه الناس في استخراج براءات لهم سلطانية، فيأتي إليهم بها حسبةً، وكان له اعتقاد في العلماء والصلحاء، وكان يحنو على الأيتام، وحضن كثيراً منهم، ممن لا ولي له، وثمرَّ أموالهم. . .[٢].

له محاسنُ لا تُحصى لكثرتها	وطالما هطلت خيراً شآبيبُه
يحب تعميرَ أوقافِ المساجد لا	يألو وقد حُسنت فيها تراتيبُه
وكان يُحسن للأيتام محضَنهم	تجري على مستوًى فيه أنابيبُه
. . .[٣] دمشق ومن فيها له وغدا	تجرهم غير ابـاء مجاويبه
وربما مسَّ منه الظلمُ بعضَهم	وعاث في الناس تؤذيهم يعاسيبُه
يُبادِئُ الناس بالترهاب يوهِمُهم	مما يبلِّغُه عنهم دَياديبُه

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٣) (١٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤).

(٢) سقطٌ قدر ورقةٍ من أصل المخطوط.

(٣) جاء في الحاشية: «قبل كلمة «دمشق» كلمة غير ظاهرة».

أخلـتْ منيتُـه منـه الـديارَ فقـد — أمسـتْ خـلاء تبكّيـه شـناحيبُه
من بعض ما أفلجت منه مفاصله — ومـا نفـت عنـه أسـقاماً تقاريبُـه
كانـت تـسَوّم فـي عـرض مراكبـه — فـصار لـلأرض وانفكـت تراكيبُـه
فليعتبـرْ كـلُّ جبـارٍ بميتتِـه — مـا قـد خلـدت كـلا ونيبُـه[1]
يـا طالمـا ينـصرُ الآيـاتِ ظـاهرةً — والقلـبُ مـا فعلـت فيـه تقاليبُـه
وما اعتبرنا بما التاطتْ وما نشبت — فـي ذا الزمـان بأهليـه مخاليبُـه
نجرِّبُ الدهرَ تـاراتٍ فنعـرف مـا — يُجريـه لـم تلونـا عنـه تجاريبُـه
طوبى لمن لم يكن بالدهر منخدعًا — ولـم تُمِلْـه عـن التقـوى محابيبُـه
بـالخير يُـذْكَر أو بالـشر كـلٌّ فتًـى — قضى فلا أُسْدُه تُخشى ولا ذيبُـه

ذكره النجم الغزي في «الذيل»[2].

[٨٧٦] حسن دده.

كان بقرية قاي في صحراء مرتضى آباد، قريباً بقصبة أياش، وكان شيخاً صالحاً، صاحب رياضةٍ وكشف، **توفي** سنة سبع بعد الألف.

[٨٧٧] حسن دده.

الساكن الآن ببلـدة أرض روم، كان عالمـاً صالحـاً، يعـظ الناس في الجامع، وله أصحابٌ ومريدون[3].

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض».

(٣) جاء في الحاشية: «بعد ذلك سطر بياض».

[٨٧٨] حسن الدَّيْر عَطاني[1].

الشيخ المجذوب، كان من قريـة عطية، بالقرب من النبك، من ناحية جُبّة عُسال، وكان مجاوراً بالجامـع الأموي، لا يخرج منـه إلا قليلاً، وكان لا يقتات إلا بالخبز الخشن، ويأتدم بالخل والزيتون، وكان لا يقبل من كل أحدٍ شيئاً، بل يقبـل من جماعـة مخصوصين، فيظهر لامتناعـه في الغالـب حكمة، فيكون امتناعه لشبهةٍ فيما يدفع إليه، أو عدم إخلاص.

وكانت له مكاشفاتٌ ظاهرة، وأحوالٌ باهرة، وليس عليه سوى قميصٌ أزرق، ويلبسه صيفاً وشتاءً، وقيام في الجامع، وهو نظيف البدن والثوب، وإذا كان شهر رمضان، ذهب إلى بلده، فصام بها، وترك الجامع؛ لاجتماع الناس فيه في ليالي رمضان، وكثرة لغطهم.

وسمعه مفتي الحنابلة بدمشق أحمد الوفائي، قبل واقعة ابن جانبولاد، وهو يقول: اظلم ظلمـوا، اظلم ظلمـوا، فقال لـه: يا سيدي! عمن تقول؟ قال: عن هؤلاء الظلمة، يشير إلى عسكر دمشق، سوف ترى كيف يسلط الله عليهم علي بن جان بولاد، فلما تلاقـوا معه، انكسروا، ثم هربوا، وتشتتوا في البلاد.

قال النجم الغزي: وكنت يوماً ماراً عليه، وأنا في مهمة لي، فقلت في نفسي: يا شيخ حسن! خاطرك معنا، فخاطبني شفاهاً بقوله: قضيت الحاجة، قضيت سريعاً، ثم بعد أيام قلائل مررت بـه وهو مغضَب، فقلت له: مالك

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٠٥) (١٤٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٧٨).

يا شيخ حسن؟ فقال: أئمة الجامع هؤلاء الفاعلة التاركة، يؤذنون الفقراء، ويحملونهم الحملات، فتلطفتُ به حتى سكتَ.

وكان الحافظ أحمد باشا نائب الشام يعتقده، ويعرض عليه الأموال، فلا يقبلها منه، ويقول له: رُدَّ عن الفقراء هذه السوقة، الذين يبيعون الشهوات الطيبات، ويؤذون الفقراء، وإنما يشير إلى أن مثل هذه الأمور التي لا يقصد بها إلا ردّ ما يتأذى منها، فكيف لا يتأذون من ظلم الحكام؟ وكان ينكر على السوقة بيعهم للمآكل الطيبة، ويقول: إنهم يكدرون على الفقراء عيشهم، ويؤذونهم.

وتشكَّى قبل وفاته يوماً أو يومين، من غير انقطاع ولا اضطجاع، وأكثرُ الناس لم يعرفوا ذلك، فلما كان يوم الأحد، تاسع شعبان، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، أراد الخروج من الجامع، وقتَ الضحى، فسقط قبل أن يصل إلى باب العنبرانيين ميتاً، ودفن بمرج الدحداح، خارج باب الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٧٩] السيد حسن المجذوب المعتقد.

كان من بعض ضواحي الشام، ودخل دمشق، فجاور بالجامع الأموي عند باب الغزالية سنين، يأكل من غيب الله، وكان معتقداً، ثم انتقل إلى جامع يلبغا، تحت قلعة دمشق، وجاور به، فبينما هو ثمة ذات يوم، جلس بالقرب منه رجلٌ من المولوية، فجاءت هرةٌ تناولت من بين يدي المولوي شيئاً، فذبحها المولوي، فقام السيد حسن فذبح المولوي، وعُرض على حسن باشا ابن محمد باشا الوزير، وكان نائب الشام يومئذٍ، فسأله: لم قتلت هذا؟ فقال: لأنه قتل قطي، فأطلقه لجذبه، وعدم شعوره، ثم تبين أن المولوي قتل نفوساً

كثيرةً، وكان لصاً، ولم يُقتص منه.

ثم انتقل بعد هذه الكائنة إلى بستان بأرزه من المزارع، فقطن بها سنين، وأخبرني جماعةٌ من أهل تلك الأرض: أنه كان في زمن الشتاء لا يصيبه الثلج إذا وقع، ولا يصيب المكان الذي هو فيه، وكان لا يتضرر من حر ولا برد صيفاً ولا شتاءً، وكانت الناس تقصده بالزيارة، ويأتونه بالطعام والشراب، ويرون منه المكاشفات.

ثم انتقل إلى سفح قاسيون، وأقام بمغارة الشَّيَّاح، بين مغارة الدم وكف جبريل، وانضم إليه الشيخ حسن الرومي، وكان يتعبد بذلك الوادي قبله سنين، والشيخ أبو بكر الصباغ، إلا أنه مات قبلهما، وبقيا بعده، ثم كان الناس يطلعون إليهما للزيارة رجالاً ونساء، وكان يُقصد لأمور، فتحصل على أحسن وجه، وكان مستغرقاً لا يعقل.

ولما كان يوم الاثنين، ثالث عشر صفر، سنة ثمان عشرة وألف، وكان ثامن آيار، قبيل وقت العصر، جاءت سحابةٌ فيها رياح قواصف، ورعودٌ شديدةٌ، وبروقٌ متواترة، ثم تكاثفت وتراكم غمامها، ثم جاء بَرَدٌ شديدٌ كبيرٌ بقدر البندق، ووقع غالبه على الصالحية والجبل، ومعظمه كان على الجانب الغربي منها، وكثيرٌ منه على دمشق، حتى امتلأت منه الأقنية والطرقات، ثم سالت أودية الصالحية، لا سيما الوادي الذي فيه مغارة الشَّيَّاح، فأخذ السيل دوراً وقبوراً، فأمات الله فيه من الأحياء كثيراً، واستخرج من الأموات جمعاً كأنهم قد نشروا نشوراً، وفتح في تلك الأرض مع صلابتها خنادق عميقة، وأطلع من تلك الأرض صخوراً عظيمة.

وكان من جملة من أخذ السيل: المترجم، ورفيقه حسين الرومي، واستُخرج صبيحة يوم الثلاثاء، رابع عشر صفر، سنة ثمان عشرة بعد الألف، وحضر جنازته الجمُّ الغفير، وكان من جملة من حضره: العارف بالله الشيخ محمد بن سعد الدين، وصلى عليه إماماً بالناس النجمُ الغزي ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٠] حسن بن الذُّكرة الحلبي.

هذا الأديب، كان من أجمل أهل زمانه، متميزاً في جميع المحاسن والكمالات على جميع أمثاله وأقرانه، حسن الصوت والأوصاف، قريب الصحبة والمنادمة والائتلاف، وله على كتب الأدب اطلاع زائد، وأغصانُ روضٍ حسنه ما بين مائل ومائد، ورأيت له أبيات، هي على كمال فضله آياتٌ بينات، وهي قوله:

وأغيدَ بات يسقيني معتقةً	كأنها ريقُه أو حسنُ فعلتِهِ
أحوى حوى ملحاً في وجهه فغدت	مرآة ذات منه صبح غُرَّتِهِ
يريك غصْن النقا من قدِّه غصناً	عليه بدرٌ بدا في ليل طُرَّتِهِ
ما زلتُ أشربها صرفًا وربتما	كان المزاجُ لها معسولَ ريقتِهِ
حتى انثنيت أرى المريخَ من خدمي	وأن أدنى ارتفاعي فوق رتبتِهِ

[٨٨١] الحسن بن زيد العيزري.

القاضي العلامة، النبيه الفقيه، أستاذ المشايخ، كان من أهل العقل الرصين، والثبات في الأمر، والشهامة الكلية، حميد الرأي، موثوقاً به في جميع أحواله، محققاً في علوم العربية والأصول، والفقه والفرائض، رحل

إليه كثيرٌ للأخذ عنه، منهم: القاضي أحمد بن سعد الدين، قرأ عليه طرفاً من «الرضي»، وتخرج بـه، وانتفع بحلمه وعلمه، كثيراً ما يروي عنه، ومنهم: ولده إبراهيم، ورحل المترجم إلى عبدالله المهلا النسائي إلى باب الأهجر، وقرأ على ابن قيس الثلائي في الفرائض.

وكان ملازماً لحضرة أبي طالب أحمد ابن الإمام القاسم، متولياً للقضاء، وله من أبياتٍ قالها إجازةً لنصف بيتٍ رآه في النوم السيد أبو طالب أحمد بن القاسم، بعد فتح عمران، رأى أنه قال في منامه:

أقمنـا عـارَ عاثرِنـا فقامـا ....

فقال المترجم:

شـددنا خيلَنـا العُـربَ الكرامـا ... وحَرَّمنـا الإقامـةَ والمنامـا
وجـدْنا عـرارَ العـزم حتـى ... أقمْنـا عـارَ عاثرِنـا فقامـا
وشَـرَّدنا الأعـادي وانتقمنـا ... بمـنّ الله أقوامـاً طغامـا
بنـصر الله دمَّرنـا عِـدانا ... ونرجـو أن يكـون لنـا لِزامـا
ونملـكَ أرضـهم شـرقاً وغربـاً ... مـع الـسروات نمتلـك التهامـا
مع الحرمين نملـك أرضَ بـصرى ... وبغـداداً ومـصراً والـشآما

توفي يوم الخميس، تاسع عشر محرم، سنة ثمان وثلاثين وألف، ودفن بالعيازرة، عند المسجد ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٢] السيـد الحسن بن شرف الـدين بن صـلاح الـدين بن يحيـى ـ ويلقب بالهادي ـ بن الحسين بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن

محمد ـ الملقب بتاج الدين ـ بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن أبي هاشم الإمام النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن ابن يحيى بن عبدالله بن الحسين العالم ابن الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي ـ سلام الله عليهم ـ[1].

كان عالماً عاملاً زاهداً، واسع الأخلاق دمثها، متبلج المحيَّا، محبّاً للضيوف، حنقاً على أعداء الله، وهو الذي افتتح حصن ثلا وعفار، على وجه تمنعه العادات؛ فإنه دخلهما عنوةً، على ضيق ملكه.

ومما روي عنه: أنه حين تقدم على أحد الحصنين، صلى ما شاء الله، ثم قال: أستوهب من الله هذا الحصن، وسماه، فانفتح بعد السهر والعلو، بفضل الله، مع سهولة من معه.

ومن شعره يحرض الناس على الجهاد:

أمثلُكم يطيبُ له المنامُ ... ويهناه الشرابُ أو الطعامُ

ويضحك ضاحكٌ عجباً ولهوًا ... حرامٌ ذلكم منكم حرامُ

وكيف يَلذُّ للأحرار عيشٌ ... وسوحُ ثلا تَعاوره الطغامُ

وشرد ساكنيه بكل نجد ... وأعقبه لهم بومٌ وهامُ

فحيناً من بُغاثِ الترك يعدو ... وأحياناً تفاديه شبامُ

أحصنُ ثلا حماه الله يرضى ... بأن يعلوه قهرٌ واهتضامُ

ومولانا الإمام له جنودٌ ... يضيق السهلُ منها والأكامُ

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٠١) (١٦٣).

وسـادات الأنـام بكـل قطـر لكـل منـه خـشن لهـامُ[1]

فـصخْ مـنهم واسـمعْ إن أجـابوا ونَبِّـههم إذا مـا هـم نيـامُ

وقـل أحبابَنـا كـم توعـدونا أمـا يُرجـى لموعـدكم تمـامُ

فيـا أنـصارَ مولانـا قعـدتُم فلـيس يُـرى لمقعـدكم قيـامُ

غفلْـتُم بـل رقـدتُم ثـم نمـتم فكـم ذا تغفلـونَ وكـم تنـاموا

أجِـدُّوا فـي الجهـاد فقـد دعـاكُم إمـامٌ لا يقـاس بـه إمـامُ

إمـامٌ مـن بني المختـار طابـتْ أرومتُـه وأسـلمه كـرامُ

وبـدرٌ مـن بنـي الزهـرا تجلّـى يـزولُ بنـور غرتـه الظـلامُ

فنحمُـد ربَّنـا إذ قـام فينـا أخٌ بـرٌّ وهُـو منـا غـلامُ

فجـازاه الإلـهُ جنـانَ خلـدٍ بخيـر حـين يـدخُلها الـسلام

توفي يوم الجمعة، تاسع ذي القعدة، عام ثمانية وعشرين وألف، وصلى عليه الإمام القاسم، عقب خروجه من صلاة الجمعة، ودفن في آخر مسجد ذي الشرفين، أيمن الباب الغربي، من غير فصل، وعمره نحو ثمانين سنة.

وفي قبره يقول السيد البليغ محمد بن عبدالله الحوثي، في آخر تعزيته للإمام القاسم، عند موت المترجم:

شرفٌ على شرفٍ بحصن شهارةِ فاعجـبْ لقبـة قبـرِ ذي الـشرفينِ

حوت المحامدَ والمفاخرَ والتقـى والمجدَ أجمعَ مـن كـلا الطـرفينِ

---

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

وتوفي ولده السيد العابد، الكريم المفضال، قرين العبادة، وخدين الزهادة، محمد بن الحسن، يوم الجمعة، آخر شعبان، عام ثلاثة وستين وألف، ودفن إلى جنب والده، وكان ومن وجوه أهل البيت المطهرين، لا يغلق بابه دون طارق، ولا يفارق حضرة الإمام في سعة ولا ضيق، وإذا جاءه طلاب الإمام، وما حضر طعامه، أخذ من شيء يسمى: الرِّهى ـ بالراء المهملة ـ، وهو من مقدمات اللحيح، فيناولهم منه ما يسد الرمق، وكان ميموناً في مقاصده، وكل من قرأ عليه، فتح عليه ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٣] السيد حسن بن شدقم الحسيني المدني[1].

أحد السادة الذين جمعوا إلى شرف العلم عز الجاه، ونالوا من خيري الدنيا والآخرة بضاعةً غير مزجاة، دخل الديار الهندية في عنفوان شبابه، فصدره الشرف في مجالس أهله وأربابه، وما زال يورق في رياض إقبال عوده، حتى أسفر في سماء الإسعاد سعوده، فأملكه أحد ملوكها ابنته، ورفع في مراتب العلياء رتبته، فاجتلى عرائس آماله في منصات نيلها، واستطلع أقمار سعده في نواش ليلها، واقتعد الرتبة القعساء، وأصبح وهو رئيس الرؤساء.

وكان من أحسن ما قدره، من حزمه ودبره، وحرره في صفحات عزمه وحبره، إرسالَه في كل عامٍ إلى بلده جملةً وافرةً من طريف ماله وتالده، فاصطفيت له به الحدائق الزاهية، وشيدت له القصور العالية، ولما هلك الملك أبو زوجه، وهوى قمر حياته من أوجه، انقلب بأهله مسروراً، وتقلب في تلك

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٤٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٢٧) (٣١٦).

الحدائق والقصور بهجةً وسروراً.

إلا أن الرياسة التي تمت له في تلك الديار، والمكانة العظيمة اللتين تميز بهما، لم يجد عنهما في وطنه خلفاً، ولم ترض أنفته أن يرى في وجه جلالته كلفاً، فانثنى عاطفاً عنانه وثانيه، ودخل الهند مرة ثانية، فعاد إلى أبهته الفاخرة، وبها انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة.

وله شعرٌ بديعٌ فائق، اقتطفته من أزهار تلك الحدائق، منه قوله:

وليس غريباً من نأى عن دياره ... إذا كان ذا مال ويُنسب للفضل

وإني غريبٌ بين سكان طيبةٍ ... وإن كنت ذا علم ومال وفي أهلِ

وليس ذهابُ الروح يوماً منيةً ... ولكن ذهابُ الروح في عدم الشكل

وقوله:

لا بد للإنسان من صاحب ... يُبدي له المكنونَ من سِرِّهِ

فاصحبْ كريمَ الأصل ذا عفةٍ ... تأمنْ إذا عاداك من شَرِّهِ

[٨٨٤] الحسن بن شمس الدين بن حجاف[1].

كان سيداً عالماً، سهل الطريقة، دمث الأخلاق، متواضعاً يألف الفقراء ويألفونه، أقام بصنعاء، بجوار مسجد الأخضر، في الجانب القبلي، وكان له بيتٌ ملاصقٌ للمسجد، من جهة اليمن، ينسب إلى الإمام الفقيه العابد إبرهيم الكسعي، وكان مأوى الفضلاء، لا يزال مزوراً بعيون العلماء، في غالب الأوقات.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٠٣) (١٦٥).

وكان عالماً كبيراً في الكلام والمنطق، قرأ بمكـة: «الرسالة الشمسية» على الشيخ الصوفي أحمد بن علان، ومعه جماعةٌ، منهم: السيد محمد بن عز الدين المفتي، والسيد علي بن بنت الناصر، وأتموها في ثمانية عشر شهراً، قراءة تحقيق، وقرأ عليه أيضاً: المطول للسعد، وهو الشرح الذي سُمي بـ: «البزدوي» كما قال الدماميني.

وكان لـه نظمٌ حسن، واتفق ان الباشا حبسه؛ لما ظنه فيـه من خلطته للإمام القاسم، فكتب من الحبس إلى تلميذه القاضي العلامة إبراهيم بن يحيى الشجري[1] السحولي:

يا صاحبي إما إن حبستَ فلا تكنْ — قنوطاً فإن اللطف يا صاحبي ساري
لعـل وراء الغيـب أمـر يـسرُّنا — بقدرة من في علمه الخالق الباري

فذيَّلَ البيتين القاضي إبراهيم بقوله:

وإنـي لأرجـو غـارةً نبويـة — تفكُّ بعـون الله عُـسري بإيـساري
دَعَونا على رفـع النوائـب عـاجلاً — فيا خالقي حقق رجاي وإضماري

ومما كتبه السيد إلى القاضي المذكور ملاطفاً:

يـا فقيـه الإمـام يـا مـن عليـه — عمـدةُ المـسلمين فقهـاً ونحـوَا
ولـه فـي الأصـول حـظٌّ جزيـلٌ — في قياس وفـي صفاتٍ وفَحْـوى
مـا الـذي يفعـل المحـبُّ إذا مـا — شـاقَه شـادنٌ مـن التـركِ أحـوى

---

(١) في الأصل: السجري.

وقــوامٌ كغـصنِ بـانٍ ووجــهٌ		من بدور الكمـال أسنى وأضـوى

هــل لــه أن يقبــل الثغـرَ منـه		افعلـوا للمحـبِّ فـي ذاك فتـوى

فأجابه القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ:

قــد حكمنـا بمنـع ذاك وإن الــ		ـحكم لا شكَّ قـاطعٌ كـلَّ دعـوى

فاسـلُ عمـا ذكـرتَ وادَّرِعِ الـصبـ		ـر وخذْ في نهـج الـشريعة مثـوى

إنـــه عنـــدنا حـــرام وأمـــا		عند أهل الهوى فخـذ فيـه فتـوى

قلت: وأذكرني هذا: ما كتبه بعض العلماء إلى الشيخ أبي جعفر أحمد ابن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي؛ نسبةً إلى طحا، من صعيد مصر:

أبـا جعفـرٍ مـاذا تقـولُ فأَفتنـا		إذا نابَنـا خطـبٌ عليـك نعَـوِّلُ

ولا تُنكـرَنْ قـولي وأَبـشرْ برحمـةٍ		من الله في الأمر الذي عنـه تـسأل

أفـي الحـب عـارٌ أم العـارُ تركُـه		وهل من لحا أهلَ الصبابة يجهـلُ

وهــل ذا مبـاحٌ فيـه قبـل متـيم		تهـــاجره أحبابُـــه وتوصِّـــلُ

فرأيَـك فـي ردِّ الجـواب فـإنني		بما فيه تقـضي أيهـا الـشيخ أفعـلُ

فأجاب الطحاوي:

سأقضي قضاءً في الذي عنه تسأل		وأحكـم بـين العاشـقين وأعـدلُ

فـديتُك مـا بالحـب عـارٌ علمتُـهُ		ولا العارُ تركُ الحب إن كنتَ تفعلُ

ومهما لحـا فـي الحـبِّ لاحٍ فإنـه		لعمرُكَ عندي من ذوي الجهل أجهلُ

ولكنه إن مات في الحبِّ لم يكن   لـه قَـوَدٌ عنـدي ولا فيـه يُقتـلُ
ووصلُك من تهوى وإن صَدَّ واجبٌ   عليـك كـذا حكـمُ المتيـمِ يفعـلُ
فهـذا جـوابٌ عنـدي فيـه قناعـةٌ   لما جئتَ عنـه أيهـا الـشيخُ تـسألُ

وفي «طبقـات الأسـنوي»، في ترجمـة أبي محمـد البافي ـ بالموحدة والفاء ـ: أنه جاءه غلامٌ حَدَثٌ، بيده رقعةٌ، فدفعها إليه، فنظر فيها مبتسماً، ثم أجاب عنها، وردها، وكان فيها بيتان، وهما:

عاشـق خـاطر حتـى اسـ   ـتلب المعـشوق قبلَـهْ
أفتنـي لا زلـتَ تفتـي   هـل يبـيحُ الـشرع قتلَـهْ

فأجاب:

أيهـا الـسائلُ عمـا   لا يُبـيح الـشرعُ قتلَـهْ
قبلـةُ العاشـقِ للمعـ   ـشوقِ لا توجـبُ قتلَـهْ

ويشبه هذا: ما نسب إلى أبي محمد عطاء بن أبي رباح:

سألتُ الفتى المكيَّ هل في تزاوُرٍ   وضـمةِ مـشتاقِ الفـؤادِ جُنـاحُ
فقـالَ معـاذَ اللهِ أن يـذهب التقـى   تلاصـق أكبـاد بهـن جـراحُ

فقال عطاء: والله! ما قلت هذا.

ومما تقوَّله الشعراء على عطاء: قوله:

سألتُ الفتى المكيَّ ذا العلم ما الذي   يحـلُّ مـن التقبيـل فـي رمـضانِ
فقـال لـيَ المكـيُّ أمـا لزوجـةٍ   فـسبعٌ وأمـا خلـة فثمـانِ

وكان السيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم الحجاف يتردد إليه لسماع «الشرح الصغير على التلخيص»، فجاء يوماً والمترجَمُ غائب، فكتب في الجدار:

وصلتُ إلى ربعكم سادتي فلم ألقَكُم في الجنابِ الرحيبِ
فعدتُ إلى منزلي آيبًا وأيقنت أن اللقا عن قريبِ

فكتب تحته:

وصلتَ إلينا فلم تَلْقَنا وكنا نحبُّ لقاء الحبيبِ
فحظٌّ حُرمناه لكننا نفوزُ الغداةَ بأوفى نصيبِ

وكان يوماً بمنزله، والسيد البليغ محمد بن عبدالله ابن الإمام شرف الدين يصلي أحد العصرين، فقال لي: حضرني الآن حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الذي رواه مسلم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، واعدد نفسك في الموتى، فإذا أصبحت، فلا تحدثها بالمساء، وإذا أمسيت، فلا تحدثها بالصباح، إلى آخر الحديث»، فعقدت ذلك، فقلت:

صاحِ إياك والركونَ إلى الدنـ ـيا فإنَّ الرحيل عنها قريبُ
كن بها مثلَ عابرٍ لسبيل أو غريبٍ فأنت فيها غريبُ
والحياةُ الدنيا طريق إلى الـ أخرى وما استوطنَ الطريقَ أريبُ

وكان بينه وبين السيد لقمان مشاعراتٌ حسنةٌ.

ومن شعره من قصيدةٍ نبويةٍ قوله:

ما لي أرى الغادةَ الحسنا فأهجرُها وأهجرُ الكأْسَ واللذاتِ والطربا

وأهجـرُ الخَـوْدَ معـسولاً مُقَبَّلُهـا وكنتُ قبـلُ أهـوى أن يقـال صَـبا

مـا ذاك إلا لأن الـدهر أكـسبني حلمًـا وأفـضله مـا كـان مكتـسبا

وقال لي زاجـرٌ مـن نيـة صـلحَتْ والوجدُ يُـشرقني بالـدمع منسكبا

لا درّ درُّكَ يـا هــذا أمـا نظـرتْ عيناك ما قد أتى في الـدهر أو ذهبـا

وله شعرٌ على «لامية العجم للطغرائي».

توفي بصنعاء، ودفن بجربة الروض، عند العلامة النحوي ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٥] حسن بن عبد القادر البكري الشافعي(١).

الشيخ الفاضل الصالح، بدر الدين، كان شاباً صالحاً متعبـداً، منزوياً عن الناس، منقطعاً عنهم، يقيم كثيراً بجامع السقيفة، خارج باب توما، ولأهل دمشق فيه محبةٌ واعتقاد، قرأ على والده، وعلى تاج الدين القرعوني، وكان يلازم مجلس المحيَّا، والصلاة على رسول الله ﷺ في آخر أمره.

قال النجم الغزي في «الذيل»: فأخبرني: أنه كان ينكر على شيخ المحيا، الشيخ عبد القادر بن سوار إخباره بكثرة رؤياه للنبي ﷺ، قال: فبينما أنا نائم في بعض الليالي، رأيت في المنام: أن الجامع الأموي ملآن من الناس، وهم ينتظرون، فقلت: ما ينتظرون؟ قالوا: ننتظر رسول الله ﷺ.

فبعد ذلك، دخل عليهم النبي ﷺ، فأقبلوا عليـه يقبلون يديه، وكنت فيمن قبل يده، وقلت له: من أنت يا سيدي؟ فقال: أنا رسول الله، الذي يقول الشيخ عبد القادر بن سوار: إنـه يراني كثيراً في منامـه، وقـد جئت لحضور

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٩١) (١٤٣).

مجلسه، فلما استيقظت، تبت عن الإنكار، وصار بعد ذلك يلازم مجلس الشيخ عبد القادر، ويقبل يده، ويعتقده.

توفي في أوائل جمادى الأولى، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن إلى جانب أبيه، بمقبرة الشيخ رسلان، عن بضع وثلاثين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٨٦] حسن بن عبدالله الشاويش التعزي اليمني.

من أكابر الشعراء والأدباء في هذا العصر.

من شعره قوله:

أهـدى إلـيَّ سـواكَهُ مـن ثغـره قـد بـلّ مـن مـاء الحيـاة الكـوثر

يروي العقيق مع العُـذيب وبـارقٍ وأراكَ تروي عن صِحاحِ الجـوهرِ

[٨٨٧] الحسن بن علي بن صالح بن سليمان الأكوع.

فريد أوانه، ووحيد زمانه، واحد حسنات الأيام، وأجواد الزمان، وكرماء الأوان، ولا يختلف في ذلك اثنان، وكان شجاعاً يطير للحرب طيراناً، ويفعل فعل من لا يهاب الموت، وكان مسعوداً في حروبه، وكان كثير الولوع بقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص: ١ ـ ٢]، وظهر أثر بركتها عليه، ومما شاع عن بعض الفقهاء: لو صلح غير قرشي للإمامة، لصلح لها المترجم. توفي، ودفن بقبة ذي الشرفين بشهارة، ورثاه عبدالله بن المهدي صاحب الظهرين.

[٨٨٨] السيد الحسن بن علي بن صلاح بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن أحمد بن محمد بن الحسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن عبدالله بن إسماعيل بن عيسى بن إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم ـ رحمهم الله تعالى ـ العُبالي[1].

كان إمام المعقول والمنقول، شيخ العلماء الجلة الجهابذة الفحول، عالي المنزلة، شريف المرتبة، حاوياً للفضائل، مرجوعاً إليه، [لا]سِيَّما في علوم القرآن، أخذ عن الشيخ العلامة لطف الله بن الغياث الظفري، وهو أستاذ الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان ينوِّه بذكره، وكان مطاع الأمر في الدولة المتوكلية، وله شعرٌ جيدٌ، لكنه لا يظهر إلا قليلاً.

توفي بظفير حجة، في جمادى الآخرة، سنة ست وخمسين وألف، ودفن بالمشهد الأحمدي.

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وعملت أبياتاً تكتب على قبره، ولم تكتب، منها:

عُجْ بالضريح فإنَّ فيه واحدًا ... طلقَ الجبين وشامخَ العِرْنينِ
قد بذّ في المنقول كلَّ محققٍ ... وأغارَ في المعقول سعدَ الدين

[٨٨٩] الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن محمد ابن عبدالله بن المختار بن القاسم بن أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣١٤) (١٧٣)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٧).

السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجه ـ المؤيدي[1].

قام باليمن في نصف رمضان، سنة خمس وثمانين وتسع مئة، وقام معه الشيعة في صعدة، فخرج منها إلى جبل الأهنوم، فاشتعلت الأرض ناراً، وفتح جملة قرى، وأرسل رسله بالرسائل، وكتب إلى لطف الله بن المطهر، فلم يجبه، واضطربت عليه البلاد، وكتب إلى محمد بن شمس الدين بمثل ذلك، فلم يجبه ـ أيضاً ـ.

وكتب إلى علي يحيى بن المطهر، فكاد أن يجيبه، وغره أحد إخوان الإمام، فأجاب، وسلم إليه بعض الحصون، فوجه لطف الله عبدالله بن أحمد ابن شمس الدين، والنقيب مرجان شاويش، فخرجوا إلى الخشب، وفتحوا ما قد خالف، ثم خرج الأمير سنان إعانةً لهم من قبل مراد باشا، فهزموا أصحاب الإمام، وسكنت بلاد مرمر، وعاد سنان إلى صنعاء.

ثم في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئة، توجه سنان المذكور، لحرب الإمام الحسن إلى الأهنوم، واستولى سنان على أكثر بلاد الإمام، وضايقه. وفي شهر رمضان، من السنة المذكورة، فتح سنان جميع الأهنوم، وانحصر الإمام الحسن، في محل يقال له: الصاب، فجنح إلى السلم، وخرج إلى بلاد الأمير سنان، في سادس عشر رمضان، سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة.

ومن عجيب الاتفاق: أنه دعا بالإمامة في النصف من رمضان، سنة ست وثمانين، وأسر في النصف من رمضان، سنة ثلاث وتسعين، ووصل

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣١١) (١٧٢)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٠٤).

الإمام الحسن، صحبة الأمير سنان، إلى الوزير حسن، آخر يومٍ من رمضان، فأودعه الحفظ، وفي ليلة الاثنين، خامس عشر شوال منها، وجه الوزير الأمير سنان، بالإمام الحسن وبأولاد المطهر: لطف الله، وعلي يحيى، وحفظ الله، وإبراهيم، وعبدالله، وجماعةٍ آخرين إلى الروم، لما رجع جواب سلطان الروم لوصولهم إليه، فسار بهم إلى المخا، وأركبهم السفينة وعاد، وكان أمر الله قدراً مقدورًا، فمات أولاد المطهر بالروم، واحداً بعد واحد.

وتوفي صاحب الترجمة، في رجب، سنة أربع وعشرين بعد الألف، بالروم أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان من أعظم الأئمة علماً وعملاً، وقد أحرز العلوم جميعها بذكاءٍ وقاد، وهمةٍ سامية، وكان يحفظ أربعة عشر مختصراً غيباً، وكذلك القرآن، وكان يخطب الخطب البليغة، المشحونة بآيات القرآن غيباً.

[٨٩٠] الحسن بن علي بن جابر الهَبَل ـ بفتح الهاء والباء ـ[1].

القاضي الفاضل، الأديب العديم المماثل.

وُلد بصنعاء، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وكرع من مشاربه، وتأدب بآدابه، وبرع وترعرع، وفاق أقرانه، خصوصاً في علوم الأدب، لكن لم تطل مدته، فاخترمَتْه المنية وهو شابٌّ في حياة والده، **فكانت وفاته** سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين بعد الألف، بمدينة صنعاء.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٥٣) (٢٦١)، «البدر الطالع» (١/ ١٩٩)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥١٥) (٤٦)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٤٥٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٥).

وله ديوان شعرٍ حافلٌ في مجلدٍ كامل. **ومن شعره قوله:**

ملكتُم فاعدلوا في الصبِّ أو جوروا ... ذنبُ الأحبة في العشاق مغفورُ
وقد تقرر في قلبي مقرُّكم ... دون الورى فأقيموا فيه أو سيروا
يا مُخربي ربعَ صبري بالجفا عبثاً ... الحمدُ لله ربُع الودِّ معمورُ
ويا مطوِّلَ هجراني بلا سببٍ ... أما بدا لك في الهجرانِ تقصيرُ
ومنكِراً ما ألاقي من محبته ... حبي كصرفك بين الناس مشهورُ
أنا الكئيبُ المعنَّى في هواك وإن ... أظهرتُ أني بما ألقاه مسرورُ
ألا خلاصٌ لقلبي من صبابته ... فإنه في تعاطي الحب مغرورُ
كم ذا أكابد ما لو مرّ أيسرُه ... بالطول دُكَّ منه من ثقله الطورُ
وكم أرى طاوياً كشحي على شَجَنٍ ... ونارُ شوقي لها في القلب تسعيرُ
وكم أراقبُ ساري الطيفِ يقربني ... وإنما الطيفُ تخييلٌ وتزويرُ
يا للحمى كَمْ على واديه طُلَّ دمٌ ... وكم فداء محب تم ما سورُ
وفي مليكِ جمالٍ سيفُ مقلتِه ... مظفرٌ بقلوب الناس منصورُ
بني حسن له من روض وجنته ... جناتُ عدن ومن ألحاظه حورُ

وقوله:

يا من أطالَ التجنِّي ... منكَ الصدودُ ومنِّي
مولاي إن طال هذا ... عليّ فاعلم بأَنِّي
أفديك قلْ لي ماذا الـ ... ـذي بدا لك منِّي
تركتني مُستهاماً ... حيرانَ أقرعُ سِنِّي

أشكو إليكَ الذي بي ... وأنتَ تُعرِض عنِّي
ولم ترقَّ لحالي ... ولا رثيتَ لحزني

وقوله:

أَصِخْ لشكيتي وارفق ... بجسم فيك قد نَحَلا
وقل لي من أَحلَّ دمي ... ومن ذا حرَّم القُبلا
وإن تنكرْ ضَنا جسدي ... ولم تعطفْ عليَّ ولا
فكف النبلُ من عينيـ ... ـك يكفي بعضَ ما فعلا
ولا تَطْلع لنا خدا ... ك وردُ رياضِها الخَضِلا

وقوله ـ وفيه الجناس الكامل ـ:

رويدَكَ من كسب الذنوب فأنت لا ... تطيقُ على نار الجحيم ولا تقوى
أترضى بأن تلقى المهيمنَ في غد ... وأنت بلا علمٍ لديك ولا تقوى

وقوله:

افْزَعْ إلى الباري وكُنْ ... مما جنيتَ على وَجَل
وارجُ الإلهَ فلم يخبْ ... راجي الإلهِ على وجلِ

قد سبق إلى هذا في قول القائل:

كنْ من مدبِّرِكَ الحكيـ ... ـمِ عَلا وجَلّ على وَجَل

وقوله في الثقة بالله ـ وفيه الجناس الكامل أيضاً ـ:

ثقْ بالذي خلق الورى ... ودعِ البرية عن كَمَلْ

إنَّ الـــــصديق إذا اكتفـــــى ورأى غنـــــىً عَنْـــك مَـــلْ

وقال ـ وقد رأى شعرةً بيضاء في رأسه، وفيهما التورية والاكتفاء ـ:

شـــبابٌ غيـــرُ مـــذموم تـــولَّى وشـــيبٌ قـــد أتـــى أهـــلاً وســـهلاَ

مضى عمري الطويلُ ومَـرَّ عيـشي كـأني لـم أعـشْ فـي الـدهر إلاَّ

وقوله في الثقة بالله ﷻ:

رضـــيتُ بربـــيَ عـــن خلقِـــه وعـــن هـــذه الـــدار بـــالآخرَهْ

سأســـعى لطاعتِـــه طـــاقتي وإن قـــصرت همتـــي القاصـــرَهْ

وقوله:

أُذن الندا عن سماع نداءِ الشعر صماءُ فلـيس يجـديك إنـشاءٌ وإنـشاءُ

يـا قالـة الـشعر مهـلاً لا أبـا لكـم رويـدَكم مـا لزَنْـدِ المـدح إيـراءُ

إنـا فـي زمـن وَدَّ الفـصيحُ بـه لـو أنـه أَلْكَـنٌ فـي القـول فَأْفـاءُ

كم تُمـدحون ولا تعطـون جـائزة كأنمـا مـدحكم بـالمنع إغـراء

منها:

قل للمساكين أهلِ الشعر يا تعَب الـ أفكـار إن لـم يـصبهم منـه إثـراءُ

هذي الملوكُ ملوكُ الأرض هل أحدٌ منهم على سنن المعـروف مَشَّاءُ

كم قد مدحْنا فما أجدَتْ مـدائحُنا لأنهـم إنمـا يعطـون مـن شـاؤوا

منها:

مـا للقـواقي إذا أقـوتْ معاهـدُها أفي زمانـك يـوهي الـشعرَ إقـواءُ

من ذا الذي من مقام الذلِّ يُنهضها   إن نالها بنعال الذل إيطاءُ
أُفٍّ لها حطة يشقى مُلابسُها   ضاقت بصاحبها للأرض أرجاءُ
وحرفة أُزجيتْ فينا بضاعتُها   فربحُ بائعها فقرٌ وإكداءُ
إيهًا أغثْ مستغيثًا أنت قَطُّ له الـ   ـمرجوُّ إن مسَّه بأسٌ وضَرَّاءُ

وله دو بيت:

كم أكتمُ لوعتي وكم أُخفيها   والدمعُ إذا جرى دمًا يُبديها
يا مالكَ مهجتي رويدًا بشجٍ   ها مهجته لديك فانظرْ فيها

وله تعليل كسوف البدر، وفيه لزوم ما لا يلزم:

لا بدعَ أن يُكسف بدرُ السما   ذاك لمعنًى قد تحققتُهُ
لمَّا بدا لي وجهُه مشبهًا   وجهَ حبيبٍ حين فارقتُهُ
ذكرتُ محبوبي فمن أجلِه   صَعَّدْتُ أنفاسي فأحرقتُهُ

كان هذا الرجل أديباً، جيد الشعر، له ديوان شعر، اشتمل على أنواع، لكنه دنَّسه وسوَّد وجهه بما ولع به، وصار ملهجَ لسانه، وهمَّ شانه؛ من سب أصحاب رسول الله ﷺ بالقصائد المطولة، والتعرضات لأعراضهم البريَّة المشرفة المقدسة، وما كان أغناه [عن] ترك التعرض لما لا يعنيه ولا ينفعه، من التشنيع الرحمي بسببهم، ولا يغنيه[1].

---

(١) وهل يضر البحر ولوغ بعض الكلاب فيه، وإنما يسب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، من لا حظ له في الإسلام ولا نصيب، وإنما هم كما قال عنهم الرب سبحانه وتعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

ولقد كان لـه خبرٌ عند وفاته، فيـه أعظم موعظة، وأكبر زاجر، وما له من الله من ناصر، وسمى ديوانه: «قلائد الجواهر»، والمعتني بجمعه القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن ناصر بن عبد الحق العلابي.

[٨٩١] حسن بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى[١].

وتقدم رفع نسبه في ترجمة أخيه محمد النعمي الحسني.

السيد العلامة ذو الفضل[٢] السامية، والمحامد العالية، بدر المكارم الصاعدة العلية، ومصباح الغرة النبوية، وحجة الأسرة من العصابة الفاطمية، من انحطت لمعاليـه المشيدة طوالع الشهب، وقصُرت عن أياديـه المـديـدة هوامعُ السحب، ونطقت بمفاخـره العديدة الآيات والكتب، وأحد الكمل الفضلاء الذين تبوؤوا من الطاعات دارًا، واتخذوا روضاتِ الجمعة والجماعات مسكناً وقراراً، وجعلوا أردية الفضل وافية الكرم والبذل شعاراً ودثاراً.

وُلد ـ فيما كتب إلي صاحبنا الأديب علي بن هادي المنسكي ـ عام تسعة وعشرين بعد الألف بالدهنا من أعمال صبيا، وبهـا نشأ، وأخـذ عن السيـد العلامة علي بن الحسين النعمي، وغيره، وبرع في الفنون العلمية، والمحاضرات الأدبية، **وتوفي** في ثامن شهر رجـب سنة تسـع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين بعد الألف بعد أخيه محمد الذي تقدمت ترجمته بثمانية عشر يوماً.

وله أشعار أنيقة رفيعة.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٨)، «خلاصة الأثر للمحبي» (٢/ ٣٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢١) (٢٢٩).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

منها: ما كتبه لعلي بن الهادي المذكور، معتذراً إليه في إبطاء كتبه عنه، وهو قوله من كتاب:

ما بعد كتبي عن الأحباب نسيانُ ... وقطع وصلي لهم واللهِ سلوانُ
أو سلوةٌ بسواهم وحقِّهم ... إني على عهدهم باقٍ وإن بانوا
وكيف أسلو مَنِ الأحشاءُ منزلُهم ... والقلبُ ربعٌ لهمُ والجسم أوطانُ
ومن إذا شِمْتُ برقاً نحو رَبْعِهم ... مُلئت من الدمع أردانٌ وأجفانُ
ومن إذا الطيفُ منهم زارني عجلاً ... يشبُّ من مهجتي جمرٌ ونيرانُ
أو جاء يوماً لطيفٌ من حديثهم ... تعاوَرَ القلبَ أحزانٌ وأشجانُ
عمري ولو قُلبت بطحاء سيلِهم ... لَتُرى مني لها قلبٌ وجثمان

ومما كتبه إلى القاضي الفاضل الحسين بن الناصر المهلا الشرفي: **قوله متشوقاً**:

لأنتَ لمدلهمِّ الأمرِ بدرٌ ... يضيء وشمسُ معرفةٍ وبحرُ
وطودُ مكارم وسبيلُ حقٍّ ... لليلِ دجًى من الشبهات فجرُ
ونورُ هدًى لمن يعروه جهلٌ ... ويمٌّ نَدًى لمن فاجاه فقرُ
وفضلُك شاعَ في العلماء حتى ... تداولَ ذكرَه حلبٌ ومصرُ
بيوتُ علاك شامخةٌ طِوالٌ ... وروضُ هداك ناضِرُه يَسُرُّ
وفضلُك جاءني فاهتزَّ عِطفٌ ... له مني وطابَ بذاك صدرُ
علومُك أصبحتْ عسلاً مصفًّى ... وفي أنهارها لبنٌ وخمرُ
وحورُ حسانِها متبختراتٌ ... بدورُ ثنائها ولهنَّ نشرُ

وأشبهُ بالنسيم الرطبِ شيئاً ... عتابٌ فيه للمعتوب فخرُ

لنا خيرُ الرسائل منك غنى ... وذلك بين أهل الودِّ فخرُ

وأنت حميتَ نورَ سوادِ عيني ... ورق ولاي تحتَ ولاكَ حجرُ

فإن لكم لدى بني المهلاً ... وداداً لا يحول ولا يفرُّ

لأنكمُ بحورُ علومِ آلِ النـ ... ـبيِّ وأنجمٌ للعلم غُرُّ

فجدْ لي يا حسينُ بخير صفحٍ ... فمن يعفو له فضلٌ وأجرُ

عليكَ تحيةٌ وسلامُ ربٍّ ... رحيمٍ ما أنارَ وضاءَ بدرُ

ومما كتبه أيضاً لديه يتشوق لمروره بمحله:

منتظر القلب متى وصلُكم ... فحالُنا شقَّ به الانتظارْ

وشوقُنا لما يزل صالياً ... جوانحَ القلب بخمرٍ ونارْ

وربعُنا تهتز أكنافُه ... شوقاً إليكم يا خيرَ الخيارْ

لا زلتُم للحق قوامةً ... وفي المعالي قادةً والفخارْ

وقد جعلتُ الناصرَ المرتضى ... أباك إذ ذاك المصفّى النضارْ

معتصَمًا من هجركم سابقاً ... وملجأً من مثله مستجارْ

ومن جواب القاضي حسين عليه:

يا بدرَ أُفْقٍ في الليالي أنارْ ... ومَنْ لأفلاك المعالي أدارْ

يا رافعًا دار العلا في المَلا ... فداره أضحى رفيعَ المنارْ

وساكناً أرضاً وأضحت به ... غَرَّاءَ بَيْضا كشمسِ النهارْ

ومنبعَ السؤدَدِ والمجد في ... دارٍ له صار به خيرَ دارْ
وافى إلينا النظم كاللؤلؤ الـ ... ـمنظومِ في حوراء فيها نَحارْ
فهو لقلبي وفؤادي شِفا ... وليميني ويساري يَسارْ

وهي طويلةٌ.

وله من كتاب: وقد جاء من تلقائه الكتاب الكريم الشافي، بوصلٍ من نحوه المثالُ الفخيم الوافي، جلت طوالعه المضيئة من حنادس الهموم، وجلت بفوارعه فوارس البلاغة، في يومٍ مشهودٍ له بالناس، وذلك يومٌ معلوم، فما تنزل به روح أمانيه، من بيان سماء بلاغته، إلا لشفا أوامى، ولا تدلى أمين براعته، على بيان بداعته، إلا لبراء أسقامي، فما أحلى ما شربت من زلال المعين شافياً، وما الذي ارتويت من برد نميره صافياً، وما أنور ما تبسم به ثغره عن لؤلؤ عتابٍ كريم، وما أعطر ما تنسم به فخره عن روح غفران من المولى، وسلامٌ قولاً من ربٍ رحيم.

[٨٩٢] الملا حسن علي ابن العلامة عبدالله اليزدي.

شارح «التهذيب»، الخلف الصالح، وقدوة كل فالح، العالم الذي طبق العجمَ علمُه، وملأ أكنافها حذقُه وفهمه، أخذ عن والده، وبه تخرج، حتى برع في سائر الفنون العقلية، وجنى فيها منزلةً علية، وتصدر للتدريس، وجدَّد رسَم العلم الدريس، واستمر على ذلك حتى توفي سنة تسع وستين بعد الألف بأصبهان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٩٣] الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الحسن بن عبدالله بن المنتصر

محمد بن المختار القاسم ابن الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، ووالدته فاطمة بنت صلاح الدواري[1].

من أعيان علماء عصره، كان ﵁ أبيض اللون، يضرب إلى خضرة، ربع القامة، أقنى الأنف، عريض الجبهة والمنكبين، كث اللحية، جعد الشعر، سامي العنق، ليس بالضجر ولا بالنزق، أحب المجالس إليه مجالسُ العلم والذكر، أقبل على العلوم الدينية، وشمر عن ساق، وبرز في كل فن من فنون العلم، وصار المشار إليه بالبنان، في ذلك الأوان.

قدم من صعدة إلى صنعاء، وأخذ بها عن السيد فخر الدين المطهر بن محمد بن تاج الدين علومَ العربية والتفسير، وكان يتعجب من فطنته، وخرج إلى سُودة شظب، وأخذ بها عن السيد جمال الدين علي بن الناصر الحسيني الناصري، الواصلِ من الجبل والديلم إلى اليمن، علمَ المنطق، وقرأ عليه عدة كتب من الفروع والحديث، ثم انتقل إلى جهات الشرق، وأخذ عن السيد جمال الدين الهادي الوشلي، فقرأ عليه الأصولين، و«الكشاف»، ثم رجع إلى صعدة.

وكان محفوظاته: القرآن العظيم، و«الحاجبية»، و«مقدمة التصريف والتلخيص»، و«الشمسية»، و«المنتهى في الأصول»، وغير ذلك، ومسموعاته

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٩)، «البدر الطالع» (١/ ٢٠٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٤).

كثيرة، وكان حليف العبادة والورع والزهد، والانقطاع إلى العلم، والتحلي به، والتوزيع لأوقاته في الأعمال الصالحة.

وكان حسن الخلق، لطيف الفكر، ثابت النظر، قوي الفراسة، ثابت القلب، قوي الجأش، متواضعاً أديباً كأحد إخوانه، في علو شانه، واستظهار سلطانه، يلبس الخشن من الثياب، ويأكل الميسور اليسير من الطعام، وينصف من نفسه، حسن المعاشرة، شديد الحرص على الهداية والإرشاد، إن وعظ، تصدعت لوعظه القلوب، وإن رغَّب فيما عند الله، فكأنه يُطلع السامع على الغيوب، وكان له من حسن العبارة والمحاورة ما لا يوجد في غيره، خطيباً مِصْقَعاً.

وكانت دعوته الإمامة بعد صلاة العشاء، ليلة الجمعة، رابع عشر رمضان، سنة ست وثمانين وتسع مئة بالهجر، وبايعه جميع علماء مصره[1] من أهل إقليمه، وأجمعوا على طاعته، ثم توجه إلى الأهنوم بمن معه، وافتتح ذلك الإقليم، وكتب بالرسائل العامة إلى البلاد اليمنية، فأطاعوه عن آخرهم، ثم خالف عليه بعض أولاد الإمام شرف الدين، ثم جهز عليه الأتراك المحاط، وأحاطوا به من كل ناحية.

ثم اتفق الحال بينه وبين الأمير سنان أن يسلمه بشرط سلامة من يتعلق به، وأنه يقيم في صنعاء، في نفرٍ من أصحابه، وأمر السيد إبراهيم بن المهدي الحجاف أن يحلف الأمير، ويؤكد العهد بذلك، ولما صار بأيديهم، نزلوا به إلى الهجر، وأقاموا فيه نحو أسبوع، ثم جهزوا به مع أولاد المطهر بن شرف

---

(١) في الأصل: بصره.

الـدين جميعـاً إلى الروم أسيراً، ولـم يزل أسيراً بالروم، حتى توفي في شهر ذي القعدة، سنة خمس وعشرين وألف بالقسطنطينية ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٩٤] الحسن بن علي بن جابر الهَبَل.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: بديـع الزمـان، وقريع الأوان، من لا عيب فيه سوى قرب بلاده، وقرب ميلاده، فالمنـدلُ الرطـبُ في أوطانـه خشب، وأما صغرُ الميلاد، فلله أبو الطيب حيث يقول:

لـيسَ الحداثـةُ مـن حِلْـمٍ بمانعـةٍ قد يوجد الحلمُ في الشبان والشيبِ

وأما بُعد البلاد، فأمر لا يعتبره الحذَّاق، وإن قالـوا: القرب المفرط، مانع لإدراك الأحداق، وقال بعض الناس:

عَذيِـريَ مـن عـصبةٍ بـالعراق قلـوبُهم بالجفـا قُلَّـبُ
يـرون العجيـبَ كـلامَ الغريـب وأمـا القريـبُ فـلا يُطـرِبُ
وعـذرُهُم عنـد تـوبيخهم مغنيـةُ الحـيِّ لا تُطـربُ

لكن العاقل الفاضل لا يجنح إلى التقليـد، حتى في تفضيل الحصباء على لآلئ الجيد، وإن الإنصاف من أجمل الأوصاف.

وُلد صاحب الترجمة بصنعاء، وبها نشأ على العبادة والزهادة، ومودة العترة الطيبة السادة، لا يلويه عن ذلك لاوٍ، واشتغل بالعلوم والآداب، حتى برع على الشيوخ، فضلاً عن الأتراب.

وله ديوان شعرٍ فائـق، وسحر حلالٍ رائـق، في كل معنى مليح، نهج مناهج الأدبـاء، وجاراهم في رقيقهم وجزلهم، وجدهم وهزلهم، وهو مع

ذلك السابق المجلّي.

ولقد رأيت له مقاطيعَ باهرة، وقصائدَ فاخرة، ونفَسُه أشبهُ بشعر الأديب الحسين بن حجاج، غير أنه مصونٌ عن الإقذاع، وإنما هو في الفصاحة والنصاعة، وجودة السبك والصناعة، وقد كان يقال: ابن حجاج يشبه نَفَسُه نَفَسَ امرئ القيس.

ولم يزل صاحبُ الترجمة واسطةَ عقد الأدباء النظيم، وآية مفخرهم العظيمة، حتى نقل إلى جوار ربه الكريم، فتوفي بصنعاء، وهو شابٌّ في حياة والده، في صفر، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين بعد الألف، ودفن غربي القصر السعيد ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره في الوعظيات:

أيــن اســتقرَّ الــسفرُ الأول	عمــا قريــب بهــم ينــزلُ
مَــرُّوا ســراعًا نحــو دار البقــا	ونحــنُ فــي آثــارهم نرحــلُ
مــا هــذه الــدنيا لنــا منــزلاً	وإنمــا الآخــرةُ المنــزلُ
قــد حــذَّرتنا مــن تــصاريفها	لــو أننــا نــسمعُ أو نعقــلُ
يطيــل فيهــا المــرءُ آمالــه	والمــوتُ مــن دون الــذي يأمــلُ
يحلــو لــه مــا مــرَّ مــن عيــشها	ودونَــه لــو عقــلَ الحنظــلُ
ألهتْــه عــن طاعــة خَلاَّقــه	واللهُ لا يلهــو ولا يغفُــلُ
يُدْبِــرُهمُّ المــوتِ إن أدبــرتْ	ويُقبــل الهــمُّ إذا تقبــلُ
يــا صَــاحِ مــا لــذةُ عــيشٍ بهــا	والمــوتُ لا تــدري متــى ينــزلُ

يـدعو إلـى الأحبـاب مـن بيننـا يجيبـه الأولُ فـالأولُ
يـا جـاهلاً يجهـدُ فـي كـسبها أغَـرّك المـشربُ والمأكـلُ
ويـا أخـا الحـرص علـى جمعهـا مهـلاً فَعَنْهـا فـي غـد تُـسألُ
لا تتعـبَنْ فيهـا ولا تأسَـفَنْ لمـا مـضى فـالأمرُ مـستقبلُ
مـا قولُنـا بـين يَـديْ حـاكم يَعْـدِل فـي الحكـم ولا يَعْـدِلُ
مـا قولُنـا لله فـي موقـفٍ يخـرس فيـه المِـصْقَعُ المِقْـوَلُ
إذا سُـئلنا فيـه عـن كـل مـا نقـول فـي الـدنيا ومـا نفعـلُ
مـا الفـوز للعـالمِ فـي علمِـه وإنمـا الفـوزُ لمـن يعمـلُ

وقوله:

أضعتَ العمرَ في إصلاح مالِـكْ ومـا فكَّـرت ويحَـك فـي مآلِـكْ
أراكَ أمنَـت أحـداثَ الليـالي وقـد ضـمرت لغـدرِك واحتيالِـكْ
ومِلْـتَ لزخـرُف الـدنيا غـرورًا وقـد جـاءت تـسيرُ إلـى قتالِـكْ
وقـد أتعبـتَ بالآمـال قلبًـا تَحمَّـل مـا يزيـدُ علـى احتمالِـكْ
ولـم يكـنِ الـذي أمَّلْـتَ فيهـا بأسـرعَ مـن زوالِـكَ وانتقالِـكْ
فعشْ فيها خميصَ البطن واعمـلْ ليـومٍ فيـه تـذهلُ عـن عيالِـكْ
تجـيءُ إليـه منقـاداً ذليـلاً ولا تـدري يمينَـك مـن شمالِكْ
إليهـا فـي شبابك مِلْـتَ جهـلاً فهـلاً ملـتَ عنهـا فـي اكتهالِـكْ
فمهـلاً فهـي عنـد الله أدنـى وأهـونُ مـن تـرابٍ فـي نعالِـكْ
وإن جاءتـك خاطبـةً فـأعرِضْ وقـلْ مهـلاً فمـا أنـا مـن رجالِـكْ

إلــــيَّ تتــــزينين لتخـــــدعيني ... فمـا أبـصرتُ أقبحَ مـن جمالِـكْ

أمـا لـو كنـتِ فـي الرمـضاء ظِـلاً ... إذاً مـا ملـتُ قَـطُّ إلـى ظلالِـكْ

صِـلي مـا شـئتِ هجرانـي فـإني ... رضيتُ الدهرَ هجراً من وصـالِكْ

فلـيس النبـل مــن ثعــلٍ إذا مــا ... رمــتْ يومـاً بأصـمى مـن نبالِـكْ

حرامُـك للــورى فيـــه عقـــابٌ ... عليـه والحـسابُ علـى حلالِـكْ

وكـــن منهـــا علـــى حَـــذَرٍ وإلاَّ ... هلكــتَ فإنهــا أصــلُ المهالِــكْ

فمــن قــد كـان قبلَـكَ مـن بنيهـا ... زوالُهـــم يـــدل علـــى زوالِـــكْ

فكـم شـادوا الممالـكَ والمبـاني ... فـأين تـرى المبـانيَ والممالِـكْ

وأنــت إذا غَفَلْــتَ علـى ارتحـال ... فخذ فـي جمـع زادك لارتحالِـكْ

ودع طـــرقَ الـــضلال لمبتغيهــا ... فطُـرْقُ الحـقِّ بينــةُ المـسالِكْ

إلامَ وفـــيمَ ويحَـــكَ ذا التـــصابي ... وكم هـذا التمـادي فـي ضـلالِكْ

تنبّـــه إن عمـــرك قـــد تقـــضّى ... فعَـدّ وعُـدَّ نفسَك فـي الهوالِـكْ

وعاتبْهـا علـى التفـريط وانظـرْ ... لأي طريقـــة أصــبحتَ ســالِكْ

وقـل لـي مـا الـذي يـومَ التنـادي ... تجيب بـه المهيمنَ عـن سؤالِكْ

ومـــاذا أنـــت قائلُـــه اعتـــذاراً ... إذا نــشروا كتابَـك عــن فعالِـكْ

فخفْ مولاكَ في الخَلَوات واجأَرْ ... إليـــه بانتحابِـــك وابتهالِـــكْ

وراقـــبْ أمـــره فـــي كـــلِّ حـــال ... يفـرِّجْ فـي القيامـة ضيقَ حالِـكْ

ولا تجـنح إلـى العـصيان تُـدفعْ ... إلـى ليـلٍ مـن الأحـزانِ حالِـكْ

وإن أَمـــرٌ بُليـــت بـــه فـــصبرًا ... لعـــلَّ الله يحـدِثُ بعـدَ ذلِـكْ

فــربَّ مــصيبة مَــرَّتْ ومَــرَّتْ عليــك كأنمــا مــرَّت ببالِــكْ
وكــم قــد ثقفــتْ منــك الرزايــا وأحكمــتِ الليــالي مــن صــقالِكْ

وقوله:

لا تعتبرْ ضعفَ حالي واعتبرْ أدبي وغُضَّ عن رَثِّ أطماري وأسمالي
فمــا طِلابِــيَ للــدنيا بممتنــعٍ لكن رأيتُ طِلابَ المجد أسمى لي

وقوله في العفاف:

مــا زلــتُ مــن دون الــدنايا صــائناً عِرضــاً غــدا كــالجوهر الــشفافِ
فــإذا جــرى مَرِحــاً بميــدان الــصِّبا مهــرُ الهــوى ألجمتُــه بعفــافِ
وإذا هُمو وصفوا محاســنَ شــادنٍ مــستكملٍ لمحاســنِ الأوصــافِ
أبــديتُ فيــه مــن النــسيب غرائبــاً ووصــفت فيــه مــا عــدا الأردافِ

وقوله قريباً من هذا المعنى:

تغزلتُ حتى قيل إني أخو هدى[1] وشَــبَّبت حتــى قيــل فاقــدُ أوطــانِ
وما بيَ مــن عــشقٍ وشــوقٍ وإنمــا أتيــتُ مــن الــشعر البــديع بأفنــانِ

وقوله ـ رحمه الله ـ وهو من آخر ما قال:

المــــوتُ حــــقٌّ فاســــتعدّ وجــــدَّ إن الأمــــرَ جِــــدّ
واعلــــمْ بــــأن الله لا يخلِــف حقّــاً مــا يعــد
لازم بنــــي المختــــار إن مــــن يلازمْهــــم سَــــعِدْ

---

(١) في الأصل: الهوى.

وقوله من قصيدةٍ:

حتـــامَ عـــن جهـــل تلـــومُ ... مهـــلاً فـــإن اللـــومَ لـــومُ
طرفـــي الـــذي يـــشكو الـــسهاد ... وقلبـــي المـــضنى الكلـــيم
إن الـــشَّقا فـــي الحـــبِّ عنـــ ... ـــد العاشـــقين هـــو النعـــيمُ
مـــا الحـــبُّ إلا مقلـــة ... عبـــراءُ أو جـــسمٌ ســـقيمُ
يـــا مـــن أُكَـــتِّمُ حبّـــه ... واللهُ بـــي وبـــه علـــيمُ
وبلابـــلٌ بـــين الجـــوا ... نـــحِ لا تنـــام ولا تُنـــيمُ
مـــا لـــي ومـــا للـــوائمي ... أعليـــك ذو عقـــل يلـــومُ
يـــا هـــل تـــراه يعـــود لـــي ... بـــك ذلـــك الـــزمنُ القـــديمُ
وهنـــيّ عـــيش بـــاللِّوى ... لـــو أن عـــيشَ هَنـــاً يـــدومُ
وبرامَـــةٍ إذ نلـــتُ مـــن ... وصـــل الأحبـــة مـــا أرومُ
يـــا حبـــذا تلـــك الربـــو ... عُ وحبـــذا تلـــك الرســـومُ
يـــا تـــاركينَ بمهجتـــي ... شـــرراً يـــذوب لهـــا الجحـــيمُ
طـــال المطـــالُ ولـــم تهبْـــ ... ـــبَ لـــصدقِ وعـــدِكم نـــسيمُ
مطـــلَ الغـــريم غريمَـــه ... حاشـــاكم خلـــقٌ ذمـــيمُ

[٨٩٥] السيد حسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى، وتقدم بقية نسبه في ترجمة ابن عمه محمد بن علي النعمي الحسني[١].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢٧) (٢٣٠).

من فضلاء القرن الحادي عشر، وأدبائه وعلمائه وشعرائه، له نظمٌ فاخرٌ، يزري بالنجوم السوائر، ولد بـ «صَبْيا»، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ عن والده علوماً جمة، وقويت في طلب العلوم منه المهمة، **إلى أن صار إلى رحمة الله ورضوانه**، وواسعِ كرمه وغفرانه، في مستهل شهر المحرم الحرام، افتتاح سنة ثلاث وستين بعد الألف بمكة، ودفن بالشبيكة، بقرب تربة العيدروس.

ومن شعره: ما كتبه إلى القاضي العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، نائباً عن السيد جمال الإسلام محمد بن صلاح يتشوق إليه بقوله:

ألا بـــالله يـــا نفـــس الخيـــال ... أعـدْ لـي ذكـرَ سـالفةِ الليـالي

وأتحفْنـــي بـــذكر أُهيـــلِ نجـــدِ ... ومـا قـد مـرّ فـي تلـك الحِـلال

وهـاتِ الكـأسَ صِـرْفاً صَـرْخديّاً ... بـذكراهنَّ لـي فـي كـلِّ حـالِ

فـإني إن ذكـرتُ زمـانَ وصـلي ... ومـا قـد مـرّ مـن حسن اتـصالي

بمـن أهـواه فـي عـيش خـصيب ... وأيـامِ حلاهـا قـد حـلا لـي

أكـاد أذوب مـن وَلَهـي عليـه ... وأضـربُ بـاليمين علـى الـشمالِ

وأصـبو للربـوع وسـاكنيها ... وأبقـى فـي افتكـارٍ واشـتغالِ

وأرجـو الله يجمعُنـا قريبـاً ... بـذاتِ الـنفس لا طيـفِ الخيـالِ

ونقـضي للـصبابة والتـصابي ... لُبانـاتِ التواصـل والوصـالِ

وبعـدُ فحـثَّ يـا حـادي المطايـا ... قَلوصَـكَ باهتمـامٍ واحتفـالِ

وسـر عَجِـلاً هُـدِيت ولا تـأنّى ... وجَوِّزهـا الحـضيضَ مـع الرمـالِ

إلى البـدوي مـع حَـرض وعجِّـل ... وعَـرّس بـالمعرَّس لا تبـالي

وميّلها عـن اللحبِ اعتماداً إلى أرض المحرّق ذي الطلالِ

وأطلعْها إلى الخيل امتثالاً وحُطَّ الرحل في بلدٍ بها لي

أخلاءٌ وأحبابٌ وأهلٌ وأصحابٌ عَلَوْا رتبَ الكمالِ

وفيهم ناصرُ الدين المرجَّى لحلِّ المشكلات من السؤالِ

تراه مذ نشا كَلِفاً بجمعٍ لآثار النبيِّ وخيرِ آلِ

وإن أملَى تدفَّقَ مثلَ بحرٍ تدفَّقَ بالجواهرِ واللآلي

وإن مثلَ اللبيبُ لديه أروى لعلته بمنطقه الزلالِ

فتًى قد فاقَ في حِلْمٍ وعلمٍ وحازَ الباهراتِ من المعالي

ففي المعنى وفي المغنى عظيمٌ جليلٌ في المقال وفي الفعال

حباه الله منه بكل خيرٍ وفَضَّله على كلِّ الرجالِ

وأرجو الله يحبوني قريباً بأنْ أُضحي وعزمته قبالي

وهي رائقةٌ سائرة.

ومن شعره ـ أيضاً ـ: قوله يخاطب السيد مساعد بن سعد الحسني، وقد قدم من مكة المشرفة والياً على عتود، وبيش، وأعمالهما، بأمر الشريف زيد بن محسن ـ رحمه الله ـ:

شمسُ المكارم قد لاحَتْ من الحيِّ فأشرق الكونُ نوراً غيرَ محتجبِ

وقد بسمْنَ ثغورُ العُشب من عجبٍ وماستِ القصبُ فوقَ الكُثب من طربِ

وغنت الوُرْقُ في أفنانها طرباً والزهرُ يفترُّ عن طلعٍ وعن حَبَبِ

نجل الذين سما في المجد مفخرُهم حتى علا فوق هام السبعة الشهُبِ

مُساعَد الإسمِ ميمونُ الصفات ومَنْ بَسَقْنَ أعراقُه من مغرس الأدبِ
صافي النضارِ ومشهورُ الفخار وعلـ ـوِيُّ النِّجارِ وسامي النفس والرتبِ
لـن يعرف المجدَ إلا من أبوَّتـه معنعناً ما حواه عن أبٍ وأبِ
حيثُ النبوةُ والبيتُ الحرامُ وآ لُ الله والأنبا مع الكتبِ
أهلاً وسهلاً أقرَّ العينَ مقدمُكم ومرحباً يا سليل السادة النجُبِ
تعطَّرت أرضُنا واخضرَّ يابسُها وافترَّ مبسَمُها عن لؤلؤٍ شَنِبِ
وماس مِخْلافُنا في بُرده وزها تيهاً على الغوطةِ الغراءِ مع حلبِ
وفاح منه شميمُ الورد وابتهجتْ منه النفوس لمرأى البدر في الكثبِ
وافيتَ للعدل فيما قد نُدبت له لله منتدَباً من خير منتدبِ
ما كان ذا الملكُ المنصورُ منتضياً من غمد دولته إلا الذي شطبِ
لا يبرحُ اليمنُ والتوفيقُ خادمَه ولا برحتَ لجمع المجدِ لا النشبِ
وُفِّقت في كلِّ ما قد رمتَ مرتقياً مراتبَ العزِّ والعلياءِ والحسبِ
واسلمْ ودمْ في نعيمٍ لا يكدرُه صرفُ الزمان بما يبدو من النُّوَبِ

[٨٩٦] حسن بن عمار بن علي بن يوسف الشرنبلالي الحنفي(١).

والشرنبلالي: نسبة لشبرا بلوله، وهذا غلطٌ شائعٌ ذائع، والأصل: شبرا بلولي؛ نسبةً لبلدة تجاه مدينة مَنْف العليا، بإقليم المنوفية، بسواد مصر، يقال لها: شبرا بلولا، واشتهرت النسبة إليها بلفظ الشرنبلالي.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٨)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٨).

مولده بها قريباً من وسط العشر الأخير من تمام الألف.

ثم جاء به والده منها إلى مصر، وسنه يقرب من ست سنين، ونشأ بها، وحفظ القرآن وجوَّده، كان فقيهاً عالماً، عاملاً صالحاً مشهوراً، كبير القدر عند الناس، متقشفاً متواضعاً، وإليه كانت الإشارة في عصره، بإقليم مصر في الفقه، وكان مبارك التدريس، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع.

روى الفقه والحديث، وغيرَهما من العلوم الدينية عن الشيخ عبدالله النحريري، ومحمد الحموي، وعبد الرحمن المسيري الحنفي، والشمس محمد المحبي، والنور الحلبي، وعلي الأجهوري، وغيرهم، وأجازه شيوخه، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر، وكان له العناية التامة بقراءة الفقه، وكان مستحضراً لأحكامه استحضاراً عجيباً، أخذ عنه أكابر الشيوخ الحنفية؛ كالسيد أحمد الحموي، وشاهين الأرمناوي، وغيرهما.

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة عن الشيخ العارف بالله المعمر، خاتمةِ أكابر العلماء الآخذين عن الشمس محمد الرملي، محفوظِ بن أبي السعود المتفهني السكندري الشافعي، تلميذِ سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وكان له في علوم الفقه الباع الطويل.

وكان معتقَداً للصالحين والمجذوبين، وله معهم إشاراتٌ ووقائعُ أحوالٍ كثيرة، منها: أن بعضهم قال له: يا حسن! من هذا اليوم لا تشتري لك ولا لأهلك وأولادك كسوة، فكانت تأتيه من ذلك الحين الكساوى والثياب الفاخرة، ولم يشتر بعدها شيئاً منها إلى أن مات ـ نفع الله به ـ.

وله مؤلفاتٌ كثيرة، تدل على سعة اطلاعه، وطول طوله وباعه، منها:

«حاشيةٌ على الدرر والغرر» في مجلدات، و«شرحٌ على منظومة ابن الشحنة» في الفقه، وغيرهما من الرسائل المفيدة.

ولم يزل متواصل المدد والإمداد، حتى قضى نحبه، ولقي رب العباد، فتوفي عصر يوم الجمعة، حادي وعشري رمضان، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وستين بعد الألف بمصر، عن خمس وسبعين سنة، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٩٧] حسن بن محمد البوريني الشافعي[1].

قال النجم الغزي في «الذيل»: الشيخ الإمام العلامة المحقق، والحبر الفهامة المدقق، بدر الدين، كان أبوه منجداً، ثم صار عطاراً، ثم انقطع عن الكسب والاحتراف، ولازم مجالس ولده، وقرأتُ بخطه: أنه وُلد بقرية صفورية، وأبوه من بورين، ولد بها، وهي قريةٌ من قرى نابلس، وقطن به أبوه محلة ميدان الحصى، خارج دمشق.

وقرأ القرآن العظيم على الشيخ قريحة، بجامع منجك، ثم طلب العلم، فقرأ في الفقه على أحمد العيثاوي، والعماد الحنفي، وإسماعيل النابلسي، والشمس بن المنقار، وغيرهم، ولازم الشهاب الغزي، وكان في خدمته، وهو من أعظم شيوخه، وكان يحضر معه دروس والده البدر الغزي، وحمل عنه فوائد، وأخبرني: أنه دخل مرةً عليه مع بعض الأعيان، فأراد النهوض

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٤٢) (٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٥١)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٥) (١٤١)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٣٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١٩).

لهم، فلم يستطع، فأنشد:

علـــةٌ واســـمها ثمـــانون عامـــا منعتنـــي للأصـــدقاء القيامـــا

وبرع في العربية، وغيرها من المعقولات، وكان فصيح العبارة، طلق اللسان، متين الحفظ، حسن الفهم، لطيف المحاورة، تعلم اللغة الفارسية، حتى صار يتكلم بها كأنـه أعجمي، ثم تعلم التركية في آخر أمره، وكان في الفارسية أبرع، ونظمَ ونثر، وكان محسوداً، ويصبر على أذى غيره له، وأكثر من يؤذيـه إنما يؤذيـه حسداً لفضيلته؛ لأنـه لم يكن في مجلس علمٍ إلا كان بلبله، ولـه إنصافٌ في البحث، واعتـراف لأهل العلم بالفضيلة، وليس في مباحثته غيظٌ ولا حقدٌ ولا تغليظ، بل مباحثةٌ صافيةٌ نظيفة، لا تخلو من فائدة، ولا تنتهي إلا بعائدة.

وكان بَرّاً بوالده، وكان والده عبداً صالحاً، واتفق أنه رأى رسول الله ﷺ في منامـه، وقال له: قل لولدك يقرأ في «الشفا»، فامتثل وأقرأه، وكان كثير التعظيم لوالده، منوِّهاً بمقامه في المجالس العامة، وكان له بـرٌّ زائدٌ بمشايخه، وإكرامٌ لأحيائهم وأمواتهم، وكان يقبِّـل أيديهم، وربما قبل أرجلَهم.

ودرَّس سنين، وأفاد الطلبة، وانتفع بـه كثير، وممن برع وتخرج بـه: عبد الرحمن العمادي الحنفي مفتي دمشق، والخطيب أحمد بن يحيى البهنسي، في جماعـةٍ لا يحصَون، وآخرُهم العلامـة يوسف بن أبي الفتح السُقَيـْفي، ومحمد بن أحمد الصلتي، وأحمد بن شاهين.

وكان في أول أمره قليل الحظ في الدنيا، ثم ولي خطابة جامع جَرَّاح، سنة أربع وتسعين ـ بتقديم التاء المثناة ـ وتسع مئة، وكان يخطب من إنشائه،

وولي تدريس «العادلية الصغرى»، ثم وجهت إليه «الشامية البرانية»، و«الناصرية»، وتدريس الشافعية بالدرويشية.

وكان يفتي على مذهبه، وله فطنةٌ قوية، ويدرك بالمطالعة ما لا يدركه غيره، وما أشكل عليه، راجعَ فيه مشافهةً شيوخَه أوأقرانه، ولا يستنكف من المراجعة، مع عظم صيته، ورزق من الحظ في التدريس والمناصب، والتقدم في المجالس، وإقبال الحكام عليه، ما لم يُرزقه غيره من أقرانه.

وشعره متوسط، والغالب عليه الحسن، **ومن مقاطيعه قوله:**

إلهـي بتقـديس النفـوس الزكيَّـةِ ... وتجريـدِها مـن عـالَم البـشريَّةِ
أزلْ عن فؤادي ما يعاني من العنـا ... فـإني ضـعيفُ الـصبر عنـدَ البليَّـةِ

ولعل قوله: وتجريدها عن عالم البشرية، مبنيٌّ على اعتقاد من يعتقد من الصوفية: أن الإنسان إذا ارتاض، وجاهد في العبادة، قد يلتحق بالملائكة الكرام، حتى يطير في الهواء، ويمشي على الماء، لا على اعتقاد من يعتقد أنه: بالرياضة ينسلخ بالكلية عن الحظوظ البشرية، وهو اعتقاد البراهمة والملاحدة، ومن يقول: إن النبوة تأتي بالاكتساب، وهو ضلال.

وقوله:

إذا كنتَ عني يا مُنى النفسِ راضياً ... أرى كلَّ من في الكون لي يتبسم
وإن لـم تلاحظنـي بعـين عنايـةٍ ... تَنَكَّرَ لي في الدهر ما كنـتُ أعلـمُ

ومن لطائف قوله:

يا مـن إذا تبـدَّى وجهُـه سـجدتْ ... له الـشموسُ وغـارتْ منـه أقمـارُ

إليـك أشـكو فـؤاداً لا قـرارَ لـه	في طيّه منك يا روضَ المنـى نـارُ
أبيتُ أرعـى نجـوم الليـل منفـرداً	ولي مع النجم في ذكـراك أسـمارُ
حتى إذا ما بدا ضوءُ الصباح شدَتْ	كما شدوتَ على الأشجار أطيـارُ
خاطرتُ يا سيدي بـالروح أبـذلُها	وقد تهون علـى المـشتاق أخطـارُ
هدمتُ بيت اصطباري بعد ما عمرت	من المحبة فـي وسـط الحـشا دارُ
فاحكم فديتُك يا شمسَ الملاح بما	ترضـاه لـي فالـذي تختـارُ أختـارُ

وله:

سـلِّم إلـى الله تـسلمْ	ولا تخـالفْ فتنـدمْ
ولا تـشاور حكيمـاً	فخـالقُ الخلـقِ أحكَـمْ

قلت: وفي بيته الأخير نقدٌ؛ لأن الله تعالى يقول لسيد المرسلين: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ يعني: أصحابه.

وقد قلتُ مناقضاً له:

إن رمـتَ أمـراً فـشاور	فـاللهُ أولـى وأعلَـمْ
وقـد هـدانا لهـذا	فـي آل عمـرانَ فـاعلمْ
لا تـستبدَّ بـرأي	مـن لا يـشاورُ ينـدمْ

وأورد في درسه حديثاً، أورده القاضي عياض في «الشفا»: «أشد الناس بلاءً الأنبياء»، وفيه: «لقد كان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله»، فقال الشيخ حسن: ضمير الفاعل فيه للنبي، وضمير المفعول للقمل، ونزّه الأنبياء عن قتل القمل لهم، **ثم كتب إليّ في اليوم الثاني هذه القصيدة:**

أمولايَ يا نجمَ الهدى وابنَ بـدرِهِ ... ومن هو في جمع العلا سِرُّ صدرِهِ

سـألتُك أرجـو أن تجيـب معـوّذاً ... على أخذ عِقْدِ الدرِّ من جيدِ بحرِهِ

وأنـت لهـذا الـدرِّ بحـرٌ وإنمـا ... دليـلُ مقـالي واضـحُ عنـد ذكـرِهِ

أشاهدَت في خط الأب الكامل الذي ... أضـاء بـه أفـقُ العـلا مثـلَ بـدرِهِ

بـأن نبيّـاً سـلط الله قملَـه ... عليه إلى أن مـات فـي قيـد قهـرِهِ

وهل نقلُ هذا القول يُعزى لكامل ... فتنقـل عنـه مـا أفـاد بـسطرِهِ

وما ذاك إلا قولُ من صنَّف الـشفا ... حبـاه إلـهُ العـرش غايَـة أجـرِهِ

أشـار إلـى قتـلٍ وقمـلٍ وأنـه ... يـسلِّطه فـوق النبـي لبـرِّهِ

فكن سيدي تبـدي الإفـادة راويـاً ... حديثَ المعالي واضحاً مثلَ نحرِهِ

وها أنـا يـا مـولاي أنظرُ لطفَكـم ... بإبداء نقلٍ صحَّ عـن أهـل خُبـرِهِ

فدوّنه لي نظماً وإن شـئتَ فـانثرَنْ ... عقوداً تفوق الروضَ زِيـنَ بزهـرِهِ

فـإنَّ اعتمـادي بالـذي أنـت ناقـلٌ ... يوازي اعتماد النصِّ من لفظ ذكرِهِ

وكـان غرامـي قبـل ذاكَ بِعَـزَّةٍ ... كُثَيِّـرها أبـدى لهـا دُرَّ شِـعْرِهِ

ومن أجلكم أضحى بعـزة هاشـمٍ ... سـقاها وحيَّاهـا الـوليّ بقطـرِهِ

فعجِّلْ وأسرع بالـذي أنـت مـانحٌ ... ففـضلُك عنـدي لا أقـومُ بـشكرِهِ

ودمـتَ تـرى مـا ترتجيـه ميـسراً ... تبـدل عـسر الـدهر منـك بيـسرِهِ

مدى الدهر ما أبدى محبٌّ رسـالةً ... تبيّنُ شوقاً بان مـن وصـف صبـرِهِ

قال: فكتبت إليه مجيباً:

لك الحمدُ يا من عَمَّنا فـيضُ بِـرّه ... علـى كـلِّ فـضلٍ لا نقـوم بـشكرِهِ

وهذا جوابُ الجامع الفرد ناظماً | عقودَ اللآلي في بدائع شعرِهِ
وما كان ذا قدري لأني مقصرٌ | ولكنه مني امتثالٌ لأمرِهِ
فيا فاضلَ العصر المفيد وفوده | فوائدَ علمٍ كالسحاب وقطرِهِ
لقد جاء في نص الشفاء وإنه | لألطفُ من أنوارِ روضٍ وزهرِهِ
حديثٌ عن الخدريِّ أن نبينا | عليه صلاةُ الله مع طيبِ نشرِهِ
يقول بأن الأنبياء أشدُّنا | بلاءً لإكرام الإلهِ وبرِّهِ
وفي ذاك إن كان النبيُّ ليُبتلى | بقملٍ كثير لا يُطاق لكُثرِهِ
فيقتلُه من غير إضمارِ فاعلٍ | ولكنه يروى بإضمارِ ذكرِهِ
فحاولتَ يا بحر الذكاء منزهاً | مقامَ نبيٍّ حُقَّ تنزيهُ سرِّهِ
فقلتَ النبيُّ القاتلُ القملَ لم يكنْ | بمقتوله فالقتلُ أولى بصغرِهِ
ولكنَّ هذا كان لو لم يَرِدْ بما | يخالفُه نصٌّ صريحٌ بغيرِهِ
بلى ابنُ أبي الدنيا الإمامُ رواية | عن المصطفى المختارِ أعظم بقدرِهِ(1)
يصرِّحُ أن قد كانَ في الأنبياء مَنْ | لقد مات بالقملِ الكثيرِ لأجرِهِ
فصرَّح أن القاتلَ القملَ آتيًا | بمُظْهَرِ لفظِ القملِ يا زَينَ عصرِهِ
وقد جاء في الأخبار أن برملةٍ | بمسجدِها المشهورِ تقديسُ جدرِهِ
مقابرُ قومٍ خُصِّصوا بنبوةٍ | وعِدَّتُهم سبعون ماتوا بأسرِهِ
بقملٍ وجوعٍ مفرطٍ كان موتُهم | فسبحانَ من يُفني العبادَ بقهرِهِ
يضاعفُ ما قد يشا من أجر مَنْ يشا | بما شاء من شيء لتعظيم بِرِّهِ

---

(1) في الأصل: قدره، والصواب ما أثبت.

وما كان هذا ناقصاً قدرَهُ ولا قِلّى بل لتضعيفِ الأجورِ بصبرِهِ

وهذا جوابُ النجمِ يرجو قبولَهُ عسى اللهُ يمحو الذنب عنه بغفرِهِ

فسامحْ أديبَ الوقتِ واقبلْ هديةً تليقُ بمن يُهدي على حسن قدرِهِ

بقيتَ لطلابِ العلوم مؤمَّلاً يطيّبُ آفاقَ الوجود بعطرِهِ

قال: ولنا مع صاحب الترجمة مطارحاتٌ لطيفة، ومراسلاتٌ علميةٌ مقبولة، تحتمل الإفراد بالتأليف، وقد كان من أعاجيب الدهر، وأفراد العصر، مقبول الخاصة والعامة، مخالطاً لأهل الأدب، مرجعاً لهم، يعرضون عليه أشعارهم، فيبين محاسنها ومساويها ونكاتها، فيعودون إلى قوله.

ومن غريب ما اتفق له: أنه كان ينكر على أهل الكيف، حتى قال شعراً في ذلك:

عمَّ البلاءُ بأكلِ البرشِ فانتقصتْ مخايلُ الناس في خلق وأخلاقِ

ولو تصور هذا الدهرُ في رجلٍ لأبصرتْه الورى في شكل ترياقِ

ثم ابتلي بأكله، حتى مات، قبل عصر يوم الأربعاء، ثالث عشر جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين بعد الألف، وصلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي، بعد صلاة العصر إماماً بالناس، ودفن بمقبرة الفراديس، وكانت جنازته حافلة.

وقلت أرثيه:

صابراً إن كنتَ أو جزعَا لا يردُّ الموتُ ما فَجَعا

كل دهر مرّ ما خلدتْ أهله فيه وما رجعا

ولكَمْ خطبٍ ألمّ وقد بثَّ من أحزانه وَجِعا

ســـاهراً مـــا كـــان منطبقـــاً جفـــنُ عـــينٍ لـــي ومـــا هَجَعـــا

لـــو أبـــثُّ الحـــزنَ مـــا نفعـــا أو بكـــى لـــي القلـــبُ مـــا نَجَعـــا

يـــا خلـــيلاً كنـــت أذخَـــرُه أشـــتكيه الهـــمَّ والجزعـــا

هـــل أرى لـــي عنـــده جزعـــاً إن غمّـــي زادَ واجتمعـــا

مـــن غرامـــي أشـــتكي لهبـــاً خـــالطَ الأحـــشاء وانقطعـــا

فرقـــةُ الأحبـــاب مؤلمـــةٌ لـــو تـــصيب الـــصلدَ لانـــصدَعا

أعلـــم الـــدنيا وإن بـــسطت لفتًـــى يزهـــو لـــه خـــدعا

صـــفوُها قـــد شـــابه كـــدرٌ عرسُـــها بـــالحزن قـــد شُـــفعا

إن هـــذا المـــوت لـــم يرعـــى مـــن تعلّـــى أو مـــن اتّـــضَعا

مـــن دعـــاه المـــوت لـــيس لـــه منتـــزاحٌ عنـــه حيـــث دعـــا

سُـــوقة إن يـــدُع أو ملكـــاً تُلْفِـــه لبًّـــى وقـــد ســـمعا

ليـــت شـــعري هـــل أرى رجـــلاً بنـــواهي العقـــلِ مرتـــدِعا

كـــم لنـــا رزءٌ بمـــوتِ فتًـــى كـــان منـــه القلـــبُ منـــصدِعا

قـــل لبـــورينَ انـــدبي حـــسناً جَهْبَـــذا فـــي العلـــم مُـــذْ برعـــا

فـــي فنـــونٍ مـــا لهـــا عـــددٌ شـــأنه قـــد جَـــلّ وارتفعـــا

فدمـــشقُ الـــشام تندبُـــه فقـــدُه للقلـــب قـــد نزَعـــا

بحـــرُ علـــم يرتـــوي ظَمِئـــي مـــن حَيَـــا أفـــضالِه جُرَعـــا

مـــن أتـــاه نـــالَ مطلبَـــه طالمـــا للنـــاس قـــد نفعـــا

أســـدٌ فـــي الـــدرس صـــولتُه راحَ منهـــا القِـــرنُ منقطِعـــا

كـــان بالإتقـــان مرتـــديًا ... كـــان بالإنـــصاف مُـــدَّرِعا

أيّ مِنطيــــــقِ ومنطقُــــــه ... قــد حــلا فــي ذوق مــن سـمعا

مِــصْقَعٌ مــن حــسن خطبتــه ... زَيَّـــنَ الأعيـــاد والجُمعـــا

قــد بكــاه النحــوُ فــي نــدبٍ ... معربـــاً عـــن وصـــفه ونعـــى

وبكـــاه الـــشعر مـــن شـــجنٍ ... ببحـــور الـــدمع إذ ســـجعا

وبكـــى التـــاريخ مـــا كتبـــت ... كفُّـــه مـــن حسن مـــا جمعـــا

وبكـــى التفـــسيرُ منـــه فتّـــى ... قـــد وعـــى أنواعـــه ورعـــى

مـــا لــه فــي العــصر مــن شَـبَهٍ ... مثلُـــه قـــد عَـــزَّ وامتنعـــا

مـــا أظـــن الـــدهَر يُخلفـــه ... لا يكـــنْ فـــي مثلـــه طمعـــا

فـــسقى الـــرحمنُ تربتَـــه ... غيـــث عفـــوٍ سَـــحَّ وانهمعـــا

أنـــت [يـــا]الله خالقُنـــا ... وإليـــه الكـــلُّ قـــد رجعـــا

ونظم المترجم ونثر، وكان من عادته الإطراء في مدائحه، وإذا كتب على محضرٍ، أطال وأوسع، واتفق: أنه كتب على محضر، فوقف عليه شيخنا العيثاوي، فقال: سبحانه الله! ما ترك الشيخ حسن في البراني شراباً، ولمح بما اشتهر عنه؛ من نسبته إلى شرب الراح.

ووقع لقاضي مصر يحيى بن زكريا، الذي صار مفتي التخت العثماني: أن المترجم لما عمل مجلس الحديث، بعد صلاة المغرب بالجامع الأموي، وكان يقرئ «الشفا»، يوضع لـه الفانوس؛ تقليداً للبكريين بمصر، وطلب المترجم من يحيى أفندي حضور مجلسه، فحضر مرةً، فلما دار الكلام عنده في تدريس المترجم، قال: الشيخ حسن بكري دمشق، موريًا في لفظة بكري؛

فإنه في اللغة الرومية: المدمن للشراب، وإنما شاع ذلك عن المذكور؛ لأنه كان يعاشر الدولة كثيراً، ويبيت عندهم، فاتهم بذلك، ولعله منه بريء.

وحج قاضياً بالحج، سنة اثنتين وعشرين وألف، وكان مقبولاً عند الخاصة والعامة؛ لتواضعه، ويخالط أهل الأدب، ويحضر جموعهم، ويعرضون عليه أزجالهم وأشعارهم، فيبين محاسنها من مساويها ونكاتها، فيعودون لقوله.

قال النجم: ويتعلق بموت الشيخ حسن قصةٌ ينبغي ذكرها؛ لما فيها من الاعتبار، وذلك: أنه لما تحقق موته، فرغ من الشامية البرانية، لشيخنا أحمد العيثاوي، فلم يقبل قاضي الشام ـ إذ ذاك ـ محمد أفندي المعروف بحوي زاده؛ لأنها طلبت لعبد الحي بن الملا يوسف بمالٍ جزيلٍ دفع، فوجهها القاضي إليه، وعوض شيخنا بالوعظ في التكية، ووجَّه بقيةَ وظائفه لآخرين بنظره.

فلما كان بعد أيام، اجتمع جماعةٌ، منهم: أحمد بن شاهين، وأحمد بن الملا زين الدين العجمي، وحسين بن عبد النبي الشعال، وكان هؤلاء قياديم القوم، والشيخ رمضان العكاري، والشيخ كمال العيثاوي، والشيخ سليمان الحمصي، والشيخ إبراهيم العمادي الواعظ، والشيخ أحمد الفرعاني، وكان اجتماعهم بالجامع الأموي، ثم أحاطوا بالشمس محمد الميداني، ورأسوه عليهم، وقالوا: نجتمع إلى القاضي والباشا، ونطلب توزيع وظائف البوريني علينا.

ثم ذهب طائفةٌ منهم إلى شيخنا أحمد العيثاوي، وسألوه أن يذهب، ويذهبوا في خدمته إلى القاضي، فقال لهم: لا تليق هذه الجمعية، ولكني

أذهب إلى القاضي وأنصحه، فذهب إليه، وتكلم معه أن يعطي الحديث لابن الإيجي، وتكون الناصرية شركة بين الملا عبد الرحمن، وآخر، فأجابه لذلك، فبينما هم كذلك، إذ اندفع القوم، ومعهم آخرون، فدخلوا على القاضي، وأجلبوا عليه، فبادر القاضي، وقال لهم: اقعدوا وتقاسموا الوظائف، فقعدوا خارج المجلس يقتسمون، والكاتب يكتب ما يتفقون عليه، ثم خرجوا من عنده بناءً على أن يكتب التقارير على ما رتبوه.

فلما كان بعد ثلاثة أيام، جمع القاضي إليه شيخَنا العيثاوي، وعبد الحي ابن الملا يوسف، والخطيب يحيى البهنسي، وولده أحمد، والقاضي أبا البقاء الصالحي، والقاضي رمضان بن مغيزل القسَّام العسكري، وذهب بهم إلى نائب الشام ـ إذ ذاك ـ محمد باشا الجركسي، الذي صار بعد ذلك وزيراً أعظم.

وصور له الدعوى القاضي المذكور، عند القسام بالمجلس من الديوان، بإذن الباشا على أحمد بن شاهين، وحسين الشعال، وأحمد بن الملا زين الدين، ورمضان العكاري، بالهجوم عليه، وقلة الأدب معه، وأثبت ذلك عليهم، وكُتب بذلك صك، فتقدم الملا زين الدين، وقال للقاضي: أنت مرتشٍ، وتكلم بكلام آخر، وسجل عليهم كل ذلك، إلا أحمد بن شاهين، فإنه استُثني من الكتابة سراً؛ لمكان أبيه من الجند، ثم شفع شيخنا والحاضرون عند القاضي، في العفو عنهم من التعزير بالضرب.

ويعث الباشا جاويشيته لإزالة باب الحجرة، التي أحدثها حسين تحت السلم الخشب، الذي يصعد منها إلى الدكة، التي يجلس عليها المؤذنون للإقامة والأذكار بالمقصورة، وتحجيرها، فأزالوها، وانفصل المجلس، قال النجم: فلما بلغني ذلك، قلت:

رُويـدَك إن الفـضل للمـرء نـافعٌ ... ولكن على قـدر العقـول المنـافعُ
متى قلّ عقلُ المـرء ضـلَّ طريقَـه ... وليس له عن وهـدة الجهـل مـانعُ
ومن ساءت الأخلاق منه معـرَّضٌ ... إلى كل مكروه مـن النـاس واقـعُ
ومن رام بـين النـاس يرفـع نفـسَه ... فلـيس لـه إلا مـن النـاس واضـعُ
ألم تر رهطًا حاولوا رفـعَ قـدرهم ... بأنفـسِهم واللهُ مـا شـاء صـانعُ
بغوا نحوَ قاضي الشام صين حياتُه ... وكـل امـرئٍ غـادٍ وللـنفس بـائع
قضى الحسنُ العلامةُ الندبُ فاغتدوا ... وكـلٌّ لـه بالاشـتغال تنـازعُ
يقولون وجَّهـتَ الجهـاتِ لغيرِنـا ... أبـى الله معطـي مـن يـشاء ومـانعُ
وعن آداب[1] زاحوا فراحوا بنعمةٍ ... وقد ذلَّ بين الناس من هـو طـامعُ
وقـد كـان لـولا عفـوُه وسـماحُه ... تُماسِـسُهم منـه العـصا والمقـارعُ
وقد عُزِّروا في مشهدٍ ثُـم أُسْـمِعوا ... لمـا كرهـوا والقـولُ للحـرِّ رادعُ
أيجمُـل مـنهم مـا أَتَـوا وتهـوَّروا ... هنالـكَ إن العقـل للمـرء وازعُ
وهل حسنٌ من قوم حسر حسينهم ... مطاولـةُ الأعـلام إنـك بـارعُ
تعرَّضَ من قاضي القضاة بما عسى ... تعـاد عليـه مكـرُه وهـو خاضـعُ
أحلَّ به من بعـد رضـوان سـخطه ... كذلك حال الخرق للمرء قـارع[2]
إذا قارعَ الـضرغامَ جـديٌ لجهلـه ... بـصولته فالليـثُ للجّـذْيِ قـارعُ
إذا ركبَ الإنسانُ في غيـر سـرجِه ... أُتيح له عـن ذلـك الـسرج صـارعُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أدبٍ؛ ليستقيم الوزن.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: راقع.

ومن لم تؤدِّبْه العلوُم وخَفَّ في هواه نُهاهُ أدّبَته الوقائعُ
وقد هُدَّ منه عرشُه وهو ناظر وقد قُدَّ منه عرضُه وهو سامعُ
تعجبت من تلك القضية إنها لعَمْري وعظٌ وهْي للقلب صادعُ
جرت بعد ألفٍ ثم عشرين حجَّةً بذا العام حيثُ العامُ من بعدُ رابع
تأمَّلْ رعاك الله في فعل ربِّنا فليس لما يقضيه في الكون دافعُ
ولا ترجُ إلا اللهَ في نيل مقصَدٍ تباركَ إن الفضل منه لواسعُ
وبعدُ فإن الله جلَّ جلالُه لكلِّ الورى يوم القيامة جامعُ

انتهى كلام الغزي في «الذيل».

[٨٩٨] الحسن بن محمد بن صلاح الحجاف الحبوري(١).

سيدٌ حسن الأخلاق، طيب الأردان والأعراق، حذا حذو آبائه الكرام، ونهج منهج أولئك السابقين الفخام، وعمّر أوقاته بالقراءات، وأقبل على إحياء رسوم الأدب بالمكاتبات، له بلاغاتٌ يقصر عن مجاراته فيها عبدُ الحميد وابنُ العميد، ونظمٌ يغنيك عن التشبيب بقول الوليد.

فمن ذلك: ما كتبه إلى السيد الفاضل الأديب إبراهيم ابن السيد زيد بن علي الحجاف، من ضوران، فقال:

يا حلاوى سكَّريَهْ ومذاقاتٌ هنيَّهْ
وثنايا نابتاتٌ في عقيق لُؤلُؤِيَّهْ

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٨٢)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٥٧) (٦٢)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٦٢٣) (٢٠٣).

وصـــــفاتٌ مُزجـــــت	بـــالروح والأحـــشا مريَّـــهْ
وثغـــــورٌ رشـــــفُها	يـــا صـــاحِ عنـــدي قَرقَفِيَّـــهْ
وقـــدودٌ مثـــلُ بـــانِ	وعيـــــونٌ مـــــشرفيَّهْ
ســـحرُها يفعـــل باللبْـــ	ـــبِ كفعـــل البابليَّـــهْ
إن ســـرى البـــرق صـــباحًا	بعـــثتُ يـــومي بالعـــشيَّهْ
وتَـــراً يُـــصمى فـــؤادي	عـــن قِـــسِيٍّ حاجبيَّـــهْ
عرفُـــه أعلـــى ذكـــاءً	فـــوق عطـــرِ المنـــشميَّهْ
مالـــكَ الحـــسنِ ترفَّـــقْ	واعمـــلِ العـــرف بنيَّـــهْ
فتـــرى جمـــعَ ضـــلوعي	قـــدحُها نـــارًا وريَّـــهْ
واصـــلِ المملـــوكَ حقّـــاً	فليـــــالي نابغيَّـــــهْ
حـــبُّكم داء قـــديمٌ	ليـــت شـــعري مـــا القـــضيَّهْ
لـــيس لـــي قَـــطُّ معـــينٌ	أبـــداً فـــي ذي البليَّـــهْ
غيـــرُ صـــنوِ فـــاطميٍّ	ذي ســـــماتِ هاشـــميَّهْ

فأجابه بقوله:

يـــا مليحـــاً فـــي البريَّـــهْ	ذا خـــــدودِ عـــــسجديَّهْ
ولحـــاظٍ تـــسحر اللُّبْـــ	ـــبَ وتـــأتي بالمنيَّـــهْ
وقـــوامٍ ســـــمهريٍّ	حبـــذا مـــن ســـمهريَّهْ
وشـــفاهٍ مـــن عقيـــق	صـــاغها ربُّ البريَّـــهْ

منها:

جـــاءني مـــن غيـــر وعـــدٍ ثـــم أحيـــا بالتحيَّـــهْ
لـــيس لـــي منـــك مجيـــرٌ غيـــرُ مـــولًى فـــي البريَّـــهْ

[٨٩٩] **الحسن بن محمد بن أحمد البوريني الدمشقي الحنفي**(١).

هو بحرٌ متلاطمٌ بأمواج العلوم، تقذف أمواجه جواهر المنثور والمنظوم، ودوحةٌ يتفرع عنها للفنون أفنان، وينفتق منها للأدب كل وردةٍ دهان، حتى قيل: الحسَنُ في الشام كالشامة في الوجه الحسن:

لا أبـــصرتْ مقلتـــي محاســـنَه إن كنـــتُ أبـــصرتُ مثلَـــه حـــسنا

ذكره الإمام الخفاجي في «ريحانته»، وأثنى عليه، والسيد الأديب محمد ابن عمر العرضي الحلبي في «مجموعته»، وذكـر: أنـه قدم حلب سنة ست عشرة وألف.

قلت: ومن شيوخه: العلامـة الملا أسد، وشيخ الإسلام عماد الدين الحنفي، والعلامة الشهاب أحمد الطيبي المقري، والشرف يونس العيثاوي، ومحمد الشـام البـدر محمـد بن الغـزي، ومنصور بن المحب، وإسماعيل النابلسي.

وذكر الإمام المحدث محمـد بن علان المكي الصديقي: أن صاحب الترجمـة قدم مكة حاجاً، عام عشرين بعـد الألف، وأنه روى عنه «صحيح البخاري»، وبقيـة السنن، وأجـازه بروايتهـا، ولـه من الآثـار المخلـدة في

---

(١) جاء في الحاشية: «مكررٌ وفيه زيادة».

الطروس، ما يفوح منها عطر القبول، ولا عطرَ بعد عروس.

منها: «تعليقةٌ على تفسير القـاضي البيضاوي»، و«تاريخ مشتمل على طبقات من لقيهم من علماء وقته»، و«شرحٌ على ديوان سيدي عمر بن الفارض» ما عدا تائيته؛ فإنه اعتـذر عن عدم شرحـه لها، بما هو مسطورٌ في خطبته، و«ديوان شعرٍ» في مجلدٍ كامل، وسبعة مجاميع مشتملةٍ على كل طرفةٍ ونتفة، وشذرةٍ وتحفة، سماها بـ: «الشهب السيارة»، وقفت على مجموعٍ منها بخطه، ونقلت منه ما نصه:

كان المرحوم الفاضل تاج الدين الشهير بالقطان يقرأ «مغني اللبيب» على شيخنا العلامة الكامل الفهامة، من كان في زمانه واسطة عقد الأفاضل، وصدر صدور أرباب الفضائل، العماد الحنفي، في المدرسة النورية، بدمشق المحمية، في سنة اثنتين وثمانين وتسع مئة، فوصلت نوبة القراءة إلى مبحث العرض، وقرأ شاهده المشهور، وهو قول الشاعر: يا بن الكرام . . . إلخ، فأمر الأستاذ العماد بتضمين البيت المذكور، فقلت مرتجلاً، ورقمته خجلا:

يا معرضاً عن محبٍّ للودادِ رعـى	تعذيبَ قلبي بنار الهجر من شرعا
وحقِّ عينيك لا أشكو الهوى أبـداً	إلا إليــك ولــو قطعتنــي قطعــا
قد كنت أبصر ضوء الودِّ من قِـدم	فاليوم قد غاب عن عيني وما طلعا
جمعت صبراً ليوم البين يُـسعدني	ففرق الهجرُ قبلَ البـين مـا جمعـا
بالله يـا متلفـي رفقـاً بـربِّ جَـوًى	إليك قصةَ هـذا الحـال قـد رفعـا
قد حدثوك على بعـد المـزار بمـا	قد أودع السقمُ في جسمي وما صنعا
يا بن الكـرام ألا تـدنو فتبـصر مـا	قد حـدثوك فمـا راءٍ كمـن سـمعا

أقول: وقد أكثر شعراء العصر من تضمين هذا البيت، ومن ذلك قول صاحبنا الأديب علي السنجاري المكي:

نادیتُ من مرّ بي كالظبي ملتفتاً ... مذ أخبروه بما فيّ الهوى صنعا

يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

وقول الأديب قرط الحلبي:

يا بن الحسيب الذي من نجل فاطمةٍ ... بنتِ النبي الذي للدين قد شرعا

ما لي أراكَ تعاملني الصدودَ وذا ... عن حسن شيمتك الحسناءِ ما سُمعا

بالله إن دخل الواشون أو نقلوا ... عني فلا تسمع البهتان والبِدَعا

وارحمْ لِنَاشد بيتٍ في القريض حكى ... درّاً يضمنه والقلبَ قد صدعا

يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

[٩٠٠] القاضي حسن بن العفيف الحضرمي[1].

من شعراء عصرنا المجيدين باليمن المأمون الأمين.

من شعره مادحاً للإمام المتوكل:

هو الربعُ سلْه أو فقفْ لي أسائلُه ... أنزّالُه نزّالُه أم نزائلُهْ

فإن هُدُوَّ القلبِ يؤذن أنَّ ما ... به غيرهم والدمعُ أشكل سائلُهْ

أرى القلبَ أهدى لي الصوابَ وربما ... غدا وهو ذو علمٍ بما الطرف جاهلُهْ

فيا ربُع نبئنا أنزّالك الألى ... عهدْنا فإن الحقَّ ما أنت قائلُهْ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٩٠) (٢٤٥).

فقال أجلْ من قد عهدنا وذا الحمى الـ ـمسمى وذاك المنحنى وخمائلُهْ

وتلك لبَيْنا حيثُ تقضى لبانةُ الـ ـمحبِّ ومال[1] الصب تهدا بلابلُهْ

فقلت سُقيتَ الغيثَ لم أجهلِ الذي علمتَ ولكن لاق عندي تجاهله

وليل تحاميل المشيب أرقتُه لهمٍّ وليلُ الهمِّ سارٍ يطاولُهْ

كأن به جفني لجفنيَ عاشقٌ وطرفي رقيب حارسٌ لا يواصلُهْ

إذا ما سها وقتاً كلا وكذا وشى من الدمع نَمَّامٌ على السهوِ عادله

لي اللهُ من ثاوٍ بجسمٍ وطيُّه طعينُ فؤادٍ راحلُ الفكر قافلُهْ

أفكر أي البيد بالقود أرتمي إلى منزل بالعزِّ طابت منازلُهْ

وأي خضمٍّ بالسنين أخوضُه إلى مثلِه جوداً تطامت جداولُهْ

وعاذلةٍ بين الجوانح راعَها محاولُ حالٍ في عنا من يحاوله

تقول على ماذا الترامي على النوى ومدّ التوى والرزق فالله كافلُهْ

أقول لها قول امرئ لم يطبْ له على دَعَةٍ من طيِّبِ العيش خاملُهْ

ذريني على أخلاقي الصملِ التي هي الوفرُ أو شربُ تُرِنُّ ثواكله

فلم أر عذراً للكريم بدون ما ينال المنى أو بازديارٍ يزاولُهْ

سأسري كما يسري الهلالُ بأفقه هو الخطأ ما محقه أو تكاملُهْ

وحقَّقَ نيلي للمنى ووسيلة دعاءُ أميرِ المؤمنين ونائلُهْ

فلا فضلَ إلا دونَ فضلِ ابن قاسم ولا بذلَ إلا دون ما هو باذلُهْ

إذا قيل إسماعيلُ أبلغ جنده الـ ـهدى عدة والويلُ طالت أناملُهْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وبالُ.

إمامٌ وعاء الكون يطفح مترعاً ... به وكذا كانت قديماً أوائلُهْ
فضائلُ قد ضاق الزمان بكنهِها ... وفاضت على طُرْقِ الزمان فواضلُهْ
شمائلُ خيرِ المرسلين وصنوِه ... وسِبْطيهِ والآلِ الكرامِ شمائلُهْ
رأينا به ما قد سمعناه عنهمُ ... ففضلُهم فيه وفيهم فضائلُهْ
إذا ما دعانا الخطبُ لُذنا بيمنه ... فتجلى به في الحال عنا جلائلُهْ
وإن جالَ فرسانُ العلوم فإنه ... يحاذر منه فارسُ القوم راجلُهْ
فعما تشا سلْه فإنك سائل ... لحيدرةٍ في علمه إذ تسائلُهْ
تأمل إذا أملى دقائقَ فكره ... وما ضمنته كتبُه ورسائلُهْ
فمسألة كالشمس يزهِرُ ضوءُها ... كبدرٍ وكالزُّهر النجوم دلائلُهْ
به قام دين الله أعدل قامة ... على العدل والتوحيد فينا يعادلُهْ
ودين الولا رمحُ السماك لواؤه ... ومنه له المريخُ بالزوع حاملُهْ
إذا النصبُ لا تطمعْ برفعِك والخفـ ... ـض لجزمك فالقاضي به فيك عاملُه
له دعوةُ الحق التي عزَّ شأنُها ... وناصرُ داعيها وذلَّ مخاذلُهْ
وبالحقِّ لا بالخلق شاد زعيمها ... ودانٍ له حافي الأنام وناعلُهْ
ومن كان بالله الشديد مِحالُه ... يُبيد الأعادي حولَه ومحاولُهْ
أقول مقالاً قيل قبلي وإنما ... إلى خيرها عن شرها أنا ناقله
جوادٌ يُنيل الحمد جذلانَ مابها ... ويزداد بِشرًا كلما ازداد آملُهْ
علامةُ جودِ المرء بالطبع بشرُه ... كجودِ الحيا لمعُ البروق مخايلُهْ
أجلتُ افتكاري في الكرام فما بهم ... سواه كريمٌ كاملُ الجود شاملُهْ

وكامـلُ جـود جـودُه غيـرُ شـامل ... وشـاملة لكـن مـا هـو كاملُـهْ

فللـه بَـرٌّ بـسطةُ البحـر كفُّـه ... سماحًا وبحرٌ ساحةُ البر سـاحلُهْ

بلغـتَ بـأفق الجـود أفـضلَ رتبـة ... فقف ثم لا أعلى لمـا أنـت طائلُـهْ

كأنك فـي الـدنيا بجـسمك كـائنٌ ... وبالزهـد فيهـا بـائنُ القلـب آفلُـهْ

تأملـت إنـي تـاركٌ فـيكمُ ومـا ... يُضاهيه عن خير الـورى ويـشاكلُهْ

فأنتَ به المقصودُ في العَصر الذي ... يحثُّ عليك في اتباعـك حاصـلُهْ

علـى طبـقِ أمـر الله فعلُـك كلُّـه ... فللـــه فعـــلٌ أنـــت لله فاعلُـــهْ

كلاكَ ووالاك امـرؤ[1] فـاز ناجيًـا ... وعنك تـولَّى مـن أتيحـت مقاتلُـهْ

وخذ شـكرَ إحـسان تواليـه دائمًـا ... عليَّ ومـن لـي أن شـكري يقابلُـهْ

فكـم كربـةٍ عنـي فَرَجْـتَ وشـدَّةٍ ... كشفتَ وحالي ماحِلُ الحال حائلُهْ

وقمتَ بنصري والزمـانُ محـاربي ... وأهونْ به خـصماً إذا أنـت جادلُـهْ

أذمُّ كـشكريكَ الزمـانَ وأهلَـه ... فـساءَ وسـاؤوا فالقليـلُ أماثلُـهْ

أسـافلُه فيـه الأعـالي وشـرُّ مـا ... لقيـتُ زمانًـا والأعـالي أسـافلُهْ

إذا شئتَ رفعي شاءَ خفضي فدائماً ... يمـاطِلُني عمـا أشـا وأماطلُـهْ

فيا ليتَ شعري والعجائـبُ جمـةٌ ... لأية معنى غاض في الدهر فاضلُهْ

وعيٌّ كذُبٌّ خُصَّ بالخفض عيشُه ... ونـدبٌ أديـبٌ أبرضَـتْه مآكلُـهْ

لحـا الله دهـرًا باقِـلٌ فيـه قُـسُّه ... وقبحًـا لـه إذ قُـسُّه فيـه باقلُـهْ

وما قلتُ هذا جازعًا مـن صـروفه ... ولكنْ ليدري عنه منه ما هو غافلُه

---

(١) في الأصل: امرءاً.

ويعلـــمَ أنـــي بالإمـــامِ مظفـــر وإن ظـافرت مـن بنيـه أراذلُـهْ[1]

هو الغوثُ مهما الخطبُ صوَّحَ ضوءُه هو الغيثُ مهما الجدبُ صوَّحَ ماحلُهْ

تباركتَ مولًى لم يخب منك سائلٌ عظيماً ولم تعظُمْ عليك مسائلُهْ

وحسبُ امرئٍ وافاك رأيك بالندى وأن صفات الجود فيك وسائلُهْ

وصـلى عليـك الله بعـدَ نبيـه وعترتِـه مـا المـزنُ أسبلَ وابلُـهْ

[٩٠١] الحسن بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفي[2].

العلامة الذي تفرد في وقته بالفضل، والعلم والورع، والزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، كان ـ رحمه الله ـ وصولاً للرحم، كثير الصدقة على ذوي الفاقة، حريصاً على فعل الخير والمعروف، أخذ عن أبيه وجده، وسمع على أخيه شيخنا الحسين كثيراً من العلوم، مع كونه أسنَّ منه بنحو سبع سنين.

وكان له الخط الحسن، الرائق المضبوط، والنظم والنثر الفائقان، ولقي جماعةً من أكابر العلماء، وأخذ عنهم كثيراً، وحوى علماً غزيراً، وله ارتحالاتٌ كثيرة، من جملتها: ارتحاله مع إخوته إلى شهارة المحروسة، أيام دعوة القاسم ابن الإمام محمد المؤيد، وأقاموا بها ثلاثة أشهر، بداره الميمونة بالناصرة من شهارة، وفي خلال الإقامة شارك السيد أحمد ابن الإمام المتوكل إسماعيل في قراءة «التيسير» للربيع، وغيره من الكتب الحديثية.

وكانت **وفاته** ـ رحمه الله ـ في سابع عشر ربيع الآخر، سنة تسع وثمانين

---

(١) كذا في الأصل، فالشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٦٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٧٦) (٢١٦).

بعد الألف، بمدينة صنعاء، وحضر تجهيزه والصلاةَ عليه جمعٌ كثيرٌ من علماء صنعاء وفضلائها، وأولاد الأئمة، وغيرهم.

وكان ـ روَّح الله روحه ـ في زمن حداثته مجداً في الاشتغال بالعلم وطلبه، على أبيه وجده، مع مشاركة أخيه الحسين المذكور، وكان إذا قرأ شيئاً في غيبة أخيه الحسين، تتأثر نفس أخيه الحسين، فيعاتبه في ذلك، فيعتذر صاحب الترجمة إليه، ويعيد ما قرأه عليه، فقال في ذلك صنُوه الحسين أبياتاً رائيةً معاتباً، وجعل أول كل بيتٍ منها حرفاً من حروف المعجم، أولها:

أذابَ فؤادي بارقُ الغور إذ سرى ... بنفحةِ مسكٍ من حدائقها سرى

بحقِّكَ خبرني عن الغور إنه ... حديثٌ صحيحٌ ليس في القول منكَرَا

تأمَّلْ به تلك المعانيَ تلقَ لي ... لطائفَ فاقت في المحاسن مَخْبَرا

ثملتُ وقد دارت رحيقةُ وصفِه ... فأنهلَنا التسنيمُ من تلك سُكَّرا

جرى ذكرُ أحبابي بروضة قدسِها ... وقد كُسيت بُرداً من الوشي أخضرا

حوى من مليح الوصف كلَّ غريبة ... كزهر سماء الأرض في حسنها ترى

خليليَّ ما وافٍ بعهدي أنتما ... إذا لم تقصّا وصفَها لي وتُخْبِرا

دعوتُكما كي تُفهماني حقيقةَ الـ ... أحبة فيها مفرقَيْن وتحضرا

ذكرتُ لهم ذكرَ الصفات فهاجَ لي ... من الشوق ما ألفيتُه متذكّرا

رأينا بها ما يملأ العين قرةً ... فرُوِّحَتِ الأرواحُ من حسن ما نرى

زيارتُهم فيها لقلبي مسرةٌ ... غدت مورداً للصالحات ومصدَرا

سلي إن أردتِ النوم عني وعنهمُ تَرَي ما يسرُّ الأولياءَ بلا مِرا
شَفَتْنا وأولتنا فوائدَ عندها يُسَهِّلُ للأحباب ما قد تعسَّرا
صفت عندنا تلك الصفاتُ التي علت ففاقت وراقت للقلوب بلا امْتِرا
طوينا لدى الأحباب كلَّ مقالة وقد كان في نفسي مقالٌ تكثرا
ظفرنا بما نرجو من الحَسَن الذي يفيدك إن أَقْرا الفوائدَ أو قَرا
عليمٌ بأعقاب الأمور كأنما لِما في غدٍ من قبل يأتيهِ أبصرا
غدوتُ عليه عاتبًا حين أهملَ الـ أخوةَ لما ينتظرْني ويذكرا
فواعجباً من فعله حين غبتُ عن محافلِه هلاَّ لحقِّيَ آثرا
قرأتَ حماكَ الله لم تنتظر لنا وعذري أن السحْب بالغيث أمطرا
كفى حجةً برهانُها مشرقٌ بما فعلتَ على إهمال حقِّي بما عرا
لويتَ عِنانَ الودِّ عني عامدًا وأُنسيت حقّاً للإخاء مؤثِّرا
محلُّكَ فوقَ الشمس عندي وإنني لأبني له فوق المجرة معمرا
نحوتُكم لما تقشَّعَ سحبُها وسرت إلى سُوح المعالي مبكِّرا
وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حينَ نَوَّرا
هو الصنعُ إن تعجلْ فخيرٌ وإن برت لعذرٍ فكم ريثٍ به عاد أكثرا
يقول لي القلب الذي ترك الهوى إذا انت راعيت الإخاء المقررا
لأعظم من أولى ووالى صنيعَه وحاز من الخيرات سهمًا موفَّرا
ألستَ من القوم الذين وليدُهم يُرَجَّى لإقراء العلوم وللقِرى
بلغنا السما مجداً وعزّاً وسؤدَداً وإنا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهَرا

تجرَّدْ لأخذ العلم عنهم فإنهم أئمتُنا وارحلْ إليهم مشمِّرا
ثباتهمُ فيها عظيمٌ رسوخُه وذاكرهُ يولي الثناء معبِّرا
جزى الله آبائي عن الكلِّ خيرَه وأبقاهمُ ما قيل نظمٌ وسُيِّرا
حموا بعواليهمْ حمى الدين واستوَوْا على فَلَكِ العلياء لمَّا تنوّرا
عليكَ سلامُ الله ما انهلَّتِ السما بوَدْقٍ على روضٍ أريضٍ فأزهرا

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

أُسَرُّ إذا حققتُ في اليوم معشرا وتكثُر أفراحي إذا كان أكثرا
بناءً على أن امرأً باد عمره إذا كان في غير العلوم مكثرا
تبينت أن العز في العلم والعلا وأن بحار العلم هم خِيرةُ الورى
ثنائي عليهم لا على كل مهملٍ يجانبهم مما عَتَا وتكبَّرا
جَنَوا ثمراً من روض كلِّ فنونه وأعطاهم الرحمنُ حظّاً موفَّرا
حريُّون بالتقديم أقدامُهم على الثريا وأهلُ الجهلِ في أسفلِ الثرى
خلا من غدا في دهره متعلِّما ومستمعاً ما فاق درّاً وجوهرا
دنا منهمُ فازداد فضلاً ورفعةً وعاش حميداً في الورى متبصِّرا
ذكرتُ خلالاً للحسين فسرَّني بأن أخي للعلم أضحى مشمِّرا
رضيتُ له هذا طريقاً ومسلَكاً وصاحبُه فوق النجوم كما ترى
زيادة من فوق البسيطة لم تكن من العلم نقصانٌ وخُسرٌ بلا مِرا
سما من له العلمُ الشريفُ وسيلة وما فاز ذو جهل وخابَ من افترى
شرى نفسَه يبغي الرضا من إلهه فيا فوزَه بالربح من خير ما شرى

صبورٌ على درس الدفاتر مقبلٌ ... سريٌّ سرى والصبح قد يُحمد السُّرى
طويلٌ عليه الليلُ إن بات مهملاً ... قصيرٌ إذا للدرس باتَ مؤثرا
ضجيعُ كتابٍ لا يفارقه ولا ... يرافقُ إلا عالماً متبحِّرا
ظفرتَ بما أَمَّلت فاشكرْ ولا تكنْ ... ملولاً فإن الصيدَ في باطنِ الفِرا
على أنه وافى نظامُك عاتباً ... علينا ومنظوماً نظاماً محبَّرا
غدوتَ به في نعمة لبلاغة ... حواها وألفاظٍ له قد تخيَّرا
فواعجباً من عاتب كان حقُّه ... بأن يبتدي بالعَتْب فيما تحررا
قوافيك أولَتْنا محاسنَ عندها ... نقول وقد خاطبت من كان قصَّرا
كأنك لم تعلم بمن سار أشهراً ... ليحظى بعلم ثم عاد مطهَّرا
له رحلةٌ معروفة أنت أهلُها ... فواصلْ دروسًا درسُها لك يُسِّرا
مدى الدهر لا تبرح على الدرس عاكفاً ... فما العلمُ في الأسواق بالمال يُشترى
نبيُّك لم يترك سوى العلمِ فاغتنم ... وراثتَه بالدرس عن سيد الورى
وأنت بحمد الله قد صرتَ عالماً ... ولكنْ نظمْنا ما تراه مذكِّرا
هدانا إله الخلق نهجاً مبلِّغاً ... إلى جنةِ الفردوس فضلاً ويَسَّرا
لئن كنتَ ترعى للحقوق فإنني ... لأرعى لها واسألْ بذلك من درى
يريد أخي قلبَ العتاب فقل له ... يحقُّ لمثلي أن يُغَض ويصبرا
إذا أنا لم أحملْ على النفس ضيمَها ... سددْتُ طريقًا للثناء منوّرا
بدا ليَ عذرُ الصِّنْوِ بعد جفائه ... وذلك أن السحبَ دام وأمطرا
توالتْ بذا الأسبوع فضلاً ونعمة ... فرام لهذا أن يُقال ويُعْذَرا

ثلاثـاً هجـرتُم ثـم زدتُـم كمثلِهـا	لـك الله أرجـو أن يُقيـل ويُعْـذِرا

جرى ما جرى منكم من الهجر والقِلى	وفوقَ ثلاثٍ حَرَّم الطهرُ ما جـرى

عليـك سـلامُ الله مـا ذر شـارق	وما سار ذو عزم لعلمٍ ومـا سـرى

ولصاحب الترجمة نظم التلقين، والوظائف المروية عن جعفر الصادق وآبائه، وهو قوله:

تلقَّـنْ يـا فتـى طُـرْقَ الـسعادهْ	فتلـك إذا وصـلت هـي الـسيادَهْ

وجَنِّبْ نفـسَك الـشبهاتِ واصـبرْ	وفيمـا حـلَّ ألزمْهـا الزهـادَهْ

وحـبُّ الله آثـرْه وأحـسِنْ	وقـم بالواجبـات مـن العبـادَهْ

تفكَّـر فـي خلائقـه وحـاذرْ	تـصوُّرَ ذاتـه واعـرفْ مـرادَهْ

وقـم بحـوائج الإخـوان فيـه	لتحـرزَ فـضلَه وارحـمْ عبـادَهْ

ولازمْ ذكـرَهُ والجـأ إليـه	تنـلْ منـه مـع الحـسنى زيـادَهْ

وعظِّـمْ أمـرَه تعظـيمَ عبـدٍ	تـيقنَ رحلـةً فأعـدّ زادَهْ

ولا تفـرحْ بمـا أوتيـت وانـدمْ	على التفريط عـن طلـب الـسعادَهْ

وأبـق بـشكره النعمـاءَ واجعـلْ	تـدبُّرها لنفـسك كـالقلادَهْ

تجنَّـبْ مـا نهـاك الله عنـه	ومـا يَعنيـك لا تهـدمْ مُـشادَهْ

تأمَّـلْ عاجـلَ الأحـوال وانظـرْ	عواقبَهـا علـى حـسب الإرادَهْ

تـصوَّرْ بعـد موتِـك مـا تُلاقـي	فمُبـدي الأمـر تمكنُـه الإعـادَهْ

وجنِّـبْ نفـسَك الـدنيا فمـن لـم	يحاذرْهـا فقـد ملكَـتْ قيـادَهْ

ومهمـــا آذنَـــتْ بـــصلاح أمـــر تـــراه صـــالحاً فاحـــذرْ فـــسادَهْ
ورَجٍّ الخيـــر فـــي الأحـــوالِ إلاَّ لـــدى ذنـــب فخـــفْ واقـــدحْ زنـــادَهْ
وأخلـــص نيـــةً فـــي كـــل فعـــل لعـــالمِ غيـــبِ أمـــرِك والـــشهادَهْ
وحـــاذرْ عـــدَّ نفـــسك ذاتَ فـــضلٍ وأنـــك بـــالغٌ رتـــبَ الـــسعادَهْ
فتتـــركَ مـــا بـــه كلفـــت إذْ قـــد وصـــلتَ كـــزعم أربـــاب الـــبلادَهْ
أتـــأمنُ مـــن لهـــا بالـــسوء أمـــرٌ بـــه تُعمـــى لـــذي لـــبٍّ فـــؤادَهْ
حـــذارِ الجبَـــر والتـــشبيهَ واحـــذرْ مـــن الإرجـــاء يـــا علـــمَ الإفـــادَهْ
وحـــاذرْ مـــن أمـــور زَيَّنوهـــا بهـــا حُرمـــوا ثـــواب ذوي العبـــاده
حلـــولُهم ولـــومٌ عـــن فـــساد لدفع الحجب مع حمـل القـلادَهْ
وعـــن رقـــصٍ ســـماعِهم ووجـــدٍ مـــشاهدةِ الجنـــان وخـــرقِ عـــادَهْ
فمـــا قـــالوه مـــن هـــذا ضـــلالٌ تنـــزَّهُ عنـــه أربـــابُ الـــسياده
ومهمـــا أمكنتـــك خـــصالُ خيـــرٍ فآثرْهـــا تفـــز وحُـــذ الإجـــادَهْ

[٩٠٢] الحسن بن مسعود اليَوْسي المغربي المالكي[١].

عالمٌ نحرير، لـه في المغرب ذكـرٌ كبيـر، كان ذا باعٍ مديدٍ في الكلام والنحو، والفنون المتداولـة في المغـرب، وأخلاقٌ كريمـةٌ وتواضع، وكان عظيم الوقار، كثير العبادة، صبوراً على الإفادة، قدم مكة حاجاً، سنة ألـف ومئة واثنتين، ولم يقدر لي الاجتماع به.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٤٣) (٣٧٩)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٨٠١)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٢٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٢٣).

له مؤلفاتٌ في فنونٍ، منها: «حاشيةٌ على شرح مختصر السنوسي في المنطق»، ولما رجع من الحج إلى المغرب، توفي بها، وأنشدني بعض أصحابنا، قال: أنشدني المترجَم لأحمد بن الحسن الكلاعي المالقي قوله:

يقال خصالُ أهل العلم ألفٌ ... ومن جمع الخصالَ الألفَ سادا

ويجمعها الصلاحُ فمن تعدَّى ... مذاهبَه فقد جمعَ الفسادا

توفي سنة ألف ومئة وإحدى عشرة ببلده، بعد رجوعه من الحج ـ رحمه الله ـ.

[٩٠٣] حسن الماوردي الشافعي الشامي.

ماجدٌ صيغ من معدن السماح، وابتسمت في جبينه غرةُ الصباح، اللطف حشو إهابه، والفضل لا يلبس غير جلبابه. شعر:

لو مثل اللطفُ جسماً ... لكان للطف روحا

لم يزل إذا نزل بنادٍ، انحلت الهموم، وارتضع من أخلاقه نبت الكروم، حتى أدركه أجله المحتوم، فتوفي بمصر، يوم الأربعاء، خامس عشري شهر صفر، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

مصرٌ تفوق على البلاد بحسنِها ... وبنيلها العالي ورقةِ ناسِها

من كان ينكرُ فالتحاكمُ بيننا ... في روضةٍ والجمعُ في مقياسها

أخذه من قول الصلاح الصفدي:

إن مصراً لأطيبُ الأرض عندي ... ليس في حسنها البديع التباسُ

وإذا قـــستَها بـــأرضٍ ســـواها كـــان بينـــي وبينــك المقيـــاسُ

[٩٠٤] حسن المسكاتي.

كان أديباً ماهراً، وكاتباً شاعراً، لـه شعرٌ أنيقٌ، حسنُ السبك رقيقـه، قدم من بـلاده إلى اليمـن، فتوطن المخـا، وامتـزج بأهلهـا، امتزاج الروح بالجسد، وتوفي بها سنة خمس وسبعين وألف.

ومن شعره قوله: ...[1].

[٩٠٥] الدرويش حبيب الرومي الحنفي[2].

كان فاضلاً طويل الصمت، نظيف الذات والأثواب، متواضعاً صوفياً، له ذوقٌ في المعارف والحقائق وآداب، وكان يمتهن نفسه في الخدمة لأقرانه، وللناس فيه مزيدُ اعتقاد، وعليه نورانيةٌ ظاهرة.

وكان ملازماً للجماعة، في الجامع الأموي، ساكناً في حجرة بالسميصاتية، قانعاً باليسير من الرزق، وأقام بدمشق أكثر من عشرين سنة، وهو على سمت حسن، واشتغال بالعلم، إلى أن توفي يوم الجمعة، عاشر شعبان، سنة أربع وعشرين بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

[٩٠٦] حسن ابن الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سراج باجمال[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر الشعر، وترك نصف صفحة بياض».

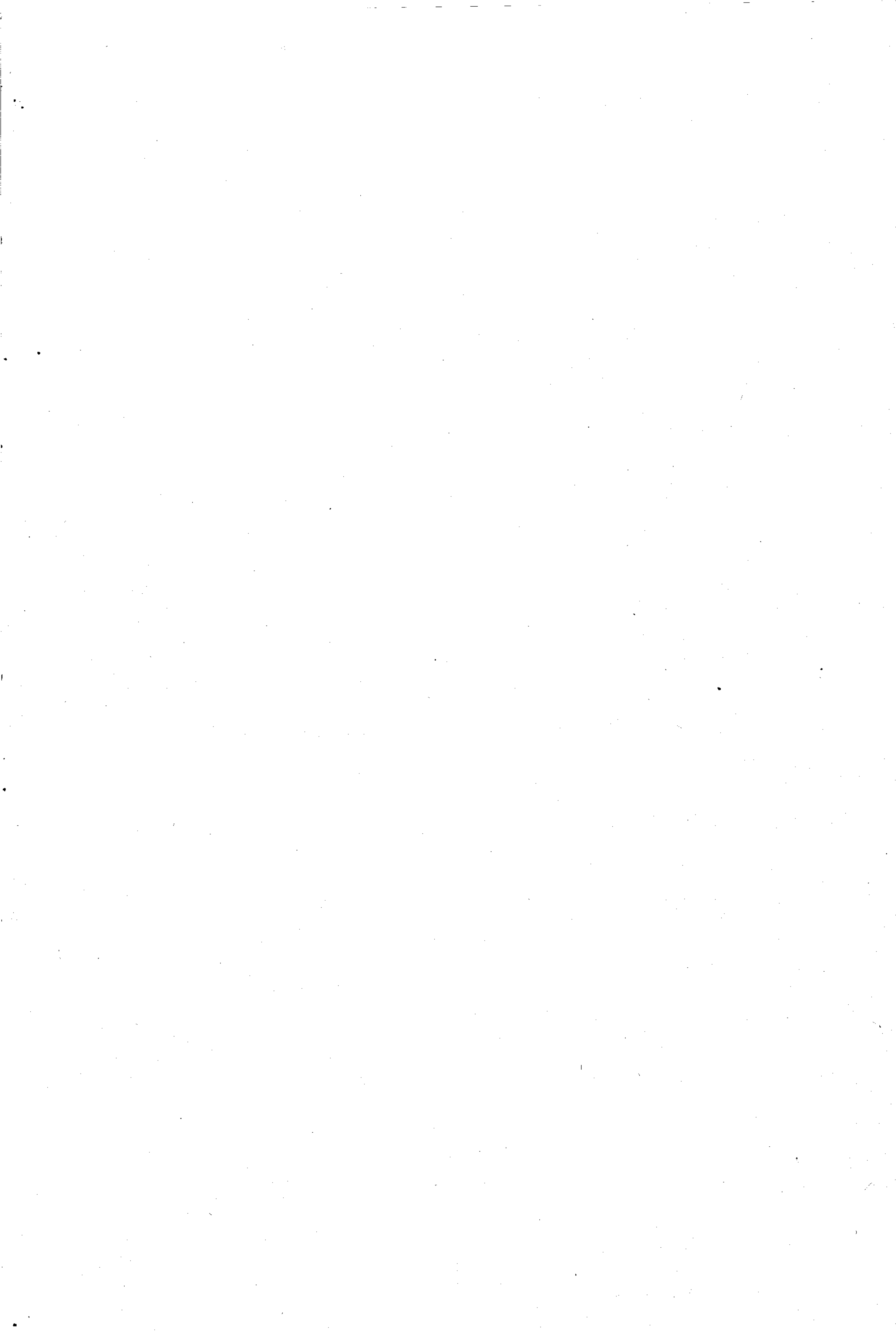
(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٣) (١٣٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٥٠١).

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦٦).

وُلد بالغرفة، من بلاد حضرموت، ونشأ بهـا، وحفـظ القرآن العظيم وغيره، واشتغل على والـده ولازمـه، حتى حصل طرفاً صالحاً من العلم، ثم ارتحل إلى الحرمين الشريفين، وجاور بطيبة ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ.

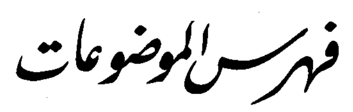
كان ذكياً، حسن الحفظ والنظم، قانعاً صابراً، ملازماً للروضة الشريفة، وتخلى عن جميع أسباب الدنيـا، وجـدّ في العبادة والتلاوة، حتى صار من الأولياء الصالحين، والأفاضل المشهورين، ولـم يزل على الحال المرضية، معرضاً عن الدنيا بالكلية، حتى انتقل **بالوفاة** إلى رحمة الله تعالى بالمدينة، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف، ودفن بالبقيع الغرقد.

❑ ❑ ❑






فهرس الموضوعات



❐❐❐